التحفة النبهانية
في
تاريخ الجزيرة العربية

تأليف
العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة بن حمد
ابن موسى النبهاني الطائي

دار إحياء العلوم
بيروت

المكتبة الوطنية
البحرين

نبهاني
طائي
تحفة
نبهانية
في
تاريخ
جزيرة
عربية
إحياء العلوم
بيروت
ة الوطنية
البحرين

التحفة النبهانية

في

تاريخ الجزيرة العربية

تأليف
العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة بن حمد
ابن موسى النبهاني الطائي

المكتبة الوطنية
البحرين

دار إحياء العلوم
بيروت

الطّبعة الثانية

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

ص.ب: ٥٧٥١ - بيروت، لبنان

البحرين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كثير الألطاف. ومكوّن الدر تحتويه الأصداف. ومحصي عددها في البحار مع اختلاف الأصناف. وجعلها من أحسن حلية للأنام. وسيّر الجواري المنشآت في البحر كالأعلام لاكتساب ثمرات معادن البحر الحسان. وفقاً لقوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجان﴾(١) فلا يعزب عن علمه القديم حوادث الأعصار. ولا ما اعتنى بجمعه أهل المعرفة بالأخبار. المنزّه عن الكيف والأين. الجاعل برزخاً بين ملتقى البحرين. ميّز بينهما وأحصى عدد الأمواج. هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله صدور العرفان وعلى أصحابه وتابعيهم بدور الزمان. ما أُرختْ نكتة في العصور الخوال. وما جلبت الدراري من جزيرة أوال. وما اقترنت الزهرة بالمريخ. وما شرع أخباري في فن التاريخ. (أما بعد) فيقول العبد الفقير إلى لطف ربّه الحنان محمد ابن العلامة الفاضل الشيخ خليفةَ ابن حَمَد بن موسى آل نبهان ثم الطائي نسباً. المكّي مولداً ومنشأً. المالكي مذهباً. إنه قد يسَّر الله لي في سياحتي الوصول إلى جزيرة أوال في غرة عام (١٣٣٢) وحصل لي الامتزاج بحكامها أولي الفضل والمجد الرفيعين. فطلب مني بعض فضلائهم أن

(١) سورة الرحمن آية ٢٢

أجعل تاريخاً يحتوي على ذكر حكامها الحاليين وملوكها الأقدمين. ومن تولى عليها في تقادم السنين. ولنذكر فيه ما ذُكر فيها أو وصل اليها من الصحابة والتابعين. ونحرّر ما وقع فيها من الملاحم والمعارك زمن المشايخ الخليفيين. ونرشحه بذكر بعض حروب المتقدمين. ونطرزه بتعريف أنساب من بالبحرين من العرب الموجودين ونستطرد فيه بتوضيح من ذكر استطراداً من الدول والأمراء الماضين. ونحليه بنبذ من تاريخ أمراء جزيرة العرب (كآل رشيد وآل سعود وآل صباح) ومن ضاهاهم. فأجبتهم لذلك بعد التكرار والالتماس راجياً من الله العون والتوفيق وسميته (النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة) وتم تبييضه في (١٢ ربيع أول عام ١٣٣٢) فتوجهت به نحو العراق لأطبعه به. فأرست باخرتنا في ميناء البصرة في أواخر شعبان. ثم ركبت الباخرة (حميديه) النهرية فأرست بمرفأ بغداد (في ٢ رمضان) المبارك من العام المذكور فقابلني بها بصدر رحيب صديقي الأعز الأديب (أحمد جودت بك ابن علي كاظم بك) الموصلي صاحب جريدة (المنير) الغرّاء البصرية. فبعد الاستقرار اقترح عليّ بأن أجعل هذا التاريخ عامّاً لجزيرة العرب كما بقدر المجهود. وأن أحلّي جيده برسم الحكام والسلاطين. فأجبته لذلك مستعيناً بالله على إتمام هذا المشروع فأبدلت اسمه الأول. وسميت الكتاب كله (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) ولضيق الوقت عجلت بطبع القسم المختص بالبحرين بخطبة عصرية.

ولما شبّت نار الحرب العظمى عجلت العودة إلى البصرة قبل إتمام طبع القسم المذكور. فلما وصلت البصرة وجدت الحكومة العثمانية قد أمرت بسد وجه (الفاو) مدخل البصرة من جهة البحر (في ١٠ ذي الحجة) من العام المذكور ولم يمكنني مبارحتها إلى البحرين حتى سقطت البصرة في غرة محرم

سنة (١٣٣٣) وفي ٢٧ ربيع ثاني أخذت أسيراً وسُلِبَتْ مني جميع كتبي ومؤلفاتي وفي ضمنها مسودة التاريخ المذكور.

فبلغ حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ما جرى عليّ من المضايقات فتذاكر مع رئيس الخليج في شأني. فبعد (١٣) شهراً بزغت عليّ بشائر السرور (في جا[1] عام ١٣٣٤) بورود خط من الشيخ عيسى إلى حاكم البصرة يستشفعه في إطلاق سراحي لما بيننا من العلاقة. وبالفعل بلّغتني دائرة الشرطة ورود التشفّع وأُحضرت أمام رئيسها وتُلي عليّ خط حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى. لا زال لطفه شاملاً. وفضله هاطلاً. فبقيت في البصرة مطلوق السراح تحت المراقبة السرية إلى أول الهدنة عام (١٣٣٧) حيث أخذت تمام حريتي :فمن أجل ذا لم أتمكن من جمع التاريخ مرة ثانية على حسب ما يرام لما نابني من مصائب الدهر وعوارض الأيام. وإنما لكثرة طلب الأصحاب مني الجمع له مرة ثانية تناولت منه بهمّة دون الهمة الأولى. ومع ذلك فأرجو الله أن يحسن الأحوال. ويروق الخاطر والبال. فنطبعه إن شاء الله مكملاً على أحسن ما يرام ولكن لما نفدت الطبعة الأولى لعكوف القراء عليها ألحّ عليّ الأدباء بطبعه مرة ثانية[2]. فرتبته على نسق غير النسق الأول مع زيادات مفيدة ورسوم عديدة. وأرجو من القراء الكرام أن يرشدوني على مواضع الخلل لأستدركه إن شاء الله في الطبعة الثالثة. عند إتمام جميع تاريخ جزيرة العرب. وألتمس من أهلها أن يقدموا لي رسوم حكامها وأمرائهم الحاضرين والغابرين. وإن

---

(١) جمادى الأولى.

(٢) ولكثرة رواجه قد ترجمت الطبعة الأولى باللغة الانكليزية والذي ترجمها (السيد حسن صديق) رئيس الشرطة في البحرين سابقاً بأمر من الحكومة البريطانية وأعطته في مقابلة ذلك مكافأة عظيمة.

يمدوني بإسعافاتهم لتحصل للجميع الفائدة المنشودة. :وعنواننا هو (باسما إلى البصرة في محلة القبلة) وأرجو أن لا تتثبّط همة الأدباء إذا طالت المدة فإنني إن شاء الله الرحمن الرحيم ما دمت في قيد الحياة أجدد طبعه إن شاء الله تعالى عندما أتحصل على فائدة جديدة.

صورة الخطبة المدرجة في الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم. نحمدك اللهم ونستعينك على صدق الرواية وحسن الإبانة. ونصلي ونسلم على رسولك البشير النذير سيدنا محمد وعلى كافة الأنبياء والمرسلين وعلى الصحابة والقرابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين (وبعد) فلو لم يكن في التاريخ من الفوائد إلاّ أنه محل العبرة ومقياس السياسة لاستحق الدرجة القصوى من البحث والاهتمام ولقد نصّوا علي أن تاريخ الأمة هو الدعامة الأولى التي يبنى عليها رقيّها ومجدها. وبحسب محافظتها عليه والاعتبار بوقائعه والادكار بمذاكرته تنال ما تستحقه من عز أو انحطاط. ولما كان تاريخ أغلب إمارات جزيرة العرب ولا سيما (البحرين) قد بقي مجهولاً حتى من أهلها أنفسهم وكنت قد طفت أغلب تلك البقاع وتشرفت بمعرفة أمرائها الفخام وسكانها الكرام. وصرت كأحد أبنائها أنفت من أن تبقى عقود حوادثها عاطلة من محاسن الترصيف والتدوين. وصممت على نشر مجمل تاريخها القديم ومفصّل تاريخها الحديث. غير أن عدم وجود المؤرخين والتواريخ فيها كاد أن يجعل مطلبنا مستحيلاً. لولا أن الرغبة التي حدت بنا كانت قد تأصلت وأخذت نصيبها من العزم والاهتمام. فنهضنا نبحث في القماطر. ونستنطق مبعثر الأوراق والدفاتر. ونستقري صحيح الروايات وأوثق الرواة. حتى أحطنا بجل الوقائع وأغلب الحوادث. وكان من جملة الوثائق التي رجعنا إليها وأخذنا

عنها سجلات دار الإمارة المخزونة في دار الأسفار. وإن أنس لا أنس ما تفضل به رب السيف والقلم سمو العلاّمة الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة. وحضرة بدر العلماء وفخر التجار فضيلة الشيخ عبد الله بن سعد بن شملان[1] من المساعدة والإرشاد. حيث أوقفاني على جملة صالحة من الحوادث وأمدّاني بعدة وثائق تاريخية مهمة. فحق علينا شكرهما وإذاعة فضلهما. هذا وقد اتخذنا من دراسة أحوال البلاد والوقوف على شئون أهلها وعوائدهم وما يمكن وما يستحيل بالنسبة لهم. مقياساً نسبر به غور الوقائع ونميز به الجيّد من الرديء والصحيح من السقيم. فجاء ولله الحمد على قدر الطاقة سليماً من علل التحريف خالياً من شوائب الضعف والمبالغة. ومع ذلك فاننا نَرْبَأ نفسنا من ادّعاء العصمة من الزلل والخطأ. وجُلُّ ما نرجوه من أفاضل الكتّاب الغيورين أن يمدونا بآرائهم ويرشدونا إلى مواطن الضعف والخلل. لنستدركه في الطبعة الثانية التي عزمنا مستعينين بالله على أن تكون أغزر مادة وأكثر تفصيلاً. والله المسئول أن يوفقنا لإتمام مشروعنا وهو بالإجابة جدير. آمين.

محمد خليفة النبهاني

* * *

أتحط قدري الحادثات وهمتي ... من دونها المريخ والجوزاءُ
صبراً على كيد الزمان فإنما ... يبدو الصباح وتنجلي الظلماءُ
أنا والمعالي عاشقان وطالما ... وعد الحبيب فعاقه الرقباءُ
لو كانت الأقدار يوماً ساعدت ... مثلي لخافت سطوتي الخلفاءُ
وأتى الزمان مسالماً فصروفه ... وبنوه عندي والعبيد سواءُ

---

(١) قد توفي ابن شملان في ١٥ ربيع ثاني عام ١٣٣٦ هـ. اهـ مؤلف.

الحالة الطبيعية

(الموقع والحدود) - البحرين - اسم أطلقه العرب القدماء على مجموع البلاد الواقعة على ريف خليج البصرة الممتد منها إلى حدود عمان. وكانت قصبتها مدينة (هجر) أي الأحساء. ثم خصّ بالبلاد الواقعة على الخليج المذكور وبين الدرجة (٢٥ و٢٩) من العرض الشمالي وعلى هذا فيكون طرفاها قطر والكويت. فيدخل في ضمنها شبه الجزيرة الكبيرة التي هي قطر مع الجزائر التي تقرب منها ومن ثم دعوا البحرين الحالية (جزيرة البحرين) إضافة للبلاد المذكورة. ثم تُنُوسِيَ الاصطلاحان واختصّ اسم البحرين بالجزيرة المسماة به الآن. وكانت قديماً تسمى (أوالا) باسم صنم أبناء وائل[١] .لأنهم كانوا يسكنونها مع عبد القيس وقد نالت البحرين قديماً وحديثاً شهرة عظيمة لا سيما لؤلؤها المعروف بالحسن والجودة. فيقصده التجار من الآفاق.

والبحرين هي على مسافة (١٢) ميلاً من بر ظهران[٢]وفي الدرجة (٢٦) و(٣٠) دقيقة من العرض الشمالي. و(١٠) درجات و(٣٧) دقيقة من الطول الشرقي باعتبار المبدأ مكة المشرفة[٣]وتدوير مساحتها مع جزيرة المحرق نحو (٨٠) ميلاً. ومساحة طول جزيرة المنامة شمالاً وجنوباً (٢٥) ميلاً

---

(١) قال في معجم البلدان (أوال) بالضم ويروى بالفتح جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين فيها نخل كثير وليمون وعنب وبساتين. وقال تميم بن أبي مقبل:

عمد الحداة بها لعارض قرية ... فكأنها سفن بسيف أوال

اهـ مؤلف.

(٢) ظهران كسحبان. ساحل الحسا. وكانت قصبته قديماً مشهورة بصنع الثياب الظهرانية المنسوبة إليها. اهـ مؤلف.

(٣) قبلة أهل البحرين مغيب التير. اه مؤلف.

وغُرضها نحو (٩) أميال وطول جزيرة المحرَّق نحو (٥) أميال وعرضها نحو ميلين[١] وكلاهما مستويا الأطراف وفي وسطها مرتفعات لا سيما أرض المنامة إلى الرفاع. فالصَّخير. فجوٍ. وتحيط بالكل أرصفة رملية ينحسر عنها الماء تماماً وقت الجزر.

(الجو)- جوّها شديد الحرارة يكاد يكون محرقاً زمن الصيف. فلذا يضطرون إلى مبارحة المدن زمن الصيف والنزول قرب ماء العيون العذبة التي عند سواحل البحر.

(حاصلاتها)- حاصلات البحرين اللؤلؤ. وجل شغلهم ومعاشهم هو الغوص في البحر لإخراج اللؤلؤ منه. ويبتدئ زمن إخراجه في الربيع من أول برج الثور إلى نصف برج الميزان. وقد أجمع الجوهريون على أن لؤلؤ البحرين يفوق سائر اللآلىء بهجة ونفاسة. وقد قدر ثمن ما يخرج منها سنوياً من اللؤلؤ بقيمة (٣٠) ألف ألف رُبِّية وهذا جدول ذكرنا فيه قيمة ما يخرج من غيرها سنوياً لتعرف الفرق بين الجميع

ألف عدد	مليون عدد	
..	٣٠	البحرين
..	١١	قطر

(١) وقد نظم مقادير المساحات ابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦) فقال:

إن البريد من الفراسخ أربع ... ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قل ... والباع أربع أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربع ... من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيرة ... منها إلى بطن لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط ... من ذيل بغلٍ ليس عن ذا يرجع

اهـ مؤلف.

..	٠٤	القطيف
٦٠٠	..	الجبيل موضع بين القطيف والكويت
..	٠٨	الكويت
..	١٥	عمان جميعه
..	٠١	بلدة لنجة
٤٠٠	..	جزيرة قيس
..	٧٠	الجميع سبعون مليوناً.

وهذا التقدير بالحالة الوسطى وقد يزيد وينقص حسب الأطوار: وقد أحسّ بعض العارفين بوقوع تناقص في اللؤلؤ وعلّل ذلك بإرسال الصدف بعد فلقه إلى أوربا. لأنه قد يلاصق الصدفة الواحدة مائة من صغارها. فإذا ألقيت الصدفة بعد فلقها في البحر نَمَت الصغار وعاشت وانفصلت. وبالعكس ينتج قلة المحصول. لأنهم إذا نقلوا الكبار وأماتوا الصغار فمن أين يحصل النتاج. (ويوجد) في أماكن مغاصات اللؤلؤ (شجر اليسر الأسود) ولكن لم يكن لهم به اعتناء. على أنهم لو بذلوا هممهم في إخراجه وتسفيره إلى الحجاز (لتصنع منه السبح) لزادت محصولاتهم واتسعت معيشتهم.

فصل في صفة الغوص للؤلؤ

أوردت صفة الغوص وإن كانت معلومة. لأني اطلعت على رحلة ابن بطوطة فرأيته وصف مغاص الجواهر بخلاف ما هو مشاهد اليوم (والكمال لله).

(تنبيه) ذكرنا الأسماء بحسب ما اصطلح عليها أرباب الصناعة منهم. فنقول: إن سفنهم اليوم نوعان (سنبوق. وجالبوت) وكان في السابق لهم سفن متنوعة يسمونها (بغلة. بتّيل. بوم. بقّارة) وهذه قَلَّ استعمالها اليوم.

واكتفوا بالنوعين المذكورين ويعبرون عن مجموع السفن (بالخشب) وعددها يتراوح بين (٣ و٤ آلاف سفينة). ويعبرون عن ابتداء الغوص (بالرَّكْبَة) وعن الانتهاء (بالقُفّال) ويسمون اللؤلؤ (قماشاً) والجواهر (دانات) فإذا مضى برج من فصل الربيع يخرجون في سفنهم إلى البحر كل سفينة بحسب ما تسع من الغائصين تحت رياسة (النوخذة) ويسمّون الغائص (غَيْصاً) والذي يجر حبال الغائص (سَيْباً) والمساعد لهما (رظيفاً) والذي يكون أصغر من الرظيف يسمّى (تَبّاباً). وتخرج جميع السفن إلى البحر في مواضع مختلفة العمق ولها أسماء معروفة بينهم بعدها عن البر نحو (٣٠) ميلاً وعمق المغاصات يتراوح بين (٣ إلى ١٤) باعاً. وأما مغاصات بحر عمان فيبلغ عمقها نحو ٣٠ باعاً. ولكن الغائصين بها قليلون لمشقة عمق البحر.

(وأما هيئة الغوص) فهو أن الشخص ينزل من السفينة فيقف على وجه البحر طافياً على الماء إلى أن يجعل في أنفه شيئاً مثل الملقاط يسمونه (فطاماً) وهو مصنوع من قرون الوعل أو من « الذبل » أي عظم السلحفاة ليمنع التنفس ما دام غائصاً فإذا خرج من البحر جذبه من أنفه بسرعة وتنفس. وعند نزوله إلى قعر البحر يجعل في إحدى رجليه رصاصة أو حجراً وزنه من « ١٢ إلى ١٤ » رطلاً حسب مطلوب الغائص لتسرع به في النزول إلى قعر البحر فإذا وصل نزعها من رجله فيسحبها « السَّيب » الذي في السفينة لأن بها حبلاً متصلاً بالسفينة يسمى « زَيْبَلاً » وتعلق الرصاصة بطرف السفينة في المقداف. ويصحب الغائص معه زنبيلاً معمولاً من حبال الكنبار مشبكاً على صفة الغربال إلاّ أن خروقه واسعة جداً يسمونه « ديّيناً » وبه عروة يجعلها الغائص في عنقه تسمى (علْقة) ومربوط بها حبل يسمى (جداء) متصلاً ذلك الحبل بالسفينة فيصير مجموع الحبلين في يد السَّيْب ويجعل الغائص في الغالب في أصابع يده جلداً يسمى (خَبطاً)

فيقتلع من الأرض الصدف فيجعله في (الديّين) ويمشي على يديه في قعر البحر ورجلاه مرفوعتان إلى العلو بطبيعة الماء. وحبل الديين بين إبهامي رجله فإذا امتلأ الديين صدفاً أو تضايق نفس الغائص جذب الحبل برجله بقوة فيسحبه السيب وهو ماسك في حبل الديين (وإذا جذب الغائص الحبل برجله وهو في البحر قالوا نَبرَ) فإذا ارتفع على وجه الماء أخرج الفِطام من أنفه وتنفس بمقدار ما يأخذ السيب الديين ويفرغه في وسط السفينة ثم يعطيه إياه فيمسكه الغائص بإحدى رجليه ويجعل في الأخرى حلقة الرصاصة ويجعل الفطام في أنفه ويضع كفيه على وجهه ويفك يده من السفينة فتسير به الرصاصة إلى قعر البحر. ويستقيم الغائص تحت الماء إلى نحو عشر دقائق. وما قيل من أنه يستقيم نحو ساعة فلا صحة له: ويسمّون المرة الواحدة من النزول إلى البحر والصعود منه (تَبَّة) وأيضاً إذا وصل الغائص قعر البحر فتح عينيه ليلتقط الصدف ويعرف ربعه ويتكلمون مع بعضهم في الماء (بالمغمغة) وما قيل من أنهم يجعلون على وجوههم وقاية سوى ما ذكرناه من الفطام في الأنف فغير صحيح. ولا يزالون يغوصون إلى أن يكتفوا أو تغرب الشمس فإذا اكتفوا قبل الغروب شرعوا يفلقون الصدف ويسمونه محاراً[1] ويخرجون ما يجدونه في الصدف من اللؤلؤ إلى الغروب ثم يستريحون فإذا أصبحوا فلقوا الباقي من الصدف. وبعد الفراغ يشرعون في الغوص وهكذا إلى أن يخلص زادهم أو ماؤهم فيأتون البلد ويتزودون منها بمقدار ما يكفيهم نحو شهر وهكذا إلى أن ينتهي زمن الصيف فيرجعون كلهم في يوم واحد يعيّنه لهم الحاكم ومن تأخر يعاقب. فإن أصابهم في مدة الغوص ريح عاصف قلعوا من أماكن

---

(١) المحار في اللغة اسم للحيوان الذي بين الصدفتين فكأنهم جعلوه من باب تسمية المحل باسم الحال اهـ مؤلف.

الغوص وتقربوا إلى البر بين الشعاب في مواضع يسمونها (الفَشْت) إلى أن يهدأ الريح ثم يعودون لمحل غوصهم ويسمونه (هيرا).

ويجعلون جميع ما يتحصلون عليه من اللؤلؤ عند النوخذة وهو يتولى بيعه ويأخذ من جميعه الخمس ثم يقسّم الباقي عليهم بعد أن يخرج منه قيمة ما أكلوه من الطعام زمن الغوص. فيعطي الغايص (٦٠) في المائة. والسيب (٤٠) في المائة. والرظيف (٢٠) في المائة. أي أن كل رظيفين يعد عن سيب[١] واحد. وأما التباب فليس له شيء سوى فائدة التمرين على الغوص وما أكله في بطنه فقط.

تتمة الغوص

وهو أن أهل البحرين إذا أقبل فصل الربيع يظهرون صغارهم إلى ساحل البحر في عمق ذراع فأكثر ليستلقطوا ما يجدونه من الصدف في كل يوم ويسمون هذه الهيئة (المجنّى) فإن أبحروا وغابوا عن أهلهم بالسفن نحو يومين يسمونها(العَزَاب) لعزوبهم عن البلدة أي بعدهم عنها. فإن استعدوا بسفنهم وأبحروا بها على صفة الغوص وغابوا نحو أسبوعين يسمونها (خانجية).

فإذا مضى شطر من برج الثور تهيأوا للغوص العام وخرجوا في اليوم الذي يعيّنه لهم الحاكم.

فإن أحب أحد أن يجعل ما يخرجه من الصدف على حدة ثم يبيعه بنفسه ويعطي من ثمنه الخمس للنوخذة وقيمة الزاد الذي أكله فيسمونه

---

(١) يظهر أن صحة العبارة- والله أعلم- :أي أن كل رظيفين يعدان بسيب واحد. اهـ معلّق.

عزلاً). فإذا دخل برج الميزان ينتهي الغوص العام فيأتون جميعاً إلى البلدة ويبيع النوخذة ما عندهم من اللؤلؤ ويتحاسبون مع (الجزوي) أي مع أهل هيئة الغائصين.

ثم يوجد منهم بعض أفراد يرجعون إلى الغوص مرة ثانية اختيارياً ويكابدون مشقة البرد نحو شهر فيسمونهم (ردّادة). ويوجد أيضاً بعض أفراد من تجار العرب يخرجون بسفنهم إلى أماكن الغوص فيشترون من النواخذة بعض الجواهر بالنقود وربما أعطوهم بدل القيمة تمراً أو رزاً وهو أحسن للنوخذة من مشقة الذهاب إلى البلدة للتزود منها فيضيع عليه الوقت نحو أسبوع فهؤلاء التجار يقال لهم (طواويش) وهم يجمعون اللؤلؤ ويبوّبونه ثم يبيعونه على بعضهم بعضاً فينحصر في أفراد قليلين فيسافرون به إلى الهند ليبيعوه هناك. ويوجد أيضاً قسم من (الطواويش) على سواحل البلدة يستقبلون كل سفينة تقدم إلى البلدة للتزوّد فيشترون منها ما يريدون ثم يبيعونه في البلدة على بعض الأوربيين أو على البونيان الآتين إلى البحرين خصيصاً لشراء اللؤلؤ.

فصل ومن جوائح البحر على أهل الغوص غير السمك الحيوان المسمى عندهم « بالدول »

« الدول » هو حيوان هلامي لا يهتدي في سيره لجهة معينة وإنما تقذفه الأمواج وهو طاف على وجهها. وحجم معظمه قدر الكف كروي الشكل في الجملة وله خيوط طوال نحو ذراع فأطول فكأنه كتلة حرير أبيض. فإذا لامس جزء من هذا الحيوان جسم بني آدم أحرقه حرقاً مبرحاً. وربما أعاب العضو الذي لامسه.

فلو رفع هذا الحيوان بنحو عصاة من البحر وأصابته حرارة الشمس

مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماءً. وهو من عجائب المخلوقات. فإذا وجد في البحر في بعض السنين يضطر الغائصون إلى لبس (الغلائل) الثياب الضيقة أثناء الغوص اتقاء لشره.

ويوجد أيضاً حيوان آخر يسمونه (اللُّويثي) بالتصغير وهو مثل «الدول» هلامي لكنه أحمر اللون وضرره أخف من الأول فإذا لامس الجسم أحرقه بدون تبريح ويورم اللحم كأثر ضرب السياط. ويبقى أثره وألمه نحو ساعتين فإذا سخن الجسمُ الملدوغ على النار زال ألمه.

ولقد سلط الله على النوعين (الدول واللويثي) حيوانين يأكلانها. يقال لأحدهما (فغلول) وهو حيوان مثلها في الخلق ولكن ليس له خيوط وإنما له أصابع غلاظ مجتمعة في وسطه أشبه شيء بأصابع كف الإنسان حجماً وطولاً وفي وسط الكف فمه. وهو مدوّر الشكل وقطره نحو شبر.

والحيوان الآخر يسمى (قليّان) وهو حيوان مستطيل الشكل مثل القلم وطوله نحو شبر.

وفي المثل المغربي (لكل آفة آفة. حتى الرمل خلق الله له السُّوَافة) والسوافة اسم قبيلة في بادية المغرب أرضهم رملية ولهم صبر وجلادة على مكافحة الرمل المتهايل على بساتينهم من شدة الذاري.

فصل في تعريف الصدف

أما الصدف فمعروف لا يحتاج إلى وصف. وإنما نريد أن نبحث عن ماهيته فنقول :إنه ينبت في أرض البحر الصلبة وله عروق خضر مائلة إلى الزرقة ثابتة بها. ثم يتخلق في بطنه حيوان له أمعاء يأكل ما والاه من الطين أو ما فيه من صغار الحيوانات (المجهرية) ثم يتخلق في خلال لحمه

اللؤلؤ فإن كان متوسطاً في اللحم كان اللؤلؤ حسناً وإن لامس أو قارب الصدفة صار رديئاً.

فيصير في أول الأمر نباتاً. ثم حيواناً. ثم معدناً جوهرياً. وهو يثمر مرة واحدة في السنة. فلو تركت الصدفة ولم تقلع ماتت وسوس لؤلؤها مثل ثمرة الموز إذا نضج ولم يجن خرب.

وما قيل من أن الصدف يصعد على وجه البحر في شهر نيسان فيلتقم المطر ثم يرسب في البحر فليس له صحة. وإن نقله المؤرخون وتمثلت به الشعراء. فإنهم نقلوه من أفواه من لا خبرة لهم بحقيقة الغوص واللؤلؤ.

وقد درست أحوال الصدف زمناً طويلاً فوجدته تلقيه الصدفة الكبيرة على وجه قعر البحر مثل صغار (حب الخشخاش) كأنه بيض نمل في فصل الخريف. ويظهر وجوده في الشتاء وذلك إذا امتاز قعر البحر بالصغار فتراه كأنه خضخاض أصفر. ثم ينمو شيئاً فشيئاً حتى يصير حجمه قدر حب العدس فيرسب حينئذ في الأرض رسوباً بيناً ويجتمع حفناً حفناً فتنبت له عروق خضر مائلة إلى الزراق فيها بريق تضرب في الأرض الصلبة والذي ما نبتت عروقه يظل يتدحرج بحركة البحر ويتفرق عن بعضه إلى أن يجد أرضاً صلبة. أو أحجاراً بحرية. أو فيما والاه من أشجار البحر. أو في كبار الصدف. فينبت وينمو وتنزل الروح فيه فيتكون في جوف الصدفة حيوان يسمى «محاراً» كتكوّن الفروج في جوف البيضة فإذا تمت خلقة المحار وتمكنت عروقه من الثبات في الأرض انفلق عن صدفتين وجعلت تتغذى بما والاها من الطين أو ما فيه من صغار الحيوانات (حسب عادة الله المطردة في خلقه من أن كل ذي روح لا بد له من قوت يقتاته) ولها أمعاء كأمعاء السمك وإذا سمعت صوتاً أو حركة طبقت صدفتيها عليها. فهي أشبه شيء بالجراد في كثرة إلقاء بيضها.

وقد رأيت ما ذكرته بعيني من حين كونه بيضاً إلى أن بلغ مقداره المعتاد. ولقد استلقطته بيدي من قعر البحر لأختبر قوة عروقه فوجدتها بمقدار ما يحمل بها وزن ستة أرطال فأكثر. وعروقها في غلظ الشعر وطول الأنملة. فهذا هو التحقيق ولا عبرة بما نقله بعض المؤرخين. فإنهم قد قالوا أيضاً إن الأرض على قرن ثور وذلك الثور على ظهر سمكة. وأيضاً فإنهم بالغوا في وصف عوج بن عنق. وغير ذلك من خرافات العوام أو من أكاذيب الإسرائيليين.

نعم إن قيل إن الماء العذب يحسن اللؤلؤ فهذا مسلم لأن لؤلؤ البحرين لم يفق حسناً على سواه إلا بكثرة الينابيع التي في وسط البحر كما سيأتي. ومن أجل ذا صار حسناً فلو كان سبب الحسن هو المطر فقط لكان لؤلؤ (جزيرة سيلان) أحسن الجواهر وأكبرها لكثرة الأمطار فيها. والحال أن لؤلؤ سيلان وإن كان أبيض حسناً فهو سريع التغير. بخلاف لؤلؤ العرب فإنه عربي الأصل وما أوتيت من العلم إلا قليلاً والله أعلم بالصواب.

عيونها

جزيرة البحرين كثيرة المياه العذبة. ولكثرة ينابيعها البحرية وعيونها البرية كانت في غاية الخصوبة سوى أن فلاحتها غير متقنة ويوجد في وسط البحر جملة ينابيع عذبة تفور بقوة. فيغوص عليها المستقون فيملؤون منها القرب للسفن ولشرب غالب أهل البلدة وإن من الواقعة على ساحل البحر لما يتدفق ماؤها ويسيل على وجه الأرض. ومنها ما إذا جزر البحر ظهرت فاستقوا منها. وإذا مد البحر علاها بنحو ستة أذرع فيغوصون عليها للإستقاء.

والينابيع البحرية هي ألطف مياههم لصيانتها عن الأوساخ التي تقذفها

الرياح في العيون غالباً. وأيضاً ليس بها دود ولا طيسيّ (مكروب) وذلك لعدم مكثه بسرعة فورانه وتدفقه.

وعدد الينابيع البحرية المشهورة عندهم بأسماء مخصوصة نحو (٢٥) ينبوعاً غير الصغار والمجهولة الاسم ويبعد بعضها عن البر بنحو (٢٥) ميلاً فأبعد ويعلوها البحر بنحو خمسة أبواع فأكثر. وعدد التي في البحر نحو (٢٠٠) عين وذلك غير الصغار. وغالبها يسيح على وجه الأرض ثم يفيض في البحر. وفي زمن الصيف ينزل غالب الأهالي والحكام على سواحل البحر قرب هذه الأعين الجارية بين النخيل والبساتين. ولكل أناس جهة مخصوصة باسم مختص بها. وارتحالهم إليها من أواسط الربيع إلى أوائل الخريف ويتخذون هناك بيوتاً من جريد النخل موقتة (وبسبب كثرة هذه الينابيع والعيون صار لؤلؤ البحرين في غاية الحسن كما قدمنا).

وإن عيون البحرين وينابيعها الموجودة اليوم تزيد على معدل (حالة أرضها الطبيعية) بكثير مع أن قسماً من عيونها العظيمة قد سدت بالصخور العظام. ويقال إن الذي أمر بذلك هو أحد عمال عبد الملك بن مروان الأموي بسبب تمرد أهل البحرين عليه لتوفر مصالحهم وريع أراضيهم.

فأمر بردم معظم العيون الكائنة في الجهة الغربية مثل عين (سيجور) وخلافها، وقصة ردم هذه العيون مشهورة عند أهل البلدة. ولكني لم أقف لها على ذكر في التواريخ والذي يظهر لي والله أعلم أن ردمها لم يكن لتمرد الأهالي على العامل حيث أنه يمكنه أن يؤدبهم بغير ذلك. ولأن ردمها لم يخل بمصالح البلدة عموماً حتى يقال إنه أراد الانتقام من الكل.

وإنما لما كانت الجهة الغربية منخفضة وقليلة الزراعة والبساتين

والسكان أمر بردمها مصلحة للأهالي ليرجع نبع مائها إلى العيون الأخرى (وهذا هو الأقرب للرأي السديد) ★ وتعد الينابيع البحرية من عجائب القدرة وفي الحقيقة أن البحرين أكثر البقاع مياهاً مع أنها جزيرة.

جزائرها

يوجد غربي البديِّع على مسافة نصف ساعة في السفن جزيرة تسمى (جداء) بالكسر والمد. وهي صغيرة خالية من الماء والعشب وليس بها أحد وإنما بها صخور وجبال ينحت منها عند اللزوم.

وعلى مسافة ساعة من البديع أيضاً جزيرة أخرى تسمى (نعسانا) وهي أكبر من الأولى. وبها من أنواع الصيد (الظبى والأرانب والحبارى) وفيها معدن الجص. وبها عين ماء كبيرة في السهل. وأخرى منحدرة من سفح جبل هناك تسمى (القطَّارة) ويسكن هذه الجزيرة أفراد من الجصاصين.
ويذهب إليها الحكام والأمراء زمن الخريف للقنص فيها بالطيور وبالكلاب السلوقية.

الجبال

يوجد في وسط جزيرة المنامة على مسافة نصف ساعة للراكب من الصخير جهة الجنوب جبل عظيم مستطيل يسمى (جبل الدخان) ارتفاعه نحو (٤٠٠) قدم. وقد ذهبت إليه في ٢٢ جمادى الأولى عام (١٣٣٢) وفي الثلث الأعلى منه غار عجيب النحت كأنه حجرتان واحدة في داخل الأخرى وهو متسع وعرضه نحو (٨) أذرع وطوله نحو (٢٥) ذراعاً وارتفاع سقفه نحو (٨) أذرع. وقد دخلته بنفسي صحبة ولي العهد سمو الشيخ حمد

ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ومعنا الشيخ عبد الله ابن سعد بن شملان وجملة من حاشية الحاكم. وفي ذلك الوقت صدر الأمر من سمو الحاكم الشيخ عيسى بتنظيف هذا الغار وإزالة التراب والأوساخ المتراكمة مع مرور الدهور وتوالي السنين.

ووصفه هو أن سقف الحجرة الأولى منحوت قبة واحدة مطوقة وبابها مقابل جهة الشمال. وفي وسط الحجرة من الجهة الغربية باب في عرض ذراعين وارتفاع قامة يفضي إلى الحجرة الداخلية. وهذه الحجرة الثانية سقفها مشكل من قبتين مطوقتين متلاصقتين ★ وفي أعلى الجبل من جهة الغرب موضع برج قديم متهدم يظن أنه بني قبل ظهور الإسلام. ولم يبق منه اليوم سوى أساسه المحكم البناء ووصلته أيضاً في ذلك اليوم صحبة صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة.

هواؤها

هواء جزيرة المحرق جاف نقي معتدل في الجملة لم يوجد بأرضها وخامة ولم يكن بها وباء لقلة النخيل بها ولأن شرب أهلها من ينابيع البحر. وأما هواء جزيرة المنامة فرديء رطب فيه بعض الوخامة. وأما هواء القسم الجنوبي منها من (الرفاع) فصاعداً فهو نقي تام الصحة.

الحالة الاقتصادية

(الزراعة والنباتات) جزيرة البحرين هي كثيرة النخل والأشجار والثمار وأجود رطبها (الخلاص) وأحسن ثمرها (المرزبان) وكان بها نحو (٨٠٠) نوع من التمر. وكان يضرب بها المثل في كثرة الرطب والتمر

فيقال (كناقل التمر إلى أوال) وبها الرمان والتين الأبيض والموز والأترج بكثرة مفرطة. والخوخ. والمشمش والكمثرى والنبق ويسمونه (كِنارا) ويقولون (إذا طاح الكنار تساوى الليل والنهار) وهو كذلك لأن إبانه أول برجي الاعتدالين (الحمل والميزان) وبها الحُمر ويسمونه (صُبَارا) وبها الليمون بنوعيه والنارنج والتوت والأنباء والمخّيط ويسمونه (بمبرا) وهو يكبر بمقدار الليمون. وبها القثا ويسمونها (طرحا) وبها ثمرة يسمونها (لوزا) وبالفارسية جلغوزه وعربت قديما (بجلوز) فحرفوها وقالوا (لوزا) وهي ثمرة تشبه اللوز في الوضع وقدر الكمثرى في الحجم وهو نوعان أبيض وأحمر وأجودها الأبيض. وفي وسط كل منها نواة مغشاة بعروق أشبه شيء بالأنبا. وإذا كسرت تلك النواة وجد فيها لب أشبه شيء بالفستق لوناً وطعماً وحجماً.

والمأكول من هذه الثمرة ظاهرها فقط وهو قليل الحلاوة مائل إلى الحموضة نوعاً ما. وفيه نوع عفوصية فيظهر أن طبعه بارد يابس. وإذا أكل تقاطر من الشدقين ماء خمري اللون. وهو لطيف مهضم للطعام وهو كثير جدًّا بها. وبها من الأزهار الفل ويسمونه (رازقيا) والياسمين والآس والريحان وهو الأكثر ويسمونه (مشموما) ونساؤهم مغرمات بالتزين به تعليقاً على رؤوسهن بكثرة مفرطة. ويوجد بها من المخضرات الباذنجان بنوعيه الأسود والأحمر والبامية والرجلة والفجل والكراث. وللبهائم البرسيم.

يوجد في البحرين أصائل الخيل وأشهرها الفرس المسماة (المصنة) وهي من بعض خيل الشيخ حمد بن عيسى ولها شهرة طائرة في السبق والنجابة.

وبها أيضاً نجائل الإبل (العمانية) وحسان الأتن. وغالب ركوب الأهالي على الأتن البيض. ويعلفونها صغار السمك مع التمر. وقد أنتج ذلك

ضخامة جسمها ضخامة حسنة. حتى إنهم ليفضلون ركوبها على ركوب الخيل. ويوجد بها أيضاً البقر والضأن والمعز. ومن الصيد الظباء والأرانب والحبارى.

وقد جلب إلى البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (الطاووس) سنة (١٣١٨).

ولأهل البحرين وبالأخص حكامها ولع شديد في القنص بالطيور الحرة. والكلاب السلوقية. فإنهم يعتنون في تربيتها وتعليمها غاية الاعتناء وغالب رغبة الحكام والأمراء في اقتناء الطيور (الحرة) وهي التي تألف البراري غالباً (الصقر).

وأما التي تألف السواحل فيسمونها (شواهين) وهي أصغر حجماً من الصقر الحر. وأرخص ثمناً منه. ولكنها تمتاز عن الحر بسرعة السير في بادئ الطيران. ويمتاز الحر عنها بكثرة صيده حيث إن الحر ربما يصيد في اليوم الواحد عشر حبارات. وله منظر حسن وهيبة ظاهرة. ويعيش (الحر) نحو ١٢ سنة بقوته المعتادة وكان عند الحكام الحاليين طير مكث عندهم (١٨) سنة ولكن ضَعُفَ بصره من الكبر ويقال إنه يعيش إلى ٢٠.

وأغلب الطيور الحرة تجلب إلى البحرين من أرض فارس غشيمة فيعلمونها ويخصصون لكل طير اسماً من أسماء مشاهير العرب القدماء أو الحاليين كقيس وهذّال وطلال ونحوهم ومتى أطلق الطير ثم دعي باسمه المخصوص له عاد ولو كان طائراً في أثر صيد له فإنه يترك الصيد ولو كان جشعاً ويعود لصاحبه ويعلمون الطيور المذكورة بنوعيها صيد الحبارى فقط.

وأما صيد الظباء والأرانب بها فليس بمحمود عندهم وموسم الصيد

والتنزه بالطيور زمن الخريف فإنهم يذهبون بها إلى براريهم وإلى سواحل الحساء. وربما سافر كبار أنجال الحكام مع جملة من حواشيهم إلى (لنجة) من أرض فارس فيقنصون في براريها نحو شهر. ويصرفون مبالغ طائلة على ذلك ثم يعودون إلى أوطانهم. ويجمعون الطيور الحرة فقط عند أناس مخصوصين يبارونها إلى الموسم الآخر. وترد إلى البحرين في كل سنة نحو (٢٠٠) طير من النوعين الصقور والشواهين.

وكذلك فإنهم يعلمون الكلاب السلوقية على صيد الظباء والأرانب وربما دربوا الطير على مؤالفة الكلاب ليتساعدا على الصيد وإن الكلاب لتعدو عدواً جيداً حتى إني رأيت كلبة عند الشيخ حمد تعدو مع الخيل يوم الرهان وإنها لتتقدم عند الحلبة أمام جياد الخيل.

المعادن

يوجد في البحرين معدن الجص والنفط والقير عند (جبل الدخان) المتقدم ذكره والأخيران غير مستخرجين. وفي البحر اللؤلؤ واليسر كما تقدم.

الصناعة

تنسج عندهم بعض العبى. ومن المصنوعات اليدوية المنطرقات من النحاس والصّفر والحديد. وتنسج عندهم المدات (نوع من الحصر) ويسفر منها إلى الخارج مبالغ مهمة وعلى الأخص نحو العراق حيث إن جميع المساجد في العرأق مفروشة منها.

ولهم مهارة تامة في صنع السفن الشراعية الكبار.

صادراتها

يصدر من البحرين اللؤلؤ وهو الأهم. والصدف ثم السلوق (البلح المسلوق) والروبيان والسمك المجفف والترنج والمدات نوع من الحصير.

التجارة

غير متقدمة إلا في اللؤلؤ. وأما تجارتها الداخلية فنظراً لقلة طرق المواصلات فهي متأخرة. وأما التجارة البحرية ولو أنها غير عظيمة إلا أنها كافية لترويج أشغالهم ونقل بضايعهم.

الآثار

أو الأماكن المأثورة

قرية عسكر - هي على مسافة ساعتين ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب. وأول من سكنها من العرب «آل أبي سُمَيط» بالتصغير ثم ظعنوا عنها وسكنوا «لنجة» بلدة بفارس فنزل قرية عسكر بعض (آل أبي عينين) وهم بها إلى اليوم ★ وبهذه القرية «ضريح صعصعة بن صوحان العبدي» وهو مخضرم قال أبو عمر كان صعصعة مسلماً في عهد رسول الله ﷺ ولم يره. قلت وله رواية عن عثمان وعلي وشهد صفين مع علي وكان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف. وقال الشعبي كنت أتعلم منه الخطب. وروى عنه أيضاً أبو اسحق السبيعي والمنهال بن عمرو وعبد الله ابن بريدة وغيرهم. وذكر العلاء في أخبار زياد أن المغيرة نفى صعصعة بامر

من معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوال من البحرين فمات بها وأنشد له المرزبان:

هلا سألت بني الجارود أيّ فتى
عند الشفاعة والباس[1] ابن صوحانا
كنا وكانوا كأم أرضعت ولداً
عقا ولم تجز بالإحسان إحسانا

وأما أخوه زيد بن صوحان فإنه توفي بالكوفة في وقعة الجمل بعد أن قطعت يده وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: وأما زيد فرجل من أمتي تدخل الجنة يدُه قبل بدنه أهـ. وكانت على ضريح صعصعة قبة ثم تهدمت ولم تعمر.

وفي جنوب ضريح صعصعة قبر « الشيخ الجوّي » وهو من صلحاء قرية جو دفن هناك بوصية منه.

..... ومشهور عند أهل البحرين أن من خصائص قرية عسكر عدم دخول الطاعون فيها. ويعدونها كرامة لصعصعة رضي الله عنه. وفحص عن ذلك فلم يسمع منذ سكنتها العرب أن أحداً مات بها مطعوناً قط. والله يختص برحمته من يشاء.

قرية المالكية

وهي جنوب البَديّع على مسافة نصف ساعة منها. وبها « قبر الإمام زيد » ولم أجد أحداً يعرف اسم أبيه لنعرف من هو. سوى أن أهل البحرين وبالأخص أهل تلك القرية يعظمونه ويتبركون به ويقولون إنه

(١) يظهر - والله أعلم - أن صحتها: البأس.

صحابي – فأقول لعله زيد بن عميرة لأنه من أهل البحرين ومن المخضرمين ومن أصحاب العلاء بن الحضرمي الذي فتح البحرين « كما سيأتي في الباب الأول » وقال في كتاب الإصابة زيد بن عميرة العبدي له صحبة قاله أبو عمرَ ولم يزد ثم قال وأظنه الكندي وروى الحارث بن أبي أسامة من طريق الجارود أنه قرأ في نسخة عهد العلاء بن الحضرمي وشهد زيد بن عميرة. وأيضاً أخرج الحارث بن أسامة من طريق المسور بن عبد الله الباهلي عن بعض ولد الجارود أنه أخذ هذه النسخة من نسخة عند العلاء ابن الحضرمي حين بعثه النبي ﷺ إلى البحرين وشهد معاوية وعثمان والمختار بن قيس وقصي بن أبي عميرة وفي رواية ابن أبي عمرو. وسعد بن عبادة والضحاك بن أبي عمرو. وشبيب بن أبي مرثد وفي رواية ابن قرة والمستنير بن أبي صعصعة الخزاعي وعوانة أو عبادة بن الشماخ الجهني وسعد بن مالك وسعد ابن معاذ (وزيد بن عميرة العبدي) أهـ قلت فإذا كان العلاء هو الفاتح لهذه الجزيرة وقد استشهد ببعض أهلها وزيد المذكور هو في ضمن من استشهد بهم وهو أيضاً عبدي وسكنى العبديين البحرين فيحتمل والله أعلم أن زيد ابن عميرة هو المشهور اليوم في أفواه أهل البلدة (بالأمير زيد) ويقولون إنه صحابي. والله أعلم.

جبل حيان

أو قرية جبل حيان

هي شبه جزيرة واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من (عسكر) وتسكنها اليوم قبيلة الدواسر زمن الشتاء وفي وسطها جبل وبأعلاه ضريح مشهور (بقبر حيان) وهو معظم أيضاً عندهم.

فلعله حيان بن مازن لأن مازناً صحابي ومن أهل عمان ورئيسها ويحتمل أنه أرسل ابنه حياناً إلى « جزيرة أوال » عاملاً عليها وقصة مازن مشهورة عندهم. (وهي) أن أول من أسلم من أهل عمان هو مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مرة بن حيان بن مرة بن أبي بشر ابن حطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيّ. وكان يسكن (قرية سمايل) ويعبد صنماً يقال له (ناجراً) فذبح له شاة ذات يوم وقربها إليه فسمع صوتاً من الصنم يقول:

يا مازن اسمع تسرْ   ظهر خير وبطن شرْ
بعث نبي من مضرْ   يدين بدين الله أكبرْ
فدع نحتاً من حجرْ   تسلم من حَرّ سقرْ

ففزع من ذلك وقال إن هذا لعجب ثم قرب قرباناً آخر فسمع صوتاً آخر من الصنم يقول:

يا مازن أقبلْ   تسمع ما لاتجهلْ
هذا نبي مرسلْ   جاء بحق مُنزلْ
فآمن به تعدلْ   عن حر نار تشعلْ
وقودها الناس والجندل

فقال إن هذا لهو العجب وإنه لخبر يرادني فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماءً فسأله ما الخبر وراءك فقال إنه ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه أجب داعي الله فليس بمستكبر ولاجبار ولامختال. أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان الخ. فقال مازن والله نُبوء ما سمعته من الصنم فوثب إلى الصنم فكسره جذاذا. وتوجه إلى رسول الله ﷺ. فلما قدم سأله عما

بعث إليه فشرح رسول الله ﷺ له الإسلام فأسلم ونور الله قلبه ثم قال للنبي ﷺ ادع لي ولأهل عمان فقال اللهم اهدهم وثبتهم فقال زدني وجعل يعرض مقاصده من الدنيا تفصيلا ويطلب الدعاء من النبي ﷺ إلى أن طلب ولداً ورزقه بعد حين وسماه (حياناً) ثم إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل عمان كتاباً. الخ كما وضحناه في تاريخ عمان. فيظهر لي والله أعلم أن حياناً هذا هو المدفون في هذا المحل. وقيل إنه ابن محصن.

النبيه صالح

توجد جزيرة بين قرية أم الحصم[1] وبين سترة قرب (الماحوز) فيها قبر يسمونه (قبر النبيه صالح) والعوام يقولون قبر النبي صالح وعند قرب القبر كهف يزعمون أن فصيل ناقة صالح دخل فيه. ولم أطلع على حقيقة صاحب هذا القبر.

المشهد

يوجد غربي المنامة من جهة الجنوب على مسافة نصف ساعة منها موضع يسمى (سوق الخميس) يجتمع فيه أهل البلدة في كل خميس للبيع والشراء

---

(١) أم الحصم موضع على ساحل البحر جنوب المنامة على مسافة ساعة منها وهو نقي الأرض لطيف الهواء زمن الصيف وبه كثير من النخل والفواكه. وبه مقيظ للشيخ عبد الله بن سعد بن شملان. وبه عين تباعة تسقي بساتين تلك الجهة تسمى (هرتة) وكانت متهدمة الأطراف فعمرت بهمة الشيخ عبد الله بن شملان المذكور والشيخ محمد بن أحمد بن هجرس سنة (١٣٣٠) وأمر أيضاً ببناء حجرة قربها جهة الجنوب الشرقي لتكون حماماً للنساء يغتسلن فيها. فجزاهما الله خير الجزاء. ورحمهما رحمة الأبرار. أهـ مؤلف.

حتى اليوم. وعنده عين نباعة كالزلال تسمى (أبا زيدان) ومبني على نصف ظهرها مسجد صغير للصلاة. وشماليه على مسافة نحو (١٠٠) ذراع آثار مسجد آخر وفي جانبه أطلال مدرسة قديمة لم يبق منها سوى بعض جدرانها وبعض اسطوانات مدورة منحوتة من صخور عظام ومكتوب على الجدران نقراً في الحجارة بخط كوفي.

وعندها منارتان متقابلتان شرقاً وغرباً طول كل واحدة منها نحو (٧٠) ذراعاً. وتسمى هذه الأطلال(المشهد)فوصلته وصعدت المنارة الغربية وكتبت اسمي نحتاً في أعلى حجر في داخلها ووجدت عدد درجها إلى الدائر الثاني مائة درجة وعلى باب المنارة الغربية حجر مكتوب بالخط الكوفي. ولكن عسر عليّ قراءته لأن المدرسة المتهدمة ردمت باب المنارة حتى دفن معظمه فصار الحجر عند الأرض وجعل الصبيان يلعبون فيه بالدق حتى تثلمت غالب الكلمات فعسر علينا قراءتها. ولم يكن معي في ذلك اليوم آلة الرسم (المخيلة) لآخذ رسمه وأتفحص بعد ذلك في كتابته.

وهذا المسجد والمدرسة مع المنارتين الجميع من بناء عمر بن عبد العزيز الأموي.

المراقيب

توجد في شمال غرب الرفاع أرض واسعة الفضاء تسمي (المراقيب) وفيها آثار قبور قديمة دارسة كأنها قرى متفرقة وكل قسم منها يحتوي على نحو (٣٠٠) قبر فأكثر وقد نبت فوق هذه الأرض من طول ما لبثت شجر العوسج والشيح والقيصوم والجثجاث والجعدة ونحوها من الأعشاب البرية.

فنقول- يكاد أن يكون من المحقق أن ضفاف (خليج البصرة) كانت

أول موطن للإنسان في عهد حضارته وإن شئت فقل بداوته الأولى. ويرى بعض العارفين الذين حاولوا درس طبيعة البحرين أن هذه الجزيرة كانت على الراجح مهد السلالة البشرية بعد ارتقائها في سلم الحضارة. حيث إن مجموع المدافن التي تملأ ربواتها رحاب الصحراء وتمتد إلى ما لايدرك الطرف آخره حيرت كل من وقف بها من السياح يحاول كنه حقيقتها. ولقد أمها الناس في كل عصر وزمان وجلسوا خلالها من الأسود الذي ربما كان جد الإنسان المدني إلى الكلداني فالبابلي فالفينيقي فاليوناني فالفارسي فالعربي. وتكاد تسمع وقع أقدامهم على مر الدهور ومع ذلك لم يتركوا لنا أثراً يأتم به المستهدون منا أو قبساً يستضيئ به المعتسفون في دياجير التاريخ. ويقال إن آخر مرة ذكر التاريخ فيها جزيرة البحرين هو يوم زارها (نيارخوس) في رأس الأسطول اليوناني عملاً بأمر مولاه إسكندر الأكبر.

ولم نعلم حتى اليوم حقيقة هذه القبور ولم يتحقق لدينا زمن بنائها ومن هو المؤسس لها. ومن الراقدون بها وعلى أي دين كانوا يتعبدون. ويستفاد من أقوال بعض المؤرخين أن المدفونين فيها هم من أصل فينيقي هجروا أوطانهم وقطعوا فيافي بلاد العرب وحلوا بهذه الربوع وبنوا في البر (بلدة الخِط) قرب مدينة القطيف الحديثة. وكانت مدينة عظيمة فيها أسواق تجارية رائجة تسمى (الجرعاء) التي يظنها البعض أنها نفس مدينة أوفير الشهيرة بكثرة ذهبها والغنية بمعادنها.

فهل اعتقد سكان الجرعاء أن البحرين قطعة مقدسة التربة حتى نقلوا إليها جنائزهم ودفنوها فيها (كما يفعله اليوم الشيعة في نقل جنائزهم إلى كربلا والنجف) أو لأنها قريبة من البحر وهي مركز التجارة وأن تلك

المدافن هي قبور أولئك السكان. وأقيمت تلك المقبرة الغربية قبل أن يبارحوا الوطن ويتوغلوا في قلب بلاد العرب. أو قبل أن يمصر أهل الجزيرة أرض الكلدان وينشئوا فيها مهجراً ويقيموا مستعمرة فهذه المسائل لايستطيع الإنسان أن يبت فيها رأيه لقدم عهدها وغموض أسرارها. وإن المستر «بنت» فتح بعض القبور وعثر على بضعة آثار فانتقى منها شيئاً وبعث به إلى المتحف البريطاني وبعد إمعان لجنة المعهد فيها وتدقيق فحصها قر رأيها على أنها من أصل فينيقي وعليه فتدل هذه الآثار على أن القبور قديمة جداً. فإذا سلمنا بتلك الدلائل واعتبرناها صحيحة فتكون القبور قد بنيت على الأقل منذ نحو خمسة آلاف سنة هذا إذا كان (رولنسن) قد ضبط حسابه في تاريخ الهجرة إلى البحر المتوسط.

وإن الخط المسماري قديم جداً عند سكان بابل وكان للفينيقيين ضرب من الكتابة تشبه الحروف. ولما اكتشفت صناعة الكتابة وأخذ الناس يستعملونها في التدوين والتسجيل تركت الكتابة المسمارية. على أن الباحث مهما نقب في تلك المدافن لايعثر على شيء من قبيل الحفر أو النقش على صخورها أو على أحجارها مع أن الفينيقيين عندما ألقوا عصا ترحالهم في البحر المتوسط أخذوا يقلدون المصريين في وضع موتاهم في (نواويس) ولكن الباحثين لم يعثروا على (ناووس) واحد في تلك المدافن ليتخذوا منه دليلًا على تاريخ سالف لزمان الجلاء. وهناك أمر آخر يستحق التدبر والتروي وهو أن أحد الباحثين قال حين اكتشف البقعة وتدبر ما فيها أن جميع القبور التي فتحت بجنب (رفاع الشيخ علي) أي الرفاع القبلي. وهي قبور أعلى من سائر القبور التي وراءها بنحو (٢٠) قدماً هي على رأيه أحدث من غيرها. ومما يؤيد ذلك أن هذه القبور قائمة على طرف المقبرة الفسيحة الأرجاء القديمة العهد ويظهر أنها آخر ما شيد وأقيم هناك.

وكتب القائد دوراند ما نصه «إن الآكام العالية هي قريبة من قرية على وهي أكبر من غيرها».

وذكر نيارخوس الذي تولى قيادة أسطول إسكندر الكبير في سفرته الشهيرة إلى خليج العجم يصف كيف أنه زار مدينة فينيقية في البر وجزيرة تدعى (ترين) ويظهر أنها هي التي تسمى اليوم (دارين) عند العرب وهي فرصة بالبحرين. وقد رأى هناك قبر (أرثرا) الذي كان سلطان الخليج. ووصف (نيارخوس) المدافن بقوله (رابية مرتفعة كثيرة النخل) فهذا الوصف ينطبق على إحدى تلك الروابي العالية بقرب (قرية على) بخلاف سائر الروابي فإنها لاتنطبق عليها وهي بعيدة عنها أميالاً عديدة بيد أنه لايوجد الآن نخل وهو لاشك مات لتقادم عهده.

وهذه الرواية تؤيد أن الأكام الكبيرة بنيت في العهد الأخير والدليل على ذلك أن اسم الشخص المدفون في إحداها ذكر في زمن (نيارخوس) رفيق اسكندر المكدوني عندما شاهدها ويظهر أنه لم يبحث أحد في هذا الأثر منذ ذلك الحين حتى قام الضابط (دوراند) الذي رفع أخيراً إلى درجة (دوق - أمير) وجعل يبحث فيها.

وصف المدافن

خلاصة ما شهدناه وما قاله الصحافيون. وهو أن كل مدفن يشتمل على حجرتين الواحدة فوق الأخرى مبنية من قطع صخور ضخمة ولا يبعد أنها قطعت (من جبل الدخان) ويوجد فيها أيضاً على جوانبها حُجر ومعابر مسيعة[1] بطين على غاية الإتقان ولايوجد بها عقود ولا دعائم. ويظهر أن

---

(١) يظهر أن المقصود بهذه الكلمة: مغطاة.

الحجر قد بنيت قبل أن يبنى سائر ما يحيط بها من البناء. وهذا البناء محكم مجصص وله طبقات مرصوفة من التراب. وصغار الحجارة وكأن هذه المدافن قد أقيمت لمقاومة الدهر وصدّ آفاته فمحيط أساس أكبر التلول نحو (٥٠) ذراعاً وقد عثر القائد دوراند على هيكل بشريّ في الحجرة السفلى طوله نحو تسعة أقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين واسع حرف حجاج العين (المحجر) وعندما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسراً عديدة. وإن رؤية بعض عظام الهيكل تدل على أن أصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر أنهم كانوا من وجوه الأمة وسراة القوم وكان دفنهم يجري على خلاف ما كانت تدفن العامة. على مثل ما هو جار اليوم عند النصارى في دفن (البطاركة والمطارنة والملافنة والأساقفة) وسائر الرؤساء الروحانية منهم غير أن ذلك يحتاج إلى بحث دقيق وفحص كثير. وقد اكتشف حديثاً في المنعطفات قطع من عظام بني آدم.

أما الحجر العليا (الفوقانية) فقد وجد فيها عظام كبيرة من عظام الخيل. وأيضاً وجد فيها قطع من معدن يشبه الصفر والنحاس. وشقف وخزف خشنة غير مصقولة وقشور بيض النعام وبعض آنية مصنوعة من العاج وتماثيل وغير ذلك من الأدوات المختلفة الأشكال. وفي أرض حجر بعض المدافن شيء كثير من عظام اليربوع. ومقدار وافر من العظام الصفر قد دفنت هناك منذ قرون عديدة (ويفهم أنه نقلت تلك العظام من محل آخر إلى هذه المقابر).

وقد نقبت أغلب تلك الحجر تنقيباً دقيقاً طمعاً في العثور على آثار ذات شأن جليل ولكن جل ما وجد فيها هو بقايا سجف وستور قد تحولت إلى كوم من التراب لطول عهدها. وهناك أيضاً قطع أخشاب مسوسة. أما البناء فهائل جداً وجرمه عظيم لكن لم يعثر فيه على الأدوات التي كانت

تتخذ في الحفر والبناء. بل ولم يعثر على رسوم أو نقوش أو كتابة غير أن هناك شقوقاً وأخاديد ونوعاً من الخنادق القليلة الغور قد حفرت حول أساس كل مدفن.

وقيل: إن أول من فتح بعض تلك المدافن وباشر بالحفر والتنقيب فيها هو المنقب (اليوزباشي دوراند) عام (١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م) ثم «بنت» ومعه قرينته وجعلا يحفران وفتحا مدفنين سنة (١٣٠٦ هـ ١٨٨٩ م). وفي سنة (١٣٢٢ هـ) زار جماعة من البلجيك البحرين وتفقدوا القبور وفتحوا أحدها ولم يبلغنا نتائج أبحاثهم. وقد حفر معتمد إنكليزي في البحرين ((بريدكس) بعض المدافن قرب (رفاع الشيخ علي) واشتغل فيها عدة أسابيع وفعل مثل ذلك قرب (المنامة) وجمع قسماً مهماً من الرفات وبعض قطع من العظام البشرية وغيرها من الآثار وبعث بالكل إلى (متحف) لندن ★ وأحدثهم عهداً بها (بالبحرين) الإنكليز وقد سبقهم إليها البرتقال فالعرب فالفرس فالهنود فالرومان فاليونان فالفينيقيون فالبابليون فالكلدانيون فأصحاب الرؤوس السود الذين هم أول من مد رواق التمدن والعمران البشري على وجه البسيطة وعليه فيكون تاريخ مسقط رأس العالم الإنساني. ولهذا تحسب مملكة الرومان والصين واليابان والهند من ممالك أمس بجانب هذا.

وكم من أمة وقبيلة وشعب ودولة زالت وانقرضت وأمست في خبر كان. وأما تلك المدافن فشاخصة قائمة بعزها ومجدها كما كانت منذ أول بنائها. وإن أنياب الدهر ومخالب طوارئ الزمان لم تقو على ملاشاتها وإفنائها من على سطح الكرة الأرضية وهي واقفة على أركانها وتلولها الضخمة تسخر بمرور الأيام وكرور الأعوام فسبحان من بيده البقاء والخلود والفناء والوجود في كل مكان وزمان.

تاريخ ارتقاء البحرين

سنة ١٣٣٤ هـ جلبت أول مطبعة حجرية إلى البحرين. سنة ١٣٣٧ هـ أول من جلب الجوّال (مونكار) هو سمو الشيخ عبد الله ابن المعظم الشيخ عيسى آل خليفة بعد عودته من أوربا. وكان في أثناء بقائه في لندن قد ركب الطيارة وارتفع بها إلى أن اكتشف بها مطلوبه ثم عاد فنزل. فصعدها ابنه سمو الشيخ محمد وكذلك رقي بها إلى حيث شاء وحلق بها في الجو ثم عاد ونزل. فهما أول من ركب الطيارات من أهل جزيرة العرب وذلك عام ١٣٣٧ هـ.

سنة ١٣٣٧ هـ وضعت آلة الرمزي (تلغراف اللاسلكي) في جزيرة المنامة في الموضع المسمى (الحوزة) ثم بعد ذلك وضعت في جنوب غرب (القضيبية) أنصاب كهيئة حلقة. يقال إنها ستكون في وسطها محطة للطيارات.

سنة ١٣٣٨ هـ تأسس في البحرين المجلس البلدي تحت رئاسة سمو الشيخ عبد الله ابن الشيخ عيسى آل خليفة وفي أواخر سنة ١٣٣٩ آلت إلى أخيه سمو الشيخ حمد.

سنة ١٣٣٩ هـ أول من جلب القازوز « النمليت » إلى البحرين يوسف ابن لطف على الخونجي بشراكته مع سمو ولي العهد الشيخ حمد وكذلك هما أول من أتيا بمعمل الثلج.

١٣٣٩ هـ أول من جلب الآلة المولدة للقوة الكهربائية إلى البحرين للضياء والهواء فقط هو يوسف كانو.

سنة ١٣٣٩ هـ نهض حكام البحرين وأشرافها ببث العلوم والمعارف

فبدأوا أولاً بتأسيس المدارس العلمية وجمعوا لها من الإعانات نحو ثلاثمائة ألف روبية وشرعوا في بناء مدرسة كلية في غرة ربيع الأول من العام المذكور. واختاروا لها موضعاً خارج البلدة شمال المحرق على الساحل وأطلقوا عليها اسم (مدارس الهداية) وقد حضر عند وضع أساسها حكام البلدة وأعيانها. وإن أول حجر وضع في أساسها هو بيد صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة. وانتخب رئيسها الأول الشيخ عبد الله نجل الحاكم. وقد وصلتها في محرم سنة (١٣٤٠) فرأيتها عجيبة البناء والموقع تشبه الثكنة العسكرية أو الاستحكام الحربي.

سنة ١٣٤٠ هـ وفي ٢٠ محرم عام (١٣٤٠) تأسست في المنامة دائرة الشرطة. وفي نية البلدية إقامة جسر ممتد من المنامة من طرف الحُورة إلى المحرق قرب حالة أبي ماهر.

الحالة السياسية

(المساحة) طول مساحة جزيرة المنامة شمالاً وجنوباً (٢٥) ميلاً وعرضها (٩) أميال. وطول جزيرة المحرق (٥) أميال وعرضها (٢) وتدوير مساحة الجزيرتين نحو (٨٠) ميلاً.

(السكان) يبلغ عدد سكان جزيرة البحرين عموماً نحو (٣٠٠) ألف شخص.

(أجناسهم) غالب أهلها من العرب الأصليين وهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة النبوية رضي الله عنه. ومن كان منهم شافعياً فأصله من فارس ومن كان منهم حنفياً فأصله من الهند أو من بغداد. ومن كان منهم حنبلياً فأصله من نجد.

(أهلها) ولم يزل سكان البحرين بازدياد مستمر لموقعها التجاري وأرباحها الوافرة فقد سكنها أهل فارس والهنود المسلمون منهم والوثنيون. وأهل العراق المسلمون والنصارى واليهود. وأهل نجد والأحساء وعمان وأهل اليمن وحضرموت.

وقَدْ قُدِّر زيادة سكانها بين سنتي (١٣ و ١٣٢٣) بعشرين في المائة وبين سنتي ٢٦ و ١٣٣٢ بخمسين في المائة. سوى أن العلوم والمعارف بطيئة التقدم.

وكنت قد زرتها المرة الخامسة في يوم الخميس (٢٠) محرم عام (١٣٤٠) ونزلت ضيفاً على فراش حاكمها صاحب الجلالة سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في المقيظ فأكرمنا غاية الإكرام. وأمر بإقامة لوازمنا على أكمل ما يرام. وأنعم علينا هو وسمو أنجاله الفخام بأوفر الإنعامات.

ولما ارتحلنا إلى البلدة استأذن سمو الشيخ محمد من والده صاحب العظمة بأن أكون في ضيافته فأذن لي سمو الحاكم بالنزول على فراش نجله المذكور سمو الشيخ محمد. فأغمرنا بإنعاماته فوق ما يؤمل. وأفرز لنا مجلساً منظماً مخصوصاً لنا تزورنا فيه العلماء والأصدقاء في كل يوم ★ وفي يوم مبارحتنا للبحرين أمر لي الحاكم بمفرشة (زولية) فاخرة. وكساني حلة ولي العهد سمو الشيخ حمد (عباة فيلانية وعقالا قصباً وشالاً صوفاً) وكذلك كساني أخوه سمو الشيخ محمد (من أنا على فراشه) عباة عمانية وبراً وعقالاً قصباً وشالاً صوفاً حسب عادة الحكام وذلك غير النقود التي بذلوها لي عن طيب نفس.

(العَلَمُ) راية آل خليفة جميعها حمراء سوى أنهم يجعلون شريطاً أبيض مما يلي الحبل عند العمود فقط.

تقسيمات البحرين ونواحيها

كانت البحرين في السابق تحتوي على (٣٦) بلدة وعلى (٣٣١) قرية. ولكن لكثرة تداول الحكام عليها ووقوع الحروب بها وزوال الحضارة منها أزال عمرانها وخرب أكثر تلك المدن والقرى ولم يبق منها سوى ثماني مدن وبعض القرى التابعة لها (فالمدن هي) المحرق. والمنامة. والرفاع. وسترة. وجِد حَفْص. والبلاد القديم. والبِديّع. والحد.

(فأما المَحرق) فهي جزيرة شرقي المنامة على مسافة نصف ساعة في السفن الشراعية. وهي سكن الحكام الحاليين وأعيان العرب. وهي العاصمة. وكانت تسمى (رفين) وهي مدينة قديمة قيل إن سبب تسميتها بالمحرق هو أن المجوس كانوا يحرقون أمواتهم في ناحية منها لما كانوا مالكيها قبل الإسلام. وعدد نفوسها (٣٠) ألفاً.

وفي قصبة المحرق اليوم (٤٢) مسجداً. وجامعان أحدهما قرب قصر الحاكم الحالي. أسسه الشيخ محمد بن جمعان. ثم هجر زمناً طويلاً. ولما تولى القضاء الشيخ شرف اليماني طلب من الحكام تجديد بنائه وإعادته جامعاً كما كان فصدر الأمر من سمو الحاكم الشيخ عيسى آل خليفة بذلك وصليت فيه الجمعة من سنة (١٣١٠ هـ) ولم تزل إلى اليوم.

والجامع الثاني أسسه الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة المتولي على البحرين سنة (١٢٣٦) وهذا الجامع واقع غربي قصر ولي العهد سمو الشيخ حمد ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة.

وفي المحرق (مدرسة الهداية) المتقدم ذكرها وعدة مكاتب أهلية. وفي غربي المحرق دائرة للمكس البحري تابع لمكس المنامة.

ويتبع المحرق خمس قريات:

(القرية الأولى)- حالة أبي ماهر- (والحالة في اصطلاحهم كل قرية يحيط بها البحر كالجزيرة) وهي جنوب المحرق وكانت منفصلة عنها بترعة ثم في سنة (١٣٣٠) دفنوا الترعة وأوصلوا الأسواق والبيوت بينهما. وفي جنوب الحالة (القلعة) التي بناها الشيخ عبد الله بن أحمد كما سيأتي عند ذكر حكمه. وفي الجهة الشرقية الجنوبية من القلعة ينبوع في البحر يسمى (كوكب أبي ماهر) يعلوه البحر وقت المد بنحو ستة أذرع وشرب أهل الحالة وأهل المحرق منه بل غالب السفن توردە[1].

(القرية الثانية)- البسيتين- وهي شمال المحرق على مسافة نصف ساعة للراجل. وبها (مسجد) بنيت فيه أخيراً منارة سنة (١٣٣٧ هـ).

وشرب أهلها من ينبوع في البحر يسمى (الساية) وهي جهة الشمال الغربي عنها. وبين البسيتين والمحرق صحراء نقية يخرجون إليها كل سنة لصلاة العيدين بها تبعاً للسنة (ويوجد) شمال هذا المصلى آثار قبور دائرة متجهة وجوه أصحابها نحو الشمال.

(القرية الثالثة)- الدير- وهي شرقي البسيتين على مسافة نصف ساعة منه للراجل. وشرب أهله من ينبوع في البحر. وعين في البرتسمى (رَية).

(القرية الرابعة)- سماهيج- وقي شرقي الدير على مسافة ربع ساعة منه. وشرب أهلها من ينابيع في البحر على الساحل وكانت سماهيج إحدى

---

(١) صحتها: ترده؛ لأن ماضيها ورد، وهو مثال تحذف فاؤه في المضارع.

المدن العظام[١]. وغربها بستان يسمى (رية) باسم العين التي فيه وهو على الساحل. وقد أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة سنة (١٣٣٠) ببناء قصر فيه مشرف على البحر جعله منتزهاً له يسير إليه في كل يومين مرة واحدة حينما يكون مقيماً في العاصمة وهو يعد من منتزهات البحرين. وقد ذهبت إليه صحبة سمو الحاكم مع أنجاله في ٣٠ محرم عام (١٣٤٠).

(القرية الخامسة) - قلالى - وهي شرقي سماهيج على مسافة ثلث ساعة. وشربهم من ينبوع في البحر يسمى (جرذي).

المدينة الثانية

(الحِدُّ) بالكسر وهي قصبة واقعة جنوب قرية قلالى على مسافة نصف ساعة للراجل. ويصير الحد شرقي المحرق مائلًا إلى الجنوب وعدد نفوسه نحو (١٢) ألفاً وهو سكنى قبيلة السادة العلويين. وبعض من (آل ابن علي) ومن عشيرة (أبي فلاسة). وشرب أهله من عين في البر تسمى (الزمة) ومن ينبوع في البحر يسمى (أم السّوالي) وهو جهة الشرق الجنوبي عن البلدة يغمره البحر وقت المدّ وينحسر عنه تماماً وقت الجزر. وفي الحدّ (١٣)

---

(١) قال فيها أبو داود:

إذا أدبرت تقول قصور ... من سماهيج فوقها آطام

وقال في القاموس سماهيج بالفتح اسم موضع بين عمان والبحرين في البحر. وقال الأصمعي سماهيج جزيرة في البحر تدعى بالفارسية (ماشي ماهي) فعربتها العرب وأنشد:

يا دار سلمى بين دارات العوج ... جرت عليها كل ريح سيهوج
هوجاءُ جاءت من جبال ياجوج ... من عن يمين الخط أو سماهيج

أ هـ مؤلف

مسجداً. وجامع كبير للجمعة. ويتبع الحد خمس قريات أيضاً.

(الأولى) حالة السِّلَطَةِ- وهي غربي الحد وبينهما جَون من البحر والمسافة بينهما ثلث ساعة للخائض منه إليها وشربهم من عيون (عَراد) الآتي ذكرها.

(الثانية) حالة النعيم - وهي حذاء حالة السلطة من جهة الغرب بينهما مسافة ثلاث دقائق. وشربهم من عيون عراد أيضاً.

(الثالثة) عَرَاد - وهي غرابي الحِدّ إلى المحرق أقرب وبينهما جَون من البحر. يمكن للدواب خوضه في وقت الجزر للاستقاء من عيون عراد. وبها نخيل وآبار وعيون كثيرة. وبها القلعة التي بناها سعيد بن أحمد لما كان والياً من قِبَل أخيه حاكم (مسقط) السيد سلطان بن أحمد كما سيأتي عند ذكر إمارته.

(٤ و ٥) أم الشجر الكبرى. وأم الشجر الصغرى. وربما عبروا عن الصغرى (بالعزل) وهما على مسافة ربع ساعة من الحدّ جهة الجنوب. وشرب أَهلها من ينبوع (أم السوالي) المتقدم ذكره فتكون هاتان المدينتان مع قراهما جزيرة منفردة شرقي المنامة كما تقدم وربما عبروا عن مجموعها (بالمحرق).

المدينة الثالثة

المنامة وهي واقعة على الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة.

وكانت تسمى (المنعمة) وقد اختلف في سبب إطلاق اسم المنامة عليها. فمن قائل إنه تحريف المنعمة. حرفّها الأعاجم الذين سيطروا عليها. ومن قائل إنه كان فيها قصر لمنام أحد ملوكها السابقين فسميت به. وهي اليوم

الميناء العمومية ومرسى البواخر وسكنى أكثر التجار. ومركز معتمدي الدول. وبها دائرة البريد والبرقي والمكس البحري وعدد سكانها نحو (٤٠) ألف شخص. وهي جيدة البناء ذات أسواق رائجة. سوى أن أرضها سبخة. وهي رديئة الهواء. وشماليها ميناء صعبة المرسى. وشرقيها ميناء هي أسْلَم للسفن من عواصف الريح. والقرية المشرفة على الميناء الشرقية تسمى (الحورة). وكان في سنة (١٣٣٠) صدر الأمر من عظمة الحاكم سمو الشيخ عيسى ابن آل خليفة ببناء مرفأ في الميناء الشمالية ممتداً إلى وسط البحر لتطابقه السفن المشحونة بسهولة. ولو كان البحر جازراً. وكذلك صدر أمره ببناء مستودع للبضائع عند المرفأ المذكور محتو على (حوش) كبير ومخزن عظيم لحفظ الأموال الواردة. فبُني وهوَ في غاية الإتقان والضبط. ولايزال دفن البحر مستمراً لتمديد المرفأ المذكور. وعدد المساجد في المنامة (٢٢) مسجداً وجامعان أحدهما جهة القبلة (غربي البلدة) وهو المسمى اليوم (مسجد الشيوخ) والآخر جهة الشرق. وقد جَدّد بناءَه وزاد فيه من جهة الشمال زيادة مهمة (صاحب الخيرات الحاج عبد العزيز ابن لطف علي الخونجي) سنة (١٣٤٠ هـ) وله إمامان الشيخ علي والشيخ عبد اللطيف ابنا محمد آل سعد. وفق الله المسلمين لتعمير مساجدهم ومدارسهم بالعلوم العالية والفنون الراقية كما عمروها بالعبادة وزيادة. آمين ★ والمنامة فيها سكني غالب الملل والأصناف. وفي ظهرها من جهة الجنوب قلعة تسمى (قلعة الديوان) قيل إن الذي بناها هو نادر شاه (كما سيأتي عند إمارة آل مذكور) وهي مقيظ صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة. وغربي هذه القلعة قصر عظيم بناه ولي العهد سمو الشيخ حمد ابن الشيخ عيسى سنة (١٣٢٢) للمقيظ. وشمالي هذا القصر وغربي القلعة (مجلس) بناه سمو الشيخ خليفة بن سليمان حفيد الحاكم سنة (١٣٣٣) وأرخه يوسف بن فلاح بقوله (خليفة نال العلى).

وفي شرقي جنوب القلعة المذكورة على مسافة نصف ساعة للراجل موضع على الساحل يسمى (القضيبية) بالتصغير. وبها المحجر الصحي الذي أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه سنة (١٣٢٧ هـ) ★ وجنوب القضيبية قرية تسمى (الجُفَير) بالتصغير وجرت عندها عدة وقعات كما سيأتي. وبها مسجد صغير.

ويسكنها اليوم صديقنا الشيخ سعد بن الشيخ عبد الله بن شملان وقد أدب لنا مأدبة رائقة فيها سنة (١٣٤٠).

وفي غربي المنامة قرية تسمى (السويفية) وعلى ساحلها الشمالي قصر أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه وسكنه اليوم زمن القيظ نجله سمو الشيخ محمد ابن الشيخ عيسى آل خليفة.

المدينة الرابعة

الرفاع- وهو على مسافة ساعة ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب الشرقي. وهو سكنى الأمراء السابقين من آل خليفة وبه القلعة التي بناها الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة على أساس من قلعة (فِرير بن رَحَّال) وزير الشيخ الجبري الآتي ذكرهما عند إمارة الشيخ الجبري.

وشرب أهله من أربعة آبار. ثلاثة، منها جهة الجنوب في الروضة وهي من حفر الأقدمين. والرابعة جهة الشمال وتسمى (الحنينية) المشهورة بالعذوبة. والآمر بحفرها الشيخ سلمان بن أحمد المذكور. وعمقها نحو ثمانية أبوع. وأوقف عليها نخلًا لتعميرها ولإظهار الماء منها إلى بركةٍ بجذائه. لتستقي منها النساء والفقراء.

وبين الرفاع والمنامة أرض واسعة الفضاء تسمى (المراقيب) وفيه المقبرة القديمة التي تقدم الكلام عليها عند الآثار.

وغربي هذا الرفاع على مسافة نصف ساعة منه موضع يسمى (الرفاع القبلي) أسسه الشيخ علي بن خليفة حاكم البحرين سابقاً وبه البئر المسماة (أم غُوَيفه) بالتصغير أمر بحفرها والد المذكور الشيخ خليفة بن سلمان وعمقه نحو (٢٤) باعاً وأوقف عليه نخلًا لتعميره.

وغربي الرفاع القبلي على مسافة ربع ساعة موضع يسمى (رفاع الشيخ محمد) أسسه الشيخ أحمد الفاتح بن محمد ابن خليفة ثم نزله حفيده الشيخ خليفة بن سلمان. وبنى به مسجداً كانت تقام فيه الجمعة. وهو باق إلى اليوم. ثم نزله الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين سابقاً، ثم نزله سمو الشيخ محمد ابن صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن علي وجدد بعض أبنيته وأسكن فيه بعض عائلته يَرْأسهم نجله سمو الشيخ راشد ابن الشيخ محمد. وفي سنة (١٣٤٠) أمر الشيخ راشد المذكور ببناء قصر له حذاء قصر والده. وأرخ بلفظ (جمع الجد والشرف الأثيل= ١٣٤٠).

وهذه المواضع المتقدمة والتي ستجيء هي عبارة عن قرى صغار تسكن زمن الخريف.

وجنوب رفاع الشيخ محمد علي مسافة ساعة للراكب موضع يسمى (الصخير) أسسه الشيخ محمد بن خليفة. ثم في سنة (١٣١٨) نزله سمو الشيخ حمد ابن ذي العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى ابن علي وبَنَى به قصوراً جميلة ومجالس رحبة لإقراء الضيوف وجدد القصر الذي بناه أخوه المرحوم الشيخ راشد ابن الشيخ عيسى. ورمم المسجد الذي هناك وعين له إماماً راتباً. وهذا الصخير واقع فوق ربوة نقية بين جبال وآكامٍ متسعة

جداً. وعلى جانب الربوة من جهة الغرب إلى الجنوب رياض واسعة تجتمع فيها الأمطار والسيول فتنبت بها الأعشاب البرية. وتلك الرياض هي حِمَى لسمو الشيخ حمد ترعاها إبله وخيله وأنعامه. وفيه ثلاث عيون للشرب. إحداها تسمى (أم حَصاة) وماؤها أعذب مياه البحرين وألطفه لبعده عن السواحل ثم يليه في الحلاوة عين (أم المومیان) والثالثة تسمى (الجنوبية).

وبين تلك الرياض ميدان للسباق على الخيل والتمرين على الكر والفر. (وحقيقة) فإن الصخير وما والاه يعد قطعة من (الطائف) لحسنه وللطافة هوائه وعذوبة مائه ونقاء أرضه وخضرة رياضه وظرافة منظره ★ ووصلته سنة (١٣٣٢) بطلب من صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى ابن علي وأقمنا به ثلاثة أيام صحبة الحاكم على فراش نجله ولي العهد سمو الشيخ حمد (ولم تخل) أرض الصخير من المعادن لاسيما النفط والقير والجص عند قرب (جبل الدخان) الذي نقدم ذكره في الحالة الطبيعية.

وعلى مسافة ساعة من الصخير جهة الجنوب موضع يسمى (العَمرو) بنى فيه ولي العهد سمو الشيخ حمد مجالس سنة (١٣٣٧). وكذلك بنى فيه أخوه سمو الشيخ عبد الله والشيخ سلمان ابن الشيخ حمدو على مسافة ساعة من العَمرو جهة الجنوب أيضاً موضع يسمى (المطلّة) بنى فيه سمو الشيخ حمد مجالس. وكذلك سمو الشيخ عبد الله أبناء صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة. وكذا بنى فيه سمو الشيخ سلمان بن حمد حفيد الحاكم سمو الشيخ عيسى الجميع بنوا مجالسهم في سنة (١٣٣٧ هـ).

المدينة الخامسة

سُترة - وهي شبه جزيرة شرقي الرفاع على مسافة (٤٥) دقيقة وإذا

جزر البحر اتصلت به بشبه برزخ يعلوه ماء رقيق سُمك ذراع فأقل. وبها عيون كثيرة أكبرها (عين الرحى) ★ ثم (عين مهزة) ويتبعها من القرى (١) القرية (٢) مهزة (٣) سفالة (٤) مُرقبان (٥) واديان (٦) الخارجية (٧) المعامير (٨) العِكر (٩) الفارسية (١٠) الحالات وهذه المدينة مع قراها مَملوءَة بالنخيل الباسقة والأشجار المثمرة. وهي التي جرت بها الوقعات الشهيرة كما سيأتي:

المدينة السادسة

جُد حفْص- وهي غربي المنامة على مسافة نصف ساعة وبها عيون ونخيل كثير. وكانت هي إحدى المدن الكبار[1] وشمال جد حَفص قصر على الساحل في موضع يسمي (بوزيلة) أمر ببنائه سمو الشيخ عبد الله ابن الشيخ عيسى آل خليفة.

المدينة السابعة

البلاد القديم (بالتذكير) وهي جنوب جد حفص.

وبها عيون كثيرة أشهرها (أبو زيدان. وجمالة. وقصَّارى) وغربي البلاد القديم قرية تسمى (السهلة) فيها عين عجيبة شهيرة بالكبر تسمى (عَذَارى) عمقها خمسة أبواع وهي تسقي أكثر من ثلاثة أميال من النخل ثم تصب في البحر منحدرة كأنها السيل الهائج. وقد وصلتها وغصت فيها إلى قعرها وأبصرت منبعها في الماء وهي أصفى عيون البحرين.

---

(١) حكى ابن الأعرابي قال جُد بالضم اسم موضع قال وهو اسم ماء بالجزيرة أيضاً وأنشد.

فلو أنهـا كانـت لقاحي كثـيرة ... لقـد نهلت من ماءِ جُدٍّ وعَلّت

البُدَيع بالتصغير. وهي غربي المنامة على مسافة ساعتين وبها سكنى قبيلة الدواسر ومن تبعهم فهذه هي المدن. وما سواها فقرى صغار. وأكبرها قرية (جَوٍّ) وهي على مسافة نصف ساعة للراكب من الرفاع جهة الشرق الجنوبي وهي مطلة على البحر.

وأول من نزلها من العرب الشيخ أحمد بن رزق الشهير في القرن (١٢) هـ وعمرها وبنى بها مساجد وبركاً عظام[١] لخزن الماء في غاية القوة والإحكام. وقال صاحب (سبائك العسجد) سكن الشيخ أحمد بن رزق بلدة جَو. وبنى بها قصوراً شامخة إلى الجو.

ثم ظعن عنها ونزل الزبارة. وبعد ظعنه بقيت بلدة جو خالية من العرب إلى أن استولى الخليفيون على البحرين سنة (١١٩٧) كما سيأتي. ثم لما احتل سعود بن عبد العزيز أمير نجد (الأحساء والقطيف) سنة (١٢١٢) جعل يتحفز على أخذ الزبارة فظعن الشيخ أحمد بن رزق منها إلى البصرة في تلك السنة. ونقل الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الفاتح عائلته جميعها من الزبارة وأسكنهم بلدة جَوٍّ. ثم لما فرطت البحرين من آل خليفة واسترجعوها سنة (١٢٢٥) ترك الشيخ سلمان (جَوّا) وسكن (الرفاع) وبنى به قلعةِ وجعله العاصمة كما سيأتي عند ذكر حكمه ثم بعد ذلك نزل (آل أبي رُميح) بلدة جوّ. وثم باقون فيها إلى حال التاريخ.

---

(١) صحتها: عظاماً.

الباب الأول

في ذكر من تأمر على البحرين

من بعد الهجرة النبوية إلى أن آلت إلى آل خليفة

اعلم أنه تداول ملك البحرين ملوك وأمم كثيرة وأقرب من بلغنا أخبارهم من ملوكها قبل الإسلام هم الفرس. وقد كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل. وفي باديتها تميم مقيمون. وكان بها مِن قبَل الفرس المنذر بن ساوَى بن عبد الله بن زيد بـن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وعبد الله بن زيد المذكور هو الأسبذي نسبة إلى قرية بهجر. فلما كانت سنة ثمان من الهجرة وجه رسول الله ﷺ (العُلاء) واسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف[1] بن مالك بن الخزرج من بني إياد بن الصدف الحضرمي[2] وكان جده سكن مكة المشرفة وحالف بني عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَي. وجهه إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الاسلام أو إلى الجزية وكتب معه إلى

---

(١) العلاء بفتح العين المهملة، وعوف صحته: عويف بالتصغير. (الاستيعاب لابن عبد البر بتحقيق علي محمد البجاوي) أهـ مصحح.

(٢) الحضرمي هو لقب لوالد العلاء، وقيل: إنه لجده عماد. أهـ مصحح.

المنذر بن ساوَى وإلى سيبخت «مرزبان هجر»[1] يدعوهم إلى الإسلام أو إلى الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب حتى أهل جزيرة أوال. وأسلم أيضاً بعض الأعجام. فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العُلاء ابن الحضرمي وكتب بينهم وبينه كتاباً هذه صورته (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه العُلاء بن الحضرمي أهل البحرين صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر فمن لايفي بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم[2] ديناراً. وقيل إن رسول الله ﷺ وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك سنة ست من الهجرة.

وروي عن العلاء أنه قال بعثني رسول الله ﷺ إلى البحرين أو قال: هجر وكنت آتي (الحائط[3] بين الأخوة) قد أسلم بعضهم فآخذ من المسلم العُشر. ومن المشرك الخراج. وقال قتادة لم يكن بالبحرين قتال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر. وقال سعيد بن المسيِّب: أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر وأخذها عمر من مجوس فارس وأخذها عثمان من بربر.

وبعث العلاء إلى رسول الله ﷺ مالاً من البحرين قدره (٨٠) ألفاً ما أتاه

(١) يروى أن مرزبان هجر (أي أميرها) لما ذهب إلى المدينة المنورة بعد إسلامه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه صحب معه منها فسيل نخل تبركاً بصاحبه وأتى به وغرسه في جزيرة البحرين ونسب ذلك النخل له وسمي (نخل المرزبان) وهو أجود تمر البحرين كما تقدم في الحالة الاقتصادية. أهـ مؤلف.

(٢) أي: بالغ الحلم. أهـ مصحح.

(٣) البستان.

أكثر منه قبله ولا بعده وأعطى منه العباس عمه. قالوا وعزل رسول الله ﷺ العُلاء وولى على البحرين أبان بن سعيد بن العاص بن أمية. وقيل إن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف. وأبان على ناحية فيها الخِطّ. والأول أثبت. ثم مات المنذر بن ساوى بعد وفاة النبي ﷺ بقليل وارتدَ من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطِم وهو شريح ابن ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحمد بني قيس بن ثعلبة وارتد كل من بالبحرين من ربيعة حتى أهل (جزيرة البحرين) ما خلا الجارود بن بشر بن عمرو بن المعلى واسمه حنش فإنه رد قومه إلى الإسلام (وهو الذي أسلم ووفد على النبي ﷺ فلما رجع إلى قومه دعاهم إلى الإسلام فأسلموا) فلما توفي النبي ﷺ ارتدوا وقالوا لو كان نبياً ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد ﷺ قد مات وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأسلموا وثبتوا على إسلامهم وأمروا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر المغرور واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومَن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بني ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع إليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف وهجَر واستغوى من بها وبعث بعثاً إلى (دارين) وإلى جواثا فحصروا المسلمين واشتد الحصر على من بها وتقاتلوا معهم قتالاً شديداً. ثم إن المسلمين لجأوا إلى حصن جواثا فحاصرهم فيه عدوهم نحو شهر. وفي ذلك يقول عبد الله ابن حذف بن عبد الله بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن بكر بن كلاب الكلابي.

ألا أبلغ أبا بكر ألوكاً[1] وفتيان المدينـــة أجمعينـا
فهل لك في شباب منك أمسوا أسارى في جواثا محاصرينا

(١) ألوكا أي= بلاغاً. أهـ مصحح.

توكلنـــا عـــلى الرحمن إنــا وجدنـــا النصر للمتوكلينـا
وقلنـا قـد رضينـا الله ربـاً وبالإسلام دينــاً قـد رضينـا

فبعث أبو بكر رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه لقتال أهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس (الحطم بن ضبيعة) وخندق العلاء والمسلمون على أنفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يتراجعون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهراً فسمعوا في بعض الليالي ضوضأة شديدة في المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بأن القوم سكارى فبيتوهم ووضعو السيوف فيهم حتى قتلوا الحطم وفر القوم هرباً واقتحموا الخندق فمن بين مترد وناج ومقتول ومأسور وأبادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم وكان الجارود في أيام الحصار والقتال أسره قوم من بكر بن وائل فكتب إلى المسلمين أن هؤلاء القوم الذين أنا في أسرهم ضباع بالليل أسود بالنهار فقال العلاء من يدلنا عليهم فقال عبد الله بن حدف الكلابي: أنا. فلما اقترب منهم أخذوه فصاح وكانت أمه عجلية فصاح يا أبجراه فقال الأبجر من أنت قال ابن أمتك عبد الله بن حدف قال: ويحك مالك؟ قال: خرجت من الجهد فأطعموني شيئاً فأطعمه وقال إني لاأحسب أنك جيش ابن أخت القوم الليلة لأخوالك. ثم أقبلوا على شرابهم وغفلوا عنه فهرب إلى العلاء. فبيتهم العلاء فكانت هزيمتهم. قالوا وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال لست بالغرور ولكني المغرور ولحق هو وفل ربيعة بالخط فأتاها العلاء وفتحها وقتل المنذر معهم وقيل: بل قتل المنذر يوم جواثا وقيل: بل استأمن ثم هرب فلحق فقتل[1] وكان العلاء قد كتب إلى أبي بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره

(١) وهو الذي كان قد تولى الملك بعد عمه الأسود بن المنذر سنة (١٢ هـ ٦٣٤ م) وهو المنذر الخامس الملقب بالغرور واستمر على ملك الحيرة إلى أن قتل بالبحرين =

بالنهوض إليه فقدم عليه. وقد قتل الحطم سنة (١١) هـ ثم أتاه كتاب أبي بكر بالشخوص إلى العراق فشخص من البحرين سنة (١٢) هـ.

ثم لما قتل الحطم مع قومه وهم سكارى وانتصر المسلمون ندب العلاء الناس إلى دارين (صوابه إلى جزيرة البحرين كما سيأتي) وقال لهم قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلى عدوكم واستعرضوا البحر. وارتحل وارتحلوا وكان بينهم وبين محل عدوهم البحر فاقتحموه على الخيل والإبل والحمير وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا. فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رمل فوقها ما يغمر أخفاف الإبل وبين الساحل ودارين يوم وليلة (صوابه بين الساحل وجزيرة البحرين كما ستراه).

فالتقوا مع عدوهم واقتتلوا قتالاً شديداً فظفر المسلمون وانهزم المشركون وأكثر المسلمون فيهم القتل فما تركوا بها مخبراً وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاءوا وضرب الإسلام بجرانه فيها. وكتب العلاء إلى أبي بكر رضي الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم. ولما قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل ألفان. وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقيل له: ما حملك على الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها: فيض في الرمال. وتمهيد ثبج البحر. ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحراً (اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك البديع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحي الذي

= يوم جواثا. وهو آخر الملوك اللخمية الذين كانوا عمالاً للأكاسرة على عرب العراق. ثم أتى بعد المنذر المذكور خالد بن الوليد تخفق فوق رأسه راية الإسلام فتغيرت البلاد وتخلصت من ظلم الظالمين وجور الجائرين وفساد المفسدين والأيام دول (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أهـ مؤلف.

لايموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن علمت كل شيء بغير معلم) فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على حق فكان أصحاب النبي ﷺ يسمعون هذا منه بعد * والعلاء بن الحضرمي صحابي مشهور بالكرامة التامة وكان مجاب الدعوة وكان له في هذه الغزوة آثار محمودة وكرامات كثيرة منها أنهم سلكوا مفازة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقعت عليهم وأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب. قال الراوي: ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك فلم نجد سفناً وكان المرتدون قد أحرقوا السفن فصلى العلاء ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجزنا. ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا بسم الله. قال أبو هريرة: وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف. وقال إبراهيم بن أبي حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوا إليهم وجازه العلاء وأصحابه مشياً على أرجلهم وكانت تجري فيه السفن قبل. وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلـــل بحره — وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا — بأعجب من فلق البحار الأوائل

والذي يستنتج من الروايات أن التي عبروا إليها هي (جزيرة البحرين) لادارين لأن دخول الجزيرة هو الذي يحتاجون فيه إلى السفن لأن بين جزيرة البحرين وبين الساحل الذي كانت الصحابة فيه نحو مسيرة يوم وليلة للراجل لو أمكن المشي. وأما بين دارين والساحل فنحو ساعة ونصف للراجل ولايحتاج فيه إلى خوض لأن البحر إذا جزر ظهرت الأرض وأمكن الوصول إليها ببرزخ متصل بينهما بدون خوض لاسيا والمد

والجزر يتكرران مرتين في اليوم والليلة كما هو معلوم عند الجميع. لاسيما وأن مع الجيش جملة من أهل دارين وهم أدرى بطرق ديارهم فلو كان العبور إلى دارين لتريثوا إلى حين الجزر وانحسار الماء عن الأرض. ولما احتاجوا لمشقة العبور. ولما كان لصلاة العلاء ودعائه كبير فائدة للمضايقة. وأهل البلدة معه. فيترجح أنهم خاضوا البحر إلى جزيرة البحرين. وإن في ذلك الكرامة التامة لاسيما والعلاء مجاب الدعوة ومشهور بها فيكون دخولهم دارين بعد ذلك جمعاً بين الروايتين. وقد ذكر أهل السير أن العلاء فتح (السابور و دارين) في خلافة عمر عنوة بالسيف وهذا مما يؤكد أن المقصود بخوض البحر هو العبور إلى جزيرة البحرين. وأيضاً فقد قال صاحب القاموس وصاحب تاج العروس وابن حجر في الإصابة أن العلاء خاض البحر بكلمات قالها. وأيضاً مما يؤكد ذلك قول الراهب الذي أسلم أنه لم يسلم إلا لأمور ثلاثة ثانيها هو خوض البحر وكان خليجاً ومحال خوضه بدون كرامة فلما رأى أن الصحابة قد خاضوه عرف أنهم على الحق وأسلم والراهب هو من أهل هجر وهو يعلم علم يقين بأن هذا البحر متعذر خوضه وهو أدرى بوطنه. وأيضاً فقول الصحابة أتينا على خليج ما خيض فيه قبل فهذا أرجح للتأكيد لأن دارين شبه جزيرة والناس ذاهبون وآتون بين الساحل ودارين ليلًا ونهاراً والأشغال متصلة بين الجانبين فكل هذه الدلائل ترجح أن الخوض هو إلى جزيرة البحرين. ولأن أكثر الرواة لم يعينوا القصد إلى دارين بل يقولون: أتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل فاقتحمه العلاء وأصحابه بكلمات قالها. (وذكر ياقوت في معجمه أن هذه صفة أوال أشهر مدن البحرين اليوم ولعل اسمها أوال ودارين) فقول ياقوت هذا هو استشهاد لما حققناه وترجيح لما قلناه بأن الخوض هو إلى جزيرة البحرين. والله أعلم.

وبعد هذه الوقائع تحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي وجهه

لقتال بني تميم حين عرضوا لعيره (بالزارة) فلم يقدر عليهم وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من أداء الجزية فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر وفتحها في خلافة عمر رضي الله عنهما. وقتل المكعبر وسمي المكعبر لأنه كان يكعبر[1] الأيدي فلما قتل قيل مازال يكعبر حتى كعبر فسمي المكعبر وكان الذي قتله البراء بن مالك الأنصاري أو أنس بن مالك. وفتح العلاء السابور ودارين في خلافة عمر عنوة بالسيف.

وكان لما توفي رسول الله ﷺ أخرج أبان بن سعيد بن العاص من البحرين فأتى المدينة المنورة. فبعد محاربة أهل الردة طلب أهل البحرين من أبي بكر أن يرد العلاء عليهم ففعل. فيقال إن العلاء ظل والياً عليهم إلى أن توفي سنة (٢١)هـ فولى عمر مكانه أبا هريرة الدوسي ويقال إن عمر ولي أبا هريرة قبل موت العلاء فأتى العلاء (توج) من أرض فارس وعزم على المقام بها ثم رجع إلى البحرين فأقام هناك حتى توفي فكان أبو هريرة يقول دفنا العلاء ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجد العلاء في اللحد. وقال أبو مخنف كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي يستقدمه وولى عثمان بن أبي العاص البحرين مكانه وعمان فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل إليها حتى مات ودفن في طريق البصرة على ساحل البحر وهو في موضع يقال له اليوم (العَدَان) وقبره مشهور ومعروف في لسان العوام (أبو علي) اسم للقبر واسم للبقعة كلها وهو في طريق الذاهبين إلى الكويت[2] ثم إن عمر ولى قدامة بن

---

(١) أي يقطعها بالسيف. أهـ مصحح.

(٢) وما قيل من أن العلاء توفي سنة (١٤) فضعيف حيث أن العلاء هو الذي فتح فارساً سنة (١٧) هـ. أهـ مؤلف.

مظعون الجمحي جباية البحرين وولى أبا هريرة الصلاة والأحداث. ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر. وولى أبا هريرة الجباية مع الأحداث. ثم عزله وقاسمه ماله. ثم ولى عثمان بن أبي العاص (عمان والبحرين) فمات عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأربع بقين من ذي الحجة سنة (٢٣) وعثمان بن أبي العاص واليها: وسار عثمان إلى فارس ففتحها وكان خليفة على عمان والبحرين وهو بفارس أخاه المغيرة بن أبي العاص.

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال استعملني عمر على البحرين فاجتمعت لي (١٢) ألفاً فلما قدمت على عمر قال لي يا عدو الله والمسلمين أو قال عدو كتابه سرقت مال الله قال قلت لست بعدو الله ولا المسلمين أو قال لكتابه. ولكني عدو من عاداهما قال فمن أين اجتمعت لك هذه الأموال قلت خيل لي تناتجت وسهام اجتمعت قال فخذ مني (١٢) ألفاً فلما صليت الغداة قلت اللهم اغفر لعمر.

قال وكان عمر يأخذ من الصحابة ويعطيهم أفضل من ذلك حتى إذ كان بعد ذلك قال عمر ألا تُعمّل يا أبا هريرة قلت لا قال وَلِمَ؟ وقد عُمِّل من هو خير منك يوسف (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم قلت يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابن أميمة وأخاف منكم ثلاث واثنتين فقال عمر: هلا قلت خمساً قلت: أخشى أن تضربوا ظهري وتشتموا عرضي وتأخذوا مالي وأكره أن أقول بغير علم وأحكم بغير حلم

البحرين في زمن الدولة الأموية

ولم تزل البحرين تابعة للخلفاء الراشدين ثم من بعدهم لبني أمية. وفي سنة (٤٥) جعل معاوية على (البصرة) زياد بن أبيه وجمع له (خراسان وسجستان) ثم جمع له (السند والبحرين وعمان).

وظلت البحرين خاضعة لعمال الأمويين إلى زمن عبد الملك بن مروان. حيث جاءها أبو فديك الخارجي سنة (٧٢) واحتلها غلبة وانتزعها من عمال بني أمية. فأرسل عبد الملك بن مروان جنوداً كثيرة نحوها وتقاتلوا مع البغاة حتى قتلوا (أبا فديك) وقتلوا من قومه نحو (٦٠٠٠) وأسروا نحو (٨٠٠) رجل وصفت جزيرة البحرين لبني أمية وذلك سنة (٧٣). وفي زمن خلافة عمر بن عبد العزيز أمر ببناء المسجد ذي المنارتين الذي في (سوق الخميس) المشهور اليوم (بالمشهد) وأمر أيضاً ببناء عدة مساجد أخر في خليج البصرة وأعجبها المسجد الذي في (أبي شهر) فإنه في غاية المتانة والإحكام. وهو باق إلى اليوم.

الأمراء على البحرين

وفي سنة (١٠٥) كان على البحرين الأشعث بن عبد الله الجارود من قبل بني أمية. فخرج عليه مسعود بن أبي زبيبة ففارقها الأشعث. ثم أخذت من مسعود المذكور. وقيل: بل نصب الأشعث عليها والياً من قبله. وكانت الإمارة له فيها نحو (١٩) سنة. ثم خرج عليه سفيان بن عمرو العقيلي وقاتله فقتل مسعود. وتغلب على البلدة سفيان المذكور. ثم بعد مدة تغلب على البحرين سليمان بن حكيم العبدي واستولى عليها إلى سنة (١٥١) هـ حيث انتزعت منه كما سيأتي.

استيلاء بني العباس على البحرين

وفي سنة (١٥١) جهز أبو جعفر المنصور على جزيرة البحرين جيشاً عظيماً تحت قيادة عقبة بن سليم فسار بهم نحوها وتواقع مع سليمان بن حكيم

العبدي حتى قتله. واحتل عقبة البلدة واستولى على خزائن الجزيرة. وأرسل الأُسَراء إلى بغداد (دار الخلافة) وعُيِّنَ على البحرين أميراً ومن قبل العباسيين. وظلت جزيرة البحرين تحت تصرف بني العباس يتعاقب عليها ولاتهم إلى سنة (٢٤٩) هـ حيث هاجمها صاحب الزنج[١].

تملك صاحب الزنج للبحرين

ظهر صاحب الزنج سنة (٢٤٩) في (سر من رأى) المسماة اليوم (سامره) ثم سار نحو الحساء وأظهر له الطاعة أهلها وانضم إليه خلق كثير فأرسل عماله إلى جزيرة البحرين وجُبِيَ الخراجُ منها له وظلت تحت سيطرته إلى أن أهلكه الله سنة (٢٧٠) كما بينا قصته في (تاريخ الأحساء) فرجعت البحرين إلى بني العباس وبقيت تحت حكمهم إلى زمن المكتفي حيث ظهرت القرامطة.

تملك القرامطة على البحرين

وفي سنة (٢٨٦) عبرت القرامطة من القطيف إلى جزيرة البحرين واستباحوها وعاثوا في الأرض بالفساد. وفي ذلك يقول ابن مقرب:

سل القرامـط من شظـى جماجمهم
فلقـا وغادرهم بعـد العلي خدمـا

(١) صاحب الزنج هو علي بن محمد المتوفى سنة ٢٧٠ هـ ٨٨٣ م قاد ثورة ضد العباسيين، وأقام شبه نظام عسكري اشتراكي، وشيد مدينتي المختارة والمنيعة سنة ٨٦٩ م، واحتل جنوبي العراق - وأحرق مدينة البصرة، وعجز العباسيون عن قهره ١٤ عاماً، ثم أنزل به الموفق يسانده جين لؤلؤ الضربة القاضية سنة ٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م. أهـ مصحح ومعلق.

من بعد أن جل بالبحرين شأنهم
وأرجفوا الشام بالغارات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها
أرض العراق وتغشى تارة أدما[1]
وحرقوا عبد قيس في منازلهم
وصيروا الغر من ساداتها حمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصوا منهم صنما
وما بنوا مسجداً لله نعرفه
بل كلما أدركوه قائماً هدما

وظلت القرامطة عائثة في الأرض إلى أن هلك رئيسهم أبو سعيد الجنابي سنة (٣٠١) فضعف أمرهم وجعل يتقلص فيؤهم ومع ذلك فإنهم توجهوا نحو مكة واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة سنة (٣١٧) وقصتهم فصلناها في (تاريخ الحسا) وكان انقراض القرامطة تماماً سنة (٣٧١) هـ.

تغلب أبي البهلول على البحرين

ثم استولى على جزيرة البحرين أبو البهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج[2] وسبب تغلبه عليها هو أن القرامطة لما ضعف أمرهم شرعت قبائل العرب تحاربهم من كل جانب. فقام لقتالهم بالاحساء الأمير

---

(١) أدما: قرية في عمان. اهـ مؤلف.

(٢) وكان للعوام أخ يسمى مسلماً ويكنى بأبي الوليد. قلت: لعل العرب كانوا يحكمون بر قطر من رهطه لأنه يقال لهم: آل مسلم. اهـ مؤلف.

عبد الله بن علي العيوني. وثار عليهم بالقطيف يحيى بن العياشي. ونهض بجزيرة البحرين أبو البهلول لأنه كان ضامناً لخراجها فشق عصا الطاعة فجهزت عليه القرامطة جيشاً من عبد القيس تحت قيادة بشر بن مفالح أحد العيونيين وأطمعتهم في استرجاع جزيرة البحرين لهم (أي لعبد القيس) فساروا جميعاً إلى موضع يقال له (كسكوس أوال) فبرز لهم أبو البهلول بثبات جأش في جموعه وتواقع معهم حتى كسرهم ودحرهم بعد معركة عنيفة قتل فيها خلق كثير.

ثم أعلن استقلاله بجزيرة البحرين وأمر بأن يخطب فيها له وقوي أمره وظلت تحت يده مدة إلى أن انتزعها منه ابن العياش كما سيأتي.

استيلاء ابن العياش على البحرين

ثم استولى على البحرين ابن العياش. وذلك بأن يحيى بن العياش لما حارب القرامطة وأخرجهم من القطيف واستقل بها اشرأبت نفسه إلى أخذ جزيرة البحرين. ولكن قبل أن يبرز ذلك الفكر إلى حيز الوجود داهمه الموت. فقام من بعده بالحكم ابنه زكريا بن يحيى. وجهه جيشاً عظيماً لتنفيذ فكرة والده وساقه نحو جزيرة البحرين. فاحتلوها من أبي البهلول بعد معركة شديدة. وضمت إلى حكم (الخط) وكان لزكريا المذكور وزير من أهل جزيرة البحرين يسمى (العكروت) وهو صاحب رأي وسياسة. وكان يضرب به المثل في الشجاعة والبأس والحيل والدهاء. فطمع ابن العياش في انتزاع الاحساء من العيونيين مغتراً بشجاعة وزيره وقائد جموعه المذكور فحشد ابن العياش جموعه وسار بهم نحو الاحساء فبرزت له العيونيون بجنودهم وتقابل الفريقان وجرت بينهما معركة شديدة اسفرت عن انكسار ابن العَياش وتقهقره إلى القطيف (قصبة حكمه) فتبعته

العيونيون على الأثر فلم يتمكن ابن العياش من الثبات في القطيف بل عبر جنوده إلى جزيرة البحرين. فاحتل العيونيون القطيف ثم عبروا نحوهم وصار هذا الطمع سبباً لمحو دولة بني العياش من القطيف كما سيأتي.

استيلاء العيونيين على البحرين

العيونيون هم عرب من قبائل الأحساء. وأول تأسيس إمارتهم هو أنه لما ضعفت القرامطة وشرعت العرب تحاربهم من كل جانب قام عبد الله بن علي آل إبراهيم العيوني يحارب القرامطة في الأحساء نحو سبع سنين حتى انتزع الدولة منهم وتملك الأحساء وما والاها وجعل يدافع كل من كان يطمع فيها وكان جيشه في بادئ قيامه نحو (٤٠٠) رجل. وساعده الله بحسن الحظ حتى تغلب على القرامطة بعد معارك شديدة. ودفع من وازرهم من أهل اليمن (كبني عامر بني ربيعة) فإنهم حاولوا سلب الأحساء من العيونيين وتبارزوا فانكسرت بنو عامر بعد معركة شديدة وفروا ناجين بأنفسهم تاركين في ميدان الوغى سلبهم وأموالهم. وفر منهم اثنان من رؤسائهم نحو البصرة وهما (أحمد بن مسعر وأبو فراس) وفي ذلك يقول ابن مقرب في ميميته التي قالها في بغداد سنة (٦١٣) مفتخراً بمتقدميه من بني عمه وعشيرته التي مطلعها:

قم فاشدد العيس للترحال معتزما
وارم الفجاج فإن الخطب قد فقما

إلى أن قال:

حتى حمينا على الإسلام وانتدبت
منا فوارس تجلو الكرب والظلما

وطالبتنبـــا بنو الأعمام عادتنـــا
فـــلم تجـــد بَكَما فينـــا ولاصمما
فسلم الأمر أهـــل الأمر وانتزحوا
عن سورة الملك لازهداً ولا كرما

ثم لما زحف ابن العياش من القطيف نحو الأحساء (كما تقدم) برز له الأمير عبد الله العيوني بجنوده وتقابلا في موضع يقال له (ناضرة) وجرت بينهما معركة فاصلة أسفرت عن انكسار ابن العياش وتقهقره نحو قصبة حكمه (القطيف) فلحقه الأمير عبد الله يقفو أثره. فلم يتمكن ابن العياش من الثبات في القطيف بل غادره. وعبر بجموعه إلى جزيرة البحرين. فاحتل الأمير عبد الله القطيف. ووجه ابنه (الفضل) نحو جزيرة البحرين فعبر بجموعه نحوها وجرت بينهما معركة حاسمة أسفرت عن قتل (العكروت) وزير ابن العياش وقائد جيوشه. وفرار ابن العياش إلى (بلدة العِقير) بمن بقي من جموعه. وجعل يجمع هناك جموعاً أخر فلما تكاملت قوته سار بها نحو القطيف علّه يسترجعه بعد ما فرط منه. فبرز له الأمير عبد الله العيوني هناك ودارت رحى الحرب بينهما فأسفرت عن قتل زكريا ابن العياش وتفرق جموعه. فانمحت دولة ابن العياش من الخِطِّ بسبب طمعه وغروره وإلى ذلك يشير ابن مقرب في الميمية بقوله:

ولم ينـــجّ ابن عيـــاش بمهجتـــه
يمٌّ إذا مـــا يراه الناظر ارتسما
أتـى مغـــيراً فوافي جَوَّ (ناظرة)
فعـاين الموت منـــا دون مـــا زعما
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى
حبـل السلامـة إلا السوط والقدما

فانصـــاع نحو (أوال) يبتغي عصما
إذ لم يجد في نواحي الخِط معتصما

فأقحم البحر منـــا خلفـــه ملـك
مـازال مـذ كـان للأهوال مقتحما

فحـاز ملك أوالٍ بعدما ترك العكـ
ـروت بالسيـف للبغواء ملتزمـا

وصـار ملك ابن عياش وملك أبي البهـ
ـلول مـع ملكنـا عقدا لنا نظما

ثم تأمر على جزيرة البحرين بعد الفضل أخوه (الأمير على بـن عبد الله) وفي زمنه هجم عليه حاكم جزيرة قيس (أبو كرزاز بـن سعد بن قبصر) بجيوش بحرية ونزل بها في موضع يقال له (سترة) فبرز لقتاله الأمير علي وجرت بينهما معركة شديدة ظفر العيونيون فيها وأسروا أخا حاكم قيس واسمه (نام سار بن سعد) بعد أن قتل من أهل جزيرة قيس (٢٨٠٠) وفر الباقون لسفنهم. وفي ذلك يقول ابن مقرب:

ويوم (سترة) منـا كان صاحبه لاقـت بـه سامة والحاسك الرقما
ألفين غـادر منهم مـع ثمانمئٍ صرعى فكم مرضع من بعدها يتما

وعدد الحكام من العيونيين نحو (٢٠) حاكماً كانوا يحكمون الأحساء والقطيف وجزيرة البحرين وملحقات كلٍ. ومدة ملكهم نحو (٣٠٠) سنة. (ويحكى) أن الأمير أباسنان بن محمد بن الفضل ابن الأمير عبد الله العيوني لما آل له الملك جاءه عامله بخراج جزيرة البحرين ذات مرة. وكان عنده رجل شاعر من البصريين يعرف (بالثعلبي) فأعطاه جميع الخراج وكان مبلغاً عظيماً فلما رأى العامل أن خراج سنة كاملة أخذه شخص واحد دفعة

واحدة شهق فمات غماً لساعته. ولذلك يقول ابن مقرب:

منـا الذي من نداه مات عامله غماً وأصبح في الأمواتِ مُخْتَرَما

تغلب الزنجيين على البحرين

ثم تولى على جزيرة البحرين أبو بكر بن سعد الزنجي سنة (٦٣٣) واعلم أن صاحب الزنج المتقدم ذكره غير هؤلاء لأن ذاك فاسق مبتدع. وأما هؤلاء فإنهم مسلمون من أهل السنة والجماعة.

وكيفية تكوين دولتهم هو أنهم بعد انقراض الدولة السلجوقية تجمعوا وسكنوا في جبل (كيلويه) وأصلهم من قبجاق فتجمهروا على أخذ مملكة فارس فهاجموها وفي سنة (٥٤٣) تمكنوا من الاستيلاء على فارس وحكموا أحدهم واسمه (سنقور بن مودود) وهم الطبقة الثالثة من ملوك فارس. وفي سنة (٥٥٨) توفي سنقور وتولى بعده أخوه (أتابك بن مودود) الزنجي. وفي سنة (٥٧٢) توفي أتابك وأخذ بزمام المملكة ابنه (سعد) وفي عام (٦٢٣) توفي سعد ورقي سرير المملكة ابنه (أبو بكر بن سعد) وهو الذي وسع مملكة فارس وفي سنة (٦٢٦) حارب (جزيرة قيس) وكان بها بنو قيصر فانتزع الجزيرة منهم. وفي سنة (٦٣٣) توجه بجنده نحو (جزيرة البحرين) فاستولى عليها. وفي سنة (٦٤١) عبر إلى القطيف فاحتله وزحف بجنده نحو الأحساء فانتزعها من أهلها. وفي سنة (٦٥٩) توفي أبو بكر المذكور وتولى بعده ابنه (سعد بن أبي بكر بن سعد الزنجي) وفي زمنه تضعضعت مملكته وضعفت دولتهم.

(تنبيه) توجد بجزيرة البحرين مقاطعة كبيرة فيها نخيل تسمى (الزنج) فلعلها منسوبة إلى تلك الدولة.

استيلاء المغول على البحرين

المغول هم الطبقة الرابعة من ملوك فارس. وذلك لما ضعفت الدولة الزنجية. قام جنكيز خان المغولي وعاث في الأرض حتى العراق فاحتل بغداد وملحقاتها وامتدت سطوته مع قومه إلى الخليج حتى (جزيرة البحرين). وقصته مشهورة مبسوطة في المطولات من كتب التاريخ. وكانت مدة بقائه في الحكم (٨) سنوات وظلت الدولة فيه وفي عقبه من سنة (٧٣٦ إلى ٧٩٥) هـ. ثم انقرضوا.

تغلب الكوركانية

على جزيرة البحرين

الكوركانية- هم الطبقة الخامسة من ملوك فارس. وأولهم تيمورلنك (ومجمل قصته) هو أنه لما اقتسم التتر ممالكهم انتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكان ذلك سبباً لضعفهم وموجباً لقيام تيمور وأمثاله. قال ابن خلدون: إن تيمور ينسب هو وقومه إلى جغْطاي ابن جنكيزخان. وجزم بعض المؤرخين بأن نسبه إلى جِغْطاي إنما هو من جهة أمه لا من جهة أبيه. وكان أول ظهوره سنة (٧٧٣) وأرخت بلفظ (عذاب) قالوا: وهو أحد الدجالين الموعود بهم في الأخبار النبوية. فإنه تغلب على أكثر الممالك الإسلامية وأسرف في القتل وأفسد الأرض وأهلك الحرث والنسل وكان مبدأ أمره وأمر أبيه أنهما كانا فقيرين وكان أبوه إسكافياً من قرية من أعمال كش (وهي من مدن ما وراء النهر) ونشأ تيمور جلداً قوياً ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق. فسرق ذات ليلة شاة فشعر به الراعي فرماه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه وأصاب بالآخر كتفه فأعطبهما فكان

أعرج اليمناوين ولذلك يقال له: نصف إنسان وبالفارسية: (لنك) ومع ذلك لم يترك السرقة فما زال كذلك حتى اشتهر أمره وإفساده فظفر به السلطان حسين ملك (هراة) فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع فيه الأمير غياث الدين ابن السلطان حسين المذكور. فقال أبوه: إن هذا أصل الفساد ولئن بقي ليهلكن العباد والبلاد فقال له غياث الدين: وما عسى أن يصدر من نصف إنسان وقد أصيب بالدواهي فما زال يراجع أباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفا عنه. ثم إن غياث الدين اصطحبه معه وقرَّبه وأدناه وجعله من خواصه. ثم زوجه أخته ورفعه ورقى مرتبته حتى صار من وزرائه. فلما آل الملك لغياث الدين بعد وفاة أبيه ازدادت منزلة تيمور وصار مقدماً على كثير من الجند فطغى على مولاه غياث الدين. وكان مبدأ تمرد تيمور أن زوجته وهي أخت غياث الدين وقع بينها وبينه شيء أغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه أخيها. ثم لم يسعه إلا الخروج على السلطان غياث الدين وخلع الطاعة فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيراً من الممالك حتى استصفى ممالك ما وراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر. وشرع في استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد. ثم أرسل إلى مخدومه سلطان هراة غياث الدين يطلب منه الدخول في طاعته ليجازيه على إحسانه بالإساءة له فيتحقق بذلك قول النبي ﷺ (كتب الله على كل نفس خبيثه أن لاتخرج من الدنيا حتى تسيئ إلى من أحسن إليها) فأرسل غياث الذين يقول له: أما كنت خادماً لي وأحسنت إليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد أن أنجيتك من الضرب والصلب فإن لم تكن إنساناً يعرف الإحسان فكن كالكلب. فلم يَرْعَوِ بل عبر جيحون بمن معه من الجند وتوجه لمحاصرة مولاه غياث الدين بـ(هِراة) ولم يكن لدى المذكور قوة لقتال تيمور والوقوف دون مطامعه فحصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعاً.

ثم عاد تيمور إلى خراسان فانتقم أولاً من أهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم. ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى خلصت له جميع ممالك العجم وممالك فارس وفي ضمنها (جزيرة البحرين) ودانت له الأمم وملوكها. وكان استيلاؤه على البحرين قبل أن يحتل بغداد. وقد ذهب لمحاصرة بغداد في ١١ شوال من عام (٧٩٥)هـ ودخلها بعد الحصار الشديد يوم عيد الأضحى. كما بيناه في تاريخ البصرة.

تملك البرتقال على البحرين

وفي سنة (٩٣١ هـ ١٥١٥ م) بسط البرتقاليون نفوذهم على أغلب مدن خليج فارس وفي ضمنها (جزيرة البحرين) وبنوا غربي المنامة قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة عجاج) وقد جُددت هذه القلعة في شعبان عام (٩٦٩) في زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه كما هو مكتوب في بعض جبال (جزيرة جدا) الواقعة غرب المنامة[1].

ثم جددت ورممت من قِبَل البرتقال سنة (٩٩٤) هـ ١٥٨٦ م) ورأيت هذا التاريخ بعينيّ مكتوباً في أربعة مواضع من القلعة على باب دائرة المحاسبة وعلى باب دائرة القائد. وعلى باب دائرة الصيدلية وعلى ظهر صخرة متهدمة من القلعة لم أعرف أين كان موضعها.

وقد ذهبت إلى هذه القلعة سنة (١٣٣٢) بقصد الاطلاع على ما فيها من التاريخ. وكان في صحبتي أحمد ابن الشيخ عبد الله بن شملان وهي على

---

(١) وهذه صورة الكتابة التي على حجارة جل جدا: (نقل من هذه الجزيرة مائة ألف حجر لتجديد قلعة البحرين على يد العبد فيروز في زمن وزارة جلال الدين بن مرادشاه في شعبان سنة ٩٦٩) أهـ حرفياً. مؤلف.

مسافة ساعة للراكب من المنامة فوجدتها في موضع مستحكم مخندق بماء البحر مشرفة على المدخلين بين جزيرتي المنامة والمحرق وهي اليوم خَربة منذ أعوام ومتهدم داخلها ولم يبق منها سوى جدرانها الخارجية.

وكان في سنة (٩٤٣ هـ ١٥٣٧ م) حضر إلى دار الخلافة العظمى سفير من قبل صاحب (دهلي) بالهند يستنجد السلطان سليمان خان القانوني ابن السلطان سليم خان ضدهمايون بن ظاهر الدين محمد الشهير ببابر صاحب دهلي.

وكذلك حضر آخر من قبل صاحب (الجوزرات) بالهند أيضاً يطلب من عظمة السلطان المساعدة ضد البرتقاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها. فأصدر السلطان أوامره إلى وزير مصر يومئذ (سليمان باشا) بتجهيز عمارة بحرية بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتقاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتقال أو أي دولة أوربية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العلية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر.

فصدع سليمان باشا بأمره وشيد عمارة بحرية هائلة مؤلفة من سبعين سفينة في أقرب وقت وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها عام (٩٤٤ هـ ١٥٣٨ م) ومعه عشرون ألف جندي وفتح (مدائن عدن ومسقط) وحاصر جزيرة (هرمز) عند مدخل خليج فارس ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التي أقامها البرتقاليون هناك. ولكن أخفق أمام ثغر (ديّو) بعد أن حاصره مدة ثم قفل راجعاً بالغنائم وفتح في أيام السلطان سليمان باقي إقليم اليمن وجعل ولاية عثمانية.

ويقال: إن بعض قلاع مسقط مكتوب عليها إلى اليوم أنها من بناء

العثمانيين. ثم بعد ذلك زحف العثمانيون إلى (جزيرة البحرين) براً من جهة قطَر فاضطر البرتقاليون إلى الانسحاب من سواحل الأحساء ومن جزيرة البحْرين ولم يبق لهم تعلق بالخليج بعد ذلك وكانت مدة بقاء البرتقال في خليج فارس نحو مائةسنة وقد جاء في التحفة الحليمية لصاحبها عبد الحليم الفارسي أن العثمانيين هم الذين أخرجوا البرتقال من الخليج جميعه ثم في أثناء اشتغالِ العثمانيين في حروب أوربا استولى الشاه عباس الأول الصفوي على الجزر التي في الخليج وفي ضمنها البحرين سنة (١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م) بعد أخذه جزيرة هرمز من البرتقال.

تملك الدولة الصفوية على البحرين

وفي سنة (١٠٣٩) هـ حصل اختلاف شديد بين أمراء جزيرة البحرين وكان أكثرهم من أبناء الشيعة فرفعوا شكواهم إلى الشاه عباس الأول الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعاً ومذهباً. وهو من الطبقة السادسة من ملوك فارس وكانت عاصمته أصفهان، (وهو من نسل الشاه إسماعيل الصفوي الذي نشر مذهب الشيعة في أرض الإيران بعد أن قتل أمماً وخلقاً كثيراً وأفنى كثيراً من علماء السنة وكان ظهوره وتملكه على مملكة العجم يعد من الأعاجيب فانتشر أمره وفتك في البلاد وسفك دماء العباد. وكان انتشار مذهب الشيعة في الإيران سنة (٩٠٦) وأرخه بعض أهل فارس بلغتهم فقال (مذهب ناحق) أي هذا المذهب ليس بحق.

ولما رفع أهل البحرين ضرر ما يجدونه من بعضهم بعضاً جهز الشاه عباس الأول جيوشه ووجهها نحو البحرين تحت قيادة الإمام قوليخان فاحتلت البلدة سنة (١٠٣٩) وهي فرصة كانت تنتظر منذ أخرج العثمانيون البرتقاليين منها.

وانضمت جزيرة البحرين إلى الممالك الصفوية. ونصبوا عليها أميراً من قبلهم يسمى سَوندك سلطان. وفي سنة (١٠٤٣) غرلوا سَوندك مَن إمارة جزيرة البحرين وتوجه إلى الإيران وقدم هدايا وتحفاً فاخرة للشاه عباس ومن جملتها سيف تيمورلنك فأعجب الملك بهذا السيف فخلع عليه وأكرمه وأعاده لإمارة البحرين مرة ثانية. ثم خلفه على جزيرة البحرين باباخان وفي سنة (١٠٧٧) رفع أهل البحرين شكواهم (للسلطان الصفوي) من تعديات باباخان وظلمه للرعية فعزله ونصب في محله الأمير سلطان ابن قزل خان واستقام على إمارة البحرين مدة. ثم خلفه عليها الأمير مهدي قُلي خان وبقى حاكماً عليها إلى سنة (١١١٣) حيث عزل عنها لظلمه وجوره ونصبوا في محله (قَزَّاغ سلطان) وأرخ بعضهم عزله بقوله:

مهدى قُلي صرفوه عن بحريننا   عام الفتور وحكموا قزاغا
ملأ الفجاج ببغيه وفجوره   فلذا أتي تاريخه (قدزاغا)

ثم في أيام الشاه عباس الثاني خرجت جزيرة البحرين عن سيطرته وانفصلت تمام الانفصال عن الممالك الإيرانية.

تحكم الشيخ الجبري على البحرين

وفي سنة نيف عشر بعد المائة والألف استقل بالبحرين الشيخ الجبري. وهو من بقايا الجبريين الذين كانوا يحكمون الأحساء فانقرضت دولتهم من الأحساء سنة (٩٩٩) كما بيناه في تاريخ الأحساء.

ولما استتب للشيخ الجبري الحكم على جزيرة البحرين جعل مقره قرية يقال لها (العَمرو) وبنى بها قلعتين على جبلين هناك متقابلين والبلدة بينهما. وكان له وزير يسمى (الشيخ فرير بن رحَّال) وسكناه (الرفا

الشرقي) وبنى به قلعة عظيمة ولتقادم السنين خربت تلك القلعة. ولما استولى الخليفيون على جزيرة البحرين سكن الشيخ سلمان بن أحمد (الرفاع) وبنى على أساس تلك القلعة قلعة محكمة البناء سنة (١٢٢٧) وهي باقية إلى اليوم كما سيأتي عند آخر ذكر (وقعة اخكيكيره).

ويقال إن سبب انقراض دولة الشيخ الجبري من البحرين هو أنه كان مغرماً بالنساء لم توصف له امرأة جميلة إلا سعى في طلبها إلى أن يتمكن منها حلالاً أو حراماً: فوافق في بعض الأيام أن أحد جلسائه جعل يصف له امرأة بالجمال الفائق. ودقة الخصر الرائق. وقال إنها إذا استلقت على ظهرها يمكن أن تمر الرمانة من تحت خصرها فتعجب الشيخ الجبري من ذلك وقال هل توجد امرأة اليوم بمثل ما وصفت. قال إن زوجة وزيرك الشيخ فرير هي أكمل حسناً مما ذكرنا. فشغف الشيخ الجبري بها وتاقت نفسه لرؤيتها ولو مرة. فوجه وزيره المذكور بهدايا إلى بعض الأمراء كالعادة وبعد مضيه بعث إلى زوجة الوزير المذكور وأمرها بأن تتهيأ لمجيء الحاكم إليها في ليلة معينة وشدَّد الطلب عليها في ذلك فخافت من بطشه فأجابت طلبه فلما أتى الحاكم إلى منزلها ليلاً زفت له جارية من خدمها فنام الحاكم معها حتى الصباح ظناً منه أنها هي زوجة وزيره الموصوفة بالحسن. لكنه لم يجدها على ما وصفت له. فلما قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى وأنها قد خدعت الحاكم بزفاف إحدى الخدم. فشكرها زوجها على حسن صنيعها وصيانة نفسها.

ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم وشرعاً يلعبان الشطرنج كالعادة. فانغلب الوزير فارتجل الحاكم بهذين البيتين (من النبط):

ذيب سرى في ظلام الليل كَلْ شانَكْ

كَلِ اللحم والشحم واروي مِشاشَاتَهْ

والصاحب اللي بعد تهوي مُماشاته
إنْ ردت لامـاه لاتُطرى لياشانَـهْ

معرِّضاً فيها بقصته مع زوجة الوزير ففهم الوزير مرمى كلام الحاكم وتألم من ذلك. ثم إنه جَدَّ في اللعب حتى غلب الحاكم وأظهر الوزير السُّرور وأنشد أبياتاً منها:

يا من حبل للبُطوط واصطاد عنقودهْ
هـاذاك بين الخلايـق شاع مفقوده

قاصداً بها إجابة الحاكم. فشعر الحاكم بالقضية وعرف بأنه خدع وتحقق لديه ما مر بخاطره حين اضطجاعه تلك الليلة في بيت الوزير. فحنق لذلك وسل سيفه وجندل وزيره في الحال. لأن المسألة وافقت المثل (لاعازه انقضت ولا سر انكتم) فلما خُبِّرت زوجة الوزير بقتله للقضية المذكورة خافت على نفسها وفرت إلى دارين وشرعت في تدبير الأخذ بثأر زوجها فأمرت صائغاً يصوغ لها صحناً من فضة ويجعل في وسطه نخلاً من ذهب طول ذراع مثمراً ذلك النخل بالجواهر الفاخرة فلما كمل على أحسن ما يرام قدمته هدية للشاه عباس الثاني الصفوي. وأغرته على استيلاء البحرين. وقالت للرسول: قل له ينظر إلى أرض البحرين وإلى شجرها وإلى ثمرها. وهذه الهدية عنوان على ذلك (والحال أنها من امرأة) فتاقت نفس الشاه عباس للبلدة. وأمر عامله الذي في شيراز واسمه (الله ويردى خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب فجمع (ويردى خان) جموعاً من أهل المحمرة ومن أهل القصبة وجهزهم تحت قيادة (خاجا معين الدين الفالي) فسار بهم نحو البحرين فبرز لهم الشيخ الجبري بجيش مؤلف من آل أبي مهير فتقابل الجمعان وحصلت بينهما معركة شديدة قتل فيها الشيخ الجبري

وتفرقت جموعه (فكان هو آخر الحكام من الجبريين بالبحرين) وانضمت البحرين إلى مملكة الشاه عباس.

وهكذا سمت همة هذه المرأة الفاضلة حتى أخذت بثأرها وانتصفت لنفسها ولزوجها. ولله در القائل:

فلو كان النساء كمن ذكرنا　　لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب　　ولا التذكير فخر للهلال

حكم الشيخ جبارة على البحرين

وفي أواخر دولة السلاطين الصفوية استبد الشيخ جبارة الهولي بأمر البحرين (وهو من أعراب بلاد فارس).

وسبب ذلك أنه لما رأى الفتوز في أمر الدولة الصفوية عصى ب تحت يده من الممالك وفي ضمنها جزيرة البحرين وادعى الاستقلال به وظلت تحت يده إلى أن قام نادر شاه كما سيأتي.

استيلاء نادر شاه على البحرين

لما ضعفت الدولة الصفوية ولم يبق من رجالها سوى طفل في المهد يسمى (الشاه عباس الثالث) قام نادر شاه الأفشاري بالدعوة لإعادة قوة دولته وذلك سنة (١١٣٢) وشرع في استرجاع بعض الممالك باسم هذا الطفل. ولما استرجع لهم معظم ما انسلخ من مملكتهم عرض الوزراء عليه السلطنة لنفسه فأبى ثم ألحوا عليه فقبلها منهم بشروط اشترطها عليهم فقبلوها منه.

وتوج بالسلطنة عام (١١٤٨) ونودي بنادر شاه ملكاً (وهو أول الطبقة

السابعة من ملوك فارس المعبر عنهم بالأفشاريين) ولما استتب له الأمر أرسل إلى عامله ميرزاتقي خان والي شيرازبأن ينتزع جزيرة البحرين من يد الشيخ جبارة فامتثل أمره وجهز عليها أفواجاً من عساكره واستولى عليها. وكان الشيخ جبارة غائباً بمكة المشرفة. وأما نائبه على البحرين فلم يستطع مقاومة جيش ميرزا تقي خان. ففر هارباً بنفسه واستولت عساكر (نادر شاه) على البحرين وذلك عام (١١٥٠).

وفي السنة الثانية جاء (سيف بن سلطان حاكم مسقط) إلى البحرين وهاجمها وقتل فيها قتلاً عاماً واستولى عليها سنة (١١٥١).

ثم في السنة الثانية وهي سنة (١١٥٢) صدر أمر نادر شاه إلى عامليه محمد تقي خان وكلب علي خان بأن يوجها همتها إلى قتل حاكم مسقط بأي وجه كان. فامتثلا أمره وتوجهت همّتهما نحوه حتى ظفرا به فقتلاه غيلة فبعد قتله تمكن نادر شاه من الاستيلاء على البحرين وعين عليها من قبله آل مذكور كما سيأتي. ونادر شاه هو الذي أراد أن يجعل بمكة مركزاً للشيعة كما تقدم في تاريخ مكة سنة (١١٥٧).

ولما تحقق أهل إيران بأن نادر شاه يميل إلى التوفيق بين أهل السنة والجماعة وبين إخوانهم الشيعة. ومنعهم من سب الصحابة علناً. غضبوا وأجمعوا على اغتياله فتمكنوا من قتله عام (١١٦٠) وأرخت وفاته بلفظ (غسق) وأرخها الإيرانيون بلسانهم (نادر بدرك رفت) بحذف ألف نادر.

فصل في إمارة آل مذكور
على البحرين

ولما استتب الأمر لنادرشاه على البحرين جعل عليها من قبله الشيخ غيثاً وأخاه الشيخ ناصراً آل مذكور. ويقال: إن نادر شاه هو الذي أمر

ببناء القلعة الواقعة جنوب المنامة المسماة اليوم (قلعة الديوان) التي كانت داراً للحكومة يومئذ.

وبقي الحكم في البحرين لغيث وناصر. إلى أن توفيا. فقام من بعدهم أخوهما الشيخ نصر آل مذكور. ثم استبد بالحكم وصارت البحرين في زمنه خاضعة لمملكة فارس اسماً فقط إلى أواخر دولة (الزنديين) وأول دولة «القاجاريين» أما دولة الزنديين فهم الطبقة الثامنة من ملوك فارس وأولهم كريم خان الزندي الذي حاصرت جنوده البصرة واحتلتها سنة (١١٨٨) كما بيناه في تاريخ البصرة.

وأما دولة القاجاريين فهم الطبقة التاسعة من ملوك فارس وأولهم محمد خان الخصي. قيل: ولد خصياً وقيل إن عشيرته خصته بسقيه دواءً مفتراً لآلة التناسل لقطع نسله رغبة في الملك من بعده وكانت مدة حكمه «١٣» سنة.

ثم في سنة (١١٩٧) حصل اختلاف بين أهل الزبارة وسكان جزيرة البحرين فاضطر الشيخ نصر آل مذكور لِأن يزحف بجيشه على الزبارة وساق جنوده، نحوها يقودها بنفسه وتواقع مع آل خليفة وجرت بينهما معركة فاصلة أسفرت عن انكسار الشيخ نصر وفراره إلى أبي شهر مخذولاً وترك البحرين فيضوية[1] فذهب إليها الخليفيون واستولوا عليها وعادت البحرين لأهلها العرب بعدما نزعها منهم الشاه عباس «زمن الشيخ الجبري» كما تقدم.

ثم إن الشيخ نصر آل مذكور استغاث بحكومة شيراز فلم تلتفت له لضعفها يومئذ. وذلك في أواخر دولتها. وأما كيفية استيلاء آل خليفة على البحرين والسبب في ذلك فسأذكره إن شاء الله مبسوطاً في الباب الثالث.

---

(١) يبدو - والله أعلم - أنه يقصد بهذه الكلمة: فوضوية أي: تسودها الفوضى لعدم وجود حاكم - أهـ مصحح ومعلق.

الباب الثاني

في نسب آل خليفة الكرام

اعلم أن النسابين قسموا العرب من حيث الوجود إلى قسمين: بائدة وغير بائدة. فالبائدة طسم وجديس وثمود وعاد وجرهم العمالقة. وغير البائدة قسمان: قحطان وهم العرب العرباء. وعدنان وهم العرب المستعربة. وينقسم العدنانيون إلى شعبين: ربيعة ومضر فبنو مضر مساكنهم بالحجاز وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم وبنو ربيعة كانت منازلهم بين اليمامة والبحرين إلى العراق وتنقسم ربيعة إلى عمارتين: بني كلب وبني أسد. فبنو أسد هم أهل جلد وعدد قال أبو عبيد: وقد دخل بنو أسد في عبد القيس. وتنقسم بنو أسد أيضاً إلى بطنين: جديلة وعنزة. فبنو جديلة منهم الإمام أحمد بن حنبل[1] وبنو عنزة كانت ديارهم عين النمر من برية العراق على

---

(١) نسبه - هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حسان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهْل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الخ ولد رضي الله عنه في ربيع ثاني سنة (١٦٤) وتوفي سنة (٢٤١) فعمره (٧٧) سنة مرض سبعة أيام ثم توفي رحمه الله تعالى. أهـ مؤلف.

ثلاث مراحل من الأنبار ثم انتقلوا منها إلى جهات خيبر فأقاموا هنالك وورث ديارهم غزية من طئ وكان مع بني عنزة أحياء من طئ وهم بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طئ[1] وكانوا ينتجعون معهم ويشتون في برية نجد وقد عَدّ الحمداني النبهانيين في أحلاف آل فضل. وتنقسم بنو عنزة إلى أفخاذ كثيرة أكبرها جُميلة بالضم. وتنقسم بنو جُميلة إلى فصائل أشهرها بنو عتبة وتنقسم أيضاً بنو عتبة إلى عشائر أكبرها وأشرفها آل خليفة وهم المقصودون بهذا التاريخ وقد عظمت هذه العشيرة حتى ساوت الفخيذة.

فنسب الشيخ خليفة الذي اشتهرت به هذه الفخيذة من عتبة[2].

ثم من جميلة ثم من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيجتمع مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميع بن سلامان بن نبت ابن حمل بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ابن تارح بن ناحور بن شاروخ ابن أرغو بن فالغ بن عابر وهو نبي الله هود عليه السلام وفيه يلتقي الحيان قحطان وعدنان. وإلى ذلك يشير القضاعي في منظومته (إلى عابر ألقى معدًّا ويلقاني) لأن قضاعة من قحطان بن عابر وعدنان يتصل بعابر وهو ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام وهو أبو العرب أجمع: البائدة. وغير البائدة وسام بن نوح عليه السلام ابن لمك بن متوشلح بن

---

(١) ونسبه- هوطئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو نبي الله هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقد سكن من آل نبهان مكة المشرفة جد المؤلف مع والده سنة (١٢٨٧) كما بينا ذلك في كتابنا المسمى (مؤنس العزب. بتذييل سبائك الذهب. في أنساب العرب) وستأتي ترجمة حال والد المؤلف في الأصل.

(٢) (تنبيه) يطلق لفظ العتوب أو بني عتبة على آل خليفة وعلى آل صباح وعلى آل ابن علي وما سواهم فبالتبعية لهم. أهـ مؤلف.

خنوخ هو نبي الله إدريس عليه السلام ابن اليارد ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث هبة الله عليه السلام ابن آدم أبي البشر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فصل في أماكن آل خليفة ومساكنهم

كان الشيخ خليفة هو وقومه بأرض (الهدار) من بلدان (الأفلاج) من نجد. وكان هو صاحب الرأي فيهم فاستحسن مبارحة نجد فظعن منه مع قومه ونزل بهم (الكويت) في القرن (١٢) هـ لأسباب مجهولة ربما كان القصد منها حب الاستقلال والسعي وراء تشييد مملكة يكون هو ملكها. وأقام بالكويت إلى أن توفي مأسوفاً عليه من أتباعه. مبكياً عليه من وراد فضله. فتقلد الأمر من بعده ابنه الشيخ محمد بن خليفة.

فحصل له من جور وتعديات أمراء (المحمرة) بني كعب الشيعة الذين كان لهم نفوذ ومطامع في تلك الجهات ما زهده في سكنى الكويت وحبب إليه الرحيل فظعن بقومه ونزل بهم في الزبارة من بر قطر.

ولم تكن الدنيا تضيق على فتى يرى الموت خيراً من مقام على هضم

والزبارة اسم موضع على الساحل تجاه جزيرة البحرين من جهة الجنوب كما بيناه (في تاريخ قطر) وأول من نزل (الزبارة) وعمرها الشيخ أحمد بن رزق ورغب الناس في سكناها بكرمه وبذل جوده. وبالعدل بين نزلائه. فأتتها العرب من كل فج فأسدل عليهم رداء إحسانه حتى تمولوا وصاروا يتجرون في اللؤلؤ فأتاها الشيخ محمد بن خليفة زائراً ولشراء اللؤلؤ منها فأمطر على أهلها من سحب فضله نعماً وافية. فبان لهم من أصالة رأيه وجليل سجاياه ما أوجب عليهم أن يرغبوه في الإقامة ببلدهم ليستفيدوا

من عطاياه ومساعدته. فأجاب طلبهم وأزاح وزرهم فبزغ به بدر سعدهم وسما به طود مجدهم. وجعلوه محط رحالهم. واتخذوه كعبة آمالهم. ولاغرو. (فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) فظعن من الكويت بمن يلوذ به واستوطن الزبارة. ولبث ينشر عليهم رايات حزمه وحلمه ويظهر لهم رايات ورعه وعلمه حتى آل الأمر لسكان الزبارة وهم يومئذ آل ابن علي. والجلاهمة. والمعاودة وغيرهم من عشائر العرب المقيمين هناك بأن يكلفوه تقاليد الحكم على بلدهم. فاقترح عليهم من الشروط الموافقة ما رآه صالحاً لرقيهم وموافقاً لرضاء الملك الديان الذي منحه نعمة الحكم عليهم فأجمعوا على تصويبها وقبولها.

وبذلك تم له الأمر والحكم. وكان لما ظعن الشيخ محمد بن خليفة من الكويت إلى الزبارة كان له من الولد خمسة أبناء أكبرهم الشيخ خليفة ثم الشيخ أحمد ثم الشيخ علي ثم الشيخ مقرن ثم الشيخ إبراهيم[1] ولما استقروا بأرض الزبارة واستتب لهم الحكم بها أراد أمراء قطر يومئذ (آل مسلم) أن يضعوا عليهم خراجاً فامتنع الشيخ محمد من إعطائهم ذلك وتُحصن في الزبارة ببناء قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة مِرير) كان قد بناها في الطرف الشمالي من بر قطر خصيصاً لهذه الغاية. وقد أرخوا بناءها بقولهم: (تمت بعز وعون الله حاميها) وذلك سنة (١١٨٢) وقد جاء هذا التاريخ فألًا حسناً على ما نالته تلك القلعة من المنعة والعز إذ قد تمكن الشيخ محمد

(١) ومن ذريته اليوم الشيخ خليفة والشيخ جاسم ابنا عبد الله ابن خليفة بن محمد بن إبراهيم المذكور. فالشيخ خليفة هو رجل ملازم التقوى والورع مع الزهد. وله شغف بمطالعة الكتب وأنساب العرب. وهو طلق المحيا عذب التلفظ أنيس المجالسة ولد سنة (١٣٠٢). وأما أخوه الشيخ جاسم فهو رجل طويل القامة ذو همة عالية. وله ولع شديد بالصيد. وكلاهما يتعاطيان البيع والشراء في اللؤلؤ وقت موسمه. أهـ مؤلف.

ابن خليفة من حفظ حكمه على تلك الأراضي وصد المهاجمين. وبقي حاكماً في الزبارة إلى أن توفي بها. فقام بالأمر من بعده أكبر أبنائه الشيخ خليفة ابن محمد. وفي أواخر سنة (١١٩٦) توجه الشيخ خليفة لأداء فريضة الحج وأقام أخاه الشيخ أحمد على الحكم مقامه وبعد أدائه فريضة الحج مرض بمكة المشرفة ثم توفي بها سنة ١١٩٧ وكان رحمه الله من العلماء العاملين والأتقياء الصالحين. وله منظومة في الرد على الوهابية نحو (٥٤) بيتاً مطلعها:

لك الحمد يا مولاي حمداً مؤبدا على نعم جُلَّى وأعظمها الهدى

إلى أن قال:

ويا بدعة ما قد سمعنا بمثلها تكفر كل الناس حتى الموحدا

وكان للشيخ خليفة كرامات مشهورة يتناقلها الناس. منها أنه قال لأصحابه (وهو يطوف بالبيت) ادعوا لأصحابكم فإنهم في ضيق.

فأرخوا ذلك اليوم. ولما قدم الحجاج إلى البحرين أخبروا بما قال فكان يوم هجوم الشيخ نصر على الزبارة كما سيأتي في الباب الثالث. ولاشك بأن ذلك لايكون من قبيل المصادفة بل تعدّ له كرامة تامة وهو حري بذلك رحمه الله.

الباب الثالث

في كيفية استيلاء آل خليفة على البحرين

وتداولها بينهم وما جرى في خلاله من الملاحم

ولما توطد حكم الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة على الزبارة شرع بعض عشيرته وأتباعه بالاشتغال في التجارة فكانوا يأتون جزيرة البحرين ويشترون منها اللؤلؤ ويسافرون به إلى أرض الهند فيبيعونه ويرجعون إلى بلادهم. وكان غالب سكان البحرين شيعة شديدي التعصب على إخوانهم السنيّين وكانوا يتغالون في إهانة واضطهاد كل سُنّي وطئ بلادهم للحرفة أو للتجارة.

فوافق في بعض الأيام أن اعتدوا على خدمٍ لآل خليفة جاءوا إلى بلدة في البحرين تسمى (سترة) لشراء جذوع النخيل فأدى ذلك إلى وقوع قتال بين خدم آل خليفة والبحارنة[1] كانت نتيجته قتل خادم لآل خليفة يسمى إسماعيل. فغضب لذلك أهل الزبارة جميعاً ثم إنهم أرسلوا إلى البحرين أناساً مسلحين في سفينة صغيرة للأخذ بثأر المقتول. فساروا إلى (سترة) وتقابلوا مع رهط القاتلين حتى تمكنوا من قتل غريمهم. ولكن بعد

(١) البحارنة في اصطلاحهم هم أبناء الشيعة فقط. أهـ مؤلف.

أن قتل معه نحو خمسة أشخاص ولم يقتل من أهل الزبارة أحد فعظمت المصيبة على البحارنة فتجمهروا واستغاثوا (بحاكمهم الشيخ نصر آل مذكور) فجهز لهم السفن مشحونة بجيش عظيم وتولى هو القيادة بنفسه ليثير النخوة والحماسة فيهم وسار الكل نحو قطر حتى أرسوا بسفنهم عند موضع يقال له (عشيرقا) ومشوا من هناك رجلاناً[1] إلى الزبارة وأحاطوا بها محاصرين لها. وطلبوا من أهلها سبي نسائهم وأطفالهم وخدمهم جميعاً وإلا وضعوا فيهم السيوف حتى يفنوهم عن آخرهم فعظمت المحنة على المسلمين واستكبروا هذه الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان فهان عليهم الموت في حفظ عرضهم وحفظ نسائهم وأطفالهم. واستصوبوا قول عنترة العبسي:

وإذا بليت بظالم كن ظالماً ... وإذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة ... خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولا تحفل بها ... واقدم إذا حق اللقا في الأول
واختر لنفسك منزلاً تعلو به ... أومت كريماً تحت ظل القصطل[2]
فالموت لاينجيك من آفاته ... حصن ولو شيدته بالجندل

وخرجوا إلى ميدان القتال بعد أن أبقوا شرذمة من الرجال عند النساء والأطفال. وقالوا لهم إن نصرنا الله فبها ونعمت وإن انكسرنا - لاسمح الله - فأنتم اقتلوا النساء والأطفال جميعاً ولاتدعوهم يصيروا أسارى في أيدي الشيعة. وبعد قتلهم فشأنكم والفرار للنجاة بأنفسكم. ولما تقابل الجمعان كان رئيس الزبارة وكيل حاكمها الشيخ أحمد بن محمد (لغياب أخيه الحاكم الشيخ خليفة في الحج كما أسلفنا) ودار بينهم الضرب والطعان

---

(١) أي: على أرجلهم. أهـ مصحح.

(٢) صحتها: القسطل بالسين لا بالصاد وهو: الغبار الذي يثور في الحرب نتيجة الكر والفر. اهـ مصحح.

وتطايرت الرؤوس عن الأبدان. وصاحت الأبطال على بعضها بأصوات يذوب منها قلب الجبان فنهض أهل (فريحة) وهم فخيذة من آل ابن علي[1] مساعدين لآل خليفة وشهروا سيوفهم وبرزوا إلى الميدان. فلم يلبث قوم نصر إلا ساعة من نهار، حتى أسفرت الواقعة عن انكسارهم فولوا الأدبار. وانتصر أهل الزبارة وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. وغلب هنالك قوم نصر وانقلبوا صاغرين وفروا بأنفسهم إلى سفنهم وذهبوا به إلى (أبي شهر) تاركين ساحة الوغى ملأى بجثث قتلاهم. ومن ذلك اليوم صغر أهل البحرين اسم الشيخ نصر وسموه (نَصُّورا)[2] وتسمى هذه الوقعة (وقعة نصور. وتدويل نصور) وذلك في ١٨ جمادى الثانية عام (١١٩٧) وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين:

وفي هذه المعركة آل سيفُ الشيخ نصر آل مذكور إلى (آل ابن سلامة) وهم عشيرة من آل ابن علي. ثم آل ذلك السيف إلى الشيخ سلطان بن سلامة. ثم إلى ورثته إلى سنة (١٣٣٢) حيث أهدى ذلك السيف إلى حاكم قطر الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثاني.

الفصل الأول

في حكم الشيخ أحمد بن محمد وهو الفاتح للبحرين

ولما تبين فشل الإيرانيين وانكسارهم أمام أقدام العرب وفرارهم إلى أبي شهر عبر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة إلى البحرين بقومه واحتلها.

---

(١) فريحه اسم قرية قرب الزبارة كانت تسكنها فصيلة من آل ابن علي. اهـ مؤلف.

(٢) هذا التصغير لم يأت على أي صيغة من الصيغ القياسية التي استعملها العرب، وكان القياس أن يسموه: نصيرا. أهـ مصحح.

وأرسل عائلة الشيخ نصر إلى أبي شهر خلف أبيهم وقد استدل بذلك على سعة أحلام آل خليفة ومكارم أخلاقهم العربية حيث إنهم لم ينتقموا من عدوهم الشيخ نصر بأسر عائلته أو إهانتها (كما قد أراد أن يفعل الشيخ نصر بهم) بل إن آل خليفة أكرموهم وأرسلوهم بغاية الحفظ إلى مأمنهم.

ولقد أرخ بعضهم استيلاء الشيخ أحمد الفاتح على البحرين (جزيرة أوال) بقوله (أحمد صار في أوال خليفة= ١١٩٧) فللّه در هذا المؤرخ الذي جمع هذه المعاني في هذا التاريخ فإنه ذكر الاسم والجد واللقب والحكم ومآله والإمارة والموضع والتاريخ. فينبغي أن يقال:

فإن لم يكن دراً فذاك نقيصة
وإن كان دراً كيف يهدى إلى البحر

ومن يومئذ اشتهرت هذه الفخيذة بآل خليفة إلى الآن ولم تزل إن شاء الله إلى منتهى الأزمان. خلد الله ملكهم وأعز شوكتهم. وجعل النصر حليفهم. فإنهم لم يزالوا خلفاء في الأرض يحكمون بين الناس بالقسط. كيف لا وهم أهل المجد الباذخ. والشرف الشامخ. الذين لم يظهر الله من نسلهم من يخالف أهل السنة والجماعة. مثل ما ظهر في غيرهم من أمراء المسلمين. وذلك بامتثالهم إلى قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) فإنهم لم ينفذوا أمراً مهماً إلا بمراجعة الأفاضل من العلماء وبمشورة الوزراء الأتقياء. وفقهم الله لذلك آمين.

ولما استتب حكم الشيخ أحمد بن محمد على البحرين ورتب أمور البلد عاد إلى الزبارة بعد أن جعل على البحرين أميراً من قبله. وجعل مقره في (قلعة الديوان) الكائنة جنوب المنامة. وصار الشيخ أحمد المذكور يأتي إلى البحرين زمن الصيف من كل سنة ولم تزل هذه عادته إلى أن أفلت شمسه

بها فدفن في مقبرة المنامة وذلك سنة (١٢٠٩) وأرخت وفاته بلفظ (رغده) مأخوذة من أبه في رحمة ربه في عيشة رغدة رحمه الله[١].

وبقي الأمر لبنيه فالشيخ سلمان هو الحاكم وسكناه (الرفاع) ووازره أخو الشيخ عبد الله وسكناه (المحرق) وأما أخوهما الثالث الشيخ محمد فإنه توفي بمسقط. وسيأتي سبب ذهابه إليها عند ذكر حكم الشيخ سلمان بن أحمد.

الفصل الثاني

في حكم الشيخ سلمان وهو الحاكم الثاني

تولى الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الحكم سنة (١٢٠٩) بعد وفاة أبيه. وكان حازماً عادلاً ورعاً فأحبته الرعية ودانت له القبائل. ثم في سنة (١٢١٢) نقل جميع عائلته وحواشيهم من الزبارة إلى البحرين وأنزلهم في القرية المسماة (جوًّا) وسبب ذلك الخشية عليهم من غارات سعود بن عبد العزيز الذي استفحل أمره في تلك المدة. بعد أن غزا بلاد المنتفق والقرية

---

(١) (تنبيه) الشيخ أحمد والشيخ مقرن أشقاء وخالهما عمرو بن سنان من ال مبارك من آل ابن علي. ودفن الشيخ أحمد بالمنامة كما تقدم في الأصل. ودفن أخوه الشيخ مقرن بالمحرق والشيخ علي والشيخ ابراهيم أشقاء وخالهما من آل أبي سدرة من آل الشيخ من آل أبي كوارة. ودفن الشيخ علي بالمحرق. وأما أخوه الشيخ إبراهيم فإنه توجه إلى البصرة سنة (١٢١٢) صحبة الشيخ أحمد بن رزق الشهير وبقي معه مدة ثم قفل راجعاً إلى البحرين وتوفي بها سنة (١٢٣٠) ودفن في سترة. وأما أخوهم الخامس الشيخ خليفة فأخواله آل صباح حكام الكويت وتوفي بمكة المشرفة سنة (١١٩٧) كما وضحناه في الباب الثاني فهؤلاء الخمسة هم أبناء الشيخ محمد بن خليفة فقط اهـ مؤلف.

المسماة بأم العباس فقتل منها وممن حولها خلقاً كثيراً ونهب وحرق ثم كرّ على بادية العراق ثم عطف على الأحساء والقطيف فتغلب عليها (كما بيَّناه في تاريخ نجد) فصار يخشى على الزبارة أيضاً من مهاجمته إياها فلذلك نقل الشيخ سلمان جميع عائلته منها.

وكان للشيخ سلمان من الولد ثمانية أبناء: الشيخ خليفة وأحمد ويوسف. وعبد الرزاق. وداود. ومحمد. وحمود. وعبد الوهاب.

فصل في تغلب حاكم مسقط

على البحرين

وفي سنة (١٢١٥) هجم حاكم مسقط السيد سلطان بن أحمد بأسطوله الشراعي على البحرين واستولى عليها بدون قتال لأن الشيخ سلمان لم يستحسن الحرب ولا المقاومة. لأنه قد عثر على بعض خطوط سرية جارية بين أهل البحرين وحاكم مسقط يرغبونه في الاستيلاء على بلادهم. وكان عثوره على تلك المكاتبات قبل هجوم حاكم مسقط بمدة وجيزةٍ لم يمكنه أن يأخذ الأهبة للدفاع عن وطنه والقبض على المفسدين. لاسيما وقد لاح له أن غالب جيوشه مخدوعة بعدم المقاومة. فاضطر إلى التسليم وجنح إلى الصلح بدون مقاومة مَا. على شرط أن تبقى له أملاكه وأمواله كما هي.

فقبل السيد سلطان بذلك بشرط أن يتخلى الشيخ سلمان عن البحرين تماماً وأن يدفع أخاه الشيخ محمداً رهينة عند حاكم مسقط يقتله إذا رأى من الشيخ سلمان المشار إليه تحفزاً للثورة فتم الصلح بين الطرفين على ذلك. فأرسل حاكم مسقط أخاه السيد سعيداً حاكماً على البحرين من قبله بعد أن أخذ الشيخ محمداً رهينة عندهُ فقدم السيد سعيد البحرين في السنة المذكورة

ونزل عند قرية يقال لها (عراداً) وبنى على ساحلها الغربي الشمالي (قلعة) منيعة تسمى اليوم (قلعة عراد) وهي باقية إلى اليوم ولكنها مهجورة آيلة إلى الخراب (وقد ذهبت إليها ولم أر فيها كتابة ولا علامة مفيدة بل ولم يكن على بابها تاريخ ينبئ عن بنائها).

ثم إن الخليفيين لما رأوا تحصن السيد سعيد في القلعة المذكورة أيسوا من استرداد البحرين فارتحلوا بعائلاتهم وأتباعهم جميعاً إلى الزبارة بلدتهم القديمة ولبثوا يتحينون الفرص إلى أن بلغتهم وفاة الشيخ محمد بن أحمد آل خليفة في مسقط سنة (١٢٢٣) حيث أصبحوا آمنين من الفتك بأخيهم المذكور.

فعمدوا بعد ذلك إلى أعمال الفكر والروية في استرداد البحرين ورأوا من الراجح أن يطلبوا من سعود بن عبد العزيز أمير نجد المساعدة بالمال والرجال. فأرسل لهم جيشاً تحت قيادة إبراهيم بن عفيصان وأتوا جميعاً إلى البحرين وتقاتلوا مع المسقطيين قتالاً شديداً حتى أجلوهم عن البلدة. واستولوا عليها وذلك سنة (١٢٢٤).

فصل في استيلاء أمير نجد
على البحرين وغدره بحكامها

كان الاتفاق بين سعود أمير نجد. والشيخ سلمان على أن ينجد الأول الثاني ويعينه على استرداد ملكه المسلوب. ولما تم لهما الظفر على السيد سعيد كان قد أضمر سعود في نفسه الغدر للشيخ سلمان وأوصى عامله ابن عفيصان أن يمنع آل خليفة من سكنى البحرين ومن التصرف بها إذا حصل لهم النصر. وإن رأى منهم شراسة أو حدة في طلب الحكم على بلدتهم

يطلب منهم أن يواجهوا مخدومه سعود بن عبد العزيز ويتحصلوا منه الإذن بإعادة البحرين لهم. فبعد النصر فعل ابن عفيصان ما أمر به فلم يرض الخليفيون على ذلك بل انتقلوا إلى الزبارة وهم يفكرون في حل مشكلتهم. وبقي ابن عفيصان أميراً على البحرين ومقر إمارته (قلعة الديوان).

ثم إن الخليفيين أرسلوا إلى سعود بن عبد العزيز يطلبون منه جلاء جنوده من البحرين بموجب نص الاتفاق المعقود بينهما.

فبينما هم كذلك وإذا بسليمان بن سيف بن طوق يقود سرية فدخل بها الزبارة واستولى عليها وألزم آل خليفة بالتوجه إلى نجد لمقابلة أميرها. فتوجه إليه منهم ثلاثة (الشيخ سلمان. والشيخ عبد الله أبناء الشيخ أحمد وابن عمهما الشيخ عبد الله بن خليفة) وصحبهم من أعيان الزبارة السيد عبد الجليل بن ياسين البصري صاحب الديوان الشهير. والسيد عبد الرحمن الزواوي ومحمد بن صقر المعاودة. فلما وصلوا إلى نجد وتقابلوا مع الأمير أمر آل خليفة بالبقاء عنده في الدرعية وأمر الباقين بالرجوع إلى بلدهم وذلك سنة (١٢٢٤) وأنشد لسان الحال يقول:

والمستغيث بعمرو يوم كربته كالمستغيث من الرمضاءِ بالنار

فلما حصل على آل خليفة ما حصل من الغدر الفظيع لم يسعهم إلا قول الشاعر:

تعلَّم شفاء النفس قهر عدوها وبادر بلطف في التحيل والمكر

فعند ذلك أرسلوا سراً إلى ابن أختهم الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فاضل وأخبروه بأن يحتال في أخذ البحرين وإخراج ابن عفيصان [illegible] أي صورة كانت. فامتثل أمر أخواله وشرع في التدبير لأخذ البحرين. فاظهر

بأنه متوجه إلى الهند للتجارة وركب سفينته المسماة (الجابري) فلما وصل (مسقطاً) نزلها وطلب من حاكمها (السيد سعيد بن سلطان) المساعدة فاعتذر السيد سعيد من المساعدة بالجنود وإنما أمده بشيء من المال وأهداه السيف المسمى (السلموني) وهو من سيوف العرب المشهورة. وقد آل هذا السيف أخيراً ليد سمو الشيخ محمد ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة وهو باق بيده إلى حال التاريخ.

(تنبيه) كانت عادة آل خليفة إذا ضايقهم أمير نجد استعانوا بحاكم مسقط. وإذا ضايقهم حاكم مسقط استعانوا بأمير نجد. كما هو شأن دهاة السياسة الذين ينالون الفوز باستخدام أعدائهم.

فصل في كيفية استرجاع البحرين

بواسطة الشيخ عبد الرحمن آل فاضل

ولما تحصل الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فاضل على المدد من حاكم مسقط توجه إلى (فارس) وقصد حاكمها الشيخ جُبارة[1] وجند بمساعدته رجالاً بالدراهم من فارس. وبعد ذلك أرسل سراً إلى أبناءِ آل خليفة الموجودين في الزبارة. وهم خليفة ابن الشيخ سلمان. وحمد. وراشد أبناء الشيخ عبد الله. وأخبرهم بأنه قد تحصل على المدد وتواعد معهم في يوم معين للهجوم على البحرين.

فلما قرب منها خرج له الخليفيون المذكورون بجيش مؤلف من أخوالهم آل ابن علي وانضموا إلى ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن المذكور وساروا

(١) يقال إنه من النصور قبيلة من العرب سكنت فارساً أهـ مؤلف.

نحو البحرين وتواقعوا مع جيش ابن عفيصان حتى كسروه وأخرجوه هو وقومه منها صاغرين فسار ابن عفيصان إلى (قطر) ونزل عند رحمة بن جابر الجلاهمة في موضع يقال له (الخوير) وهو شرقي الزبارة.

ولما تم النصر لآل خليفة مع ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن على البحرين واستولوا عليها كان ذلك في سنة (١٢٢٥) وبعد أن استتب لهم الأمر فيه نقلوا إليها جميع عائلاتهم من الزبارة. وجعلت العرب تنسلل سراً إلى البحرين تبعاً لآل خليفة. وخوفاً من جور أمراء نجد. فخاف سليمان سيف ابن طوق المذكور من خلو الزبارة فمنع القبائل من الظعن منها. فلم يلتفتوا إلى قوله بل جعلوا يفارقونها جمعاً ووحداناً. حتى بقيت الزبارة خاوية على عروشها. فانسحب منها سليمان بن طوق إلى الأحساء.

فلما بلغ سعود بن عبد العزيز خبر خروج عامله (ابن عفيصان) من البحرين قهراً، وأن الشيخ عبد الرحمن قد استولى على البلدة مع أبناء آل خليفة الباقين في الزبارة أخذ بالمذاكرة مع آل خليفة المعتقلين عنده في شأن البحرين فلاموه على التفريط في وضع عمال ضعفاء حتى فرطت البلدة من يده ومن يدهم. فسألهم عن التدبير في ذلك. فقالوا له أطلق سراحنا حتى ننظر في أمرها لعلنا أن نتمكن من استرجاعها فنشترك معك فيها فامتنع من إرسالهم جميعاً. ولكن ترجح لديه إرسال أحدهم فأطلق سراح الشيخ عبد الله بن أحمد وأصحبه مع رجال ثقات من قومه ليعرفوا رأي الشيخ عبد الرحمن آل فاضل: هل أخذ البحرين طمعاً في الملك لنفسه أم أخذها مساعدة لآل خليفة؟.

فلما وصلوا إلى البحرين أظهر الشيخ عبد الرحمن لهم الجفاء والغضب وأخشن لهم القول وذلك بإشارة له من آل خليفة الذين في نجد. ثم إن رجال سعود خاطبوا الشيخ عبد الرحمن (وقالوا له: كيف يتجرأ العيال على أخذ

البحرين وآباؤهم في قبضة الإمام) فقال لهم: دونكم والعيال فإنهم حاضرون. فتقدم لهم الشيخ خليفة ابن الشيخ سلمان وهو أكبر الأبناء وقال لهم: نحن أخذنا البحرين لأنفسنا ولاحاجة لنا بآبائنا فإننا قد يئسنا منهم وسمينا بأسمائهم فغضب لذلك رجال سعود وقالوا: كل ذلك مكيدة من الشيخ عبد الرحمن. وخاطبوه بقولهم (لو كان يمكن للخف والحافر أن يطأ البحرين لنثرناها حصاة حصاة) فأجابهم الشيخ عبد الرحمن وقال لهم: إذا وصلتم عند إمامكم فقولوا له: (لو يمكن لقبّيت الجابري[1] أن يطل على الدرعية لجعلنا عاليها سافلها ولما تركناه ينام بها ليلة سوداء) فلما رجع رجال سعود وأخبروه بما جرى أيس من البحرين وأطلق سراح آل خليفة المعتقلين عنده وأسلمهم (ورقة حوالة) على عامله بالحسا ليستلموا بها بعض الدراهم المساعدة على استرجاع ملكهم المسلوب. ولكنهم لما بارحوا الدرعية أتوا جميعاً إلى موضع يقال له: (الصفيرة. وقيل: إلى نقع أعجمي) وكان قد أعدَّ لهم الشيخ عبد الرحمن هناك سفناً لنقلهم بإشارة منهم أيضاً وبعد خروجهم من نجد أرسل (رحمة بن جابر الجلاهمة) رسولاً إلى سعود بن عبد العزيز يحذره من إطلاق آل خليفة المعتقلين عنده وذلك بإشارة من إبراهيم بن عفيصان الذي نزل عنده بعد هزيمته من البحرين فندم سعود على ما فرط وعلم أنها مكيدة من ابن أختهم وأنهم إن وصلوا البحرين يصعب استرجاعها فأرسل وراءهم سرية لترجعهم إليه (ولكن سبق السيف العذل) إذ أدركتهم السرية وهم على ساحل البحر وقد ركب غالبهم السفن فتراميا بالبنادق حتى قتل رئيس السرية وفرّ الباقون بأنفسهم وأتى آل خليفة إلى البحرين واستلموا زمام المملكة من ابن أختهم. وتسمى هذه المسألة (نزول المحرق من بعد الزبارة) وذلك سنة (١٢٢٥) هـ.

(١) القبيت اسم لأنف السفينة. أي: لو يمكن لأنف سفينتي المسماة بالجابري أن تشرف على بلدتكم لجعلنا عاليها سافلها. الخ اهـ مؤلف.

وقعة خكيكيرة

لم تقف همة الخليفيين عند تملك جزيرة البحرين فقط بل رأوا من الواجب أن يثأروا من إبراهيم بن عفيصان ومن مساعده رحمة بن جابر الجلاهمة[1] وحال ما وطئوا البحرين توجهوا منها بأسطول من السفن الشراعية للإيقاع بهما. وكان (رحمة وابن عفيصان) قد تأهبا واستعدا لمحاربة آل خليفة مؤملين في استرداد البحرين منهم. وقد تربَّص الخليفيون حتى خيم الليل فأتَوا وأرسوا بسفنهم أمام (الخوير) وهو موضع على ساحل قطر يقيم فيه رحمة وابن عفيصان.

فلما رأى رحمة ضوء مصابيح السفن قال لابن عفيصان إن تعبيتها (أي مرساها) ينبئ بوجود الشيخ عبد الله بن أحمد فيها (فأجابه بن عفيصان متهكماً) أما وقد علمت بوجود الشيخ عبد الله مع المحبوسين عند سعود. ومع ذلك فإني أودّ أن أعرف الدليل الذي بنيت عليه نبوءتك فقال رحمة: إن تعبيتها تعبية قائد خبير لايمكن أن يكون غير الشيخ عبد الله. ثم أراد أن يُحقق ذلك فاستدعى بزورق ووضع فيه سراجاً وأمره بالوقوف وراء تلك السفن.

فلما وقف الزورق ورآه الشيخ عبد الله خشى بأن يكون ذلك ضوء سفن رحمة. فأمر في الحال سفنه بأن تقلع وتقف وراء ذلك الضوء دفعاً لهجوم

---

(١) رحمة الجلاهمة كان رجلًا عزيزاً في قومه ولعزته لم يدن لطاعة آل خليفة من كل وجه لأمور في نفسه فجعل يشن الغارات عليهم كما سيأتي في الأصل عند ذكر وقعاته حسداً منه:

لايُحسد المرء إلا من فضائلــه … بالعلم والظرف أو بالبأس والجودِ

اهـ مؤلف.

يجعلها محصورة بين السفن والبلدة فلما رأى رحمة ذلك تيقن بأن الشيخ عبد الله هو قائدها ولاشك وتعجب من مقدرته الحربية وإتقانه أفانين الدهاء والسياسة.

ثم إنه أمر سفنه وأشهرها سفينته الخصوصية المسماة (المنوار) بالخروج إلى عرض البحر لردِّ غارات سفن الخليفيين. ولما أسفر الصباح وتراءى الجمعان قال رحمة لابن عفيصان إني أرى من الحزم ألّا نتقابل مع الخليفيين لأنه ليس لنا قوة على قتالهم فغاظ ذلك ابن عفيصان وظنه جبناً من رحمة. وأمر رجلًا من قومه بأن يُحَوْرب[1] بهذا النبط:

لاخير في رجل يجر جريرة   وإذا تضايق دربها خلّاها

فغضب رحمة واعتزى وقال (لابالله ما يخليها) وأمر برفع الشراع وبرز للقتال حتى اشتبكت السفن ببعضها ولاصقت سفينة راشد بن عبد الله سفينة رحمة فجاء أبوه الشيخ عبد الله ولاصق سفينة ابنه راشد من الجانب الآخر وحمي وطيس القتال بين الفريقين حتى قتل راشد بن عبد الله بعد أن قتل من الجانبين خلق كثير. وكان من شدة إطلاق الرصاص بين الجانبين اشتعلت النار في شراعي سفينتي رحمة وراشد فاحترقت السفينتان ونجت سفينة الشيخ عبدِ الله المسماة (الطويلة) وقد أدى ذلك إلى انكسار ابن عفيصان ورحمة وفرارهما على لوح من خشب السفينة المحروقة بعد أن أصِيب رحمة في يده اليمنى بجراحات مبرحة. وبينما كانا عائمين قال رحمة لابن عفيصان يذكره صدق نصيحته ويوبخه على تركها (هل رأيت حرب العتوب)؟ وهل تحقق أنهم أقوى منا؟ أم هل يحتاج إلى برهان آخر؟ فخجل وسكت.

---

(١) يحورب أي يتحرش للحرب بالشعر ليثير الحماسة والنخوة في قلوب الرجال لأن العرب تهتز أسنتها بالشعر. اهـ مؤلف.

وتسمى هذه الواقعة (وقعة خكيكيرة) وذلك سنة (١٢٢٥) وخكيكيرة اسم موضع في البحر بين الزبارة والفريحة. وبعد انتها هذه الواقعة اختار الشيخ سلمان بن أحمد سكنى (الرفاع) فنزله ثم بنى به (قلعة عظيمة) على أساس قلعة فِرير بن رَحَّال وزير الشيخ الجبري كما تقدم. سوى أنه اختصرها وجعلها أصغر من البناء الأول. ولما تم بناؤها كتبوا على إحدى مصراعي الباب (خيم السعد بقصرك) وعلى المصراع الآخر (جاء خير بقصرك) وكل جملة هي مشتملة على تاريخ بناء القلعة وهو سنة (١٢٢٧). وجعل الشيخ سلمان بلدة الرفاع قصبة حكمه. وحفر غربي القلعة المذكورة البئر المشهورة (بالحنينية) والقلعة باقية إلى اليوم يسكنها بعض الخليفيين ووصلتها سنة (١٣٤٠) ورأيت ذينك التاريخين المذكورين منقورين في مصراعي باب القلعة بوضوح تام.

واختار الشيخ عبد الله بن أحمد سكنى المحرق ونزلها وبنى بها أيضاً قلعة في (حالة أبي ماهر) تسمى اليوم (قلعة أبي ماهر) وهي خربة مهجورة منذ وقعة الضلع الآتي ذكرها سنة (١٢٨٦).

وقعة المقطع

وتسمى دولة الإمام في سترة

إن الظفر الذي حازه آل خليفة أشعل نار الحسد والبغضاء في قلب (رحمة الجلاهمة) حتى تركه لايقر له قرار ولا يهدأ له بال إلا بالإيقاع بآل خليفة. ولما كان عاجزاً عن مناجزتهم ومقابلتهم عمد إلى أخذ ثأره ولكن من طريق المراوغة والختل. فأرصد سفينته لقطع طرق البحرين بنهب وقتل من يسابلها من الباعة والتجار وربما اغتنم الفرصة فنهب بعض

أطراف البلد. ولما لم يظفر بطائل توجه إلى مسقط فقابل حاكمها (السيد سعيد بن سلطان) وأطمعه في أخذ البحرين فجنح إلى قوله وأجاب طلبه.

وكانت عادة تجار البحرين السفر إلى الهند لبَيْع لآليهم وابتياع الأمتعة من الهند فدخل مسقطاً أناس من أهل البحرين منهم عبد الرحمن ابن راشد آل فاضل بسفينته المسماة (الجابري) ومحمد بن مقرن بن محمد آل خليفة بسفينته ومحمد بن صقر المعاودة بسفينته (التوكلي) وسيار بن قاسم المعاودة بسفينته (السلطاني) فقبض عليهم حاكم مسقط وسجنهم في قلعة هناك تسمى (برج موزة الجلالى) وكانت فيه إذ ذاك أخته موزة بنت سلطان.

ثم إنه كتب إلى أهل البحرين كتاباً يطلبهم بالدخول في طاعته والانضمام تحت رايته. ولما علم المسجونون بذلك تمكنوا من إرسال شخص سِراً إلى البحرين ليشعر حاكمها بأن يجيب حاكم مسقط (بأن يقتل مَن عنده من أمراء وتجار البحرين لأنهم في غنى عنهم وقد أيسوا منهم وقد سموا أبناءهم بأسمائهم) فلما وصل خط حاكم مسقط إلى الشيخ سلمان حاكم البحرين وفيه: (إما أن تدخلوا تحت الطاعة وإلا قتلت من عندى من أتباعكم) فأجابه الشيخ سلمان بما ذكر.

فجهز حاكم مسقط جيشاً بحرياً وسار به نحو البحرين وكان في صحبته (رحمه الجلاهمة) ونزلا بالجيوش في موضع على ساحل (مدينة سترة) واستقاموا بها ثلاثة أيام ولم تبرز لهم جيوش البحرين فقال السيد سعيد لرحمة (عتوبك غابوا) أي ماتوا قاصداً بذلك تحقير قبيلة العتوب فغضب لذلك (رحمة) لأنه عتبى وقال له إذا أصبحنا ولم تظهر أعلامهم فاعلم بأنهم غابوا وكان رحمة قد بلغه خبر مبيتهم في موضع يقال له (جدي علي) فلما أصبحوا ظهرت أعلام أهل البحرين من بين النخيل فقال رحمة للسيد

(هؤلاء عتوبي ظهروا فتوكل على الله) وكان الشيخ سلمان قد خرج لهم بجيشين: مشاة تحت قيادته ومعه أخوه الشيخ عبد الله والجيش الآخر فرسان تحت قيادة ابنيه خليفة وأحمد ابني سلمان فلم يَكُ إلا ساعة من نهار حتى أسفرت المعركة عن انكسار أهل مسقطِ فولوا الأدبار. وأخذ الشهرة في هذا الميدان الشيخ خليفة بن سلمان. وفاق على الأبطال والأقران وعلا العدو بالسيف والسنان. وصار النصر حليف الخليفيين وقتل في هذه المعركة أخو حاكم مسقط السيد سالم بن سلطان وقتل من أعيان أهل البحرين قاسم بن درباس من الشظيب من آل ابن علي. والشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة وأحد أولاد الشيخ عبد الله وتسمى هذه الواقعة (وقعة المقطع، أو دولة الإمام في سترة) وذلك سنة (١٢٣٠) وإلى هذه الواقعة أشار محمد بن عثيمين في قصيدته العينية التي مدح بها سمو الشيخ محمد بن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة بقوله:

ويوم أتاهم باللهام[١] يقوده	سعيد بن سلطان على الحرب مجمعا
سفيناً كملتف الإشاء[٢] يسوقه	لمورد حتف لم يجد عنه مرجعا
فثاوره قبل الوصول ضراغم	خليفية تستعذب الموت مشرعا
وَسَاقَوْهُ كأساً مرة الطعم علقة[٣]	على كرهه أضحى لها متجرعا
فأدبر لايلوي على ذي قرابة	ومازال مزءود[٤] الفؤاد مروَّعا
وما كان خوّارا ولا متبلدا	ولكن من لاقى أشد وأشجعا

---

(١) الجيش العظيم. اهـ. مصحح.
(٢) يظهر أن صحتها - والله أعلم - الإشاب أي: الشجر الكثير الملتف إلى حد أنه لايجاز فيه لكثرته. اهـ مصحح.
(٣) يظهر أن صحتها - والله أعلم - علقما.
(٤) أي: ممتلئ الفؤاد فزعاً اهـ مصحح.

ثم لما انكسر السيد سعيد أمام ضراغمة الخليفيين ورجع إلى مسقط همّ بقتل أمراء وتجار البحرين المسجونين عنده فنهته أخته (موزة) وَأَنَّفَتْهُ من الفتك بهم حيث إنهم أمسوا في جوارها ولأنهم أسارى في يده ولا فخر في قتلهم وقالت له (دوّل على البحرين) أي جهز عليهم مرة ثانية وخذ بثار أخيك فحشد جنوده وسار بهم فلما وصل إلى (جزيرة قيس) بلغ خبره لحاكم البحرين الشيخ سلمان ابن أحمد فأرسل له وفداً من وجهاء البلدة تحت رئاسة السيد عبد الجليل ابن السيد ياسين الطباطبائي والشيخ حمد بن عبد الله بن أحمد فذهب الوفد إلى (جزيرة قيس) وتفاوضوا معه في الصلح فتم بينهما الصلح على ما يرام ولكن فرض عليهم مبلغاً عظيماً من الدراهم يؤدونه إليه سنوياً فقبلوا ذلك منه ثم في الوقت نفسه تنازل لهم عن ثلاثة أرباع مطلوبة كرامة منه للوفد في خبر طويل.

وأطلق سراح المسجونين من أهل البحرين ورجع إلى مقر حكمه ودفع الخليفيون ربع ذلك الخراج الذي تقرر على يد الوفد بضع سنين ثم قطعوه عنه وبقي الشيخ سلمان بن أحمد حاكماً على البحرين إلى أن توفي سنة (١٢٣٦) فصار الحكم لأخيه الشيخ عبد الله ولكن نفوذه كان مقتصراً على المحرق فقط وأما أمور قصبة الرفاع فالقائم بشئونها المهمة ومعاشات الجيوش فهو الشيخ خليفة والشيخ أحمد ابنا سلمان بل ربما عُبِّر عنهما بأنهما استقلا بجزيرة المنامة. وفي السنة المذكورة حصل في البحرين طاعون شديد يسمونه الضرب الأول.

الفصل الثالث

في حكم الشيخ عبد الله وهو الحاكم الثالث

تولى الملك الشيخ عبد الله بن أحمد بعد وفاة أخيه سنة (١٢٣٦) وكان

حازماً منصفاً فأحبته الرعية وعاضده ابنا أخيه الشيخ خليفة والشيخ أحمد ابنا الشيخ سلمان ولكنه لم يصفُ له الحكم لكثرة ما حصل في زمانه من الفتن والثورات وخروج بعض الرعايا عليه فقضى حكمه في كدر عظيم كما سيظهر لك منها.

محاربة رحمة ومقتله

بالرغم على ما أصاب رحمة الجلاهمة من الفشل والاندحار في الوقايع المتقدمة زمن الشيخ سلمان لم يقنط من أخذ الثأر ولم تقعد همته عن الأمل بالفوز ونوال الأمنية فأعاد الكرة بقطع طرق البحرين يقتل الأنفس ويسلب الأموال. فلما كانت سنة (١٢٤٢) دخل ذات يوم القطيف بسفينته المسماة (غطروشة) فجرد عليه الشيخ عبد الله السفن مملوءة بالمقاتلة وخرج بنفسه يقودها وبمعيته الشيخ أحمد بن سلمان. فلما وصلوا (ميناء القطيف) حاصروه هناك.

فلما رأى رحمة أنه قد أحيط به شمر عن ساعد الجد وأمر برفع شراع سفينته وأقبل بها عليهم موجهاً صدر سفينته على وسط كل سفينة تعارضه لأجل أن يكسرها فتغرق. فتنحى الكل عنه حتى خرج إلى عرض البحر فَكَرُّوا عليه وأحْدَقُوا به من كل جانب وجعلوا يهاجمونه بصدور سفنهم في بادئ الأمر (كعادتهم في الحرب البحرية بالسفن) وكان رحمة قد كف بصره آخر عمره فجعل يسأل قومه عن السفن الهاجمة عليه ومَن رئيسها فيخبروه وهو يقول: هذا لايجسر على مقابلتنا وهذا سفينته ما تلحقنا. ومع ذلك فإطلاق الرصاص من البنادق متبادل بين الطرفين حتى أقبلت سفينة فأخبروه بأن رئيسها الشيخ أحمد بن سلمان (فقال هذا يطابقنا ولابد لأن جنبه لم يلامس ناعمات الأبدان) أراد بذلك أنه لم يتزوج. وفي المثل: (مفعول الشباب أمضى من حد السنان).

ثم بعد قتال شديد لاصقت سفينة الشيخ أحمد المذكور سفينة رحمة فتجالد الفريقان بالسيوف واشتد بينهم الضرب والطعان وتقارعا بأنواع الأسلحة الحديدية. وكان بجانب رحمة ابن له صغير وعبده المسمى (طرّار) واقف على رأسه فجعل يسألها عن المصادمات وعمن قتل حتى وصل أعداؤه إلى (الصَّارِي) أي الدَّقَل. ثم إلى الحاشية. ثم إلى (النيم) أي سطح مؤخر السفينة وكان حينئذ جالساً في خزانة السفينة فأخذ ابنه وجعله في حجره ثم عمد إلى نارٍ في رأس (النارجيلة) التي كان يشرب منها الدخان فألقاها في ذخيرة البارود التي كانت تحته فانفجرت السفينة بهم وقتل هو وابنه ومن معها متأسيًّا بقول الزبَّاء (بيدي لابيد عمرو) وتسمى هذه الواقعة (ذبحة رحمة الجلاهمة) وذلك سنة (١٢٤٢) هـ.

وقعة قزقز

وبعد مرور سنتين على مقتل (رحمة بن جابر الجلاهمة) توجه ابنه بشر إلى مسقط لتحريض حاكمها السيد سعيد بن سلطان على مهاجمة البحرين متخذاً امتناع حاكم البحرين عن دفع (الدراهم) التي صار عليها الاتفاق بعد (وقعة سترة) وسيلة لإلقاء البغض في صدر حاكم مسقط وإغرائه بإشهار الحرب على أهل البحرين انتقاماً لأبيه فحازت أقواله موقعها من القبول.

فجهز السيد سعيد سفناً كثيرة شحنها بالجنود وسار بها حتى أرسى على ساحل البحرين أمام قرية يقال لها (الجفير) ثم أنزل جنوده إلى البر.

وكان لما علم الشيخ عبد الله بقدوم أعدائه حشد من جنوده جيشين مشاة وفرساناً فالأول تحت قيادته والثاني تحت قيادة الشيخ خليفة بن سلمان وبرز الكل للميدان، في موضع يقال له (قزقز) ولما التقى الفريقان وحمي

وطيس القتال أخذت سيوف عساكر البحرين مأخذها من المسقطيين وولوا الأدبار فطاردهم الفرسان، بجياد كأنها العقبان. حتى اضطروهم إلى اقتحام البحر طالبين سفنهم فغرق الكثير منهم. ولقد كان يصيد أهل البحرين السمك بعد مضي شهرين من الواقعة فيجدون في بطونها بعض أعضاء المسقطيين.

وقد غنم حيش العتوب من المسقطيين سفينة شراعية كانت خصيصاً لركوب قائد الأسطول الشراعي (السيد سعيد) ثم إن بعض أبناء آل خليفة الصغار تشاجروا على امتلاك تلك السفينة فأمر الشيخ عبد الله عليها فأحرقت قطعاً للنزاع الحاصل بين الفتيان.

وقد حضر هذه الواقعة (مزيد بن هذال) مع خمسين رجلاً من قومه (العمارات) نصيراً لآل خليفة. أتاهم زائر فحصلت الواقعة فانضم وبرز معهم لميدان الوغى. وتسمى هذه الواقعة (وقعة قزقز) وذلك سنة (١٢٤٤) وقد أرخوها بقولهم (بالله سعيد غُلب = ١٢٤٤) ويقال إن عدد قتلى وغرقى المسقطيين نحو (٣٠٠٠) شخص ويستشهدون لذلك بقول أهل مسقط أنفسهم من قصيدة نبطية.

(عجايب يا بني عتبة عجايب ثلاثة آلاف ما فيهم شايب)

وأما خسارة أهل البحرين فطفيفة جداً قتل فيها شخص يقال له (ابن عرفة) وأما الجرحى فكثيرون.

وقعة سيهات

أو حرب القطيف

وفي سنة (١٢٤٩) تجدد الخلف بين الشيخ عبد الله حاكم البحرين وبين

تركي بن عبد الله أمير نجد فجهز الأول جيشاً بحرياً وسار به إلى (دارين) ففتحها. ثم تقدم إلى (تاروت) فاحتلها أيضاً ثم سار بسفنه إلى بلدة (سيهات) وهي بلدة من ملحقات القطيف فحاصرها فجهز تركي بن عبد الله جيشاً تحت قيادة ابنه فيصل فسار به حتى نزل (المريقيب) وهو موضع غربي سيهات. وبدأ القتال بين الفريقين فصار جيش البحرين ينزلون إلى البر نهاراً للقتال ويعودون إلى سفنهم ليلاً.

وكان في مدة الحصار والقتال توفي الشيخ خليفة بن سلمان في سفينته فنقل عليها إلى البحرين ودفن بها. ودام الحصار نحو (٤٠) يوماً. ثم تبين لأهل سيهات سوء العاقبة وعلموا بأنهم مهددون بخطر عظيم إذا فتحت بلدتهم عنوة حيث يكونون طعمة وسلباً للجيشين المدافع والمهاجم هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن تقليدهم مذهب الشيعة قد عرضهم لاضطهاد أمراء نجد الوهابيين وظلمهم إياهم.

وتأكدوا عدل آل خليفة وحلمهم فراسلوا الشيخ عبد الله وعرضوا عليه تسليم البلد له على أن يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم فقبل ذلك ووفى لهم به واستولى على البلدة.

ومع ذلك فقد دام القتال مع النجديين مدة غير قصيرة بعد احتلال البلدة إلى أن بلغ فيصلا خبرُ قتل أبيه في نجد بيد ابن أخته مشارى بن عبد الرحمن السعود وكان ذلك في أواخر سنة (١٢٤٩) فاضطر فيصل للانسحاب عن سيهات إلى الأحساء ومنها توجه إلى الرياض حيث حاصر فيها قاتل أبيه. واشتد بينهما القتال أياماً ثم إن فيصلًا عرض على ابن عمته (مشارى) الأمانَ على أن يخرج من البلدة فأبى (مشارى) وثبت يقاتل ويدافع عن نفسه إلى أول سنة (١٢٥٠) حيث تمكن جمع من محبي فيصل

وفتحوا له باب السور فدخل فيصل البلدة وحاصر (مشارى) في بيته فدافع عن نفسه مدافعة الأبطال حتى قتل. وكان قتله بعد مضي نحو (٤٠) يوماً على قتل تركي بن عبد الله كما بيناه في تاريخ نجد وقد قتل في حرب سيهات قائد جيوش فيصل المسمى (البواردي) وقتل من الفريقين خلق كثيرون. وتسمى هذه الحرب (وقعة سيهات) ويسميها أهل نجد (حرب القطيف) وذلك سنة (١٢٤٩) كما تقدم.

وكان لما انسحب فيصل عن سيهات اكتفى الشيخ عبد الله بها وعين عليها أميراً من قبله وقفل راجعاً إلى البحرين إذْ لم يبلغه مقتل تركي ولا القتال الحاصل في نجد. ثم بعد مدة بلغه ذلك فشرع يتأهب مرة ثانية للزحف على القطيف ولكن قبل تكامل قوته حدث بينه وبين أولاده خلاف أدّى إلى (وقعة الحويلة) الآتي ذكرها. فاشتغل بتلافي ذلك الخلل عن فتح القطيف وغيرها. وآل ذلك النزاع إلى ضعف مملكة البحرين وضياع سيهات وغيرها وهكذا كل شقاق داخلي يؤدي إلى خلل خارجي. قال تعالى: ﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1].

وقعة الحويلة

كان للشيخ عبد الله بن أحمد عشرة أولاد: وهم مبارك. وحسن. وناصر. وحمد. وراشد. ومحمد. وأحمد. وعلي. وحمد الثاني. وراشد الثاني. وقد سمي الأخيرين باسمي أخويها اللذين قتلا في حروبه.

وكان أخوال (محمد وأحمد وعلي) من قبيلة (آل ابن علي) المشهورين بالشجاعة والثبات ووفرة الأموال. فحاول هؤلاء الأبناء الثلاثة انتزاع

(١) سورة الأنفال/٤٦.

الملك من يد أبيهم معتمدين على توفر قوة أخوالهم الاقتصادية والسياسية. فبارحوا البحرين مغاضبين أباهم ونزلوا (الحُويلة) بالتصغير اسم قرية في الطرف الشمالي من بر قطر. فاسترضاهم أبوهم وحذرهم عاقبة الغرور، والانشقاق. فلم يراعوا حقوقه ولا منزلته بل ولم يلتفتوا لكلامه فغاظه منهم عقوقهم له ووقاحتهم.

فأمر حفيد أخيه محمد بن خليفة بن سلمان بأن يتجهز لقتال أولاده وكان ذلك سنة (١٢٥٠) فلبى الشيخ محمد طلب عم أبيه وخرج نحو المذكورين بجيش عظيم وهاجم به الحويلة بحراً. وبعد قتال شديد انكسر (أبناء الشيخ عبد الله المذكورين) وأذعنوا لطاعة أبيهم وطلبوا العفو فعفا عنهم وفسح لهم بالعودة إلى البحرين فرجعوا إليها خجلين من سوء صنيعهم وتسمى هذه الحادثة (وقعة الحويلة) وهي كانت السبب في تقهقر الشيخ عبد الله عن الزحف نحو القطيف. وآل الأمر أيضاً إلى ضياع سيهات كما تقدم. ولله في خلقه شئون.

وقعة الناصفة

وفي سنة (١٢٥٨) حدث بين الشيخ عبد الله بن أحمد حاكم البحرين وبين حفيد أخيه (الشيخ محمد بن خليفة ابن الشيخ سلمان) نزاع شديد على الحكم. وكان الشيخ محمد المذكور قد استعد للأمر فتمكن من حصر الحاكم في جزيرة المحرق.

فجهز الشيخ عبد الله جيشين أرسل أحدهما المؤلف من بني هاجر إلى ابني أخيه الشيخ محمد وحمود ابني سلمان الساكنين في الرفاع ليقوداه إلى قتال ابن أخيهما.

وقاد الثاني بنفسه متوجهاً به نحو (سوق الخميس) فلما بلغ الشيخ محمد بن خليفة الخبر جرَّد جيشاً ليصد جيش الشيخ عبد الله الأول عن الوصول إلى الرفاع وسار نحوه وقبل وصول الشيخ الأول إلى الرفاع تلاقيا وتواقع الجيشان في موضع يسمى (الناصفة) في جزيرة سَنَد فكانت الدائرة على جيش الشيخ عبد الله فانسحبوا إلى (الحورة) قرب مدينة المنامة. وتسمى هذه الحادثة (الناصفة).

وقعة سوق الخميس

ولما انكسر جيش الناصفة في جزيرة سند ورجع إلى (الحورة) سار من هناك إلى (سوق الخميس) وانضم إلى الجيش الثاني الذي يقوده الحاكم الشيخ عبد الله.

فبرز الشيخ محمد بن خليفة لقتال عم أبيه بثبات جأش وجرت بينهما معركة شديدة كانت نتيجتها انكسار الشيخ محمد بعد أن قتل أخوه دعيج ابن خليفة. وقتل للشيخ عبد الله حفيده محمد بن مبارك وتسمى هذه المعركة (وقعة سوق الخميس) وذلك سنة (١٢٥٨).

وقعة الحنينية

ولما انكسر الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان (في وقعة سوق الخميس) توجه نحو نجد بعد أن عمَّد أخاه الشيخ علي بن خليفة بحشد جيش سِراً تحت الطلب. وينتظر تعاليم أخيه فبدأ الشيخ علي بجمع المقاتلة سراً ولما وصل الشيخ محمد بن خليفة إلى نجد تقابل مع (أمير الرياض) عبد الله بن ثنيان وطلب منه المساعدة فلم يساعده حيث إنه حديث عهد بالحكم. فرجع

الشيخ محمد إلى قطر. وأرسل إلى قبيلة (آل ابن علي) يستقدمهم. وهم إذ ذاك في (جزيرة قيس) بن عميرة الكائنة قرب ساحل فارس. حيث إنهم ظعنوا من البحرين مغاضبين لحكامها. فأتوه مسرعين. فجعل يحشد الجيوش حتى اجتمع لديه جمع غفير من قبائل العرب أخصها (آل بن علي) ورئيسها يومئذ عيسى بن طريف. و(النعيم) ورئيسها جبر بن ناصر. و(آل أبي كوارة) ورئيسها محمد بن سعد. وكان معه بعض من عشيرتنا (آل نبهان) متابعين أخوالهم آل أبي كوارة و(قبيلة الجلاهمة) ورئيسها بشر بن رحمة بن جابر.

فأرسل الشيخ محمد قبيلة النعيم أولاً، في المقدمة إلى البحرين لأنه لم يكن لديه من السفن ما يكفي لحمل جميع الجيوش دفعة واحدة وأمرهم بأن ينضموا إلى ما يجمعه أخوه الشيخ علي من المقاتلة. فلما وصلوا خرج لهم الشيخ علي يقود جمعاً عظيماً. وكان معه سائر آل سلمان الخليفيين وأتباعهم ما عدا الشيخ محمد بن سلمان فإنه كان مع عمه الحاكم. وسار الشيخ علي بن خليفة بمن معه من الجموع نحو (الرفاع) حتى نزل قرب ماء يسمى (الحنينية).

والتقى هناك بجيش الشيخ عبد الله فتقاتلوا قتالاً شديداً أسفر عن انتصار جيش الشيخ علي فتقدم إلى الرفاع واستولى عليها.

وممن قتل في هذه المعركة الشيخ محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة وتسمى هذه الحادثة (وقعة الحنينية) نسبة إلى الماء الذي وقعت قربه وذلك سنة (١٢٥٨) أيضاً. وبعد أن استولى الشيخ علي على الرفاع وصل إليه أخوه الشيخ محمد بن خليفة ببقية الجيوش المتقدم ذكرها إلى البحرين ونزل بجموعه خارج البلدة من الجهة الجنوبية. ثم زحف بجموعه على المنامة فاحتلها. فتقلصت قوة الشيخ عبد الله إلى المحرق. ولم يبق بيده سواها.

وقعة المحرق، أو وقعة الساية

ولما انحصر الشيخ عبد الله في المحرق عبر نحوها الشيخ محمد ونزل بجيوشه على ساحلها عند ينبوع ماءٍ عذب في البحر يسمى (الساية) وبه سميت الواقعة. ثم أمر الشيخ محمد جميع قومه بأن يغرقوا سفنهم هناك. وذلك لئلا يتخذوها ملجأ لهم. فتحدثهم أنفسهم بالفرار عند المضايقة. (ولما انتهت الواقعة عادوا إليها فأخرجوها).

فبرز لهم الشيخ عبد الله بما عنده من الرجال فبعد مناوشة طفيفة انكسر جيش الشيخ عبد الله بدون انتظام واضطر الشيخ عبد الله بأن يتحصن ببعض رجاله في (قلعة أبي ماهر) الكائنة في جنوب المحرق واعتصم بعض أبنائه في (قلعة مراد) فلم يتعرضهم الشيخ محمد بل جعل يثبت أموره في داخل البلدة فتسرب غالب أهل القلاع مع الشيخ عبد الله إلى بلدان فارس فتفرق فيها معظم جيشه كل قبيلة في بلدة. ونزل هو بمن معه في موضع يسمى (نخل هَاشِلْ) من بلدة (نابند) ولم يقتل في هذه الحادثة سوى رجل مختل الشعور يقال له (صادق) وأما الجرحى فكثيرون.

وممن أصيب من الرُّؤساء الشيخ يوسف بن محمد بن إبراهيم آل خليفة بجراحات مثخنة مات منها بعد بضعة أيام. وكان مع الشيخ عبد الله بن أحمد جملة من عشيرتنا منهم حمد بن موسى بن نبهان بن أحمد النبهاني. وابنا عمه ناصر وسلطان ابنا نبهان بن أحمد وجملة من عائلاتهم وأتباعهم. وقد أرخ هذه الحادثة السيد عبد الجليل بن ياسين الطباطبائي بقوله:

ببعض ما جرى أتى تاريخه بوقعة البحرين ذاب مال= ١٢٥٨)
وأرخها غيره بقوله: (شرٌّ نَحَرَ شر) وذلك سنة (١٢٥٨) ثم سار بعض أولاد

الشيخ عبد الله إلى (الدمام) بلدة من ملحقات الأحساء فاستوطنوها وسار الشيخ عبد الله إلى الكويت مستنجداً بحكامها (آل صباح) فلم يتحصل على مطلبه فبارحها إلى نجد لمقابلة أميرها للغرض نفسه فلم يتوفق أيضاً. وفي سنة (١٢٦٥) يمم (مسقطاً) للاستنجاد بسلطانها السيد سعيد فلما وصلها أصيب بحصر البول فمات منه بعد أيام قائل. وكانت مدة حكم الشيخ عبد الله على البحرين (٢٢) سنة. وكان في زمنه من مشاهير العلماء الأجلاء الشيخ عبد المحسن الصحاف المالكي. والشيخ حسن الدوسري ثم البصري الشافعي.

الفصل الرابع

في حكم الشيخ محمد بن خليفة وهو الحاكم الرابع

استتب له الأمر وتم له الحكم بعد أن كسر عم أبيه في (وقعة المحرق) سنة (١٢٥٨) كما أسلفنا. وأفعاله خير شاهد على حزمه وأصالة رأيه ولقد كان شجاعاً شديد البأس وكان قد جمع بين الحلم والوقار والمهابة مع البشاشة. وكان له من صدق الفراسة والإصابة في الزكاء والذكاء لاسيما في تفسير رؤياه المنامية ما يكاد أن يجعله ملهماً حتى إنه قَلَّما أخطأ في شيء من ذلك وله نوادر مشهورة بهذا الباب سأورد بعضها للفكاهة والاستشهاد إن شاء الله. ومن دهائه أنه وضع في (قلعة أبي ماهر) فوق البرج الغربي من الجهة الجنوبية علماً عثمانياً. وعلى البرج الشرقي من الجهة المذكورة أيضاً علماً إيرانياً. فكان كلما تحكمت عليه إحدى الدولتين ادعى النسبة إلى الأخرى وهكذا تخلص من كل نفوذ بمدافعة الواحدة بالثانية ولكن نتج من اضطرام نار الحقد في قلوب الأجانب الذين ساءهم ارتباطه بالدولتين

الإسلاميتين فحركوا عليه العرب وأمراءهم ولكن لشدة حزمه لم ينالوا منه شيئاً إلا بعد مضي (٢٦) سنة على حكمه.

وكان له (١٨) ابناً وهم: خليفة. وأحمد. وعلي. وجابر. وسلمان. وناصر. وعبد الرحمن. وحمد. وعبد الله. والشيخ راشد. وعبد الله. وسلطان. وصقر. وعبد العزيز. وإبراهيم. والشيخ إبراهيم. والشيخ فارس. وعبد الرحمن.

واشتهر في زمانه من العلماء: الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد المحسن الصحاف المالكي والشيخ راشد بن عيسى المالكي والشيخ حسن بن يوسف الطيور آل يوسف المالكي. وتوفي في لنجة سنة (١٣١٥). وله رائية في الرد على الوهابية نحو (٥٣) بيتاً والشيخ عبد المحسن بن جامع الحنبلي. والشيخ عثمان بن جامع الحنبلي. والشيخ ملا محمد بن عبد الله آل محمود الشافعي تولى القضاء ثم استعفى عنه.

وقعة أم سوية وقتل عيسى بن طريف
وهو خراب الدوحة الأول

وبعد أن توطد الحكم للشيخ محمد بن خليفة وخضعت لسطوته غالب العشائر. أظهر عيسى بن طريف رئيس قبيلة (آل ابن علي) رغبته في ولاية قطر وعرَّض بذلك أمام الشيخ محمد فأسند إليه الحكم. فتوجه عيسى بن طريف نحو قطر مقرّ وظيفته مظهراً الطاعة والإخلاص لآل خليفة وكونه عاملًا لهم. ولكنه مبطن خلاف ما أظهر. وحينما وطئت رجله قطراً. أخذ يجمع العشائر للحرب فلبت طلبه جميع عشائر تلك الجهة ما عدا (قبيلة النعيم) فجهز تلك العشائر. بعد أن أرسل إلى ابناء الشيخ عبد الله

المقيمين في (الدمام) يستقدمهم إليه لإتمام مشروعه فأتاه منهم (الشيخ مبارك ابن عبد الله) يقود جيشاً من بني هاجر.

فاشتد عزمه على مهاجمة البحرين. وأرسل (إخطاراً) إلى حاكم البحرين أغلظ فيه القول ومما جاء فيه: أنه قال: يلزم عليكم أن تردوا (أملاك وأموال) الشيخ مبارك المغصوبة منه في (سترة) وإلا (شققت شَقّاً لايرفا) فعلم الشيخ محمد بن خليفة مرمى كلامه وفهم بأن ذلك (إعلان للحرب) وأرسل الكتاب مع الرسول إلى أخيه الشيخ علي بن خليفة. وهو إذاك بالمنامة يستطلع رأيه.

فقال الشيخ علي لرسول عيسى بن طريف لما مثل بين يديه قل لصاحبك: (إن الدم هو الذي يرفو ذلك الشق) فحشد الشيخ محمد جنوده ووجهها نحو قطر تحت قيادة أخيه الشيخ علي وسار المذكور حتى نزل في (المرونة) وهو موضع في الجهة الشرقية من قطر.

وكان لما امتنعت قبيلة النعيم من الانخراط في جيش ابن طريف تهددها بالحرب وشدد عليها الطلب في الانضمام معه. فأرسل رئيسها إلى الشيخ محمد حاكم البحرين يستغيث به ويستنجده على ابن طريف. ففي الحال توجه الشيخ محمد في خاصة رجاله إلى قطر ونزل فوراً عند قبيلة النعيم ووجدها مستعدة للحرب. فلما بلغ عيسى بن طريف وصول الشيخ محمد قطراً خشي من اجتماع جيشه بجيش أخيه الشيخ علي فيعسر عليه ملاقاتها. فبادر هو بالزحف نحو الشيخ محمد بجموعه المؤلفة من قبيلة المناصير ومعه الشيخ مبارك بن عبد الله يقود جموع بني هاجر. وفي ٩ ذي الحجة عام (١٢٦٤) التقى الفريقان على ماء يسمى (أم سوية) بالتصغير. وتقاتلا قتالاً شديداً انتهى بمقتل عيسى بن طريف وهزيمة جيوشه.

فأرسل الشيخ محمد إلى أخيه الشيخ علي يخبره بالنصر فجاء إليه وهنأه بالظفر. ورجعا إلى البحرين حاملين لواء النصر. وتسمى هذه الحادثة (وقعة أم سوية. أو خراب الدوحة الأول) لأن بلدة الدوحة هي سكنى عيسى بن طريف فكأنها خربت بمقتله.

وعيسى بن طريف المذكور هو الذي فتح (بمباسة) من جنوب أفريقية مع عشيرته (آل ابن علي) مساعدة لحاكم مسقط وزنجبار السيد سعيد بن سلطان آل أبي سعيد (كما بينا ذلك في تاريخ مسقط).

وقعة تنورة

ووصول ابن سعود إلى مسيمير

قد وقعت كسرة (أم سوية) موقعاً سيئاً لدى الشيخ مبارك ابن عبد الله والذي زاد همه وحرك فيه ثائرة الغضب وأخذ الثأر وفاة والده غريباً بمسقط كما تقدم عند (وقعة المحرق) فأخذ يخط الخطط ويعد العدد لشفاء غليله إلا أن قلة أتباعه من جهةٍ وحزم الشيخ محمد بن خليفة من جهة أخرى قد حالا دون نيل أمنيته. فلما كان سنة (١٢٦٧) اتفق هو وإخوته الخمسة الذين كانوا معه في الدمام (وهي قرية من توابع القطيف) على الاستنجاد بأمير نجد فيصل بن تركي بن سعود فأمدهم المذكور بجيش. ثم جمع جموعاً وسار بها يقودها بنفسه نحو قطر حتى نزل موضعاً يقال له (مسيمير) بالتصغير ليتمكن من إمداد جيش آل عبد الله البحري.

فأركب آل عبد الله جيوشهم السفن مع ما تحصلوا عليه من المدد من سعود وساروا بالكل نحو البحرين.

ولما بلغ الشيخ محمداً خبر قدومهم نحو بلده بادر بتجهيز جيشين بري

تحت قيادة أخيه الشيخ علي وأرسله نحو قطر لمناجزة آل عبد الله وبحري قاده الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبد الله بن خليفة آل خليفة فالتقى الجيش البحري بآل عبد الله عند موضع يسمى رأس (تنورة) وجرت بينهما معركة عظيمة أسفرت عن انكسار جيوش آل عبد الله بعد أن قتل رئيسهم الشيخ مبارك وأخوه الشيخ راشد ابنا الشيخ عبد الله. وقتل أيضاً من كبار خواصهم بِشْر بن رحمة الجلاهمة و(مريط) من بني هاجر. وتسمى هذه الواقعة: (وقعة تنوزة) وذلك سنة ١٢٦٧ هـ.

وقعة الدولاب

وفي سنة (١٢٧٠) جهز آل عبد الله جيشاً لمهاجمة البحرين وقرروا مهاجمتها على حين غفلة من أهلها. فلما دخل فصل الربيع وخرج أهل البحرين للغوص على اللؤلؤ حسب العادة رأى آل عبد الله الفرصة مناسبة للهجوم فجمعوا سفن (أهل قطر) وجعلوا يشحنوها[1] بالرجال للمسير إلى البحرين.

فلما انقطعت، سفن أهل قطر عن مسابلة البحرين. أحس بذلك الشيخ علي بن خليفة بالمكيدة وتأكد له ذلك. وكان مقره يومئذ في المنامة وأخوه الحاكم في (المحرق) فأرسل الشيخ علي إلى الحاكم يعلمه بانقطاع سفن أهل قطر. وأنه يخشى أن يكون ذلك لمكيدة هم عازمون عليها. ثم إن الشيخ علي اتفق مع أخيه الحاكم على أنه إن هاجمه أحد (يطلق مدفعين فقط) علامة على ظهور طلائع الأعداء.

فلما كان اليوم الثاني من المذاكرة وصل آل عبد الله بجيوشهم ونزلوا

(١) صحتها يشحنونها - اهـ مصحح.

أمام نخل يسمى (دولاب منى) في مقاطعة (سنابس) من البحرين. وقبل أن يستكمل خروجهم من السفن بلغ الخبر للشيخ علي فأمر في الحال بإطلاق مدفعين (إشارة) لأخيه الحاكم في المحرق وبادرهم هو بمن معه من الأبطال وأتاه أخوه راشد بن خليفة بجيش من الفرسان وهاجما الأعداء بما لديهما من القوة وكان بعضهم قد خرج من السفن فأصلياهم ناراً حامية بالمدافع والبنادق فبهت الخصم لما رآه من وفرةِ جيش البحرين وعظيم استعدادهم. بينما كان يظن أن البلدة خالية من الرجال بسبب (الغوص) وأهلها غافلون.

وبعد مناوشات طفيفة فرَّ الأعداء إلى سفنهم لايلوون على شيء ولم يقتل منهم سوى عشرة أشخاص فقط ثم وصل الحاكم بجيشه من المحرق فوجد العدو قد انكسر ببسالة أخيه الشيخ علي فأثنى على شجاعة أخيه وشدة حزمه وحسن فراسته وأصالة رأيه وعلو همته.

وكان في ضمن جيش الشيخ علي يومئذ الشيخ سالم بن درويش آل عجمي رئيس قبيلة (المنانعة) وأحد شجعان العرب المشهورين وأرخوا هذه الواقعة بلفظ (خرّعَت) لأنها خرّعت العدو أي أرهبته ففر بدون قتال يذكر. وذلك سنة (١٢٧٠) وسميت وقعة الدولاب نسبة إلى دولاب نخل بلدة منى. والدولاب في اصطلاحهم هو الناعور أي السواني التي يستقى بها الماء.

وفي هذه السنة ولد والد المؤلف فنذكر ترجمة حاله استطراداً.

(ترجمة حاله) مع قسم من ترجمة عشيرتنا (آل نبهان) فنقول إنهم منسوبون لنبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ أبي القبيلة المشهورة بالكرم (كما سنذكر ذلك عند قبائل الحجاز).

ومنهم زيد الخير النبهاني الصحابي الشهير الذي وفد على النبي ﷺ في وفد طيئ فأسلم فسماه النبي ﷺ زيد الخير. وكان قبل ذلك يسمى زيد الخيل لكثرة ركوبه لها في المعارك والغزوات. وقال له النبي ﷺ (ما وصف لي أحد في الجاهلية ورأيته في الإسلام إلا رأيته دون وصفه غيرك) وهو الذي جز ناصية عامر بن الطفيل اهـ من الاستيعاب لابن عبد البر.

ومكث زيد الخير بالمدينة المنورة بعد أن أسلم يغزو مع الصحابة إلى زمن خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قفل راجعاً إلى وطنه (حايل) فأدركته منيته في الطريق قبيل وصوله حايلا فمات رحمه الله.

ولم تزل آل نبهان وطيئ يفتخران به. ولذلك يقول ابن مقرب في قصيدته النونية التي قالها سنة (٦٠٢)هـ.

وجـــاءت بـــأولاد التبابـــع حمير
ومـدت بضبعيها إلى الفخر كهلان
وقالوا لنـا الأنصار أوس وخزرج
وحسبك من فخر له الذكر والشان
وجاءت بنو كعب بعبد مدانها
وطالت (بزيـد الخير) طيّ ونبهان.
وعـدّوا على العلات أوسا وحاتما
عـلى ثقـة أن لايساميـه إنسان

ومن مشاهير بني نبهان أيضاً (عروة بن زيد الخير) النبهاني وهو الذي فتح الري ودستبي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال ياقوت في معجم البلدان- قال لوط بن يحيى كتب عمر رضي الله عنه

إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخير النبهاني إلى الري ودستي في ثمانية آلاف ففعل وسار عروة النبهاني لذلك فجمعت له الديلم وأمدوا أهل الرَّي وقابلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم وذلك سنة عشرين من الهجرة. اهـ وكان سكنى بني نبهان أرض حايل ومنبثين بين جبليّ طيّ (أجا وسلمى) ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية فنزل بعضهم نواحي اليمامة. وبعضهم استوطن برقطر. وقسم منهم سكنوا عمانا (وكانت جدود المؤلف) ممن نزلوا أخيراً (برقطر) في حدود القرن العاشر من الهجرة قرب الزيارة ومكثوا هناك زمناً طويلاً. ثم انتقلوا إلى (جزيرة أوال) ثم لما تغلب على الجزيرة الإيرانيون رجع آل نبهان إلى قطر وسكنوا الزبارة. ثم لما حمل الخليفيون على جزيرة البحرين سنة (١١٩٧) وتم لهم النصر على الجزيرة عاد آل نبهان واستوطنوا (جزيرة البحرين). ثم لما حصلت الفتن الأخيرة بين الخليفيين من عام ١٢٥٨ إلى ١٢٨٦ كما سيوضح.

كان بنو نبهان منقسمين قسمين قسم مع آل عبد الله الحكام السابقين. وقسم مع آل سلمان جدود الحكام الحاليين من الخليفيين فلما تغلب الحزب الثاني فرّ من البحرين غالب الحزب الأول بمن تبعهم إلى (فارس) ثم لما هدأت الفتنة، رجع بنو نبهان إلى (الدمام) من ملحقات الأحساء مع أخوالهم (آل أبي كوارة) وتبادلوا الصلح مع آل سلمان ولما تم ذلك رجع جميع آل نبهان إلى جزيرة البحرين.

فاستحسن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى بن نبهان سكنى مكة المشرفة رغبة منه في طلب العلوم الراقية. فوجهه والده إليها في أواخر سنة (١٢٨٧) مع والدته وسنه يومئذ ١٧ حيث إن ولادته كانت سنة (١٢٧٠) كما تقدم فسكن أم القرى مع أمه. ثم بعد بضع سنين لحقه أبوه حمد بن

موسى المذكور واستوطن مع ابنه مكة المشرفة إلى أن أدركته منيته بأشرف البقاع في (٢٤ ذي الحجة عام (١٢٩٩) ودفن بالمعلى في القسم المسمى (بالسليمانية) وهذا دليل على سعادته وحسن نيته حيث قضى نحبه بأرض قبلته رحمه الله. ثم توفيت والدة الشيخ خليفة سنة (١٣٠٠) ودفنت في المعلى أيضاً في القسم المسمى (بشعبة النور) خلف ضريح عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما.

وظل الشيخ خليفة بن حمد مثابراً على طلب العلوم العالية والمعارف الراقية في المسجد الحرام حتى ارتقى إلى درجة التدريس والتأليف وهو مَيَّال إلى عدم التظاهر والافتخار. متواضع للكبار وللصغار. حليم شجاع كريم النفس ذو همة عالية ورأى مصيب تستشيره وتستنصحه الأباعد والأقارب في الأمور المهمة ويقر له الكل بذلك. وله مهارة تامة في الرمي بالبنادق ومعرفة كاملة في غوص البحار (حيث إنه قد مارس استخراج اللؤلؤ مدة من الزمان). ثم تأهل بزوجة من آل بني حديد من الشيبانيين (أي بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة) فرزق منها ذكوراً وإناثاً فأكبر الذكور هو نجله الشيخ محمد (المؤلف) وكانت ولادته سنة (١٣٠١).

ثم في زمن إمارة الشريف عون الرفيق بن محمد بمكة المشرفة عين الشيخ خليفة المذكور إماماً في محراب السادة المالكية بالمسجد الحرام فباشر تلك الوظيفة الدينية في غرة محرم من عام (١٣٢٣) ولم يزل بها إلى اليوم. ثم حاز (مرسوم التدريس) بالمسجد الحرام وعد في عقد علماء مكة العظام وذلك في رجب من العام المذكور ثم عين مهندساً لتعمير عين زبيدة وعين الزعفران من سنة (١٣٢٦) ثم انضمت له رئاسة تقسيم عين زبيدة في داخل مكة.

وفي أثناء اشتغاله بهندسة تعمير العيون ألف عدة تآليف عظيمة الشأن جلها في فن الهيئة وعلم الميقات. منها: كتابه (الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقات الشرعية) وكتاب (ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة في العمل بالربع المجيب). وهو الذي مدحه الحاج أحمد حمدي بن ملا حسين البصري بقوله:

هو العلم كم في الناس يعلو به كعب
هو المجد إلا أن إدراكه صعب
ولايدرك الآمال مَن لم يكن لها
صبوراً ولم يَعْيَ ولو صادف العطب
وهل تحسبن المجد تمراً تلوكه
وهل تملك البلدان إن لم يكن حرب
فكافح جهالات الهوى تحظ بالذي
تروم من العليا وماذا لكم لعب
لعلك قد تمسي وأنت مقارب
(خليفة النبهان) في بعض ما تصبو
ففخر بني طيّ لنبهان في الورى
وفخر بني النبهان هذا الفتى الرحب
فذاك الذي حاز المعالي بأسرها
بجد ولم يك ممن يعله النشب
فقد هجر البحرين مسقط رأسه
وآثر بيت الله فهو له حسب
فصار له الباع الطويل بأكثر الفنون وفي طول المدى لم تزل تربُو
فيوماً فقيهاً قد تراه وآخراً
يعاني حساب النجم والشمس منكب

وطوراً تراه في الصحاري مهندسا
فيجري عيوناً في عيون لتنصب
وأخرى ترى في الشعر تطرد خيله
فتكبو جياد العالمين وما تكبو
وأما سجاياه فأكرم بمثلها
وليس له مثل إذا عظم الخطب
فقلّ له شِبه وقَل مماثل
وهل أعظم الأعمال إلا له تصبو

وقد ساح إلى أفريقيا وآسيا الكبرى وجزائر هولانده[1]. ففي سنة (١٣٠١) وصل البصرة والبحرين.

(١٣٠٥) وصل جزائر جاوى (سنقفورة[2] إلى فلفلان وسربايا وما والاهم).

(١٣١٣) وصل مسقط والبصرة والبحرين.

(١٣١٥) وصل عدن ثم إلى زنجبار (ودار السلام) ولامو بإفريقيا.

(١٣١٧) وصل البصرة والكويت والبحرين

(١٣٢٠) وصل البصرة والبحرين.

محاصرة الدمام أو شد الدمام

الشد في اصطلاحهم هو المحاصرة البحرية فقط. ولما انكسر آل عبد الله وفروا إلى مقرهم في (الدمام) جهز الشيخ علي ابن خليفة سفناً كثيرة

(١) يقصد: جزر أندونيسيا فقد كانت مستعمرة لهولنده. اهـ مصحح.

(٢) يقصد: سنغافورة - اهـ مصحح.

شحنها بالرجال وسار يقودها نحو الدمام وحاصرها وشدد الحصار عليها ولم يقصد من ذلك إلا كسر شوكة آل عبد الله وإضعاف قوتهم المعنوية بتعطيل مصالحهم.

فجعل آل عبد الله يحشدون جنودهم لحماية البلدة وأمرهم بالمرابطة على ساحل البحر خوفاً من غارة فجائية تحدث من خصمهم المرابط في البحر أمامهم. ولبث الشيخ علي محاصراً لهم نحو أحد عشر شهراً. يراقب بالناظور حركاتهم. فأبصر ذات يوم بالناظور إبل آل عبد الله يخرج بها الرعاة كل يوم قبيل الظهر ليوردوها من ماء في جنوب البلدة. فأرسل إلى أخيه يطلب منه قوماً من الفرسان فأرسل له مطلوبه فلما وصل الفرسان تحت قيادة الشيخ صقر بن محمد بن علي بن محمد بن خليفة أمرهم بأن يذهبوا بخيلهم في السفن إلى جنوب البلدة ويكمنوا هناك إلى ورود الإبل الماءَ فيغيروا عليها ويستاقوها إلى البحرين ففعلوا فلما جاءت الإبل للورود حسب العادة أغار عليها الفرسان من مكامنهم واقتطعوا منها نحو أربعين ناقة عمانية. وفر رعاتها يستصرخون آل عبد الله من داخل البلدة فخرجوا في طلبها. وكان الشيخ علي يراقبهم بناظوره وهو في البحر فلما رآهم خرجوا في طلب الإبل خشي من أن يدركوها قبل تكامل نقلها إلى السفن فعند ذلك أقلع من مكانه وتقدم بسفنه الحربية نحو البلدة وأطلق عليها البنادق مظهراً عزمه على احتلالها فأرسل أهل البلدة الخبر لآل عبد الله فتركوا طلب الإبل ورجعوا مجدين بجيشهم إلى محافظة البلدة وصد هجوم الشيخ علي فتبادل إطلاق البنادق بين الطرفين برهة من الزمان إلى أن أبعدت السفن عن الساحل بالإبل المنهوبة.

فكفّ الشيخ علي بن خليفة عن القتال. وتم له ما أراد من المغنم وقفل راجعاً إلى البحرين وذلك سنة (١٢٧١) وتسمى هذه المحاصرة البحرية (شَدّ الدمام).

(فرع)

وفي سنة (١٢٧٥) أرسلت الدولة العلية العثمانية وفداً إلى البحرين تحت رياسة المير آلاي من عرضي بغداد (محمد بيك الديار بكري) ومن البصرة (عبد القادر أفندي باشكاتب ولاية البصرة). فاتجها مع حاكم البحرين (الشيخ محمد بن خليفة) وطلبوا منه رفع العلم العثماني على جميع مملكته فلبى طلبها وأوعدهما برفعه بعد إفهام العشاير المقصود من ذلك ثم رفعها بالفعل وذلك في زمن ولاية مدحت باشا على بغداد (كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة) عند مباحث خليج البصرة.

فصل في الصلح

الحاصل بين الحاكم الشيخ محمد وأولاد عم أبيه

ولما كانت سنة (١٢٨٠) شعر بل تيقن آل عبد الله بعجزهم وضعفهم عن مقاومة الحاكم الشيخ محمد بن خليفة ومحاربته فوسطوا أمير نجد (فيصل ابن تركي) في الصلح بينهم وبين حاكم البحرين فتذاكر في الصلح مع الحاكم فَسرّ بذلك وعفا عنهم وسمح لهم بالعودة إلى البحرين ولما جاؤوها أنعم عليهم وأكرمهم غاية الإكرام لتزول الضغائن والأحقاد وهم أظهروا له المحبة والخضوع مع الاحترام. فتباشر الناس بالسلم وحقن الدماء. وأَرَّخوا ذلك بلفظ (فرغ) إشارة إلى فراغ النزاع وانصرام حبله. إلا أنه لم تتحقق أمنيتهم كما قيل:

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ... ولكنه تبقى به عقدة الربط

وقعة الوكرة

وفي سنة (١٢٨١) توجه الحاكم الشيخ محمد بن خليفة إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج. ولما عاد إلى وطنه وجد أن أهل قطر عصوا على عامله الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة فأرسل الحاكم إلى عامله المذكور يأمره بالقبض على رئيس قبيلة النعيم (علي بن ثامر) ويرسله إلى البحرين.

ففعل العامل ما أمر به فلما جيء برئيس النعيم إلى البحرين سنة (١٢٨٢) زُج في السجن فغضب لذلك قومه وتجاهروا بمناوأة حاكمهم وفي سنة (١٢٨٣) استنجدوا بالشيخ قاسم بن ثاني (الذي صار أخيراً حاكم قطر كما بيناه في تاريخ قطر) فأمدهم بجيش من الرجال قاده بنفسه للقبض على العامل (الشيخ أحمد المذكور) وإخراجه من بلدهم. وكان الشيخ أحمد إذ ذاك (بالوكرة) وهي قصبة قطر. فلجأ إلى قلعتها فشددوا عليه الحصار فيها حتى كادوا أن يحتلوا القلعة. ولم تكن لديه قوة كاملة للدفاع فاضطر إلى الفرار فتمكن ذات ليلة من الفرار على حين غفلة من أعدائه فتدلى من خلف القلعة على ساحل البحر مع بعض خواصه وذلك بمساعدة راشد ابن مبارك ابن خاطر آل أبي عينين. فتوجه إلى (الخوير) وهو موضع في الطرف الشمالي من بر قطر. ومن هُناك أرسل يخبر الحاكم بما جرى. وكان في أثناء تدليهم من القلعة غرق في البحر الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز بن علي بن خليفة. وتسمى هذه الحادثة (وقعة الوكرة).

خراب الدوحة الثاني

ولما خاب أهل قطر ولم يظفروا بقبض الشيخ أحمد بن محمد أرسل

زعيمهم الشيخ قاسم بن ثاني إلى حاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة كتاباً أغلظ له فيه بالكلام وخيره بين أن يعزل عنهم عامله الشيخ أحمد بن محمد المذكور ويطلق سراح علي بن ثامر رئيس قبيلة النعيم. ويعطيهم شبه استقلال إداري.

وإلا فإنهم يخلعون طاعته بتاتاً ويلتجئون إلى حكم غيره (يشير بذلك إلى الانضمام إلى أمير نجد آل سعود) فغضب الشيخ محمد بن خليفة من غلاظة خطابهم وتهورهم في الكلام. ولم يجبهم إلا بالتجريد عليهم فساق نحوهم جيشاً عظيماً تحت قيادة أخيه الشيخ علي بن خليفة. فلما وصل المذكور بالقوة التي معه نزل في موضع من برقطر يقال له (أبا عمران) ومنه سار بجموعه مجدين في السير رجالة وركبانا نحو (الدوحة) فلما وصلوها وهي بلدة الثائرين وضعوا فيهم السيوف على حين غفلة منهم حتى أخذلوهم وألجأوهم للفرار بأنفسهم تاركين بيوتهم وأموالهم وتفرقوا شذراً وخربت تلك البلدة وكانت هي قصبة قطر. فلذا سميت هذه الحادثة (خراب الدوحة الثاني) وذلك سنة (١٢٨٣).

وأما خراب الدوحة الأول فهو بقتل عيسى بن طريف وقد تقدم الكلام عليه في محله.

وقعة الحمرور

ولما رأت قبيلة النعيم وبال أمرها وذاقت عاقبة نكرها استوحشت من الإقامة في منازلها خشية أن يصيبها بطش الحاكم الشيخ محمد مثلْ ما أصاب غيرها فرحلت عن قطر. فبلغ الشيخ أحمد بن محمد المذكور خبر ظعنهم فتبعهم في أثرهم بجيش مؤلف من (العجمان) ورئيسهم منصور بن محمد

الطويل. ومن (المناصير) وعليهم مانع ومحمد بن سالمين. ومن لفيف من بني هاجر فأدركهم في موضع يسمى (الحمرور) وحصلت بينهما معركة عظيمة أسفرت عن قتل العامل الشيخ أحمد بن محمد المذكور وقتل (الشيخ خليفة بن عبد الرحمن الأجيرب) من آل خليفة: ثم تفرق الجمعان متناصفين. وسميت هذه الحادثة (وقعة الحمرور) وذلك سنة (١٢٨٣) أيضاً.

وقعة دامسة

ثم إن أهل قطر الباقين فيها بعد الكسرتين راسلوا (فيصل ابن تركي أمير الرياض) يستنجدونه ضد الخليفيين ويطلبون المساعدة. فبلغ الخبر لحاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة فشرع يحشد الجيوش ولم يظهر لأحد قصده من ذلك التجمع ولكن فهم (الشيخ قاسم بن ثاني) بقرائن الأحوال أنه هو وقومه المقصودون بتلك الجموع وخشي من عاقبة الأمور. فبادر بالتوجه نحو البحرين ليلتمس من حاكمها العفو والصفح عما جرى منه (من الأغلاظ في مخاطبة الحاكم بالكتب التي أرسلها إلى البحرين كما تقدم عند وقعة خراب الدوحة).

فلما وصل الشيخ قاسم البحرين أمر الحاكم عليه بالسجن فزج فيه ولم يتمكن من مواجهة الحاكم ليبدي عذره. فهاج أهل قطر لذلك وماجوا وأجمعوا على مهاجمة البحرين لإطلاق سراح أميرهم. وكان زعيم هذه الثورة ناصر بن جبر رئيس قبيلة النعيم فركبوا سفنهم وأقلعوا بها متوجهين نحو البحرين. وهم يرتجزون بهذا النبط:

حُرِّمْ عليْـك الصلـحِ منـا   مـا دامْ قاسمْ في الحديـد
لَابـدْ مـا تـاردْ سفنّـا   بالسيـف مصقول الحديد

يعنون بالخطاب حاكم البحرين. فلما أقبلوا على البلدة وجدوا جيوشه مستعدة في السفن ومتأهبة للقتال. فتلاقى الجمعان عند محل في البحر يسمى (دامسة) وكان ذلك (في ٧ صفر عام ١٢٨٤) وتشابكت السفن بعضها ببعض بكلاليب الحديد. وتراكمت على ظهر السفن الصفوف. واشتد الضرب بالسيوف وتساقطت في البحر جثث الرجال. حتى احمر وجه البحر من دماء الأبطال فانكسر أهل قطر كسرة شنيعة. وكانت هذه الحادثة هي آخر معركة في جزيرة البحرين. وبسببها تداخلت الأجانب كما سيتضح لك.

ولما رجع أهل قطر إلى مقرهم بعد انكسارهم حشد الشيخ محمد جموعه في السفن وسار بأسطوله الشراعي نحوهم وحاصرهم مدة. ثم اقتضى رأيه بإنزال الجنود إلى برقطر ليطاردوا أهل قطر في أرضهم. فأظهر أهل قطر التقهقر فزحف الخليفيون نحوهم فانفصلت من أهل قطر فصيلة وتوجهت نحو الساحل لتقطع على الخليفيين (خط الرجعة) فأدرك الخليفيون المكيدة فانسحبوا مسرعين نحو سفنهم فطاردهم عدوهم حتى اختطف منهم (الشيخ إبراهيم بن علي) أسيراً وكان أخوه الشيخ عيسى بن علي صغير السن يومئذ فلما أثقله السلاح وطول السير ركب على ظهر عبدٍ له وانتخاه. فجاد العبد حتى نجا بسيده وأوصله السفن سالمين وبقي الشيخ إبراهيم مأسوراً عند أهل قطر في نظير (زعيمهم الشيخ قاسم بن ثاني) فتبادلا بهما.

فصل في الخلاف الواقع بين حاكم البحرين والإنكليز وبينه وبين أخيه الشيخ علي

كان قد عقد اتفاق بين الحاكم الشيخ محمد وبين معتمد بريطانية الذي

كان مقره في أبي شهر. ومن جملة مواده أن يتنازل الحاكم الشيخ محمد عن حقه في تجهيز الجيوش البحرية وأن لايتخذ سفناً حربية وفي مقابلة ذلك الاتفاق يتعهد المعتمد البريطاني بالنيابة عن حكومته في رد كل غارة بحرية تحدث على البحرين.

فلما حدث هجوم جيش القطريين على البحرين فجائياً. ولم يكن وقت لإشعار المعتمد البريطاني وهو في أبي شهر خشي الحاكم الشيخ محمد على مملكته من الأعداء. إذا لبث يخابر المعتمد وينتظر النجدة منه فبادر الشيخ محمد بالذب عن ملكه وبرز بأسطوله الشراعي وأوقع بالأعداء (وقعة دامسة) المتقدم ذكرها.

فاتخذ المعتمد ذلك الدفاع ذريعة إلى التداخل بشئون البحرين وجاءه على بارجته لمعاتبة حاكمها على مخالفته نصوص الاتفاق. ولما بلغ الشيخ محمد خبر توجه المعتمد نحو البحرين رأى أولوية الميل إلى اللين والمسالمة. فتوجه إلى قطر لبعض الشئون بعد أن فوض أخاه الشيخ علي بمصالحة المعتمد البريطاني على ما يريد من المال. وإن كان المعتمد غير محق في دعواه؛ لأن الحاكم الشيخ محمد كان مضطراً لصد غارة أهل قطر ولو تريث قليلًا لفقد ملكه وخاطر بنفسه وأهله. وعد المعتمد ذهاب الشيخ محمد إلى قطر اعترافاً بالنكث.

فأمر بارجته بإطلاق المدافع على (قلعة أبي ماهر) فهدمتها وحطمت العلمين العثماني والإيراني اللذين كان قد وضعهما الحاكم عليها. ثم أمر بحرق أسطول البحرين الشراعي فحرق منه ثلاث سفن كبار حربية كانت خصيصاً للحاكم. وطلب من الشيخ علي بن خليفة بأن يتقلد حكم البحرين بدلًا من أخيه الذي سقط حكمه بمخالفة العهد على زعمه.

وبعد جدال شديد وإلحاح عنيف رضي الشيخ علي بأن يتولى حكم البحرين عوض أخيه. فأدى ذلك إلى الخلاف الشديد بين الأخوين وفي سنه (١٢٨٥) اضطر الشيخ محمد الحاكم سابقاً إلى مبارحة البحرين فتوجه إلى الكويت. ولسان الحال يقول:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب   وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

فتوطد للشيخ علي بن خليفة الملك على البحرين. وبذلك نال الأجانب بغيتهم من وقوع الشقاق بين الأخوين الأمر الذي لو دام بين العائلة لأدى إلى الضعف والانحطاط (لاسمح الله) ولكن لولا حكمة سمو الحاكم الحالي صاحب العظمة الشيخ عيسى ابن الشيخ علي بن خليفة وحزمه وسعيه في تأليف القلوب لبلغ ذلك إلى ما هو أعظم وأخطر منه. وإلى ذلك أشار سمو الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن خليفة في العينية التي رثى بها والده المرحوم.

ومازالت بك العلياء تسمو   وفعلك في علا العليا الذراعُ
إلى أن تم أمرك في قضاء   لركن المجد صار به انصداعُ
فنازعك الشقيق وكان قدما   حسامك والأمور لها انتزاعُ
وأغرى الدهر بينكما وهاجت   على الإفساد بينكما الرّعاعُ
وأجرى الله أمراً قد قضاه   وكل قد أضر به النزاعُ

الفصل الخامس

في حكم الشيخ علي وهو الحاكم الخامس

ولما استتب الحكم للشيخ علي بن خليفة بن سلمان على البحرين سنة (١٢٨٥) وأرخت بلفظ (غرفه) فكَّر آل صباح حكام الكويت بعاقبة

النزاع بين الشقيقين فسعوا في الصلح بينهما فأرسل حاكمها الشيخ عبد الله ابن صباح كتاباً صحبة أخيه الشيخ محمد إلى الشيخ علي بن خليفة ينصحه فيه ويحذره من الانشقاق وتفرق الكلمة ويلتمس منه إرجاع الأمر إلى ما كان عليه. وبعد مذاكرة طويلة رضي الشيخ علي بإرجاع الحكم إلى أخيه الحاكم السابق. فرجع الشيخ محمد آل صباح فبشر أخاه الشيخ عبد الله بما تم من الصلح.

فاستسر بذلك. وعرضا على الشيخ محمد بن خليفة بأن يسير إلى مقر حكمه وصحباه بسفنهم إلى البحرين. ولما قاربوها تقدمهم الشيخ عبد الله آل صباح بسفينته ليخبر الشيخ علياً بقدوم أخيه الحاكم ليأمر بتنظيم حفلة الاستقبال. فوجد الشيخ علياً قد رجع عن فكره الأول وأصرَّ على عدم التنازل عن الحكم لأخيه وكان ذلك بسعي الأجانب الذين يودون دوام الانشقاق بين الإخوة ليستفيدوا من ذلك.

لايحكم الصياد أشباكه إلا إذا عكَّر بطن الغدير

فرجع الشيخ عبد الله آل صباح في سفينته وخرج إلى عرض البحر حيث اجتمع بأخيه وبالشيخ محمد بن خليفة وأخبرهما بنقض الصلح (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) وطلبا منه أن يعود معهما إلى الكويت فأبى وشكرهما على حسن صنيعهما. واعتذر لهما مما نالهما من التعب والفشل بدون نتيجة. وطلب منهما أن ينزلاه في (دارين) لأخذ الاهبة في مهاجمة البحرين فأنزلاه فيها وعادا إلى مقرهما.

وقعة الضلع

ثم جهز الشيخ محمد بن خليفة من (دارين) جيشاً من بني هاجرٌ. وأتاه

أيضاً الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله وعقد معه اتفاقاً ومعاهدة وأن يساعده بنفسه وبأمواله وسار بالفعل معه في ضمن أتباعه. وتوجه الكل نحو البحرين ولما نزلوا من سفنهم إلى البر خرج لهم الشيخ علي بن خليفة بجيش عظيم ومعه بقية آل عبد الله بخيلهم ورجلهم وعليهم الشيخ محمد بن عبد الله. إلا أن الشيخ علياً ارتاب منهم لما بلغه اتفاق أخيهم مع أخيه الشيخ محمد. فطلب منهم تجديد المعاهدة فعاهدوه مرة ثانية. ثم إنه عند ابتداء المهاجمة أرسل الشيخ علي ابنه الشيخ إبراهيم إلى آل عبد الله في محل مخيمهم (معسكر) يأمرهم بمهاجمة جيش الأعداء فأظهروا له الامتثال ولكن عند انعكافه راجعاً إلى معسكر أبيه كرَّ عليه الشيخ محمد بن مبارك آل عبد الله ورجل من بني هاجر فطعنه برمح أرداه قتيلًا عن ظهر فرسه. وتظاهر آل عبد الله إذ ذاك بعداوة الشيخ علي ومحاربته عند زحفه على صفوف أعدائه.

ثم التفت جيوش الشيخ محمد والشيخ علي وآل عبد الله وتقاتلوا قتالًا عنيفاً. فالتحمت الصفوف. واختلطت الرماح بالسيوف. ولعبت الأسنة بالتروس. ووطئت الخيل بسنابكها الرءوس. فأسفرت تلك المعركة عن قتل الشيخ علي بن خليفة وتفرق جيوشه وفرار أتباعه إلى برقطر. فعاد حكم البحرين للشيخ محمد بن خليفة.

وكان قد عوقب آل عبد الله على نكثهم العهود بأن قتل ابن أخيهم الوحيد محمد المشهور بالحباب خطأ قبيل المعركة ولا يعرف له قاتل. ومن قتل في هذه المعركة من المشهورين الشيخ خليفة بن علي بن خليفة بن مقرن آل خليفة. والشيخ سلطان بن عبد الرزاق بن إبراهيم آل خليفة والشيخ راشد بن عبد الرحمن بن راشد آل فاضل. وكانت هذه الحادثة في (٢٠ جمادى الثانية عام ١٢٨٦) وأرخوها بقولهم (وَيْ لأوالٍ خَربت) وكان

للشيخ علي بن خليفة (١٤) ابناً وهم: عبد الله وإبراهيم وسمو الحاكم الحالي صاحب العظمة الشيخ عيسى وأحمد والشيخ خالد وجبر، وصقر وحسن ومنصور، وناصر وعبد الله الثاني، وداود وراشد ويوسف.

الفصل السادس

في عود الشيخ محمد بن خليفة إلى الحكم وغدر آل عبد الله به

كان من أقصى آمال آل عبد الله أن يبلغ الحال بآل سلمان إلى ما بلغ إليه من الانشقاق والخلاف. وحينما عاد الشيخ محمد بن خليفة للحكم بعد قتل أخيه رأوا الفرصة مناسبة فادعوا أنهم هم السبب في انتصار الشيخ محمد. وببأسهم عاد له ملكه. ثم تجاوزوا ذلك إلى الادعاء بأنهم أحق بالملك منه وجعلوا ينتظرون الغرر ويتحينون الفرص إلى أن تمكنوا ذات يوم من القبض على الحاكم الشيخ محمد بن خليفة فسجنوه في (قلعة أبي ماهر).

وتولى أخوهم الكبير (الشيخ محمد بن عبد الله) حكم البلدة وتناسوا العهود والمواثيق التي أبرموها مع الحاكم المذكور. وإلى ذلك أشار سمو الشيخ إبراهيم بن محمد في العينية بقوله:

وصار الأمر بعدكما لقوم — لـه حبلوا ولكن لم يطاعوا
وهم نكثوا العهود وهم أضاعوا — حقوق الله فانتكثوا وضاعـوا

فعند ذلك توجه الشيخ عيسى ابن الشيخ علي إلى قطر ونزل على قبيلة النعيم وتبعه سائر إخوته وبني عمه الشيخ محمد بن خليفة ما عدا أخاه أحمد ابن الشيخ علي فإنه توجه إلى نجد فأقام ضيفاً لدي (الأمير عبد الله بن فيصل آل سعود) إلى أن ارتقى أخوه الشيخ عيسى عرش مملكة البحرين

وسوى جابر ابن الشيخ محمد الذي كان قد توجه إلى نجد أيضاً بأمر من والده لما كان مقيماً في الكويت. ولما قفل راجعاً من نجد ووصل الأحساء بلغه خبر رجوع والده على حكم البحرين ثم غدر به آل عبد الله وقبضوا عليه. فعند ذلك عكف راجعاً من الأحساء إلى قطر حيث نزل على ابن عمه الشيخ عيسى بن علي وبقي الجميع هناك إلى أن تولى سمو الشيخ عيسى حكم البحرين فرجعوا معه إليها كما سيأتي.

الفصل السابع

في إمارة الشيخ محمد بن عبد الله وهو الحاكم السادس

لما قبض الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد آل خليفة على زمام الحكم سنة (١٢٨٦) أرسل إلى قبائل قطر يحثها على مناوأة الشيخ عيسى بن علي ومن اجتمع معه من إخوانه وبني عمه فبقي آل سلمان (أي الشيخ عيسى وربعه) في أسوإ حال تارة يهددهم الشيخ قاسم بن ثاني وطوراً يتوعدهم جبر بن مهنا المسلمي يفعلان ذلك تقرباً إلى الحاكم الشيخ محمد بن عبد الله ورغبة في الحصول على رضائه فلبث آل سلمان على هذه الحالة يعللون أنفسهم بالفرج ويتغلبون على الأهوال بالرضا فكأنهم المعنيون بقول الشاعر:

صبراً على أهوالها ولاضجرْ فربما فاز الفتى إذا صبرْ
لكل شيء مدة وتنقضي ما غلب الأيام إلّا من رضي

فصل في كيفية عزل الشيخين

محمد ومحمد وتسفيرهما

ومن غريب ذكاء الشيخ محمد بن خليفة وصدق فراسته، هو أنه قبل

لآل عبد الله لما قبضوا عليه وأرادوا قتله (لن تطول مدة حكمكم أكثر من ثلاثة أشهر فلا تستعجلوا عليَّ في القتل) فكان الأمر كما ذكر إذ قبل انقضاء ثلاثة أشهر أتى معتمد الإنكليز المقيم في أبي شهر واسمه (بيلي) على بارجة إلى البحرين واتجه بالشيخ محمد بن عبد الله وسأله عن الحاكم السابق الشيخ محمد بن خليفة فأجابه بأنه قتل في المعركة ففحص المعتمد عن ذلك فأخبر بأنه محبوس في (قلعة أبي ماهر) فذهب إليها بالبارجة وأحاطها بالعساكر وأخرج الشيخ محمد بن خليفة من السجن وأركبه معه في البارجة.

ثم إن المعتمد أمر بإخراج جيش آل عبد الله وهم بنو هاجر من البحرين وأطلق عدة مدافع على دار الحكم في (المنامة) فخرج بنو هاجر فارين ومعهم أميرهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله ودام إطلاق المدافع عليهم حتى أبعدوا عن البلدة.

ثم استشار رؤساء قبائلها وأعيان أهلها فيمن يختارونه حاكماً عليهم فأجمع الكل على طلب الشيخ عيسى بن علي فكتب المعتمد البريطاني إليه يستقدمه. ولما وصل الكتاب وفشا الخبر في قطر جعل أهل قطر يعرضون على الشيخ عيسى سفنهم ومساعدتهم بعد أن كانوا يهددونه بالخروج من بلدانهم.

الناس إخوان من دامت له نعم ... والويل للمرء إن زلت به القدم

فشكرهم وأبان لهم عدم حاجته إلى مساعدتهم. وركب هو وعشيرته السفن من مرساها. وقالوا: بسم الله مجريها ومرساها وأتى البحرين بمن معه من عشيرته وصحبته (قبيلة النعيم) وأتباعهم فنزل المحرق. فقابله المعتمد وعرض عليه رغبة أهل البحرين في توليته عليهم واتفق سموه مع المعتمد

على بعض الشروط. ورقي عرش المملكة بالتهليل والهتاف من الجمهور وسنه يومئذ (٢١) سنة.

وكان لما أقبل من قطر سمو الشيخ عيسى بموكبه على البحرين ضاقت الدنيا بما رحبت على الحاكم الشيخ محمد بن عبد الله ولجأ إلى البارجة الإنكليزية فرفض المعتمد قبوله. ثم أفهمه بأنه إن بقي في البحرين يقتل من حيث لايعلم فعند ذلك قبله المعتمد وأركبه البارجة هو وحفيد أخيه الشيخ علي بن ناصر بن مبارك آل عبد الله وأقلعت البارجة المذكورة بالمذكورين (الشيخ محمد والشيخ محمد والشيخ علي) فأنزلتهم في (فلفلان) حيث اعتقلوا هناك مدة وأرخ هذه الحادثة أهل مسقط بقولهم (علي غُيِّبَ ومحمد سُيِّبَ= ١٢٨٦)[١] ومات في المعتقل الشيخ محمد بن عبد الله وبعد وفاته بنحو سنة نقل الباقون إلى (بمبي) وذلك سنة (١٢٩٤) وخيروهما في الموضع الذي يرغبان الإقامة فيه فاختارا (عدناً) فنقلا إليها.

وفي سنة (١٢٩٧) سمح الإنكليز للشيخ علي بن ناصر بالتوجه إلى (الأحساء) وبقي بها إلى أن توفي وعقبه فيها إلى اليوم.

وأما الشيخ محمد بن خليفة فبقي في عدن إلى سنة (١٣٠٤) حيث ورد إلى أبنائه بالبحرين كتاب من (راشد بن سلطان آل زايد) وهو من وجهاء أهل البحرين وكان إذ ذاك في (دار الخلافة الإسلامية). ينبئهم فيه بتشفيع السلطان عبد الحميد الثاني في أبيهم وأنه سينقل إلى مكة المشرفة وطلب منهم أن يتوجه أحدهم إلى عدن لمساعدة أبيهم على السفر إلى مكة المشرفة. فتوجه نجله سمو الشيخ إبراهيم بن محمد إلى البصرة ومنها إلى عدن

(١) غاب في اصطلاح أهل مسقط بمعنى مات. أي مات علي وسُيِّب أخوه محمد. أي نفي. اهـ مؤلف.

فلم يجد عند حكومتها خبراً عما جاءه من الخبر فتوجه إلى جدة فمكة فالطائف حيث قابل فيه الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون ووالي مكة (صفوت باشا) فشرح لهما المسألة.

فأبرقا إلى دار الخلافة يسترحمان تأكيد الخبر فصدر الأمر السلطاني إلى عدن بإطلاق سراح الشيخ محمد بن خليفة فتوجه سمو نجله بعد أداء فريضة الحج إلى عدن. وقفل راجعاً في خدمة أبيه إلى مكة المشرفة فوصلاها سنة (١٣٠٥) فأحسنت الحكومة العثمانية مقابلته وعينت له راتباً شهرياً. وبعد استقراره رجع نجله الشيخ إبراهيم إلى البحرين. وبقي الشيخ محمد في مكة يفكر في استرجاع البحرين ولكنه داهمه الأجل فمـرض ثم توفي في (٨ ذي الحجة عام ١٣٠٧) وانتهت حياته في أشرف البقاع وذلك مما يدل على حسن نيته وقبوله عند الله رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار. ولما رجع حجاج البحرين نعوه إلى أنجاله فرثاه ابنه سمو الشيخ إبراهيم بالقصيدة العينية التي أوردنا بعض أبياتها فيما تقدم.

الفصل الثامن

في حكم صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى

رقي سمو الشيخ عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح بن محمد بن خليفة آل خليفة، عرش المملكة لليلة بقيت من شعبان سنة (١٢٨٦) وعمره يومئذ (٢١) سنة. واستلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير. فدانت له القبائل والأعراب ونشر رايات العدل والأمان. وقمع بسيفه البغاة والعدوان. وشاد بعلمه وحلمه وتقواه ركن الدين. وأظل بأغصان فضله الأرامل والمساكين فألقى السعد عصا تسياره بقصره. وخصه بين

الأنام بنصره فلا غرو إذا اجتمعت على محبته القلوب. وعقدت على طاعته الخناصر إذ لا يسبق له في ميدان الفضائل جواد ولا ينبو لَهُ في معامع المضاء والعزيمة سهم ولا نصال وآيات جوده تناقلها الركبان ورايات عدله وحلمه منشورة بين القاصي والدان وناهيك أنه لما تولى أريكة الحكم أنعم على القبائل التي كانت معه في قطر ببذل العاديات[1] الأصائل حتى بلغ إعطاؤه في جلسة واحدة أربعين قارحاً من جياد الخيل ومبلغاً جسيماً من الأموال والسلاح والحلل ووصل بني عمه بالبساتين الزواهر والطرف النفيسة من الأسلحة والجواهر حتى إنهم أجمعوا على أنه أندى الملوك راحة. وأرحبهم ساحة:

له همة لامنتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

وكانت ولادته أمد الله في سني حياته في غرة عام (١٢٦٥) فسماه والده المعظم باسم صهره المرحوم عيسى بن طريف آل بن علي إحياء لذكره وإعلاناً بأن ما صدر منه لا يصلح أن يكون سبباً لقطع صلة الرحم وأواصر القرابة. ولما جاوز سموه نصف العقد الأول من أعوام عمره الميمون ضم إليه المربين والمؤدبين وعلماء الدين. فأخذ عنهم ما يجب لأولاد الملوك وإدارة الممالك. ولما أميطت عنه التمائم. وظهرت منه للنجابة علائم استقدم أبوه الاختصاصيين بشئون الإدارة وعلوم السياسة والاجتماع فحاز في مدة قصيرة ما لم يحزه أغلب كبرى الجامعات. وكان في جميع أدواره آية في الذكاء والفصاحة. وتوقد الذهن والبلاغة. وقد أشرب أنجاله الكرام سجاياه المجيدة فكان حجة دامغة على تأثير حسن المنبت وشرف المحتد في التربية والأخلاق وإنك لترى في سمو أولاده صورة مصغرة عن

---

(١) العاديات: الخيل. مصحح.

مزايا سمو والدهم المعظم وإن كان حفظه الله قد جمع من حسن الخصال. ما تفرق في العالم في مختلف الأجيال.

وكان له خمسة أبناء: الشيخ سلمان. والشيخ حمد. والشيخ راشد. والشيخ محمد والشيخ عبد الله. فالأول والثالث أفل نجمهما فالشيخ سلمان توفي سنة (١٣١١) بعد عودته من أداء فريضة الحج. والشيخ راشد توفي في رمضان سنة (١٣٢٠).

ولي العهد هو أكبر الأنجال الموجودين: سمو الشيخ حمد ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى أعزه الله. ذو الهمم السامية والمزايا الراقية. من أجمع الناس على مضاء عزيمته. وصفاء سريرته وذكائه البارع. وحلمه الواسع. وجوده الشاسع. ولد أدام الله مجده سنة (١٢٩١) وأخواله من آل خليفة. فرباه سمو والده المعظم تربية ملوكية وجلب له ولإخوانه الأساتذة الفطاحل فتخرج عليهم وأعجبوا بحسن أدبه وقوة حافظته وغزارة فضله وسديد سياسته. وله في الشجاعة والفروسية المقام الأسمى. وحاز من الكرم والجود النصيب الأوفى فقلت:

تَسَامى على الأقران بالفضل والقدر
بهمته حاز المحاسن كالبدر
أمير له أوج المعارف مركب
وآثاره عمت على البر والبحر
له الأرض طراً تحت قبضة سيفه
وأفعاله تنبي عن السر والجهر
مليك له خلق كريم ومنطق
يقربه أهل الدراية والفخر

(مؤلف)

وقد أنجب حفظه الله (١١) ابناً وهم: الشيخ سلمان- وُلد أطال الله بقاءه- في ١٥ ربيع ثاني عام ١٣١٢. ثم محمد ثم أحمد. فهؤلاء الثلاثة جدهم من جهة الأم الشيخ علي بن محمد آل خليفة. وعلي. وراشد وعبد الرحمن. وهؤلاء الثلاثة جدهم عبد الله بن سلمان الجلاهمة. وإبراهيم وأحمد ومبارك وعبد الله وهؤلاء الأربعة جدهم الشيخ سلمان بن دعيج آل خليفة. وخليفة وجده الشيخ راشد بن محمد آل خليفة.

(الابن الثاني) سمو الشيخ محمد ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى. فهو في العلم والذكاء نادرة أوانه. وفي البلاغة والعرفان سحبان زمانه. إن نظم أزرى بعقود الجمان. أو نثر عبث بزهر الجنان وقد اشتهر بالشجاعة والسماحة. وعرف بالجود والحزامة. فهو رب السيف والقلم.

فقلت:

م من ذا يضاهيه في مجد وفي كرم
مليك عصر المعالي نخبة الأمم
ح حاز المحامد بالسيف الصقيل كما
حواه آباؤه الأنجاب في القدم
م من الخليفة من عدنان نسبته
محمود فعل وآثار على علم
د دعته كل المعالي فاستجاب لها
دعاء عز وإقبال مع النعم.

ولد أدام المولى حياته سنة (١٢٩٦) وأخواله من آل بن علي وقد أنجب (٦) أبناء وهم سمو الشيخ أحمد- ولد أطال الله بقاه- في محرم سنة (١٣١٧) ثم الشيخ علي ولد في ٢٨ رجب سنة (١٣٢١) ثم الشيخ راشد ولد

في ١٤ ذي القعدة سنة (١٣٢١) ثم الشيخ خليفة ولد في ٦ ربيع أول سنة (١٣٣٠) والشيخ إبراهيم ولد في ذي الحجة سنة (١٣٣٥) والشيخ سلمان ولد في ذي الحجة عام (١٣٣٨). وكلهم ولله الحمد أقمار بازغة سالكين سبل أسلافهم الكرام.

(الابن الثالث) سمو الشيخ عبد الله ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى فهو كعب في سماحته. وحيدرة بشجاعته. والأحنف بحلمه. وقيس بن زهير في أصالة رأيه وفهمه. متوقد الذهن شديد الذكاء. نابغة في العلوم السياسية والأدب. وله شغف عظيم في الفروسية والإقدام فقلت:

حاز المكارم والمفاخر سيد ذو همة تعلو إلى جو السما
منه السياسة قد رقت في حسنها أوج المعارف فوق أشقر أدهما
دعني أكرر منطقي في وصفه ونظام لفظ فهو أكمل من سما

ولد أدام الله وُجوده وَجوده سنة (١٣٠١) وأخواله آل خليفة وقد تقدم (عند تاريخ ارتقاء البحرين) أنه هو ونجله الشيخ محمد أول من ركب الطيارة.

وقد أنجب أربعة أبناء: وهم سمو الشيخ محمد ولد - أطال الله عمره - سنة (١٣١٩) ثم الشيخ راشد وْلد سنة (١٣٢١) ثم الشيخ علي ولد في محرم سنة (١٣٣١) ثم الشيخ حمد ولد سنة (١٣٣١) أيضاً. وكلهم أقمار ساطعة. وشموس بازغة. عارجين سبل الرشاد كأسلافهم النجباء الفخام.

(حفيد الحاكم) سمو الشيخ خليفة بن سلمان ابن ذي العظمة سمو الشيخ عيسى بن علي. فهو ذو الأخلاق الحميدة والمزايا المجيدة فإنه منذ ميطت عنه التمائم شرع يقتفي أثر أعمامه في الكرم والسماحة ويحذو حذوهم في الحلم والشهامة. ولد - أمد الله في سني حياته - سنة (١٣٠٨) وأخواله آل

خليفة. وقد أنجب ابنين: الشيخ راشد. وولادته في محرم عام (١٣٢٨) وأرخها يوسف بن فلاح بقوله: (أهلا براشد الأمم والفال). وأخوه الشيخ سلمان ولد في رمضان سنة (١٣٢٩). وأما حاجبه فهو يوسف بن حسن بن فلاح ذو الآداب الحميدة.

وقد استوزر الحاكم صدراً من حكمه عم أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سلمان بن أحمد الفاتح الخليفي إلى أن توفي سنة (١٣٠٦) ثم استوزر من بعده ابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب إلى سنة (١٣٣٤) حيث انسلخ منها لأمور مجهولة.

فصل

في مساكن أصحاب السمو حكام البحرين

أول ما يستلفت النظر في البحرين حسن ترتيب وضع قصور الحكام الفخام. إذ قد توسط قصر سمو الحاكم المعظم. وأحاطت به قصور أنجاله الكرام. فكأنه القمر بين زواهر النجوم.

(فمن الجنوب) قصر ابنه سمو الشيخ حَمد وهو شرقي مسجد الجمعة القديم. وقد كتب على مصراعي الباب هذان البيتان وبهما تاريخ البناء:

عيسى بن علي منار البيت أطل ... على المكارم والعليا له عمد
لشبله طالع الإقبال أرخه ... (هنيت بالبيت يا دار العلى حمد
(١٣٠٩)[1]

(١) بمراجعة هذا التاريخ حسب حساب الجُمّل وجد أن مجموعه ١٣١٩. فإن كان الرقم ١٣٠٩ هو الصحيح فعلاً. وجب أن يغير شطر البيت ليصبح:
هنيت بالبيت يا جار العلا حمد. اهـ مصحح.

(ومن الغرب) قصر ابنه سمو الشيخ عبد الله. وقد جدده على الطرز الحديث.

(ومن الشمال) قصر ابنه سمو الشيخ محمد. وبجانبه مجلسه العمومي. وأمامه المجلس الخصوصي. وقد خصصه لي مدة إقامتي في البحرين تقصدنا فيه العلماء والفقهاء المحبون للزيارة ولطلب العلم. وفي جنوب هذا المجلس: مجلس ابنه الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد.

(ومن الشرق) قصر حفيد الحاكم سمو الشيخ خليفة ابن سلمان وقد جدد بناه على الطرز الجديد وجعله في الطبقة الثانية سنة (١٣٣٩) وأرخه يوسف بن فلاح بقوله:

تجديـده صـار في العشرين من صفر
في عـام خـير بهـذا قلـت مبتـدر
مؤرخـاً داعيـاً للشهم صاحبـه
(عُمِّرت فيه بلا نقص ولا كدر)[١] = ١٣٣٩

وباقي قصور العشيرة الخليفية الكريمة محيطة به من جهاته الأربع إحاطة الهالة بالقمر. والأكمام بالثمر. وكلها بديعة الزخرفة منتظمة الهندسة.

---

(١) في آخر البيت السابق كلمة: مبتدر، وصحتها: مبتدراً بالنصب لوقوعها حالاً مثل الكلمتين اللتين بعدها في بداية البيت الثاني. وهما: مؤرخاً وداعياً. ولو صححت كلمة: مبتدر فنصبت فإن ذلك يقتضي أن تكون القاف راءً منصوبة ولكنها في البيت الثاني مجرورة، لذلك فالأمر يقتضي أن تغير كلمة: مبتدر لتصبح: أبتدرُ - وتغيير الكلمات الأخيرة من البيت الثاني لتصبح: عُمِّرْتَ فيه فلا نقصٌ ولا كدرُ. اهـ مصحح.

وفي داخل قصر سمو الشيخ حمد مجلسه العمومي وهو بديع المنظر والشكل بني سنة (١٣٣١) لمقابلة الوفود والضيوف. ويكاد أن يكون أفخر أبنية البحرين الشهيرة.

(وأشهر علماء البحرين) في زمن حكم صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى ابن علي، هم الشيخ محمد بن راشد الحسيني المالكي تولى القضاء إلى أن توفي. والشيخ عبد الرحمن بن جعفر المالكي تولى القضاء ثم عزل عنه. والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل مبارك المالكي تولى القضاء ثم عزل عنه. والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف المالكي تولى القضاء إلى سنة (١٣١١) حيث ذهب إلى بمبي للتداوي فمات بها. والشيخ قاسم بن مهزع المالكي وهو القاضي الحالي. والشيخ سعيد بن أحمد أبي بشيت المالكي والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن سعد المالكي خطيب جامع المنامة. والشيخ خالد بن يوسف أبي بشيت المالكي والشيخ علي بن محمد الباشا المالكي. والشيخ عيسى بن راشد بن عيسى المالكي مفتي المحرق الحالي ★ والشيخ إبراهيم بن جامع الحنبلي. والشيخ عيسى بن جامع الحنبلي. وابنه الشيخ عبد العزيز بن عيسى بن جامع وقد تقلد مذهب الإمام مالك وهو اليوم إمام جامع الشيوخ في المحرق ★ والشيخ إبراهيم بن هاشل الشافعي النقشبندي. والشيخ محمد بن عبد الرزاق آل محمود الشافعي خطيب (جامع الحد) ومفتيه وقد توفي في ٢٤ ربيع أول عام ١٣٣٦ هـ. والفقيه النحوي والفرضي المتفنن الشيخ عبد اللطيف بن محمود آل محمود الشافعي وهو تلميذ والدنا في علم الفلك وهو الذي قرظ كتاب الوالد المسمى بالوسيلة المرعية في معرفة الأوقات الشرعية بقوله:

إلى مَ تُجيل الفكر في وصل مَيِّةِ
وتندب أراما حسانا بهمة

وتلهو بسعدي والرباب وزينب
وعن حاصلات الربع في جنح غفلة
فدع ذكر سعدى والرباب كليهما
وشمر لضبط الربع من ذي الوسيلة
رسالة حسن بَرَّزَت في فنونه
وشاهِدُها إيضاحها في العبارة
بها اتضحت أوقات عمدة ديننا
ودلت على سمتٍ هَدَانا لقبلة
وَلِمْ لا ومُنشيها يتيمة عصره
سلالة نبهان سُمِي بخليفة
خليفة خيرٍ ما له من مماثل
لقد سهل الفن العسير بفكرة
وعند انتهى تكميلها قل مؤرخاً:
(قواعد طرْق الرُّبع منشا الوسيلة)
١٣٢٦

والشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرزاق آل محمود وهو خطيب جامع الحد اليوم بعد والده.

وقعة ربيجة

سببها هو أن عبد الله وأخاه سعوداً ابني فيصل آل سعود لما تحاربا على إمارة نجد بعد وفاة أبيهما وحصلت بينهما عدة وقعات انتهت أخيراً بانكسار سعود وفراره إلى اليمن (كما بيناه في تاريخ نجد) ثم توجه من اليمن إلى عمان فالبحرين حيث نزل على بساط حاكمها صاحب العظمة

سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة. فغاظ ذلك أخاه عبد الله فتواطأ مع الشيخ قاسم بن ثاني الذي صار أخيراً حاكم قطر على أخذ البحرين فبلغ خبرهما للشيخ عيسى بن علي فشرع يجهز الجيوش لصد غارتهما. فلما علما بتأهب حاكم البحرين لهما أقلعا عن مقصدهما الأول. ورجعا إلى أذية كل من يلوذ به.

وكان ممن يلوذ به قبيلة النعيم التي في برقطر فأغارا عليها وحصلت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار النعيم وفرارهم إلى (قلعة ربيجة) فحاصراهم فيها حتى نفد قوتهم وماؤهم فاضطروا إلى التسليم فصادر الشيخ قاسم بن ثاني إبلهم وأنعامهم وحلالهم فذهبوا فَارِّين بأنفسهم نحو البحرين فوجدوا (سمو الشيخ عيسى) على ساحل البحر بأسطوله الشراعي قادماً لنصرتهم ومعه الشيخ أحمد بن علي آل خليفة ولكن فاته التدارك بتفرقهم وبرجوع ابن ثاني بالسلب إلى مقره. فنقلهم سمو الشيخ عيسى معه في السفن إلى البحرين. وتسمى هذه الحادثة (وقعة ربيجة) وذلك سنة (١٢٨٧) وأرخت بلفظ (غدروها ليلًا) لأن أهلها كانوا على غرة فهجم عليهم ابن ثاني برهطه غدراً بدون إشعار فكسرهم.

(لمحة) كانت سفينة الحاكم التي تقود الأسطول الشراعي تسمى (الطويلة) لطولها المتناهي. وكانت العادة عند الحكام أنهم حين الهجوم على الأعداء يحملون فيها مشاهير الشجعان ليكون هم المحافظون[١] على بيضة الحاكم. وكان فيمن حمل فيها في هذه الحادثة عم المؤلف عيسى بن حمد بن موسى النبهاني. وأما والد المؤلف الشيخ خليفه فكان في ضمن سفن عشيرته مع القوم لصغر سنة يومئذ.

---

(١) صحة العبارة: ليكونوا هم المحافظين. اهـ مصحح.

وفي سنة (١٢٨٨) حصل في البحرين طاعون يسمونه الضرب الثاني وأما الأول فهو في سنة (١٢٣٦) وقد تقدمت الإشارة إليه.

شد القليعة

لم يشف ابن ثاني غليله من آل خليفة حتى جعل ينازعهم في الإيقاع برعاياهم. فأغار في سنة (١٢٩٥) على قبيلة النعيم ولم يقنع بسلبهم فيما مضى حتى جعلها كالعادة عليهم. فحاصرهم في (قلعة مرير) الواقعة في أرض الزبارة فبلغ الخبر لسمو الشيخ عيسى حاكم البحرين فسار إليهم بأسطوله الشراعي مشحوناً بضراغم الرجال لإنقاذ رعاياه النعيم ومن تعلق بهم. فلما وصل الموضع المسمى (القليعة) جاءتهم بارجة إنكليزية ومنعتهم من الحرب في البحر حيث إن السلطة في ذلك اليوم في الخليج للإنكليز. فظلوا متحيرين هناك يقدمون رجلًا ويؤخرون أخرى نحو (١٥) يوماً والمذاكرة جارية بين حاكم البحرين والمعتمد البريطاني في خصوص المهاجمة البحرية وفي أثناء هذه المدة شدد (ابن ثاني) الحصار على قبيلة النعيم حتى ألجأهم إلى مصالحته بإعطائه نصف ما يملكونه من الخيل والأنعام فصادره منهم وفك حصارهم. فلما بلغ الخبر لسمو الشيخ عيسى عطف بأسطوله نحو البحرين ويسمون هذه الحادثة (شد القليعة) والشد في اصطلاحهم هي المحاصرة البحرية فقط. كما تقدم.

شذرات

وفي سنة (١٢٩٦) قصد مكة المشرفة حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى ابن علي لأداء فريضة الحج فتوجه إلى أبي شهر ومنه إلى جدة فمكة

المشرفة. وبعد قضاء الحج أراد التشرف بزيارة قبر نبيه ﷺ فلم يتمكن لضيق الوقت وعاد قافلاً نحو مقر حكمه على جناح السلامة.

وقعة الزبارة

سببها هو أنه تشاجر خدم آل خليفة مع خدم آل ابن علي تشاجراً فاحشاً حتى عظم الأمر وارتقى من الموالي إلى الموالي[1] ثم ألجأ الأمر إلى ظعون آل ابن علي من البحرين ونزولهم في الزبارة ثم انضموا إلى حاكم قطر الشيخ قاسم بن ثاني وعزموا على مناوأة أهل البحرين:

فإن النار بالعودين تُورَى وإن الحرب أولها كلام

ثم إنهم أرسلوا إلى متصرف لواء نجد في الأحساء وهو يومئذ (إبراهيم فوزي باشا) وطلبوا منه العلم العثماني فأرسل لهم الراية العثمانية مع مرسوم خاص. فجعلوها فوق أعلامهم. وفي هذه المدة جعل سمو الشيخ عيسى بن علي يسترضيهم ويبذل قصارى جهده في استرجاعهم إلى البحرين وهم يأبون ومصممون على رأيهم.

ثم إنهم تجمهروا تحت قيادة الشيخ سلطان بن سلامة آل ابن علي وانضم معهم الشيخ ناصر بن مبارك آل عبد الله من آل خليفة وصحبهما الشيخ قاسم بن ثاني واجتمع الكل عند (قلعة مرير) التي بناها الخليفيون في الزبارة قديماً وعزموا على العبور إلى البحرين ليحتلوها لتوفر قوتهم. فلما

---

(١) ومعلوم أن عدم الإنصاف بين الخدم يفضي إلى الندم. والمنافسة بين الخدم: سم في دسم. وتعدي الخادم عن طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره. اهـ. مؤلف. وكلمة الموالي الأولى يقصد بها: الخدم، والثانية يقصد بها السادة لأن كلمة: مولى تطلق بالاشتراك على العبد والسيد جميعاً. اهـ مصحح.

طرق مسامع انكلترا ذلك الخبر خشيت من أن تخفق الراية العثمانية على جزيرة البحرين مرة ثانية. فتضيع سياستها التي تسوسها منذ أعوام. فأتى المعتمد البريطاني واسمه (كاسكين) إلى سمو الشيخ عيسى حاكم البحرين واستأذنه في ردع هؤلاء الثائرين فأذن له فتوجه المعتمد البريطاني نحو الزبارة يقود أربع بوارج إنكليزية حتى أرسى عند الزبارة ونزل إلى البر واتجه بزعماء الثائرين ومنعهم عن فكرتهم في مهاجمة البحرين فلم يلتفتوا إلى قوله ولم يصغوا إلى كلامه. فعاد مغضباً ورجع إلى البوارج وأمرها بإطلاق القنابل على تلك العشائر. فأصلتهم ناراً حامية حتى مزقتهم وتحطمت البلدة وتفرق أهلها شَذَر مَذَر. وتسمى هذه الحادثة (كسارة الزبارة) وذلك في ٨ ربيع عام (١٣١٢). وبعد خراب البلدة ذهب المعتمد المذكور ببوارجه إلى محل غوصهم واستاق من سفنهم المهمة نحو (٩٥) سفينة وقادها برجالها إلى البحرين فأسلم الرجال أسراء إلى سمو الشيخ عيسى فطلب منهم تجديد المعاهدة على الطاعة والانقياد لأوامره فعاهده الأكثر منهم على ذلك ثم خلى سبيل الكل. وبقيت سفنهم تحت قبضة المعتمد البريطاني. فلما أرادوا أخذها منعهم من استلامها وأمرهم بشرائها منه فأبوا وعلموا أن هذا ظلم عظيم حيث إنه أخرب ديارهم وسفك دماءهم بل ولا كفاه ذلك حتى ذهب إلى مغاصهم وقاد سفنهم وعطل مصلحة غوصهم ثم سجن رؤساءهم عند حاكم البحرين ولما تحصلوا على العفو من سمو الحاكم الشيخ عيسى لم يرض المعتمد بذلك بل أراد زيادة ضررهم فأمرهم بشراء سفنهم منه وإلا أحرقها فأبوا وصمموا على عدم الشراء. فأوقد المعتمد في سفنهم ناراً وأحرقها بأجمعها وذلك في شوال عام (١٣١٣) وكان في هذه المدة قد توجه الشيخ سلطان بن سلامة في سفينته إلى القطيف وأخذ من قائمقامها أوراقاً بما حصل عليهم من الظلم ليرفع بها الخبر إلى أعتاب الدولة العلية العثمانية.

فلما قبض الأوراق توجه نحو البصرة فمر في أثناء سيره على موضع يقال له (رأس تنورة) وأرسى هناك بسفينته حسب العادة لبعض الأشغال في البر فاستضافه جماعة من (قبيلة العمامرة) فأضافهم وأحسن مثواهم. وإذا هم عازمون على اغتياله بإغراء الأعداء وأتوا إليه على وجه الضيافة ليعرفوا قوة قومه. فلما فرغوا من أكل طعامه رجعوا إلى البر. ثم عاد منهم اثنان يخوضان البحر نحو سفينته على سبيل موادعته. فلما قربا من مؤخر السفينة قام الشيخ سلطان بن سلامة إجلالاً لهما ومد يده إليهما ليتناول من يدهما بندقيتهما ليسهل عليهما ركوب السفينة فأطلقا في صدره رصاصتين فخر شهيداً رحمه الله. وأخزى قاتليه. وفرا ناجيين بأنفسهما وقد بهت قوم المقتول فلم يمكنهم التدارك بأخذ الثأر من القاتلين.

فكان قتل الشيخ سلطان هو السبب في إضاعة حقوق عشيرته ولم يقم منهم أحد مقامه في الرئاسة إلى اليوم. وبقيت عشيرة آل ابن علي بدون رئيس يرتضيه الكل.

ذبحة سلمان بن دعيج

سببها أن رجلاً يسمى (غياثاً العماري) قد ذهب ابن عم له إلى بر ظهران فقتل هناك فقيل إن قاتليه بنو مرة. فذهب غياث المذكور إلى ذلك الموضع لأخذ الثأر فاتجه بفتى منهم فقتله غيلة ورجع إلى البحرين في خدمة حكامها. فأتى أبو الفتى المقتول واسمه (ابن مفتاح) إلى حاكم البحرين وأخبره بما جرى من غياث العماري وطلب القود منه فامتنع الحاكم من تسليم شخص دخل في حمايته كما هي العادة عند جميع العرب وإنما جبر الحاكم خاطر أبي المقتول بعبارة حسنة وأعطاه عوض الدية فرس

وحلة وأوعده بالكرامة التامة في كل سنة. فرجع الأعرابي إلى مقره مظهراً السرور مبطناً الحقد.

فبعد مدة ذهب إلى بر ظهران الشيخ سلمان بن دعيج بن خليفة آل خليفة للقنص كالعادة وفي معيته (٢٥) شخصاً وفي ضمنهم (غياث العماري) المذكور. فهجمت عليهم ليلاً وهم نيام سرية من (آل بجيح من المرة) رهط ابن مفتاح المذكور أبي الفتى المقتول وهو معهم فوضعوا فيهم السيوف وهم نيام فانتبهوا فزعين وأخذوا السيوف ودماؤهم تسيل وتقارعوا مع عدوهم برهة. ولكن لكثرة العدو ودهشة النوم لم يتمكنوا من المدافعة التامة. فقتل الشيخ سلمان وابنه دعيج وابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن راشد بن دعيج وقتل معهم (٢٢) شخصاً ولم ينج منهم سوى بشر بن الشيخ سلمان بن دعيج وهو الذي أتى بخبرهم بعد أن قتل من العدو اثنين فقط. لأن بندقيته لصقت فيها (الفشقة) ولم يتمكن من إخراجها أثناء المعركة فنجا بنفسه بعد أن رأى جثة ابن مفتاح بين القتلى. وسلب العدو جميع أمتعتهم وأثاثهم. بعد فعلتهم التي فعلوها وهم ظالمون. ثم ظعن العدو من تلك النواحي بقضه وقضيضه خوفاً من أخذ الثأر منهم ولم يعلم لهم حتى اليوم مقر معين أو محل مخصوص دمرهم الله حيث ما كانوا. وتسمى هذه المصيبة (ذبحة سلمان بن دعيج) وذلك سنة (١٣١٨).

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

سنة علي بن أحمد

هو أنه: حصل بين خادم الشيخ علي بن أحمد بن علي بن خليفة آل خليفة وبين خادم لتاجر جرمني في البحرين في المنامة مشاجرة أفضت إلى

ملاطمة. فأتى الشيخ علي لينظر قضيتها فرأى أن خادم الجرمني مخطئ فلطمه الشيخ علي فاستغاث الخادم بصاحبه الجرمني. فأتى ذلك الجرمني مغضباً وأساء الأدب بلسانه مع الشيخ علي حتى أغضبه فعمد الشيخ إلى الجرمني فلطمه أيضاً فعظمت المسألة. فرفع الجرمني شكايته إلى معتمد إنكلترة المقيم في البحرين. وتوجه الشيخ علي إلى قطر كالعادة. فبعد التحقيق قرر المعتمد البريطاني على الشيخ علي حكماً غيابياً بعدم دخوله البحرين إلى مدة خمسة أشهر. ثم إن المعتمد أخبر الحاكم سمو الشيخ عيسى بما تم عليه القرار على ابن أخيه وأن الجرمني رضي بذلك الحكم ولم يبلغ الشيخ علي بما حكم عليه. فبعد أيام قلائل رجع الشيخ علي إلى البحرين فرآه الجرمني فغضب غضباً شديداً ورفع شكواه رأساً إلى دولته. فتخابرت السفراء في خصوص هذه المسألة فقررت بريطانيا بنفي الشيخ علي من البحرين إلى مدة خمس سنوات. فلما بلغ الخبر للشيخ على قفل راجعاً إلى قطر قطعاً للنزاع فأتى المعتمد الإنكليزي واسمه كاسكين إلى بيت الشيخ علي وفتحه بدون إذن عمه الحاكم وأظهر جميع أثاثاته فأحرقها علناً أمام جمع من الأهالي. ثم ذهب إلى الساحل وأمر بحرق سفن الشيخ علي فأحرقت في الحال. وصادر أسلحته وخيله وإبله وأنعامه وعرضها للبيع في البحرين فلم تطب نفس أهل البحرين لشرائها فأمر المعتمد بحملها جميعاً إلى بر عمان فبيعت هناك بأبخس ثمن. ثم شدد المعتمد الطلب على الحاكم في إحضار ابن أخيه الشيخ علي بعد أن أتت إلى البحرين ست بوارج انكليزية وحاصرت البلدة.

فلما بلغ الخبر للشيخ علي خشي من وقوع فتنة عظيمة فرجع إلى البحرين وأسلم نفسه للمعتمد البريطاني تطييباً لخاطر عمه. فأركبه المعتمد في إحدى البوارج لأجل المحاكمة بينه وبين الجرمني في البارجة. ولما صعد

البارجة أخبر بأن الدعوة تنظر في أبي شهر وأمرت البارجة بالسفر حاملة الشيخ علي ومعه ثلاث نفر من حاشيته. فلما أقلعت البارجة من مرساها أمروا بنزع السلاح وأدخلوا في حجرة البارجة ولم يعلموا ماذا سيصنع بهم حيث إنهم أودعوا في الحجرة على صفة السجن ولم يفسح لهم بالخروج منها شهراً. ولم يعلموا أين تغدو بهم البارجة. ثم أنزلوا في (بمبي) بعد شهر كامل. وبقوا في الهند ثلاث سنوات. ثم أذن لهم بالتوجه إلى البحرين فعادوا إليها.

ولما وصل الشيخ علي البحرين قابله ذووه والأهالي بالترحيب وأهدته بنو عمه الهدايا والتحف وقسماً من الإبل والأنعام والخيل فانجبر كسره. وكان نفي الشيخ علي من البحرين سنة (١٣٢٣) ورجوعه في رجب من عام (١٣٢٦) هـ وتسمى هذه الظلامة (سنة علي بن أحمد).

شذرات

وفي سنة (١٣٢٩) أمر معتمد بريطانيا بمنع بيع السلاح والرقيق في البحرين فهاجت الأهالي وماجت ثم اجتمعت في بيت الحاكم سمو الشيخ عيسى وطلبوا منه، أن يضع حداً لاعتداء الإنكليز. فأجابهم بعجزه ما لم يتفقوا معه على رأيه وحثهم بالتعاضد. وأن يكونوا يداً واحدة على من سواهم. ليتمكنوا بالنهضة لاسترداد حقوقهم المغصوبة. فتكفلوا له بذلك وطلبوا منه أن ينشئ لهم مجلساً يضم رؤساءهم وذوي الرأي منهم. ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدوائر. وعزل غير الوطنيين واتخاذ الأسباب اللازمة لحفظ حقوقهم. فأجاب الحاكم طلبهم وأعطاهم أوراقاً وثائق بذلك وأخذ منهم أخرى يتعهدون فيها بالسمع والطاعة ولزوم أوامره ما دام سمو الحاكم متبعاً لمشورة ذلك المجلس.

ولما تم إنشاء هذا المجلس على أحسن ما يرام وعلمت به الأعداء تيقنت بأنه الضربة القاضية على سياستها. فسعت في حله حتى أوعز إلى قاضي المحرق الشيخ شرف اليماني. فأتى ذلك القاضي إلى سمو الحاكم ووسوس له بأن هذا المجلس عقد على خلع عظمتكم. فأوجس الحاكم في نفسه خيفة من ذلك المجلس. فأصدر في الحال أمره بحله فانحل وتفرقت أعضاؤه. ثم أعلن بأن يَفُهْ ببنت شفة في مسألة المجلس يسجن. وبذلك نال العدو بغيته وتمكنت قدمه. ولكن سرعان ما تكشفت أحوال القاضي المذكور فخلع وطرد وأشفق على نفسه فلجأ في الحال إلى دار المعتمد البريطاني طالباً الأمان على نفسه فقط.

(وفي سنة ١٣٣٨) تأسست في المنامة دائرة للبلدية تحت رياسة سمو الشيخ عبد الله نجل الحاكم. ثم في سنة (١٣٣٩) آلت إلى سمو الشيخ حمد نجل الحاكم وولي العهد فوضع نائباً عنه محمد شريف العوضي.

(وفي سنة ١٤٣١) بنى سمو الشيخ سلمان بن الشيخ حمد حفيد الحاكم قصراً في (القضيبية). وبنى أيضاً (دائرة للحكم) في المنامة على الساحل في مقابلة (الممكس البحري) من جهة الغرب.

البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وتابعيهم ومَنْ والاهم إلى يوم الدين (وبعد) فهذه نبذ من تاريخ البصرة الفيحاء عجلنا بطبعها حفظاً لها من عوارض الزمان. وتقلبات الحدثان. حيث إن المبيضة الأولى سلبت منا يوم أن أخذنا أسراء في البصرة كما وضحنا ذلك في مقدمة تاريخ البحرين. وإن شاء الله سنعيد النظر عليه ونحرر لفظه ومبناه. ونبسط متنه ومعناه. ونطبعه طبعة ثانية مزينة برسوم أعيان البلدة ووجهاء رؤسائها. ونرجو من أفاضل القراء الكرام أن يمدونا بآرائهم لنستدرك ما فات في الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى. وأن يقدموا لنا رسوم متقدميهم ذوي المزايا الجميلة. والمآثر الحميدة. ليحيا ذكرهم مدى الأيام. وتبقى أشباحهم مشعرة بمزاياهم العظام:

إن الثنـاء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهلَ والجبلا

محمد بن الشيخ خليفة النبهاني

حالة البصرة الطبيعية

الموقع: موقعها في عرض (٣٠) درجة و(٣٢) دقيقة شمالاً. وطولها (٧) درجات و(٣٥) دقيقة باعتبار ابتداء الطول من مكة المشرفة[1] وعلى ذلك قسمت القبلة فيها: (نحو ٤٧).

الحدود: يحدها شمالاً قضاء القرنة والفرات. وجنوباً خليج البصرة. وشرقاً حدود الإيران. وغرباً البادية المتصلة بنجد. فطولها من (الفاو) جنوباً إلى (القرنة) شمالاً نحو (٣٥) ساعة. وعرضها نحو عشر ساعات.

المنظر العام: هي في مستوى من الأرض خصبة لا جبال فيها ولا غابات وأرضها طِفلية وتربتها سبخاء يعلوها الملح دائماً. وكانت البصرة في بادئ أمرها آخذة بالتقدم واتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان مشهد طلحة بن عبد الله أحد العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنه داخلاً في المدينة. وكان شرقيها شط العرب ونهر الأُبُلة. وجنوبيها وغربيها البرية. وفي شمالها وادٍ يقال له (وادي النساء) ثم سُمي (وادي السباع) ثم اشتهر أخيراً (بالزبير) كما سيأتي عند (تاريخ الزبير).

فالبصرة - مدينة إسلامية مشهورة بنيت ومصرت في أيام الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٥ هـ ٦٣٦ م).

وذهب بعضهم إلى أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان سنة (١٤) إلى البصرة فنزلها ومصَّرها. فلعله أنفذه سنة (١٤) ومصَّرها سنة (١٥) جمعاً بين

---

(١) قبلة أهل البصرة مغيب العقرب ربع خن طرف القطب. وقبلة أهل بغداد مغيب سهيل ثمن خن طرف القطب. وعرضها لج يط ن وطولها دوج من مكة المشرفة. اهـ مؤلف.

الروايتين. وكان في مكانها محل يسمى (الخُريبة) تقيم فيه مخافر كسرى لتمنع العرب من العيث.

وكان سُويد بن قطبة الذهلي وبعضهم يقول: قطبة بن قتادة يُغير في ناحية الخُريبة من البصرة على العجم كما كان المثنى بن حارثة يغير بناحية الحيرة. ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبر سُويد وما يصنع بالبصرة رأى أن يوليها رجلًا من قبلَه فولاها عتبة بن غزوان بن جابر بن وُهيب بن نُسَيب أحد بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة حليف بني نَوفل بن عبد مناف. وكان من المهاجرين الأولين أقبل في أربعين رجلًا منهم نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وأبو بكرةَ وزياد ابن أبيه وأخت لهم. وقال له عمر: إن الحيرة قد فتحت فائت أنتَ ناحية البصرة واشغلْ مَن هناك من أهل فارس والأهواز ومَيْسان عن إمداد إخوانهم فأتاها عتبة وانضم إليه سُويد بن قطبة فيمن معه من بكر بن وائل وتميم.

ومصرت الكوفة بعدها بستة أشهر وقيل سنة (١٧) على يد سعد بن أبي وقاص. وكان قصد عمر رضي الله عنه بذلك أن تتخذ البصرة للمسلمين مدينة يشتون بها ويستريحون من غزواتهم في بلاد الفرس. فبنى المسلمون هناك سبع (دساكر) اثنتين بالخُريبة واثنتين بالزابوقة وثلاثاً في موضع قيل له من بعد (دار الأزد) وكان البناء أولًا بالقصب لكثرته هناك فَدَبَّ الحريق في الكوفة والبصرة فأرسل سعد إلى عمر رضي الله عنه نفراً يستأذنه في البناء باللبن فقال: افعلوا ولا يزيدَنّ أحدكم على ثلاثة أبيات. ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة. وكتب إلى أهل البصرة بمثل ذلك فخططوا المناهج والشوارع على عرض (٢٠) ذراعاً وطول (٤٠) ذراعاً والأزقة (٧) أذرع. والقطائع (٦٠) ذراعاً * وأول شيء بنى فيها مسجدها (كما سيأتي). ووضعوه في الوسط بحيث تتفرع الشوارع منه فكان كما قيل من أن عمر أمرهم بتخطيط الشوارع على ذلك الوجه إلا

إنه لما ازدحمت السكان في المدينتين أخلُّوا بذلك الأصل. ولم يراعوا حالة التنظيم فتقدموا في البناء في وسط الشوارع والساحات حتى ازدحمت المنازل وضاقت الشوارع والسبل واختلت أصول التنظيم التي وضعها لهم عمر رضي الله عنه. وكان الباعث على ذلك بُعْدُ القوم عن أسباب الحضارة وعدم مراعاتهم لأصول التأنق في البنيان لقرب عهدهم بالبداوة. وقد عقد العلامة ابن خلدون فصلاً بهذا الصدد في مقدمته.

سبب تسميتها بالبصرة: يقال إن عتبة بن غزوان لما كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في تمصيرها. وصفها له بقوله: إني أرى أرضاً كثيرة القضة في طرف البر إلى الريف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء فقال عمر هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب (ومعنى البصرة في اللغة الأرض الغليظة. أو الأرض ذات الحجارة الرخوة البيضاء. وهي موجودة بها) فنزلها عتبة وبنى مسجدها من القصب وبنى دار إمارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم. وكان نزول عتبة بالخُريبة. وكان أول مولود بها عبد الرحمن بن أبي بكرة فنحر أبوه جزوراً أشبع منها أهل البصرة. وأبو بكرة هذا هو أول من غرس النخل بالبصرة وقال: هذه أرض نخل ثم غرس الناسُ بعده.

ثم استعمل عمر عليها المغيرة بن شعبة. ثم أبا موسى الأشعري سنة (١٧) فبنى الجامع باللبن وكذلك دار الإمارة ولما استعمل معاوية (زياداً) على البصرة بني المسجد بالجص وسقفه بالساج. ولما قدم الحجاج البصرة وأخبر بأن زياداً بنى دار الإمارة هدمها وقال أريد أن أبنيها بالآجر ولم يبنها فلم يكن للأمراء دارٌ حتى قام سليمان بن عبد الملك فاستعمل (صالح بن عبد الرحمن) على خراج العراقين[1] فقال له صالح ليس بالبصرة دار إمارة

(١) العربي والعجمي. اهـ مصحح.

وأخبره بخبر الحجاج فأمره بإعادتها فأعادها بالجص والآجر. ثم هدمت في خلافة الرشيد. وكانت البصرة تزداد سنة فسنة، قال (يزيد الرشك): قِسْتُ البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري سنة (١٠٥) هـ فوجدت طولها فرسخين وعرضها فرسخين إلا دانقاً. وكانت مقاتلة العرب أيام زياد (٨٠) ألفاً وعيالتهم (١٢٠) ألفاً ولم يكن بالبصرة أيام عبد الرحمن بن أبي بكرة أي: في أول سني بنائها إلا حمام واحد. وكانت الحمامات لا تبنى إلا بإذن الولاة وكانت غلة ذلك الحمام كثيرة فاستأذن عبد الرحمن الوالي فأذن له. ومن ثم كثرت الحمامات.

ولكن لكثرة ما حصل على البصرة من التقلبات والحروب والفتن خربت تلك البصرة. وأنشئت ثانياً في موضع يبعد عن محلها الأول بنحو (٢٨) ألف ذراع يد إلى الشمال الشرقي. وكان إنشاؤها في أول القرن (٨ هـ ١٤ م) - أنظر تتمة البحث فيما يأتي عند ذكر (معارفهم).

(فيحد) هذه البصرة الجديدة شرقاً شط العرب وشمالاً نهر الخندق. وجنوباً نهر الخورة. وغرباً البرية المنبسطة إلى قصبة الزبير. والبصرة هذه هي عبارة عن قسمين يفصلها نهر العشار المتفرع من شط العرب متجهاً نحو المغرب. فمدينة البصرة واقعة على ضفتي رأسه الغربي وغالب البيوت وجميع الأسواق في الصفة الجنوبية. (وقرية العشار) في رأسه الآخر ومعظم المساكن والأسواق في الجهة الشمالية الشرقية المطلة على شط العرب وبين العشار ومدينة البصرة نحو ميل بخط مستقيم وقد تم (تقييره) بالقير سنة (١٣٤١) وفي هذا الطريق عدة بيوت متفرقة غالبها بني على الطراز الحديث.

(الجو) يشتد الحر في البصرة صيفاً حتى إنه ربما تجاوز (٤٠) درجة من مقياس الحرارة الفرنسي. وهواؤها رديء لكثرة المستنقعات في أرباضها

الحاصلة من انحدار مياه الثلوج المتجمدة في جهة الشمال في نهر الفرات فيحصل فيه فيضان ويسمونه (ماء الموج) فتفيض منه الأنهر الصغار على وجه الأرض. وربما مكث ماء الموج ساتراً بعض الأراضي الغربية نحو ثلاثة أشهر حتى ينتن ويتعفن الهواء. فتكثر في البلدة الحميات.

وقد بنيت في السنين الأخيرة سدود لدفع كثرة الفيضان. وأشهرها سد الجزائر الذي أنشئ في زمن (رديف باشا) المتولى على بغداد سنة (١٢٨٩)هـ وهو عبارة عن (١٢٨) قطعة (كالأسطوانة) طولها جميع (٣٨٤٠٠) ذراعاً عثمانياً ومسافته نحو (٣١) ساعة. وعرض الواحدة منه (من ١٥ إلى ١٧) ذراعاً وبلغت نفقة هذا السد نحو (٢٠) ألف كيس ذهباً[١] فانتفعت بذلك الأراضي نفعاً جليلاً ولاسيما من جهة الهواء المقتضي للصحة. وهذه السد منفعته عمومية وفيه فوائد (منها) منع كثرة الفيضان عن الجزيرة (الشرقية).

و(منها) أن في السد أبواباً ففي وقت طغيان الماء (أو نقصانه) يفتح بعض الأبواب في الجهة الشرقية. ويفتح الأكثر في الجهة الغربية لأنه مرتفعة ومحتاجة لكثرة المياه احتياجاً كلياً. فبواسطة هذا السد حصل التعادل في توجيه المياه بين الطرفين. وربما عبر عن هذا السد (بسد الهندية) لقربه من قضاء الهندية.

(وأما البصرة) فماء الموج متسلط عليها في كل سنة (وأما ماء الزود الفاحش فهو يأتيها في كل عشرين سنة تقريباً مرة. حيث إنه جاءها سنة (١٢٩٣) و(١٣١٣) ويسمونه الموج الأسود و(١٣٣٣) أول سقوط البصرة وقد تعبت الدولتان المهاجمة والمدافعة بسببه.

---

(١) الكيس عبارة عن عشرة آلاف. اهـ. مؤلف.

ولما أنشئ الخط الحديدي من البصرة إلى بغداد. ودفنت الأرض في ممر الخط. ووضع سدٌ عريض المساحة من التراب فقط عند موضع يقال له (خرّ طراد) ليحفظ السكة عن المياه. فامتنع ماء الموج عن البصرة بتاتاً ولم يعد يأتيها من البر شيء من المياه. وإنما تطفح الأنهر من جهة الشط الكبير وقت الموج. ويعرف ذلك باحمرار لون الماء[1] (هواء هذا اللواء) وخيم على الإطلاق غير أن في مواقعه فرقاً بنسبة بعضها للبعض الآخر إذ إن هواء قصبة الزبير الداخلة في اللواء هو حار يابس صحي. والعلل والأمراض فيها قليلة. والجهة الشرقية من الجانب المقابل للبصرة بتلك النسبة أيضاً. وناحية (أبي الخصيب) في الدرجة الثانية من عذوبة الماء ولطافة الهواء من تلك الأماكن.

أما الرياح فإنها تهب في البصرة من جميع نقاط المهاب غير أن الوخيم منها هو (الحويزاوي. والشرقي) فإنهما إذا هبَّا حصلت الوخامة واشتدت أزمة الحر وكثرت الرطوبة المملة وتضايقت الأنفاس فحصل في الأعضاء رخاوة وكسل.

وأطيب هوائها وأصحه هو الشمالي فقط وهو أكثرها هبوباً. ويبتدئ من (١٥) برج الجوزاء ويستقيم نحو (١٠) أيام ويقال له البارح الصغير ثم يبتدئ من أول برج السرطان إلى نهايته ويسمونه البارح الكبير. وهو يهب في تلك الأيام هبوباً متصلًا في أغلب السنين. أما ما يكثر فيه اختلاف الهواء فهو من (١٠) برج السنبلة إلى (١٥) برج الميزان. وفي تلك المدة يختلف الهواء في كل ساعة بدون استطراد ولا عادة محدودة. ومن ثم تكثر في البلدة الحميات والأمراض المختلفة. (وأحسن شيء لصد غارات

(١) وفي سنة (١٣٤٢) حصل طغيان ماء عظيم في نهر قارون الآتي من أرض فارس فغرقت ناصرية العجم وحصل بها ضرر عظيم. اهـ مؤلف.

الحمى هو تليين الباطن دائماً مع كثرة الدثار ليستمر رشح العرق. وكل ذلك بالحالة الوسطى) وشدة الحر يسمونها الباحورة وهي سبعة أيام أولها من ٦ برج الأسد. وشدة البرد أيضاً سبعة أيام ويسمونه الأزرق وأوله من ٨ برج الدلو.

(أما ماؤها) ففي الأصل هو يتركب من منبعين هما من أعذب المياه غير أن (الأهوار) الغدران والمستنقعات (ومبازل الشلب) أي مزارع الأرز. والمياه المتراكمة الراكدة في الأنهار الجسيمة الواقعة في بلدة العمارة. وبلدة سوق الشيوخ. وناصرية العرب. والحمَّار. لم تزل تصب في الدجلة والفرات فتفسد عذوبتها وتذهب لذتها فتكسبها عفونة محسوسة حتى إنها في زمن الصيف تُرى كأنها مشوبة بالملح وفي لونها احمرار. وربما أضر ذلك بالصحة بما يخالطها من المواد النباتية.

(حاصلاتها) أهم ذلك التمر. وفي ضواحيها يُستنبت الأرز والحب والشعير. واللوبيا. والماش. والسمسم. والنارنج. والأترج. والليمون الشعيري (دمبلان) والبطيخ بنوعيه. والبقول بسائر أنواعها ولكنهم لايعتنون إلا بزراعة أصناف قليلة منها.

(صادراتها) التمر والحنطة والشعير والصوف والخيل وعرق السوس والعفص. ومعلوم أن تمرها هو مما لايحصى وفرة. وأنه أهم تجارتها وعليه اعتماد أهلها فإن أراضي النخيل تمتد من (الفاو) بكثرة إلى ما فوق شمال البصرة بمسافة نحو (٢٠) ساعة. وشمال ذلك يوجد أيضاً نخيل متفرق إلى مسافة طويلة. وينتهي من جهة الجنوب إلى خليج البصرة وعرض أراضي النخيل شاسع.

فالتمر الحاصل منها يبلغ سنوياً نحو (٤) ملايين مناً. فيرسل منه إلى أوروبا وأمريكا نحو (مليونين ونصف) من الصناديق عن (مليون مناً

وربع مليون مناً. ويرسل أيضاً إلى بلدان فارس والهند. والشام كميات وافرة. وقد انتظمت بالبصرة عدة أماكن لصف التمر في الصناديق وشحنه في البواخر. ويعبرون عن الواحد منها (بالچرداغ) والأولى أن يسمى (السُّرادق) ويجمع على السُّرادقات.

والبواخر البحرية مستعدة لنقله وقت موسمه. وكذلك البواخر النهرية.

(أنهارها) أنهر البصرة كثيرة فلكل قرية ومحلة نهر وكلها متفرعة من شط العرب الكبير المتشكل من مجموع شطي دجلة والفرات ويمر من وسط اللواء فيصب في البحر وطوله من القرنة إلى الفَاوْ نحو (١١٨) ميلًا بحرياً. ويتشعب منه نحو (٦٣٧) نهراً كبيراً. منها في الجهة الغربية من نهر عنتر داخل القرنة إلى نهر الغزال عند البحر نحو (٤٧٠). وفي الجهة الشرقية من حدر رأس القُرْنَة إلى حد (إيالة المحمرة) نحو (١٦٧).

وأما الأنهر الواقعة في إيالة المحمرة فغير داخلة في هذا الإحصاء وسنذكرها منفردة بعد أنهر البصرة.

ويتفرع من كل نهر عدة جداول يصعب حصرها أو يتعذر عده. والأنهر الكبار منها القديم ومنها الحديث. ومنها ما بدل اسمه ومنها ما دثر وحفر غيره. ومنها ما دثر ولم يحفر (كنهر معقل بن يسار المزني) فإنه دثر ولم يبق له أثر سوى القرية فإن عند محل انشعابه من الشط الكبير تصنع السفن (حوض) وصار أخيراً (مرسى) بعد سقوط البصرة.

ويسمى اليوم (ماركيل) تحريف معقل. وها نحن نذكر بعض أسماء الأنهر باسمها المصطلح عليها عندهم مبتدئين من جهة القرنة إلى مصب الشط.

١ - نهر الغميق

٢ - نهر الشافي وهو متصل إلى (الهور) أي مستنقع كالغدير.

٣ - نهر عمر متصل إلى الهور.

٤ - نهر قرمة ماجد متصل إلى الهور.

٥ - نهر قرمة على متصل إلى الهور.

٦ - نهر الجبيلة متصل إلى حد النخيل.

٧ - نهر الرباط متصل إلى حد النخيل.

٨ - نهر الخندق متصل إلى حد النخيل وعليه نحو ألف جريب من النخل.

٩ - نهر العشار متصل إلى حد النخيل وعليه نحو ألف جريب من النخل وهو المخترق وسط مدينة البصرة كما سيأتي عند ذكر العشار.

١٠ - نهر مناوي البيك تابع العشار. ويتبعه أربعة أنهر منبترات.

١١ - أ- نهر الوكيل.

١٢ - ب- نهر القزارة.

١٣ - ج- نهر جامع مناوى الباشا.

١٤ - د- نهر الششترية. على قاع ابن كامل.

١٥ - نهر الخورة تابع السراجي متصل إلى حد النخيل.

١٦ - نهر المحرقة } منبتران
١٧ - نهر المقام }

١٨ - نهر البراذعية }
١٩ - نهر الدوغة } كلها منبترات وتابعة للسراحي وعليها قري
٢٠ - نهر المزاينة }
٢١ - نهر ميثان }

مقاطعة السراجي

٢٢ - نهر السراجي الكبير متصل إلى حد النخيل. وعليه نحو ثلاثة آلاف جريب ممسوحة ومع غير ممسوح قيل (٤٥٠٠) وقرية السراجي أكبر المقاطعات وفيه مسجد قديم عليه منارة طويلة منقشة بالفسيفساء ولم يوحد بالبصرة مع عظمها سوى هذه المنارة وأخرى تشبهها في (محلة المشراق) في شرق السراجي قرية على شط العرب الكبير تسمى (الشطانية) و(الخضراوية) وبها قصر عظيم هو أحسن قصور البصرة اليوم. وقد بني على الطراز الحديث. أمر ببنائه المرحوم عبد الوهاب باشا ابن أحمد القرطاس. خصيصاً لقرينته في ملكها الآيل لها إرثاً من والدها المرحوم يوسف باشا بن قاسم باشا الزهير. وتوفي يوسف باشا سنة (١٣٠٠) هـ.

ويتبع السراجي عدة أنهر أيضاً.

٢٣ - أ- نهر متشعب منبتر
٢٤ - ب- نهر متشعب منبتر
٢٥ - ج- نهر فريق الصخر منبتر
٢٦ - د- نهر كوت الضاحي منبتر
٢٧ - هـ- نهر الشعشاعي منبتر
٢٨ - و- نهر أبي سلال منبتر
٢٩ - ز- نهر باب هوى منبتر
٣٠ - ح- نهر مركب منبتر
٣١ - ط- نهر فجة العرب منبتر
٣٢ - ي- نهر باب شتيوي منبتر
٣٣ - يا- نهر الشطبان منبتر

مهيجران

٣٤- نهر مهيجران الكبير متصل إلى حد النخيل وعليه نحو (١٢٠٠) جريب. وكان ملكاً لفيصل بن حمود تابع الشيخ بندر.

٣٥- نهر الخرس.

يوسفان

قرية يوسفان نخيلها نحو (٢٢٥) جريباً. وكانت راجعة إلى مهنا المغامس تابع الشيخ بندر. وفيها أناس من ذوي البيوت يقال لهم بيت شريدة. ورئيسهم الحاج حمدي والحاج يوسف أبناء صالح بن أحمد الشريدة. وهم عرب أصليون من بني أسد. ويتمذهبون بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه. وهم أهل كرم وسماحة وإذا ذهبنا إلى قرية يوسفان فنزولنا يكون على فراشهم فيلاقونا بصدر رحب.

وفي يوسفان خمسة أنهر منفرعة كلها من الشط الكبير.

٣٦- أ- نهر الشيخ حسن. وعلى ضفته ضريح يسمى (مقام الشيخ حسن).

٣٧- ب- نهر الجامع. وعنده جامع البلدة للجمعة وبقية الأوقات.

٣٨- ج- نهر الشيخ محمد الجائك.

٣٩- د- نهر بعيبيص

٤٠- هـ- نهر أم دخينة.

مقاطعة حمدان

٤١- نهر حمدان الكبير متصل إلى حد النخيل وعليه نحو (١٨٠٠) جريب.

٤٢- نهر كوت السيد سلمان
٤٣- نهر محيلة الصقاقرة. وهو تابع قرية اليهودي
٤٤- نهر مقيبرة. وهو تابع قرية اليهودي
٤٥- نهر كوت الفداغ. وهو تابع قرية اليهودي
٤٦- نهر المغدر. وهو تابع قرية اليهودي
٤٧- نهر البدع. وهو تابع قرية اليهودي

مقاطعة اليهودي

٤٨- نهر اليهودي الكبير متصل إلى حد النخيل وعليه نحو (١٤٠٠) جريب.
٤٩- نهر الحبابة متصل إلى حد النخيل.
٥٠- نهر السبيليات منبتر
٥١- نهر الحلبي الأول.
٥٢- نهر الحلبي الثاني.

مقاطعة أبي مغيرة

٥٣- نهر أبي مغيرة الكبير متصل إلى حد النخيل. وكان لسيف الرا شد تابع الشيخ بندر. وعليه نحو (١٦٠٠) جريب. وكان أهل هذه المقاطعة عاصية على العثمانية إلى سنة (١٢٧٧) حيث أخضعهم (منيب باشا) با لقوة ومن ثم أذعنوا لأوامر الدولة العلية العثمانية.

مقاطعة خوز

٥٤- نهر خوز. وكان راجعاً إلى سيف الراشد تابع الشيخ بندر. وعليه نحو (٧٠٠) جريب. ويتبعه أربعة أنهر.

٥٥- أ- نهر قاع المصلاوي.
٥٦- ب- نهر الأعيوج. وضع عليه الجسر الكبير في را[١]سنة (١٣٤٢).
٥٧- ج- نهر المشايخ. وضع عليه الجسر الكبير في ١٧را[١]سنة (١٣٤٢)
٥٨- د- نهر أبي الحمد (صاحب الضريح) المشهور.
٥٩- نهر الغبية تابع لأبي الخصيب. وكان راجعاً للشيخ بندر.
٦٠- نهر الجبارية تابع لأبي الخصيب. وكان راجعاً للشيخ بندر.
٦١- نهر ( ) يدخل على ملك الحاج عمر ابن الحاج علي
٦٢- نهر اللباني.
٦٣- نهر البريم.

مقاطعة أبي الخطيب

٦٤- نهر أبي الخصيب الكبير (حفر سنة ١٤٠هـ كما في صفحة ٢٦٢) متصل إلى حد النخيل وعليه نحو (٣٠٠٠) جريب. وكان راجعاً للشيخ بندر. وتم وضع الجسر الكبير عليه في (٩) شوال سنة ١٣٤١ وتم انتظام السير على الجسور من البصرة إلى أبي الخطيب سنة (١٣٤٢) وهو المسمى الدرب الوسطى وسهل سير الجوالات والعربات على الجسور. وسيأتي بحث (أبي الخصيب) ويتبع أبي الخصيب (قرية البقيع) وفيها ثلاثة أنهر:

٦٥- أ- نهر ( )
٦٦- ب- نهر الزريقة.
٦٧- ج- نهر ( ).
٦٨- نهر أبي الفلوس. وهو عبارة عن خندق فاصل بين أبي الخصيب والعامية. وقد صلح الطريق بينهما في ١٥جا[٢] ١٣٤٢ هـ.
٦٩- نهر دهقان.

---
(١) ربيع الأول.
(٢) جمادى الأولى.

مقاطعة العامية

٧٠- نهر العامية متصل إلى حد النخيل. وكان راجعاً للشيخ بندر.

الفياض

٧١- نهر الفياض متصل إلى حد النخيل. وكان راجعاً إلى عبد العزيز بن صالح السعدون.

البلجانية

٧٢- نهر بلجان متصل إلى حد النخيل. وكان راجعاً إلى الشيخ بندر السعدون.

٧٣- نهر بليجين وكان راجعاً إلى الشيخ بندر السعدون.

٧٤- نهر قاووس.

٧٥- نهر قليصية.

٧٦- نهر شمرتة.

٧٧- نهر النوفلي.

٧٨- نهر سالم علي

مقاطعة الزين

٧٩- نهر الزين. وكان أميرياً وأعطته الحكومة العثمانية للحاج جابر بن مرداو رئيس بني كعب في مقابلة إعطائه إياها باخرة.

مقاطعة المطوعة

المطوعة هي راجعة إلى منصور باشا بن راشد السعدون وفيها ثلاثة أنهر كبار:

٨٠- أ- نهر الخرم الشمالي.

٨١- ب- نهر المكري

٨٢- ج- نهر الخرم الجنوبي.

قطعة سيحان فيها أربعة أنهر:

٨٣- أ- نهر الخورة.

٨٤- ب- نهر الكوت

٨٥- ج- نهر (   ) } وهما غير عامرين

٨٦- د- نهر (   ) }

مقاطعة الدواسر

٨٧- نهر الخست (وهو أميري)

٨٨- نهر السبية (وهو أميري)

٨٩- نهر الشليشية (وهو أميري)

٩٠- نهر الجالي.

٩١- نهر الخور مشترك بين علي بن محمد الصباح وبين صقر ابن صقر الكويتي.

٩٢- نهر الربضة (وهو أميري)

٩٣- نهر المحيلة (وهو أميري).

٩٤- نهر الخرص (وهو أميري).

٩٥- نهر الزياد (وهو أميري).
٩٦- نهر شبيكي (أو شويكي) (وهو أميري).
٩٧- نهر الدويب الكبير (وهو أميري)
٩٨- نهر الدويب الصغير. قسم منه لأغوات مكة المشرفة.

الدواسر التي في ملك ناصر باشا السعدون

٩٩- نهر علوان
١٠٠- نهر العواد.
١٠١- نهر بندر عماش
١٠٢- نهر العواد الثاني
١٠٣- نهر المرابجي
١٠٤- نهر ابن إبراهيم
١٠٥- نهر ( )
١٠٦- نهر ( )
١٠٧- نهر كوت عباس
١٠٨- نهر كوت بن حلاوي.

مقاطعة

١٠٩- نهر الأغوات
١١٠- نهر جهجاه
١١١- نهر ابن مطرود
١١٢- نهر ابن سلمان
١١٣- نهر الخليفة

مقاطعة الفداغية

١١٤- نهر الحاجية
١١٥- نهر معاوية
١١٦- نهر الخشنام
١١٧- نهر ابن سعد
١١٨- نهر الدورة
١١٩- نهر المخراق

مقاطعة المعامر

مقاطعة المعامر كانت تسمى (الدكاك) وعمرها راشد السعدون سنة (١٢٢٦) كما سيأتي ذلك عند ذكر (الفاو).

١٢٠- نهر المعامر الكبير
١٢١- نهر ابن علقم
١٢٢- نهر جابر الصباح
١٢٣- نهر غليم
١٢٤- نهر سلمان
١٢٥- نهر ابن خنفر
١٢٦- نهر زينباوي
١٢٧- نهر مكي
١٢٨- نهر حاج رجب
١٢٩- نهر خلفان
١٣٠- نهر سعيد
١٣١- نهر البوعزرايين

١٣٢- نهر ياسين
١٣٣- نهر إبراهيم الخليفة
١٣٤- نهر ملك
١٣٥- نهر ابن راشد
١٣٦- نهر الزياد
١٣٧- نهر صبيح

أنهرها الشمالية:

١٣٨- حوز على الصفر
١٣٩- حوز مفرج الفوّاز
١٤٠- حوز على المناحى
١٤١- حوز مفرج الهليان
١٤٢- حوز ابن محسن
١٤٣- حوز عيد
١٤٤- حوز دشمان
١٤٥- حوز
١٤٦- حوز رماني

مديرية الفاو

١٤٧- أ- نهر حوز خليفة بن جبران شمالي (البنكلة).
١٤٨- ب- نهر حوز الحاج راشد المسمى (حوز البنلكة).
١٤٩- ج- نهر حوز عبد الله بن بارون جنوبي (البنكلة).
١٥٠- د- نهر حوز عبد الله الدورقي أبو الحاج داود والحاج ياسين الساكنين في النزيلة.

١٥١- هـ- نهر حوز بصري
١٥٢- و- نهر حوز العريض وفيه فرع
١٥٣- ز- نهر حوز الحاج عبد الله سوار (شاصور)
١٥٤- ح- نهر حوز خليفة الجبران
١٥٥- ط- نهر أبو زيطة
١٥٦- ي- نهر زرزور
١٥٧- يا- نهر حوز خصيفة الدمرادشة
١٥٨- يب- نهر حوز حيدر كلبي
١٥٩- يج- نهر سلمان بن محمد بن سلمان خارو الهندياني
١٦٠- يد- نهر الحاج جاسم بن خويدر
١٦١- يه- نهر الشيوخ
١٦٢- يو- نهر الحاج عبد الرحيم بن الحاج راشد ويسمى (نهر الكوت)
١٦٣- يز- نهر الحاج سلطان بن بايش ويسمى (أبو عبد وفيه فرع.
١٦٤- يح- نهر إبراهيم العبد الجبار ويسمى (العشار) ولذا يلغزون فيقولون: إن البصرة أولها نهر العشار وآخرها نهر العشار.
١٦٥- يط- نهر زاير سوادي أبو عقاب ويسمى (العشار الجنوبي).
١٦٦- ك- نهر الحاج محمد ويسمى (النجوة).
١٦٧- كا- نهر حبش
١٦٨- كب- نهر معتوق بن مجدم (وعنده صارت المحاربة في هجوم البصرة في الحرب العظمى أواخر سنة ١٣٣٢ هـ.
١٦٩- كج- نهر القشلة من جهة الشمال ويسمى (أبو سعيد)
١٧٠- كد- نهر الحاج يعقوب جنوب القشلة (الثكنة)
١٧١- كه- نهر ملا عيسى بن الحاج حسين

١٧٢ - كو- نهر ملا حسين العجمي ويسمى (أبو معرف)

١٧٣ - كز- نهر صبيح

١٧٤ - كح- نهر ابن علبوي

١٧٥ - كط - نهر العساوى

١٧٦ - ل- نهر الحاج عبد العزيز (وهو خال من النزلاء)

١٧٧ - لا- نهر الحاج عبد العزيز الثاني وعنده جامع وإمامه الحاج عبد الرحمن الراشد ويسمى الصافي لأنه ليس به (تعاب) شيعي أصلاً. والتعاب الفلاح الذي له جمع الثمار. وأما الأرض فهي (حكر) لأصحابها.

١٧٨ - لب- نهر أبي عريش

١٧٩ - لج- نهر عبد الخضر بن الحاج حسن. وهو خراب وليس عنده نخل وعنده سدٌّ. ولمكث الماء عند السد خَرُبَ والاسم باقٍ عليه في اليوم.

أسماء المقاطعات الشرقية من القرنة إلى حدود الإيران

١ - أ- المزيرعة

٢ - ب- السويب

٣ - ج- النشوة

٤ - د- الزريقي

٥ - هـ- كتيبان

٦ - و- باب قليع

٧ - ز- الحُوَط (بفتح الواو)

٨ - ح- الكباسي الصغير

٩- ط- الكباسي الكبير

١٠- ي-.نهر حسن

١١- يا- نهر المعاف

١٢- يب- قردلان

١٣- يج- تنومة

١٤- يد- كوت الجوع

أسماء مقاطعات شط العرب التي هي عبارة عن جزر في وسط الشط. ويسمونها شلهات

١٥- أ- الدغيات

١٦- ب- الحسيبية

١٧- ج- نهر جاسم

١٨- د- الدعيجي

١٩- هـ- السليمانية (شلهه)

٢٠- و- الشلاهى

٢١- ز- الصالحية

٢٢- ح- العجيراوية

٢٣- ط- الدَّرة

٢٤- ي- الطويلة (بالتصغير)

٢٥- يا- السليمانية

٢٦- يب- البوارين

٢٧- يج- الحِدّة (بالكسر) وهي حدة الأغوات

٢٨- يد- أم الخصاصيف

٢٩- يه- أم القباقب

٣٠- يو- البليانية

٣١- يز- الرميلة (بالتصغير)

٣٢- يح- شلاهى القطعة

٣٣- يط- البحرية

٣٤- ك- الزيادية

٣٥- كا- الصوفية

٣٦- كب- عويسية

٣٧- كج- شلهة الدويب

٣٨- كد- الفداغية

وفي داخل لواء البصرة عموماً نحو (٧٠) مقاطعة كبيرة وصغيرة والمقاطعة عبارة عن قرية. وهاك أسماءها من الشمال إلى الجنوب

١- القرنة

٢- المدينة

٣- الرحمانية

٤- بني منصور

٥- المزيرعة

٦- نهر غز

٧- الزريقى

٨- المصطفائية

٩- الشاملي

١٠- لاقية

١١ - الشرش (ومنها الشريشي[١] شارح مقامات الحريري)
١٢ - النشوة
١٣ - الهارثة
١٤ - قتيبان. نسبة لقُتَيْبَة بن مسلم
١٥ - باب قليع
١٦ - الهويري
١٧ - جزيرة الصقر
١٨ - جزيرة الأغوات
١٩ - الشعيبية
٢٠ - الخراب
٢١ - الكباسي (الكبير والصغير)
٢٢ - نهر حسن
٢٣ - قردلان
٢٤ - تل نومة (والعوام تقول - تنومة)
٢٥ - كوت الجوع
٢٦ - الصالحية
٢٧ - العجيراوية

---

(١) الشريشي هو. أحمد بن عبد المؤمن (١١٦١ م - ١٢٢٢ م) النحوي الأديب شارح مقامات الحريري ولد في شريش بالأندلس وتوفي بها، وأقام في بلنسية ورحل إلى الشرق، وشريش مدينة في مقاطعة بطليوس في العهد الإسلامي بالقرب من إشبيلية احتلها بنو عباد سنة ١٢٣٣ م ثم بنو نصر، واسترجعها ألفونس سنة ١٢٦٤ م وقد أنجبت عدداً من الأدباء والفقهاء المشهورين، وهي اليوم في أسبانيا في مقاطعة قادس وتعرف باسم: «خيريث الفرونتيرة». وليس الشريشي منسوباً إلى شرش كما ذكر المؤلف وإلا لكان الشرشي ولم يكن الشريشي والله أعلم. اهـ. مصحح.

٢٨ - مجمل كوت السنية (أو كوت السني)
٢٩ - كوت السيد
٣٠ - كوت الشيخ
٣١ - كوت إزعير
٣٢ - الدغيمات
٣٣ - نهر جاسم
٣٤ - الدعيجي
٣٥ - السليمانية
٣٦ - كوت البوم
٣٧ - قرمة علي
٣٨ - قرمة ماجد
٣٩ - كوت أفرنجي
٤٠ - الجبيلة
٤١ - الخربطلية (وهي للحاج محمد والحاج عبد الله ابني رجب المير)
٤٢ - الرباط
٤٣ - أم الدجاج
٤٤ - العشار
٤٥ - الخورة
٤٦ - المطيحة
٤٧ - السراجي
٤٨ - الخضراوية
٤٩ - عويسان
٥٠ - أم النعاج
٥١ - مهيجران

٥٢ - الفجة (فجة العرب)
٥٣ - يوسفان
٥٤ - حمدان
٥٥ - اليهودي (يهودي عتكر)
٥٦ - السبيليات
٥٧ - أبو مغيرة
٥٨ - أبو الخصيب
٥٩ - أبو الفلوس
٦٠ - بلجان
٦١ - المطوعة
٦٢ - القطعة
٦٣ - الزَّيَّادية
٦٤ - الدواسر
٦٥ - شهلة الفداغية
٦٦ - الدورة
٦٧ - المعامر
٦٨ - الفاو
٦٩ - عبد الليان. نسبة لعبد الله بن أبي بَكْرَة
٧٠ - خريبط.

أسماء الأنهر المتشعبة في برشيخ بني كعب - إيالة المحمرة

١ - نهر القصبة
٢ - نهر المنيوحي
٣ - نهر أبي جرّة

٤- نهر شطيط
٥- نهر البريم
٦- نهر حوش العامر
٧- نهر عربة
٨- نهر الحدة
٩- نهر المحرزى
١٠- نهر أم الجريدية
١١- نهر الحفار
١٢- نهر المحمرة
١٣- نهر المعموري
١٤- نهر الدربند
١٥- نهر أبي جذيع
١٦- نهر خيين الصغير
١٧- نهر خيين الكبير
١٨- نهر شاخورة
١٩- نهر الجديد
٢٠- نهر سعيدان
٢١- نهر يوسف
٢٢- نهر خميس (أو خميسة)
٢٣- نهر النار

المحزى صفحة بهمشير

٢٤- نهر الحياك
٢٥- نهر جيخوب

٢٦ - نهر ابن قرين
٢٧ - نهر البقاقرة
٢٨ - نهر السيد
٢٩ - نهر مهيوب
٣٠ - نهر شنة
٣١ - نهر الصوينخ
٣٢ - نهر البوكويسب
٣٣ - نهر البو محمود
٣٤ - نهر السليك
٣٥ - نهر البوحميد
٣٦ - نهر طرة الخذر

الحفاير الصفحة الشمالية

٣٧ - نهر سياب
٣٨ - نهر البعرية
٣٩ - نهر أم التلول
٤٠ - نهر البو حيمد
٤١ - نهر سر امبادر
٤٢ - نهر ابن علي باشا
٤٣ - نهر البو كريم
٤٤ - نهر الرمصان
٤٥ - نهر البوعبزتة
٤٦ - نهر منيعات

القصبة الصفحة الجنوبية - شلهة

٤٧ - نهر المنيخ
٤٨ - نهر جبيلة
٤٩ - نهر الخبيث
٥٠ - نهر الحواسمة
٥١ - نهر المنحدرة
٥٢ - نهر البقيعي
٥٣ - نهر كوت الخواجة
٥٤ - نهر البوشهات
٥٥ - نهر البوموسى
٥٦ - نهر المعيبرانية
٥٧ - نهر البرشة
٥٨ - نهر المصفاة

من المحزى الجنوبي - أم الجريدة

٥٩ - نهر الراسي
٦٠ - نهر الحدة
٦١ - نهر الشيخ
٦٢ - نهر حوش العامر
٦٣ - نهر البريم
٦٤ - نهر شطيط
٦٥ - نهر أبي جردة
٦٦ - نهر المنيوحي
٦٧ - نهر القصبة

من المحزى الشمالي - الدرة

٦٨- نهر الحيزان
٦٩- نهر المحمرة العتيقة
٧٠- نهر المعموري
٧١- نهر الدربند

أبو جذيع العريض - الصفحة الشمالية

٧٢- نهر الخيين
٧٣- نهر شاخورة
٧٤- نهر الجديد
٧٥- نهر سعيدان
٧٦- نهر يوسف
٧٧- نهر خميسة
٧٨- نهر النمار

الحالة الاقتصادية

(الزراعة والنباتات) غالب زرعهم النخيل فالحنطة فالشعير فالأرز ويزرعون من القطانية: اللوبيا. والماش. والباقلة. والذرة. والسمسم. وفي سنة (١٣٠٧) أمر والي البصرة (هدايت باشا) بزرع القطن وجلب للأهالي البذر من الموصل فزرعوه في تلك السنة في بعض الأماكن. ثم تركوه بعد ذلك ولم يداوموا على زرعه. ثم في سنة (١٣٢٤) تشكلت في البصرة (غرفة التجارة) ثم في سنة (١٣٢٧) جلب على يد أعضائها بذر القطن. وبذ

التوت لأجل توليد الحرير. وباشر توزيع البذور على الأهالي (باشكاتب غرفة التجارة) محمود بيك بن علي كاظم بيك فزرع الشيخ عبد الواحد باشعيان القطن في (الصالحية) وداوم على زرعه وأتى بمحلجة لحلج القطن وتنظيفه من البذر. وأيضاً زرع شجر الخروع وأتى له بمعصرة صغيرة لإخراج الدهن من البذر.

(الفواكه) غالب الفواكه تزرع عندهم ولكنها رديئة سوى العنب والتين والبطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر (الحبحب والخريز) فهذه الأربعة في غاية الجودة والحلاء[1]. ويزرعون أيضاً النارنج. والأترج والليمون الشعيري ويسمونه (دمبلان).

(النباتات العطرية) الورد. والفل. والياسمين. والنعناع والفوتنج ويسمونه (البطنج) وهو ينبت بنفسه بكثرة على حافة الأنهر.

(الخضرات) يزرعون البامية والباذنجان (الأسود والأحمر) والدباء بأنواعها الثلاثة (العربية. والكوسة. والرومية) ويسمون الأخير (بوبر) ويزرع في الزبير بكثرة. والكرنب ويسمونه (لهانة) والسلق واللفت (السلجم) والسبيناخ. والخس. والفجل والكراث والبصل والثوم والأخير يؤتى به من الزبير بكثرة.

(الحيوانات الداجنة) الخيل والإبل والحمير وتحمل عليها الأثقال بين البصرة، والزبير، والعشار. والبقر. والجاموس والضأن والمعز والأوز والبط. والدجاج.

(الحيوانات الوحشية) ابن آوى بكثرة. والثعلب والخنزير. وفي البادية الغربية الظباء. والحبارى.

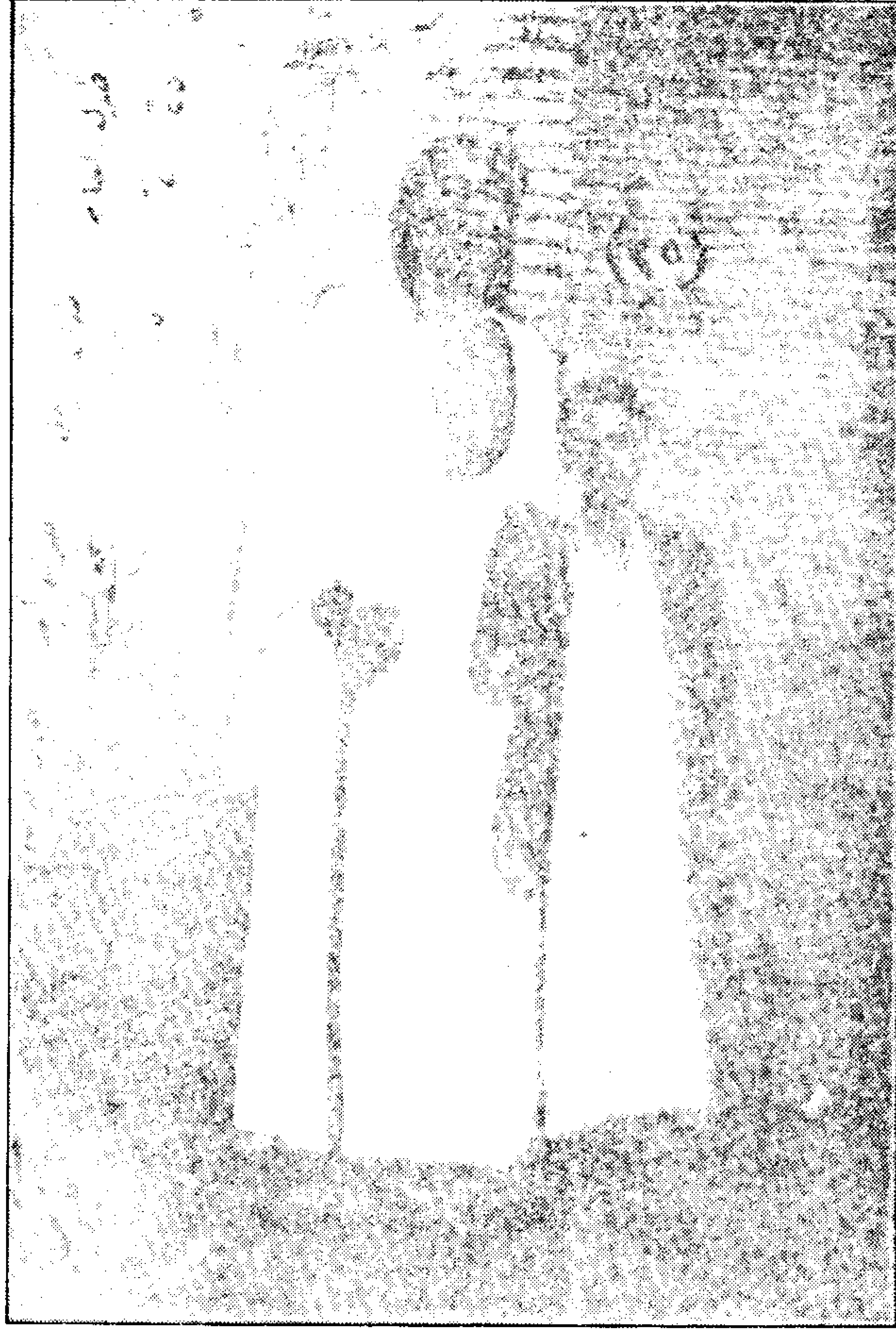
(١) يقصد: الحلاوة والله أعلم اهـ مصحح.

(أعجوبة) وهي أن الذباب في الصيف قليل مع كثرة تمرها وبالأخص في بيادر التمر. ومعاصر الدبس. فلايوجد فيها ذبابة إلا ما قل. وإنما يكثر على تمرها الدَّبْرُ (الزنبور).

(الأعجوبة الثانية) أن الغربان القواطع يجيء منها في الخريف ما يسود رؤوس النخل. ولكنها لا تقع إلا على النخل المصروم.

(الثالثة) هو أنه لما كنت في البصرة الفيحاء وصلها رجل طويل سنة (١٣٣١) للتداوي بها لحدوث خلل في ركبته فدخل المستشفى. فبالغ الناس في طوله مبالغة خارجة عن المعقول. فالتمست من صهري محمود بيك بأن يأخذ رسم هذا الرجل (بالتصوير الشمسي) ويأخذ مساحات أعضائه بالمتر ففعل. فالرجل يسمى حمود من بني لام وعمره إذ ذاك (٢٨) سنة.

سنتم	متر	
٢٥	٢	طول قامته
٢٥	١	طول رجله
١٠	١	طول يده
١٥		طول أحد أصابعه
١٥		عرض كفه
٧٢		تدوير وجهه
٥٧		عرض ما بين أكتافه
٣٣		طول قدمه
٨		غلظ أصابع يده
٦٦		تدوير رأسه



فهذه حقيقة مساحات أعضائه. أتى البصرة لمداواة ركبته. وهذه صورته مرسوماً مع شخص يسمى سليم طوله متر و٧٠ سنتم.

(المعدن) يوجد معدن (ملح الطعام) غربي البصرة وقرية حمدان وكذلك قرب (قرية المدينة) التابعة لقضاء القرنة ويوجد في جهة الزبير معدن الجص وكان يُعمل في البصرة الزجاج ولكن لم أعرف محل معدنه.

(الصناعة) لم يكن في البصرة ولا في ملحقاتها شيء من الصناعة سوى أن في (القرنة) بعض نساجين للعِبْي الرقيقة النفيسة. ومن الأعمال اليدوية المنطرقات البسيطة. والرائج في البصرة (الفخار) والآجر ومع ذلك فإنه لايسد حاجة البلدة فيأتون بالفخار من بغداد وبالآجر من (الشافي).

(التجارة) هي عبارة عن تسفير التمر إلى الهند واليمن. والحنطة والشعير إلى الحجاز والجلود والصوف وعرق السوس إلى عدة أماكن. ويستبدلونها بمصنوعات ومنسوجات أوربا والهند.

المآثر والمشاهد المقدسة

١ - الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرة بالجنة. ضريحه في وسط قصبة الزبير وبه سميت القصبة وعنده مسجد الجمعة.

٢ - عتبة بن غزوان. ضريحه حذاء ضريح الزبير في حجرة منفرداً.

٣ - طلحة الخير. عليه قبة وهو في الفضاء الكائن بين الزبير والبصرة الحديثة.

٤ - أنس بن مالك. ضريحه على مسافة ساعتين شمال الزبير.

٥ - عبد الرحمن بن عوف. ضريحه في قضاء أبي الخصيب.

٦ - العباس بن مرداس السُّلمي بين أبي الخصيب والدواسر على مسافة خمس دقائق من (نهر قاووس).

٧ - الحسن البصري. ضريحه في المقبرة العمومية لأهل الزبير والبصرة وعليه قبة.

٨ - محمد بن سيرين (المعبِّر) حذاء ضريح الحسن البصري وعليه قبة.

٩- المقداد بن الأسود الكندي. ضريحه في قرية الصنقر.

١٠- (أبو الجوز) في قرية نهر أبي سَلّال من ملحقات السراجي وبجذائه قبة صغيرة قيل هي قبة زوجته أو سُريته. وليس هو (ابن الجوزي) الشهير صاحب التأليف. فإن ذلك بغدادي، ودفن ببغداد.

تاريخ ارتقائها الحديث

جلبت إليها المعامل البخارية والآلات النارية في القرن (١٣) هـ وذلك لما جلس على كرسي الخلافة السلطان عبد المجيد العثماني سنة (١٢٥٥) امتدت في أيامه أعمال البريد والبرق في الجزيرة والعراق. وابتدأ أيضاً سير البواخر النهرية في الدجلة.

ولما عين (مدحت باشا) والياً لبغداد (١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م) كانت إدارة البواخر هناك بيد شركة إنكليزية تشتغل بين بغداد والبصرة فألف مدحت باشا شركة عثمانية ورمم البواخر القديمة وأوصى على سواها واختزن لها الفحم الحجري في (عدن. ومسقط. وبندر عباس. وأبي شهر) وكانت هذه البواخر هي أول البواخر العثمانية التي عبرت ترعة السويس إلى الآستانة. فلما رأى مدحت باشا نجاح ذلك العمل وسَّعه فأوصل تلك البواخر شمالاً سنة (١٢٨٩) إلى آخر ما يستطاع من شواطىء النهرين (دجلة والفرات) فعمر كثيراً من البقاع واتسعت أراضي الزراعة ونمت

وفي سنة (١٢٨٦) تقريباً جيء برَهَّاصة (معمل لحزم الصوف) وآخر لحزم عرق السوس وذلك من حين تشكيل إدارة (بيت الوكيل) للبواخر الإنكليزية التي كانت تحمل البريد.

وفي سنة (١٣٠٠) تقريباً جلبت الحكومة العثمانية إلى البصرة (معمل

الثلج) وفي بادئ الأمر كان موجوداً في بغداد. ثم بمناسبة جلب (محترف البواخر) إلى البصرة جلب معمل الثلج معه لكونه ملحقاً به.

وفي سنة (١٣٠٥) جلب يامين اليهودي (مثلجة) وطاحونة بخارية لأنه كان متعهداً بطعام الجنود العثمانية.

(رَهّاصة) أول من أتى بالرهاصة لحزم عرق السوس. هو فتح الله عبود المسيحي وكانت تحرك باليد فقط. ثم في سنة (١٣١٠) أتى برهَّاصة بخارية.

وفي سنة (١٣١٥) تشكلت شركة العربات بالخيل لحمل الناس بين البصرة والعشار. والساعي في تأسيسها (منكرديك) الأرمني الذي كان وكيلاً للبواخر النهرية.

ثم في سنة (١٣١٩) تشارك الحاج داغر بن محمد مع محمد سعيد في تأسيس عربات أخر على ذلك المجرى. ثم أتيا (بجوَّال) ولكن لم يدم مسيره لعدم وجود سائق بصير بالجوَّالات.

ثم في سنة (١٣٣٦) جيء بالجوَّالات على اختلاف أنواعها فجعلت تشتغل بين البصرة والعشار و(نهر معقل) والزبير وأبي الخصيب وفتح لها عدة (محترفات) و(رقاعات) لربل المدارج. وقيرت الطرق بالقير لأجلها. وتم تقيير ما بين البصرة والعشار سنة (١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م).

معامل الطحن

وفي سنة (١٣٠٥) جلب يامين اليهودي أول طاحونة بخارية؛ لتعهده بطعام الجنود كما تقدم.

ثم في سنة (١٣١٣) هـ جلب مُلَّا عبد الرازق العوضي (محركاً) قوته (٣٥) حصاناً ونصب عليه (هَبَّاشَة) لتقشير الأرز وتنظيفه. ثم بعد ستة

أشهر نصب على ذلك المحرك (طاحونة) للحنطة إضافة على الهباشة. ثم بعد ذلك جلب الناس المطاحن إلى البصرة.

المطابع

أول مطبعة جيء بها إلى البصرة سنة (١٣٠٦) باسم محمد علي الذي كان (باشكاتب) في تحريرات أملاك السنية. ثم صار أخيراً مديراً للإدارة المذكورة. وفتح معها جريدة رسمية تسمى (البصرة) ثم حصل بينه وبين والي البصرة (حمدي باشا) اختلاف شديد أدى إلى سد المطبعة بصورة قطعية. وجلب الوالي المذكور مطبعة أخرى باسم الحكومة العثمانية سنة ١٣١٢. ثم فتحت (جريدة البصرة) سنة ١٣١٣ فأرخ فتحها بعضهم بقوله (عادت جريدتنا والعود أحمد= ١٣١٣).

ثم في سنة (١٣٢٧) أتت جمعية الائتلاف بمطبعة ثالثة. وغالب ثمنها من الحاج محمود باشا بن عبد الواحد فنصبت في البصرة وسميت (المطبعة المحمودية) وهي التي آلت أخيراً إلى صاحب جريدة الدستور. ثم هو باعها لجيش الاحتلال الإنكليزي عام (١٣٣٣).

وقد أنشئ بالبصرة بعد إعلان الحرية عام (١٣٢٦) نحو إحدى عشرة جريدة. أرقاها (جريدة المنير. ثم الآتي. ثم التهذيب. ثم الفيحاء) وأيضاً أنشئ بالبصرة سنة (١٣٢٩) نادٍ سمي (ناشئة الوطن) سعي في تأسيسه أحمد جودت بيك صاحب جريدة المنير والحاج أحمد السالم.

معمل القازوز

أول معمل أتى به إبراهيم جي البهري ونصبه في داخل البصرة سنة (١٣٠٧) ثم أتى بآخر ووضعه في العشار. ثم في سنة (١٣١٢) جلب الحاج

ملا عبد الرحمن بن خدي بخش الهندي[1] معملًا لنفسه وشغله في داخل البصرة. وفي سنة (١٣٠٧) وضعت (آلة القازوز) في أبي الخصيب بشركة الأهالي مع محمد علي بن الشيخ محمد المولوي من أهل بندر عباس ثم انحلت تلك الشركة فتداولت الأيادي على تلك الآلة.

وفي سنة (١٣١٩) وضع الحاج ملا عبد الرحمن المذكور (آلة القازوز) في قصبة الزبير وظلت هناك نحو ثلاث سنين ثم أرجعها إلى البصرة لعدم رواج القازوز هناك. ثم إن الأهالي جعلت تجلب معامل القازوز في البصرة والعشار فعم القازوز جميع القرى.

وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني كثرت عمارة البصرة وزادت نفوسها. وأصدر أمره السامي بإحداث المدارس وإنشاء المكاتب فيها فأخذت البصرة بالتقدم والرقي. وفي سنة (١٣٢٣) أمر الوالي (مخلص باشا) بإنشاء مخفر سوق الدجاج. وقد حضر عموم الأهالي والأعيان يوم وضع الأساس وأول طابوقة وضعت في الأساس وضعها الوالي المذكور بيده فتبعه الأعيان والموظفون. وكنت الفقير يومئذ حاضراً في المحفل العجيب ورأيت الأهالي في غاية السرور والابتهاج والموسيقى تصدح طرباً في ذلك اليوم السعيد.

وكذلك أمر (الوالي مخلص باشا) بإنشاء مخفر باب الزبير. وأمر بقص طريق باب الزبير على خط مستقيم بتوسعة تامة. وكذلك أمر ببناء (ثكنة العشار البرية).

---

(١) الحاج ملا عبد الرحمن وأخوه الحاج محمد ابنا خدي بخش هما من أهل الخير ومحبي الإحسان. ومن مآثرهما الحسنة أنهما جددا بناء (جامع كوت صليحي) الكائن في مقاطعة حمدان من ملحقات أبي الخصيب. بعد أن كان خراباً نحو عشرين سنة وتم تجديد بنائه جميعه على نفقتهما سنة (١٣٣٥). اهـ مؤلف.

وأما (الثكنة البحرية) فأنشأها أمين باشا قمندان البحرية. سنة (١٣١٢). ثم تعين بدله القمندان (يعقوب باشا) فتمم بناءها سنة (١٣١٣). ومن ثم أخذت البصرة بالتقدم (أي من سنة ١٣٢٣) وتحسنت أسواقها وكثر تشييد الأبنية على الطراز الحديث. وجعلت البصرة تتقرب بالأبنية من العشار كما وإنه أصبح يدب نحوها. لاسيما بعد أن قصَّ (سليمان نظيف بيك) والي البصرة الطريق بين البصرة والعشار سنة (١٣٢٧) وأمر ببناء (الرشادية) مخفراً في الطريق. فجعلت البيوت تنتظم متسلسلة بينهما. وكذلك أمر بقص الطريق في أبي الخصيب من (باب سليمان) من عند قصر شعبان چلبي بن رجب (أي من عند الجسر) إلى (باب العريض) حتى اتصل الطريق إلى (باب الطويل) فاستراحت الأهالي في مواصلة أشغالهم بين تلك المحلات.

محمد صالح أفندي بن عبد الصمد الكركوكي هو ضابط شرطي ولد سنة (١٢٩٠) في كركوك - وتعين إلى البصرة سنة (١٣٢٨) شرطياً. ثم لما تأسس (مكتب الشرطة) في بغداد ذهب إليه وتمم فيه تحصيلاته ثم عاد إلى البصرة على وظيفته الأولى في مخفر باب الزبير. ولكمال اقتداره وصدقه وصداقته لدولته عهد إليه بوظيفة (الهوية) أي مراقبة الغرباء وتسجيل (هويتهم) وظل في وظيفته إلى سقوط البصرة. فتبع الحكومة إلى العمارة ثم بعد سقوطها جيء به إلى البصرة واستقام بها ولا قبل التوظف عند أحد لا عند الحكومة ولا عند الأهالي بل عكف في المساجد وجعل يعلم أبناء المسلمين القرآن وما تيسر من العلوم الدينية. وله عدة رسائل في مبادئ العلوم الدينية وقد تحصل على إجازات من كثير من العلماء وبالأخص من مدرسة العمارة. وله أيضاً (محاورة) في علم الهيئة وضعها على لسان زيد وعمرو وأصلح بينهما الفاروق. وقد أدرجت هذه المحاورة في الطبع ذيلاً لكتاب خلاصة الهيئة النبهانية.

الحالة السياسية

البصرة مركز لواء باسمها تبعد عن الخليج نحو (٨٨) كيلومتراً وعن بغداد نحو (٤٢٠) كيلومتراً وبينهما في النهر نحو (٧٢) ساعة وهي واسعة الأرجاء تبلغ مساحتها نحو (١٦٥٠٠) ميل مربع ونفوسها من الفاو إلى القرنة نحو (٢٠٠) ألف نسمة ونفوس مدينة البصرة نحو (٣٠) ألف شخص ونفوس العشار نحو (٢٥) ألفاً. ونفوس العراق من حيث المجموع يناهز الثلاثة ملايين؛ لأنه يوجد في العراق:

١٢٠٠ ٠٠٠	سني المذهب
١٠٠٠ ٠٠٠	من أبناء الشيعة
٨٧ ٠٠٠	مسيحيون
٧٨ ٠٠٠	يهود
١٤ ٠٠٠	خليط من الصابئة واليزيدية.
٢٣٧٩ ٠٠٠	يكون

وبعض المؤرخين يلحقون بالعراق قسماً من العشائر الذين يمتارون من العراق فيضيفون إلى ذلك العدد مقداراً يجعل الكل يقارب الثلاثة ملايين.

(أجناس أهل البصرة) هم خليط من الناس وفيهم العرب وأكثرهم مسلمون. فالعرب الأصليون يتمذهبون بمذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرةِ النبوية رضي الله عنه. ومن كان منهم حنفياً فأصله من بغداد أو الموصل أو من موظفي العثمانيين. ومن كان منهم شافعياً فأصله من الأكراد أو من أهل فارس. ومن كان منهم حنبلياً فأصله من نجد.

(واعلم) أن الأمة العربية تنحصر في ثلاث طبقات (الأولى) بنو إرم ولاود ابني سام بن نوح عليه السلام (والثانية) بنو قحطان بن عابر وهو نبي الله هود عليه السلام (والثالثة) بنو عدنان بن أُدٍّ.

(فالأولى) يعبر عنها بالعرب البائدة وهي بنو جديس بن إرم وبنو إخوته. وثمود وعاد وكذلك طسم بن لاود وإخوته وبنيهم جميعاً. فالكل يقال لهم العرب البائدة لأنهم بادوا وانقرضوا في الدهر الأول ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد (كما تقدم في تاريخ البحرين صفحة ٨٠) وربما عبر عنهم بالعرب العاربة أي الذين انفتقت ألسنتهم بالعربية بادئ بدء. (وأما الثانية) فهم بنو قحطان وهم (العرب العرباء) وهم أصل العرب الموجودين اليوم. ويقال لهم أيضاً العرب العاربة. وهو من باب التوكيد بما يشتق من المؤكد كقولهم ليل أَلْيَل. وظل ظليل. والمحقق أن قحطان هو ابن نبي الله هود عليه السلام. وفي ذلك يقول المتنبي.

إلى الثمر الحلو الذي طيئ له   فروع وقحطان بن هود له أصل

وهم الذين ورثوا الملك بجزيرة العرب من بني إرم بن سام ولاود بن سام. وكان لهم بها دولة عظيمة وملك ضخم ومنهم التبابعة. والأذواء. والأقيال. ويتفرع من قحطان شعبان عظيمان (حمير. وكهلان) وهما ابنا سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومنهم أيضاً (جرهم الحجاز) أصهار نبي الله إسماعيل. إلا إنهم انقرضوا بعد نبي الله إسماعيل كما سيأتي.

وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف (على قحطان بن هود) إن ابنه يَعْرُب ابن قحطان هو أول من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن فهو أبو اليمن كلهم. وهو أول من حياه ولده بتحية الملك (أنعم صباحاً. وأبيت اللعن). وقال الهمداني (يعرب بن قحطان) أول من ألهمه الله العربية المحضة فقصّر

ومـدّ. ورفع ونصب وخفض. وقال فأبلغ. واختصر فأوجز. وأشار إلى المعنى وحذف.. واشتق اسم العربية من اسمه. وتكلم بلسانه أبوه قحطان ابن هود في آخر عمره وإخوته أولاد سام كافة. وهو أول من أنجد وأغار. فصاف بأرض نجد وشَتَا بسهل اليمن.

(وجرهم الحجاز) من ولد قحطان وهم ممن سكنوا اليمن وتكلموا بالعربية ثم نزلوا مكة (وجرهم) أمتان أمة على عهد عاد ويقال لها جرهم العمالقة، وقد انقرضوا. وأمة من ولد قحطان ويقال لها جرهم الحجاز. وهذه الأمة القحطانية هي التي بعث إليها نبي الله إسماعيل وتزوج منهم فتعلم أبناؤه العربية فقيل لهم (العرب المستعربة) لأنهم تعلموا من أخوالهم اللغة العربية.

(عدنان) هو ابن أُدٍّ بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار (وقيل قيدال). وقال حسَّان بن ثابت في اللامية:

قحطان أبونا ثم هود جدنا
وبهم غنينا عن سياسة قيدل

وقيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وهم الذين أورثهم الله الملك الأضخم. والعز الأفخم. والملة الناسخة. والدولة الراسخة. بمحمد ﷺ. وأعظم شعوب عدنان وأشهرها ربيعة ومضر. ونبينا محمد ﷺ من مضر. وبلغتهم نزل القرآن. ونقلت السنة والآثار.

(وبقي طبقة رابعة) سماهم ابن خلدون (العرب المستعجمة) وعنى بهم عرب هذا الجيل الموجود بأكناف المشرق والمغرب. قال ولما كان لسانهم الذي نزل به القرآن ووقع به الإعجاز قد استعجم وتغير إعرابه وإن

كانت أصول مفرداته لازالت على وضعها الأول استحقوا بأن يوصفوا بالعجمة فسماهم (العرب المستعجمة).

(ونقول نحن) إنه يوجد اليوم قسم خامس وهم (العجم المستعربة) الذين أسلموا قديماً وتعلموا اللغة العربية كأهل العراق. وسورية. ومصر. والمغاربة.

فأهل العراق فارسيون دخل فيهم الدين واللسان العربي.

وأهل سورية رومان دخل فيهم الدين واللسان العربي.

وأهل مصر أقباط دخل فيهم الدين واللسان العربي..

وأهل المغرب (شمال أفريقيا) برابرة دخل فيهم الدين واللسان. على أنه لايخلو وجود العرب الأصليين في تلك البقاع. حيث يوجد في العراق قسم عظيم من ربيعة. وتميم. والمنتفق. وطي. ومنهم (شمر الجربا). وبني مالك. وبني أسد. وبني نهد. وخلافهم فإن هؤلاء عرب استوطنوا العراق.

وفي سورية قسم مهم من الغسانيين وهم عدة قبائل قصدوا الشام فنزلوا على ماءٍ يسمى (غسانا) فنسبوا له.

وفي مصر قسم لايستهان به من القحطانين لخم. وجذام وزبيد. وقسم أيضاً من العدنانيين.

وفي شمال أفريقيا (المغاربة) عدة عشائر كانت جدودهم وزراء وأمراء وأجناد في الدولة الأموية.

فإن من كان أصله ثابت من تلك القبائل فهو عربي الأصل ومَنْ لَا فلا. ومع ذلك فإننا نقول ينبغي للشخص أن لا يفتخَر بِعَظْمٍ نَخِرٍ. بل يفتخر بنشبه لابنسبه. وبمحصوله لابأصوله. وبمجهوده لابجدوده.

وقال تعالى ﴿فإذا نُفِخَ في الصورِ فلاأنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتَساءَلون﴾[1]. حيث إن الإسلام قرَّب بلالاً الحبشي وأبعد أبا لهب القرشي. فقال تعالى ﴿إنَّ أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم﴾[2] وفي الحديث عن أبي هريرة (مَن بَطَّأَ به عمله. لم يُسرع به نسبهُ). وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه كان يدعو عند البيت الحرام فخر مغشياً عليه خشوعاً من خشية الله. فلما أفاق قال له بعض الواقفين: ارفق بنفسك فإنكم أهلَ البيت قد غُفِر لكم. فقال له مَهْ يا فلان (إن الله خلق الجنة وأعدها لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً. وخلق النار وأعدها لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشيا) وقال ابن الوردي في اللامية.

لاتقل أصلي وفصلي أبدا إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أبٍ وَبِحُسْنِ السبك قد يُنْفَى الزَّغَل
مع أني أحمد الله على نسبي إذ بأبي بكر اتصل

(عود على بدءٍ) أما العرب العرباء فأول من أغار من ملوكهم على العراق (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك اليمن الرابع من عبد قحطان. وفيه قول الشاعر:

لقد مَلَكَ الآفاقَ من حيث شرقِها
إلى الغرب منها عبدُ شمسِ بن يَشْجُبِ
سعى بالجياد الأعوجية والقنا
إلى بابل في مقنب بعد مقنب

(١) الآية ١٠١ من سورة المؤمنون.
(٢) من الآية ١٣ من سورة الحجرات.

وقد أغار على العراق سنة (٢٤٤٦ ق هـ - ١٧٥٠ ق.م.) وانقاد لطاعته جميع قبائل العرب الذين كانوا على حافة البادية وحافة سواد العراق: وكانوا يسكنون في الأخبية. ولما رجع إلى اليمن خلف بحافة سواد العراق من لم يكن فيه قوة من عسكره فسكنوا (الحيرة) وما يليها من البلاد. وعبد شمس المذكور لما سبى النساء في غزواته سُمي (سَبَا) وفي ذلك يقول نشوان بن سعيد الأزدي الحميري العماني في الحائية.

وسبا ابن يشجب وهو أول من سبى　　　في الغزو قدْماً كل ذات وشاح

ولم تزل قبائل العرب الذين كانوا على حافة سواد العراق منقادين لطاعة ملوك اليمن إلى أن أغار عليهم (بخْتَ نَصَّر) حوالى سنة (١٣٦٣ ق هـ ٧٠٠ ق م) فخرجت إليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم وأنزلهم السواد فابتنوا (الأنبار) وانضم أهل الحيرة إلى الأنبار وبقيت الحيرة خراباً[١] إلى أن أعاد عمارتها تبع الأول الأقرن بن شمر يُرْعِش بن إفريقش بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرياش سنة (٨٢٢ ق. هـ - ١٧٥ ق م) وخلف بها قوماً من الأزد. ولخم. وجذام. وعاملة. وقضاعة. فبنوا وأقاموا بها ثم انتقل إليهم بعد ذلك أناس من طيء. وكلب. والسُّكون. وبلحارث بنَ كعب. وإياد. ثم توجه (تبع) المذكور إلى الموصل ثم إلى أذربيجان. فلقي (التركمان) فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية.

ثم أوغل في جهة الشمال فوافاه فصل الشتاء واشتد البرد عليه في البراري فتمرض فمات ودفن هناك. وكرَّ أصحابه راجعين خوف الهلاك.

(١) الحيرة عند النجف. والأنبار عند (طويريق).

فأرادت حمير أن تنقل جثته إلى اليمن بعد ذلك فما تمكنت. وفي ذلك يقول الأديب نشوان في حائيته:

والأقرن الملك المتوج تبع عرك البلاد بكلكل قداح
وغزا وراء الروم يبغي وَادِيَ الْياقوت صاحب عزةٍ وطماح
فقضى هنالك نحبه وأتى إلى أجل معَدٍ للحمام متاح

وفي سنة (٩٥٠ ق هـ - ٥٠ بعد الميلاد) اشتد القتال بين الأرمانيين وهم الذين ملكوا بابل وما يليها إلى الموصل. والأردوانيين وهم ملوك الطوائف حتى ضعفت قوة الطرفين وتغلبت قبائل العرب على أغلب بلاد العراق. وكان أول من ملك منهم (مالك بن فهم) بن غنم بن دوس الأزدي وكان منزله الأنبار. وظل في الملك إلى أن مات فملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) إلى أن مات فملك بعده جذيمة الأبرش بن مالك من بني فهمٍ الذي قتلته الزباء.

ثم ملك بعده ابن أخته (عمرو بن عدي) اللخمي وبه يبتدئ حكم اللخميين وهم المناذرة بنو عَدي بن نصر بن ربيعة من بني لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أددٍ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبَا. ولما ملك احتال على الزباء فقتلها بمساعدة (قصير) له وأخذ بثأر خاله جذيمة (وقصتها مشهورة) وكان ينزل الحيرة.

ولما تغلب (أزدشير بن بابك) على ملوك الطوائف انقاد لطاعته. ولازال (المناذرة) آل نصر بن ربيعة عمالاً للأكاسِرَةِ على عرب العراق إلى أن قَتل كسرى أبرويز (النعمانَ بنَ المنذر) بن ماء السماء.

وبسبب مقتله كانت (وقعة ذي قار) بين الفرس والعرب. ثم انتقل الملك في الحيرة بعد النعمان المذكور عن اللخميين إلى (إياس بن قبيصة

الطائي) ولستة أشهر من ملك إياس بُعث نبينا محمد ﷺ. ثم بعد إياس تملك (زارويه) ابن ماهان الهمذاني. ثم عاد الملك إلى اللخميين وملك (المنذر بن النعمان) وهو آخر ملوك اللخميين على الحيرة. وزال ملكهم بالإسلام

(طباع البصريين) كان المشهور عنهم الكرم وبالأخصّ إكرام الغريب والإقامة بحقه فلايستوحش فيما بينهم غريب وكانوا مشغوفين بإسداء المعروف للأرامل والأيتام وبذل الأموال في طرق الخيرات. وأما اليوم فأصبحت غالب دواوينهم خراباً وغير منتظمة تغلق وتفك. ولم يبق بها ديوان عامر خال من الرياء والسمعة سوى (ديوان المرحوم الحاج عبد الله ابن رجب المير) في داخل البصرة فإن فيه كان يجتمع الأعيان والعلماء والقراء في كل يوم للمذاكرة والمؤانسة وتناول الطعام. بل طعام غالب القراء في يوم الجمعة فيه. فإن حملة القرآن والقراء تقصد ذلك الديوان العامر في كل يوم جمعة من كل جهة ومن أراد منهم المنام به نام إلى الغد. فلما توفي رحمه الله في ١٤ شوال عام ١٣٢٨ قام بالإكرام وتأييد عوائد الديوان نجله صاحب الخيرات (أبو عيسى الحاج رجب بن عبد الله المير) إلى سقوط البصرة سنة (١٣٣٣) هـ حيث سدّ. ثم أنشأه في نخيله في المقاصعة المسماة (الخَرْبَطلية) وهو باقٍ إلى اليوم لكن مع بعده عن المدينة يقل ذهاب القاصدين إليه.

وكذلك ديوان الشيخ عبد الله باشا أعيان فإن في رمضان يجتمع فيه الأغنياء والموظفون عند الحكومة إلى أن توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء في ١٩ جمادى الأولى سنة (١٣٤٠) حيث اختل نظام الديوان.

(معارف البصريين) كان في قديم الزمان بالبصرة علماء أعلام انتهت إليهم رياسة كثير من العلوم النقلية والعقلية فمنهم أبو الأسود الدؤلي

واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان واضع علم النحو وكان عالماً شاعراً ومن شعره:

وكنتَ متى لم ترع سرك منتشراً　　توازعه من مخطئ ومصيبِ
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه　　وما كل مُؤْتٍ نصحه بلبيبِ

وقال يخاطب ابناً له لايطلبُ الرزق:

وما طلب المعيشة بالتمني　　ولكن أدل دلوك في الدلاءِ
تجيء بمثلها طوراً وطوراً　　تجيء بحمأة وقليل ماءِ

وقال أيضاً:

يقول الأرذلون بنو قشير　　طوال الدهر لاتنسى عليّا
بنو عم النبي. وأقرباه　　أحب الناس كلهم إليَّا
فإن يك حبهم رشداً أصبه　　ولست بمخطئٍ إن كان غيَّا

فقال له بنو قشير قد شككت يا أبا الأسود فقال كلاماً شككت أما سمعتم قوله تعالى ﴿وإنَّا أو إيَّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ أفترون أن الله تعالى شك. وتوفي أبو الأسود سنة (٦٩) بالبصرة. ومن علمائها أيضاً الخليل بن أحمد بن عمر الفراهيدي الأزدي ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة عام (١٠٠) ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف عدة كتب أجلها في فن العروض وهو أول من وضعه توفي بالبصرة سنة (١٦٠) ومن علمائها أيضاً الحسن بن أبي الحسن البصري. ومحمد بن سيرين المعبّر.

ثم أخذت البصرة بالتقهقر والانحطاط من سنة (٢٥٧) لما تغلب عليها صاحب الزنج وقتل أهلها (كما سيأتي في محله) ثم أصابتها مصائب التتار. ونوائب العجم. وتسلط السفلة والجهلة عليها من الإعراب والإعجام حتى أمست طللًا دارساً.

وكانت البصرة في صدر حضارتها من أشهر المدن وأكثرها أدباً وعلماً وتجارة وعزاً. وأجلها شأناً وأبهجها مركزاً. ولا سيما في أيام العباسيين الذين زادوا في عمارتها وشادوا فيها الأبنية الجليلة من صروح ومقاصر ومساجد.

وكم من قارئٍ فيها وقار أضرى بالجفون وبالجفان
وكم من مَعْلم للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني

وكانت ثانية بغداد في الأهمية والذكر. وكانت مركز التجارة بين (أوربا والهند. والعراق والإيران) فكانت السفن تأتيها بالبضائع بحراً والقوافل تقبل إليها براً ويتبادلون بها.

(وأما في العلوم والفنون) فكانت أشهر من أن تذكر فخرج منها فطاحل علماء المسلمين وفقائهم. وأنشئ فيها في القرن (٤)هـ مدرسة عظيمة طار صيتها في الآفاق ودعيت البصرة قبة الإسلام. ودُعي أصحاب هذه المدرسة بإخوان الصفا. وقد بثوا أفانين العلوم الدينية والفلسفة بمؤلفات ومصنفات كثيرة. وكانت البصرة تناظر الكوفة في المذاهب العربية وهو أمر مشهور في كتب النحاة. ولذا كانتا أشهر من أن تذكرا في صحة العربية وثقتها. وقال العلماء حيثما وجد اختلاف بين البصريين والكوفيين. فمذهب البصريين أصح من جهة اللفظ. ومذهب الكوفيين أصح من جهة المعنى. غير أنها بعد تلك العظمة والشهرة أخذت تسقط شيئاً فشيئاً ويتقلص ظلها. وكان أسرع انحطاطها في غزوات العرب حتى أشرفت على الخراب في أواخر القرن (٦ هـ ١٢ م).

قالوا: اندثرت عن آخرها في سنة (٧٠١) وأرخوا خراب البصرة بقولهم (خامدون =٧٠١) وقد دخلها ابن بطوطة في أول القرن (٨ هـ

١٤م) لأن خروجه من طنجة قاصداً السياحة في (٢ رجب ٧٢٥ هـ) فلما دخل البصرة رأى من بعدٍ بناءً عالياً مثل الحصن. قال: فسألت عنه فقيل له: هو مسجد علي بن أبي طالب.

وأثنى ابن بطوطة في رحلته على أهل البصرة بمكارم الأخلاق وإيناس الغريب والقيام بحقه وقال: فلايستوحش فيها بينهم غريب سوى أنه رأى خطيبهم يوم الجمعة يلحن في خطبته على المنبر. وذلك لقلة وجود العلماء في البلدة. وفي ذلك يقول العلامة الشيخ عثمان بن سند المالكي الشهير آخر فضلاء البصريين:

قد كانت البصرة الفيحاء من قدمٍ
مجرًى لأبحر نحوٍ تقذف الدررا
فأصبحت وهي صفراء الوشاح فلا
نحويّ فيها سوى نَزْرٍ وَهُمْ فقرا

والشيخ عثمان المذكور هو من أهل البحرين وتقدم ذكره في تاريخها وتوفي ببغداد في سنة (١٢٥٠) تقريباً.

(الجوامع والمساجد) كانت كثيرة ولكن تغلبت على أوقافها أيدي الطمع ومخالب الجشع. فأصبحت خرائب فاندثرت وتقدم عليها أصحاب البيوت فجعلوا يقتطعون من أرضها شيئاً فشيئاً حتى انمحى أثرها. وهاك أسماء بعض المساجد التي كانت في داخل البصرة في أول القرن (١٣) قد عثرنا على ورقة منقولة من سجل عبد الله افندي الرحجي (مدير الأوقاف في وقته) قال ما نصه:

في بيان الجوامع والمساجد والتكيات التي داخل البصرة المحمية.

١ - جامع الشيخ شوفان. بيد السيد محمود.

٢ - جامع في محلة الكاور يسمى بجامع ابن محمود. بيد المفتي أفندي.
٣ - جامع في محلة القبلة.
٤ - جامع الشيخ عبد الباقي.
٥ - مدرسة المغامسية.
٦ - جامع أبي منارتين.
٧ - جامع ابن عيد. بيد ابنه الشيخ صالح.
٨ - جامع الشيخ حبيب الله. بيد السيد محمود أفندي الرديني.
٩ - جامع ابن ميمي في محلة الحدادة. بيد السيد محمود.
١٠ - مسجد الشيخ بادي. في محلة ميدان العبيد.
١١ - جامع قريب بيت السيد محمود المذكور.
١٢ - مسجد نهر البنات. بيد الشيخ معروف أفندي.
١٣ - جامع في محلة الساعي يسمى (جامع الكواز).
١٤ - جامع ملاحسن في محلة أحمد بن الشيخ يوسف يسمى مسجد الكوارخين.
١٥ - جامع في محلة الأفغان بيد المفتي أفندي والسيد محمود أفندي.
١٦ - جامع بن لالا بيد المفتي أفندي وشيخ السبعة.
١٧ - جامع فارسي خان الدهن قريب بيت الباليوز بيد شيخ السبعة.
١٨ - جامع في سوق التجار بيد الشيخ موسى.
١٩ - جامع قريب الشيخ جوهر بيد شيخ السبعة.
٢٠ - جامع في محلة المجموعة بيد نقيب أفندي.
٢١ - جامع القطانة بيد السيد صالح.
٢٢ - جامع المقام بيد عمر أغا
٢٣ - مسجد في محلة الصبخة بيد ملا إسماعيل محسوب الملا مرهون. ووقفه بيد السيد موسى.

٢٤ - مسجد بالصبخة أيضاً بيد أم الزين.
٢٥ - جامع الغنامة بيد الملا بدران.
٢٦ - جامع قريب بيت الشيخ درويش بيد الملا يوسف ابن مرزه.
٢٧ - جامع محمد بن عطيوي بالمشراق.
٢٨ - جامع في سوق الأطرقجية بيد ملا محمد الحمداني.
٢٩ - جامع أبي البزازين عند الدوغة في ميدان العبيد ما عرف له متولي.
٣٠ - جامع في محلة الحديراتية خراب ما عرف له متولي.
٣١ - مسجد أم البلابيل خراب وما عرف له متولى.
ووقفه حول إلى مسجد الغنامة.
٣٢ - مسجد البنة قد بيع وقفه على اليهود. ولم يعرف المتبايعان.
٣٣ - مسجد بستان قصب بيد الحاج محمد بن الحاج طعمة.
٣٤ - جامع المعامرة بيد الحاج عبد القادر.
٣٥ - جامع العرب قريب بيت النقيب بيد الملا عبود.
٣٦ - مسجد في القطانة. في خرايب الصوفي بيد سالم بن محمد البزاز.
٣٧ - مسجد الشيخ عمر الوحشي بالقبلة.
٣٨ - مسجد في محلة الحكاكة بيد الحاج حفص.
٣٩ - مسجد الشياني بالمقيبرة بيد الملا عبود بن ملا رجب.
٤٠ - جامع إياس باشا بيد الملا مرهون.
٤١ - جامع الشيخ عبد الله في محلة الدباغين في باب الدروازة.
٤٢ - مسجد بالكومرلية بيد الحاج محمد بن عبد الغفور.
٤٣ - جامع افراسياب في محلة جسر العبيد بيد رجب الشيخلي.
٤٤ - جامع الغصب في محلة السيد حسين بيد مير داود.
٤٥ - مسجد الشيخ أحمد آل عبد السلام.
٤٦ - مسجد بالمجموعة بيد الملا إبراهيم.

٤٧ – مسجد مرقد محمد جواد. بيد فاطمة.

٤٨ – مسجد بالدوغچية بيد الملا يحيى.

٤٩ – جامع في المحصة العتيقة بيد الملا إسماعيل.

٥٠ – مسجد بالسيمر ملاصق لدكاكين الحاج عاشور.

٥١ – مسجد ثاني بالسيمر بيد الملا يوسف.

٥٢ – مسجد ثالث بالسيمر قريب قهوة العباچي (العبائية).

٥٣ – مسجد بمحلة الصَّبأ بيد أحمد القرناوي.

٥٤ – جامع الفرسي بيد ملاجمعة.

٥٥ – جامع قريب سوق الدجاج بيد بيت الحاج يوسف.

٥٦ – تكية الحاج عبد القادر الهندي.

٥٧ – تكية العباس.

٥٨ – تكية جامع أبي منارتين

٥٩ – تكية جامع ملا مرهون.

٦٠ – جامع خضر بيد عبود بن أم الزين.

٦١ – جامع في محلة عز الدين بيد ملا إبراهيم بن ملا عثمان.

٦٢ – جامع في محلة البلوش بيد الشيخ قاسم.

٦٣ – جامع في محلة نصران بلا متولي.

٦٤ – جامع خراب عند باب الدرواز عند قاع أحمد بن موسى.

٦٥ – جامع الحورية في باب الرباط.

٦٦ – تكية الحورية أيضاً.

٦٧ – تكية سير الذهب.

٦٨ – المدرسة السليمانية (١).

٦٩ – تكية ملا عبود.

٧٠ – مدرسة الشيخ أحمد بن الشيخ درويش (٢).

٧١- تكية خراب ووقفها مبيع.
٧٢- المدرسة الرحمانية (٣).
٧٣- تكية ملا بدران.
٧٤- تكية عبد السلام تفكجي (بُندقي) بقيعان طريق الطويل.

وفي سنة (١٢١٧) المتولي على قبة مقام علي بن موسى الرضا (محمد حسن بن الحاج حسن علي).

وفي سنة (١٢١٧) أفرغ الرجلى الكامل الرشيد الشيخ موسى بن الشيخ زكريا.

٧٥- ذكرى الجامع المعروف (بجامع محمد باشا) الواقع بسوق البحارنة من أسواق البصرة المحروسة على ولده المحروس المدعو بالشيخ عبد الوهاب. وكذلك ولاه حاكم الشرع الشريف عليه وعلى أوقافه جميعه في ٧ ربيع الثاني عام ١٢١٨ هـ.

وبموجب المقرر الشريف قد ولينا الرجل المدعو بالملا إبراهيم بن شعبان ابن ملا رمضان بن غريني بالنصف الجامع الواقع في محلة الصبخة من محال البصرة المحمية وعلى نصف أوقافه الكائنة عليه (اهـ حرفياً من الورقة المذكورة).

وتوجّد أرض خالية من البناء في سوق الدجاج شمالي (بيت الحاج عيسى روحي) هي موضع (مسجد الحيدراتي) ثم إن دائرة أوقاف البصرة وضعت يدها عليه الآن.

(وأما المدارس القديمة).

فهي مدرسة الشيخ عثمان بن سند الشهير.

و(مدرسة السليمانية) وكان موضعها في محلة المشراق في محل (الدواليب) اليوم. و(مدرسة الرحمانية) وكان موضعها في محلة السيف مكان (بيت الشيخ حسين الحمداني) و(المدرسة الرءوفية) وهي ملاصقة لجامع عزيز أغا من الجهة الشمالية ولها باب من داخل الجامع المذكور وباب آخر من جهة طريق القبلة. وقد صارت أخيراً دار سكنى لإمام الجامع المذكور.

و(المدرسة الحللية) في محلة القبلة شرقي جامع الغصب وهي الباقية من تلك المدارس وآيلة للخراب وقد رممت سنة (١٣٠٠) ولم يكن بها كتب ولا تلاميذ. سوى بعض أطفال يقرأون مبادئ القرآن الكريم.

وفي سنة (١٣٤١) خصصت دائرة الأوقاف أحد بيوت الوقف في محلة السيف وجعلته مدرسة وسمتها (المدرسة السليمانية الرحمانية) لأجل أن تحول وقف تلك المدرستين إلى هذه المدرسة. ويوجد بها نحو (٣٥) تلميذاً

أما المساجد الموجودة اليوم تحت نظارة أوقاف البصرة فهي:

١- مسجد الغنامة
٢- مسجد بن عيد } في محلة المشراق
٣- جامع الكواز
٤- مسجد بستان قصب في محلة بستان قصب
٥- جامع الحدادة. جدد بناؤه (١٢٣٠).
٦- جامع الكنفى في محلة الحكاكة
٧- مسجد الخفافة. إمامه ملا خليل بن إبراهيم العوضي.
٨- جامع العرب
٩- مسجد الشيخ حبيب } في محلة القبلة
١٠- جامع الغصب
١١- جامع عزيز أغا

١٢ - جامع أبي منارتين (في محلة الباشا) نقض بناؤه في شعبان ١٣٤٢ هـ وابتدئ في عمارته في تلك السنة. وقد دعتني دائرة الأوقاف رسمياً (في ١٨ شوال ١٣٤٢) للحضور لتحرير قبلة محرابه فحضرت وحررت قبلته على مغيب العقرب ربع خن طرف القطب.

١٣ - مسجد الخواجة محمود (في محلة الباشا) وجدد بناؤه (١٣١١).

١٤ - جامع السيف (محلة السيف) وجدد بناؤه سنة (١٣١٦).

١٥ - جامع عبد الله أغا (محلة السيف) وجدد بناؤه سنة (١٢١٢).

١٦ - جامع القطانة (محلة القطانة).

١٧ - مسجد محسن محاسن (في محلة جسر الملح) كان مندثراً نحو (٦٠) سنة ثم إن دائرة الأوقاف جددت بناءه بعد أن فقد معظم أرضه بتغلب البيوت على موضعه سنة (١٣٤١).

١٨ - جامع الفرسي. هو من بناء سنان باشا. ثم لمرور الأيام تهدم جانب منه فاستأذن في تعميره أحد أبناء الشيعة المثريين المسمى (الشيخ فارس الأحسائي) فأذن له ولما تم تعميره حمل أبناء الشيعة يقرأون فيه (التعازي) وظل بيدهم إلى اليوم. لاسيما وأن غالب أهل تلك المحلة شيعة (شيخية).

(ومن مآثر سنان باشا) بناؤه أيضاً. جامع المناوي وجامعاً في البراظعية.

وتوجد مساجد أخر تحت نظارة الأهالي وهي:

١ - مسجد في محلة المجصة بني سنة (١٣٠١) والمتولي عليه السيد محمد شبَّر الأصولي.

٢- مسجد في محلة جسر العبيد والمتولي عليه الحاج منصور العمار الأصولي.

٣- مسجد في محلة أبي الحسن بني سنة (١٣٢٣) هـ والمتولي عليه ميرزا محمد تقي الأخباري.

(٤ و ٥)مسجدان أيضاً في محلة أبي الحسن لا يعلم لهما متول رسمياً.

تقسيمات البصرة

يتبعها قضاءان. وخمس نواحٍ (الفاو. أبو الخصيب. شط العرب الهارثة. الزبير) ولكل ناحية مدير من الدرجة الأولى. سوى الهارثة فإنه من الدرجة الثانية.

(وقضاء القرنة). من الدرجة الأولى. ومركزه قصبة القرنة وفي القضاء أربع نواحٍ. وتعرف بناحية (بني منصور. والمدينة. والنشوة والدير).

(وقضاء الكويت) من الدرجة الثانية. وأفردنا تاريخه في آخر تاريخ الأحساء.

وفي لواء البصرة (٤) قصبات (البصرة). والقرنة. وأبو الخصيب (وكان الفاو) قضاء. وأبو الخصيب مديرية. ثم حول الفاو إلى مديرية وأبو الخصيب إلى قائمقامية وسيأتي تفصيل كل.

أما البصرة فهي مركز الولاية. وهي محاطة بالنخيل والأشجار. وفيها دار للحكومة. ودائرة البلدية. (والطابو) دائرة سجلات الأملاك وانضباطها.. ودائرة البريد والبرقي. والمستشفى. ومخفر في (سوق الدجاج) وآخر عند باب الزبير. ومطبعة. وثلاثة مكاتب ابتدائية.

محلات البصرة

١ - محلة القبلة
٢ - محلة البلوش
٣ - محلة الباشا
٤ - محلة السيف
٥ - محلة سوق الدجاج
٦ - محلة المشراق
٧ - محلة الحكاكة
٨ - محلة جسر العبيد
٩ - محلة بستان القصب
١٠ - محلة عز الدين
١١ - محلة القطانة
١٢ - محلة أبي الحسن
١٣ - محلة المجصة
١٤ - محلة يحيى زكريا
١٥ - محلة جسر الملح
١٦ - محلة السيمر[١]
١٧ - محلة الفرسي
١٨ - محلة العباس
١٩ - محلة الكزارة

---

(١) كان يقال لها (سكة بني سمرة) نسبة إلى سمرة بن حبيب بن عبد شمس من عبد مناف المدايني.

٢٠ - محلة مناوي الباشا. وفيها ثكنة الجنود البحرية. وإدارة النهرية.
وهذه المحلات كلها واقعة جنوب نهر العشار. وأما التي على الجهة الشمالية فهي:

٢١ - محلة نضران
٢٢ - محلة الصبخة الصغير
٢٣ - محلة الصبخة الكبير
٢٤ - محلة المعصرة
٢٥ - محلة الخضر
٢٦ - محلة الساعي. وهي آخر البصرة من الجهة الشرقية فيبتدئ العشار وأوله:

محلة أم البروم
محلة القشلة
محلة المقام
محلة الدوب وفيها ثكنة الجنود البرية.

العشار

العشار هو واقع على ساحل شط العرب الكبير شرقي البصرة على مسافة نحو ميل واحد بينهما. وبه (الممكس).

ويقابله في الجهة الشرقية مقاطعة تسمى (التنومة) كان بها مستشفى للعساكر البحرية العثمانية.

وقد أخذ العشار بالتقدم وجعل يناظر البصرة حتى أصبح يعد قصبة مهمة تفوق على البصرة. وبه سوق مهم كبير منتظم جداً في غاية الرواج.

وبه عدة مطاعم. ومأوى للمسافرين على الطراز الحديث. وبه مأثر يسمى (مقام علي) وبجانبه جامع كبير. يقال: إن أول من أسسه الحاج محمد الشتري سنة (١١٦٧) ثم إن دائرة الأوقاف نقضت بناءه سنة (١٣٤٠) وأعادت بناءه على الطراز الحديث بأحسن ما يرام وقد دعتنا دائرة الأوقاف رسمياً (في ١١ شوال ١٣٤٢) لتحرير قبلة محرابه فحررناها على مغيب العقرب ربع خن طرف القطب. ويوجد بالعشار جوامع أخر وهي (جامع الخضيري) بناه قاسم چلبي الخضيري وإخوته (وجامع كاظم أفندي القمسير. و(مسجد الحاج حمود باشا الملاك) و(مسجد البحارنة). ويوجد في محلة أم الدجاج (مسجد الحاج محسن الحاوي) وفي داخل القشلة (مسجد بنته (زهوة بنت محمد أغا الكلغاسي) زوجة الحاج حمود باشا الملاك.

ويوجد بالعشار مدرسة ابتدائية. والمصرف العثماني والإيراني والمصرف الشرقي الإنكليزي. ودائرة للبريد والبرقي. وبه ثلاثة جسور بين الصفتين (الجسر الغربي) عند محلة أم البروم حدث في سنة (١٣٣٣) و(الجسر العتيق حدث منذ أنشئ العشار وهو واقع في وسط البلدة وعند رأسه المصرف العثماني ويمتد بخط مستقيم وشارع جميل مزدحم بالدكاكين والحوانيت و(الجسر الحديث) آخر البلدة من جهة الشرق مقابل (لمقام علي) أنشئ في ذي القعدة (١٣٤٠).

قصبة القرنة: الحالة الطبيعية

هي بلدة صغيرة واقعة عند ملتقى دجلة والفرات. ويعرف ملتقاهما بشط العرب. وهي آخر حدود البصرة من جهة الشمال. وبينهما مسافة نحو (٣٥) ميلاً. فيمر نهر دجلة من شرقيها. والفرات من غربيها ويقترنان عندها (ولذا سميت القرنة).

والقضاء من الدرجة الأولى . ومركزها قصبة القرنة . وفي القضاء أربع نواح وتعرف بناحية بني منصور . والمدينة . والنشوة . والدير . وألحق بها أخيراً (ناحية العزيز) .

(هواؤها) رديء لعدم نظافتها وكثرة المستنقعات المحيطة بها من ثلاث جهاتها .

الحالة الاقتصادية

(الصناعة) أهلها مشهورون بنسج العبي الرقيقة المسماة عندهم (بالبتية) .

(تجارتها) وصادراتها - أكثر ما يباع فيها السمك واللبن الخاثر والجبن المظفور ويجلب منه بكثرة إلى داخل البصرة .

وغالب أهلها فلاحون في البساتين أو ملاحون في السفن الشراعية وفيهم قليل من أصحاب الأملاك .

الحالة السياسية

(سكان) القصبة نحو ألف شخص . وأما نفوس جميع القضاء مع العشاير فنحو (٢٥) ألف نسمة . وفي داخل القصبة (دار للحكومة) ودائرة للبريد والبرقي . و(جامع) وممكس مشرف على ملتقى دجلة والفرات .

(المذاهب) غالب أهلها شيعة . والبقية من أهل السنة والجماعة وشوارع البلدة ضيقة وأسواقها منتنة بسبب الرطوبات وقد رأيتها سنة (١٣٣٢) وأنا في الباخرة (حميدية) أثناء توجهي إلى بغداد .

الزبير

الحالة الطبيعية

(الموقع والحدود) الزبير واقع غربي البصرة الحالية على مسافة نحو (٧) أميال. والبلدة واقعة في وادٍ كان يقال له (وادي النساء) لأن النساء كن يظهرن إليه ويلتقطن منه الكمأة ثم سمي (وادي السباع) قيل إن (أسماء بنت دريم)مر بها- وائل بن قاسط - فرآها منفردة في خبائها. فهم بها فقالت له: والله لئن هممت بي لأدعون أسبعي فقال ما أري في الوادي غيرك فصاحت ببنيها (يا كلب. يا ذئب. يا فهد. يا دب. يا سرحان يا سيد. يا سبع يا ضبع يا نمر) فجاءوا يتعادون بالسيوف. فقال وائل: ما هذا إلا وادي السباع. فلزم هذا الاسم ذلك الوادي. ثم لما دفن فيه الزبير بن العوام سنة (٣٦) في واقعة الجمل صار يسمى (الزبير) والواقعة ذكرناها في تاريخ البصرة.

(هواؤها) جيد لكنه شديد الحرارة في الصيف كما تقدم ويهب بها السموم ويسمونه (الهيف).

الحالة الاقتصادية

(الزراعة) يزرع في ضواحيها- البطيخ بنوعيه. والدُبَّاء بأنواعها

والباذنجان الأسود والأحمر والبصل والثوم بكثرة والقثاء وغالب الخضر. وينبت في بريتها الكمأة. وربما زرعوا الحنطة والشعير والذرة.

(تجارتها) معظم التجارة في الخيل والسمن. والكمأة. ويكثر في ضواحيها الجراد. وهو لأهلها غذاء وتجارة يأتون به إلى البصرة.

وقسم من أهلها لهم أملاك ونخيل بالبصرة. وقسم يتعيشون بزراعة البقول. والبقية جَمَّالة وحَمَّارة يشتغلون بنقل الأطعمة ونحوها بين البصرة والزبير والعشار.

الآثار

وبها ضريح الزبير بن العوام رضي الله عنه في داخل الجامع. وبجانبه ضريح عتبة بن غزوان رضي الله عنه. وخارج البلدة المقبرة العمومية لأهالي بلدة الزبير ولأغنياء البصريين. وبها ضريح الحسن البصري. ومحمد ابن سيرين رضي الله عنهما. وقد زرت الكل عام (١٣٢٣) وفي شرقي البلدة ضريح طلحة الخير أحد العشرة المبشرة رضي الله عنهم وعلى مسافة فرسخين منها شمالاً ضريح أنس بن مالك خادم النبي ﷺ. وكان له هناك أرض وقصر في موضع يسمى (الزاوية) وكان ربما صلى فيه الجمعة بمن حضر معه. وفي الغالب يشهد الجمعة بجامع البصرة القديمة.

ولقد ذهبت لزيارة الزبير رضي الله عنه سنة (١٣٤٠) فرأيت رقعة ملصوقة في تجاه ضريح الزبير مكتوب فيها ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قدس بعض أراضيه وميزها عن غيرها بمن دفن فيها من الأنبياء المعلومين. والصحابة المشهورين. خصوصاً هذه القصبة التي قد صارت مقدسة بدفن حواري رسول الله ﷺ فيها ومَن

دفن بجوانبها كطلحة بن عبد الله. وأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ومن أفضل التابعين كالحسن البصري. ومحمد بن سيرين. وأصلى وأسلم على سيدنا محمد القائل ما مِن أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث بأهله قائداً لهم ونوراً يوم القيامة. رواه أحمد والترمذي. فأقول لهذه البشارة من صاحب الرسالة قصد أهل الإيمان هذه الأرض المقدسة للسكنى تبرك بمجاورة هذا الصحابي الجليل فحصل لهم الأمنية والراحة الْجِسْمِيَّة. ونالو الإجراءات الخيرية. من الحكومة العثمانية. أيدها على الحق رب البرية وقد عفتهم الحكومة العلية عن الرسوم والتكاليف المدنية احترام لصاحب هذه الحضرة الشريفية.

(نسبه) هو أبو عبد الله الفارس الضرغام سيدنا الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن قصي بن كلاب بن مرة (الخ) وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. أسلمت أمه وأسلم هو قديماً على يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. وهو ابن ست عشرة سنة (شمائله) فهو أبيض اللون طويل القامة يميل إلى الخفة في اللحم خفيف العارضين له هيبة عظيمة (سخاؤه) مُتَنَاهٍ بعد وصية رسول الله له (أخرج الحكيم الترمذي) بسنده عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال جئت حتى جلست بين يدي رسول الله ﷺ فأخذ بطرف عمامتي من ورائي ثم قال يا زبير إني رسول الله للناس عامة وإليك خاصة. أتدرون ماذا قال ربكم قلت: ألله ورسوله أعلم قال: قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه: عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم أرْزاقكم بيدي فلاتتعبوا تكلفت لكم. (يا زبير) فَكُلْ وأطعم ولا تُوكي فيُوكَ عليك وأَنفق أُنفق عليك وَوَسِّع أُوَسِّعْ عليك ولا تُضَيِّقْ أُضَيِّقْ عليك ولا تُقَتِّرْ فَيُقَتَّرَ عليك ولا تعسِّرْ فَيُعَسَّرَ عليك. يا زبير إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار. يا زبير إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة. والشجاعة ولو

بقتل حية أو عقرب. يا زبير عَظِّم الإخوان وجَلِّل الأبرار وَوَقِّر الأخيا ـ وأوصل الجار. ولا تُمَاشِ الفجار. تدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب. فهذ ه وصية الله لي ووصيتي إليك (اهـ حرفياً بدون تصحيح في العبارا ـ والحديث).

ومات الزبير شهيداً وذلك لما دخل وقت الصلاة آذن الزبير بالصلاة وأقام فوقف ابن جرموز إلى جنبه الأيمن فلما سجد طعنه وأخذ سيفه وخاتمه ومضى إلى علي بن أبي طالب وأخبره فغضب عليٌّ عليه (كما سيأ ـ في تاريخ البصرة عند وقعة الجمل سنة (٣٦).

ولما دخل العراق في حوزة العثمانيين قاموا ببناء مسجد عند ضريح الزبير رضي الله عنه. وهو أول مسجد بني في هذه القصبة (وقد نَصَّ الفقهاء على فضيلة الجمعة في أقدم الجوامع) وفي رجب من عام (٩٧٩) قام بخدمة ضريحه وضريح طلحة الخير واحترامهما بإنشاء القبتين على ضريحهما (المرحوم المبرور السلطان الغازي سليم الثاني ابن السلطان سليمان) عليهما رحمة المنان ولازالت دولتهم باقية على الإسلام إلى آخر الزمان. فبعد بناء القبة على الضريح جعل الناس يقصدون السكنى حذاءها تبركاً بالضريح

وفي مدة السلطان عبد العزيز قامت والدته بترميم القبب وتكبير المسجد فصار جامعاً حسناً.

وفي سنة (١٢٩٣) ورد أمرٌ من السلطان عبد الحميد الثاني بتعمير هذه المراقد الشريفة على نظارة والي البصرة (ناصر باشا السعدون). ثم في سنة (١٣٠٥) أَمَرَ السلطان عبد الحميد أيضاً بتبييض القبب وتعمير المسجد. وأمر أيضاً بكسوتين للضريحين (الزبير. وعتبة بن غزوان) من الحرير الأحمر المفتخر المطرز بالفضة. وأمر أيضاً بوضع مباخر وقماقم من الفضة

عند الضريحين الكريمين. وهذه الأثاثات صارت على نظارة شعبان باش
والي البصرة سنة (١٣٠٦) والأدوات المذكورة باقية إلى اليوم تحت يد
القيِّم يبرزها وينشر الحلل على الضريحين في المواسم الإسلامية. والليالي
المباركة.

وفي سنة (١٣٢١) ورد الأمر السلطاني بتصليح المراقد الشريفة من
المسجد. ولكن الأمرَ لم ينفذ في البصرة.

وفي سنة (١٣٣٤) توفق لبناء المسجد وتصليح منارته وتبييض قبة
الزبير. وترميم الضريح. وتوسيع المسجد والزيادة فيه عن البناء الأول
زيادة مهمة مع البنيان المحكم الموفق لفعل الخيرات (الشيخ قاسم بن محمد آل
إبراهيم) وأمر أيضاً بفرش المسجد (بالكنبار) والحصير. فأصبح المسجد
المذكور في غاية المتانة والرونقة. وقد تم تعميره على الوجه المطلوب سنة
(١٣٣٥) هـ).

حالة الزبير السياسية

نفوس أهل الزبير نحو (١٥) ألف شخص.

(طباعهم) لهم ولع شديد بالصيد والقنص خصوصاً في الظباء والأرانب
والحباري. ويأتون بلحوم الظباء فيبيعونها في البصرة. ويقنصونها
بالطيور. وبالكلاب السلوقية. وبالبنادق النارية.

وكان أهل الزبير متعصبين مِن أنْ يسكن معهم أجنبي في الدين. حتى
زمن الحرب العظمى فلما احتلها الإنكليز أقروا على بقاء شيخها (إبراهيم
ابن عبد الله آل إبراهيم) فأذن لليهود والنصارى بسكنى بلدة الزبير
فاشترى اليهود بها دوراً للسكنى وللإجار فحنق عموم الأهالي على ذلك

وهم مصممون على إزاحتهم إذا سنحت لهم الفرص. لأن بلدة الزبير مقدسة ما حوت كتابياً ولا مجوسياً منذ (١٤) قرناً.

(مذاهبهم) كلهم من أهل السنة والجماعة وغالبهم متمذهب بمذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وتحتوي بلدة الزبير على (١٦) مسجداً. و(٦) جوامع منها مسجد بنته فاطمة بنت حمد بن إبراهيم البسام سنة (١٣١٧) هـ في سوق البرسيم. ونحو (٢٠) مكتباً أهلياً للصبيان. ومكتباً واحداً من قبل المعارف.

وغربي الزبير على مسافة (٣٠) دقيقة موضع يقال له (أم شِداد) وقد عَمُرَ ذلك الموضع بعد الاحتلال بمكث الجنود البريطانية فيه وقد بنت الحكومة لهم بركتين عظيمتين مكشوفة الوجه يأتيها الماء من شط العرب بواسطة مضخة بخارية. فبنت ضباط الجنود وبعض الباعة حُجَراً وأسواقاً فأصبحَ قرية ذات شأن. وقد ذهبت إليها في رجب عام (١٣٣٩) للاطلاع عليها فرأيتها ذات منظر عجيب وأسواق وحجر وحوانيت.

وشمال الزبير أيضاً على مسافة (٣٠) دقيقة (قرية الشعيبة) وفيها بعض قصور خربة ونخيل غير عامر. وعندها صارت (وقعة الشعيبة) المشهورة.

وشرب أهالي الزبير وما والاها من أبيار بأطراف البلدة وأعذب مياهها (ماء الذروية) وماء الشعيبة. وفي نية البلدية إجراء أقنية الماء من شط العرب إليها بواسطة مضخات متعددة لعظم ارتفاع قصبة الزبير عن سطح شط العرب.

(أما ما حصل في قصبة الزبير).

فهو أولاً (وقعة الجمل) وسيأتي في ضمن تاريخ البصرة سنة (٣٦) هـ.

وكان حكام الزبير شيوخاً من كبرائها تقيمهم الدولة العلية ثم في سنة (١٢٧٨) صارت بصفة (مديرية) تحت حكم شيخ من الأهالي يقيمه والي البصرة بصفته شيخاً ويعبر عنه (بشيخ الزبير) ولم تأخذ الحكومة العثمانية منهم التكاليف الميرية. ولم يدخلوا تحت تحرير النفوس.

وأنشئت قصبة الزبير بالبناء (بعد الأكواخ) بعد أن دخلت البصرة في حوزة العثمانيين سنة (٩٥٣). ثم إن الحكومة العثمانية أمرت ببناء مسجد عند ضريح الزبير رضي الله عنه كما تقدم. ثم في سنة (٩٧٩) صدر الأمر السلطاني من المرحوم الغازي (السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان) بإنشاء قبتين (على ضريح الزبير. وعلي ضريح طلحة الخير) فبعد بناء القبتين جعل الناس يقصدون السكنى هناك قرب ضريح الزبير تبركاً به وحصلت لهم الأمنية التامة بتوجه أنظار الحكومة إلى ذلك الموضع الشريف. وجعل الناس يبنون حول الضريح البيوت حتى أصبح الضريح في وسط القصبة تحيط به البيوت والمنازل من جميع جهاته.

ثم في أول القرن (١٣) هـ عند قيام الوهابين في نجد جعلت القبائل تتسلل من نجد فقصدت العراق ونزلت عند قصبة الزبير منها عيسى بن بسام استوطنها سنة (١٣٠٥) هـ.

ثم إن الوهابيين أجلْوا بالفعل بعض قبائل (بلدة حرمة) التابعة لبلدة السِّدير. وبعض أهل (بلدة حريملة) التابعة لبلدة الوشْم. وكلاهما من بلدان نجد. لأنهما لم يخضعا لمذهب الوهابية فأتت تلك العشائر ونزلت عند قصبة الزبير وبنوا لهم بيوتاً من القصب. وكانوا (بصفة جمهورية) والرياسة للجميع (ليحيى بن الزهير).

ثم إن ابن الزهير بعد أن استقر بالزبير ذهب إلى بغداد وطلب من الحكومة العثمانية المساعدة فأعطته ما يريد وبذلت له أموالاً طائلة للمحافظة على قصبة الزبير وأمرته ببناء سور (بدن) على الزبير عرضه ستة أذرع. وأعطته أيضاً مدافع نارية لتوضع على السور وجملة من الأسلحة. فتم بناء السور سنة (١٢١١ هـ) تحت نظارة القاضي الشيخ إبراهيم بن جديد لأنه كان هو المقدم عند آل زهير. وذلك لصد غارات الوهابيين عن البصرة. ثم رتبت الحكومة العثمانية لأهل الزبير جميعهم معاشات كافية لهم كل شخص على حسب مرتبته وعدد عائلته.

وفي سنة (١٢٣٨) وقعت فتنة بين سكان (قصبة الزبير) بعد أن كانوا يداً واحدة على من سواهم. وذلك أن (محمد بن ثاقب بن وطبان) يحسد (ابن الزهير) على ثروته وعلى استعباده أشراف الناس بإحسانه وكرمه وانقياد أهل تلك الجهة له لما طوقهم به من الأيادي والنعم. وعلى ذلك حصل التشاحن بينهما. فاتهم (ابن ثاقب) ظلماً وعدواناً (ابن الزهير) بأنه أمر أناساً بسم (راشد بن ثامر) السعدون شيخ المنتفق. وتصدى ابن ثاقب وكيلاً عن المنتفق في أخذ الثأر لهم. فلما شاع ذلك الخبر ركب ابن الزهير متن الحذر وتترس في بيته مع عياله وأتباعه واستعدوا لملاقاة ابن ثاقب

فلما تحقق لدى ابن ثاقب عدم تمكنه من ابن الزهير بالغدر والحيل. جمع رجاله وأمرهم بدخول (الزبير) وبالهجوم على ابن الزهير في بيته فلما هاجموه قابلهم رجال ابن الزهير بالرصاص وأصلوهم ناراً حامية حتى أرجعوهم على أعقابهم صاغرين وطاردوهم حتى أخرجوهم من الزبير. فَكَرَّ قوم ابن ثاقب بعد خروجهم من الزبير على البصرة وأرادوا الدخول فمنعهم متسلم البصرة (محمد كاظم أغا) تظاهراً منه وإلا ففي الباطن هو يميل إلى ابن ثاقب ويكره ابن الزهير فرجع قوم ابن ثاقب ونزلوا عند (نهر معقل) وظلوا

هناك أياماً فهاجمتهم عصابة ونهبتهم وحصل بين الفريقين تلفيات. فقيل: إن تلك العصابة هي من قبل ابن الزهير. فارتحل قوم ابن ثاقب من محلهم ورجع كل قسم إلى مقره.

ولما ورد (حمود بن ثامر) من البادية. خدع ابن الزهير وأظهر له المودة وجعلا يتزاوران حتى تمكن حمود من القبض على ابن الزهير فأخذه واعتقله عنده إلى أن مات وقيل بل سمَّه (لعله سنة ١٢٥٠).

وتأمر على قصبة الزبير (محمد بن ثاقب) فغاظ ذلك الفعل آل زهير وراجعوا الحكومة العثمانية في قتل ابن عمهم إلى أن أثبتوا الجناية على محمد ابن ثاقب فحكمت المحكمة على ابن ثاقب بالإعدام. فجلبته الحكومة من الزبير إلى البصرة وأعدمته رمياً بالرصاص (في حوش السَّرَايْ) وأعادت مشيخة الزبير لآل الزهير فعينوا من قبلهم على البلدة (أحمد المشاري) إلى أن توفي.

ثم عينوا بعده (علي بن محمد بن ثاقب).

ثم تولى المشيخة بنفسه الشيخ سليمان بن عبد الرازق الزهير.

ثم عين هو من قبله (عبد اللطيف بن محمد بن عون) من أهل حرمة. وفي مدته حصلت (واقعة حرمة) وذلك سنة (١٢٩١).

وهي أن أهل حرمة (نسبة إلى بلدتهم في نجد كما تقدم) جعلوا يضغطون على أهل الزبير ظلماً وعدواناً وبالأخص على من يوالي آل الزهير. (بسبب حركات من أعدائهم) لاسيما وأن شيخ الزبير من أهل حرمه ففي الظاهر هو مولى من قبل آل الزهير وفي الباطن أغرته الأعداء بالعصيان وسلب المشيخة من الزهيريين حتى اضطر غالب أهل الزبير إلى الفرار إلى البصرة ورفعوا ظلامتهم إلى الحكومة.

فطلبت الحكومة حضور رؤساء أهل حرمة إلى البصرة ولما حضروا وبختهم على فعلهم ونهتهم عن العودة إلى ما يضجر الأهالي.

ثم إن الحكومة أمرت الفارين بالعودة إلى الزبير وتعهدت لهم بالأمان فخافوا من الرجوع إلى الزبير لئلا ينتقم منهم أكثر مما حصل فأرسلت الحكومة معهم قوة تدخلهم الزبير وتصلح بين الجميع تحت قيادة (صالح أغا طابور أغاسي). فلما أقبلت الجنود العثمانية مع الزبيريين على قصبة الزبير خاف الجناة على أنفسهم وأغلقوا أبواب السور وأطلقوا الرصاص على القادمين إليهم فقابلهم الجنود بالمثل ثم إن بعض أهل البلدة المتضجرين من أفعال أهل حرمة ثاروا من داخل البلدة وضربوا أهل حرمة وفتحوا باب السور للحكومة العثمانية فدخلت القوة البلدة ولم تعاقب أحداً وركدت الأهالي.

وصار حكم البلدة (لصالح أغا طابور أغاسي) بصفة مدير. وللشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف الزهير بصفته شيخاً للزبير وللشيخ عبد الله بن إبراهيم الراشد بصفته معاوناً للشيخ.

ثم تعين من قبل الزهير الشيخ عبد الله بن إبراهيم الراشد. ثم إنه نكث العهد مع آل الزهير وجعل يضاضدهم وفي مدته قتل غدراً (عبد الله بن أحمد بن بطاح) سنة ١٣١٤ فغضب أهل الزبير قاطبة وذهبوا إلى البصرة وشرحوا أفعال الشيخ عبد الله بن إبراهيم وما يجريه من التعسف والظلم وهتك الأعراض فجذبته الحكومة إلى البصرة. فانحدر في أثره أعيان الزبيريين وصمموا على عدم قبول مشيخته عليهم. فعينت الحكومة بدله (خالد باشا بن عبد اللطيف العون) وظل في المشيخة إلى أن قتل غيلة في داخل البصرة في ٢٤ شوال عام (١٣٢٥).

ثم تعين محله (محمد بيك بن حسين باشا) بن محمد المشري إلى أن ضربه السيد طالب بأمور مدبرة لأجل أن يتعين على الزبير من ربعه وذلك أن السيد طالب لما كان في الكويت أتى إلى البصرة (حمد بيك بن سعدون باشا) ومعه سالم الخيون بجملة من حاشيتها. فلما عاد السيد طالب إلى البصرة وأخبر بوجود المذكورين في البصرة خاف من دخولها. وطلب من والي البصرة (سليمان شفيق) بأن يأمرهم بالخروج من البلدة. وإلا فيثير ثورة يحرق البلدة فيها. فإطفاء للشر أمر الوالي علي (حمد بيك) ومن معه بالخروج من البصرة فخرجوا صاغرين امتثالاً لأمر الدولة العلية. ولكنه حقد على السيد طالب وصمم على الانتقام منه.

ثم في ٢٣ رجب عام (١٣٣٢) عاد حمد بيك ومعه حمود بن مطلق الحمود السعدون لأخذ الثأر من السيد طالب فهجم على البصرة من جهة باب الزبير فصده عن البصرة جنود (مخفر باب الزبير) ومن معهم من رجال السيد طالب الذين أعدهم هناك خوفاً من آل سعدون فما تمكن حمد بيك من ولوج البصرة فعاد إلى الزبير.

فجسَّم السيد طالب الأمر لدى والي البصرة وطلب منه قوة تذهب إلى الزبير لتخرج المذكورين منها. وفي ٢٤ رجب خرجت من البصرة قوة من الجنود تحت قيادة (قدري بيك) ومعها جملة من حواشي السيد طالب. وسار الكل نحو الزبير وأطلقوا الرصاص على البلدة فقابلهم حمد بيك بالمثل ثم اضطر إلى مبارحه الزبير وسار نحو (كويبدة) مقر عشيرة مطير بعد أن قتل من قومه (٧) وجرح (٨). ثم إن عبد الكريم المشري نهب بيت ابني عمه (محمد بيك وعلي بيك) ابني حسين باشا المشري. ونهب رهط السيد طالب بيت محمد بن براك العصيمي. وبيت علي باشا الزهير. وبيت عبد المحسن باشا ابن قاسم باشا الزهير. وكذلك بيت قاضي البلدة. وكل أولئك ممن يلوذ

بآل سعدون. وآل زهير. ثم إن عرب المنتفق جعلت ترتجز وتقول:

يـــا طارشي لعبـــد الكريم إسلم ولا تسلم عَليـــــــهْ
إن قـــــدر الله والرسول من الفجر نُصلْهـــا عليــه

ثم تعين على الزبير الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الراشد وبقي إلى سقوط البصرة فأقرته انجلترا على وظيفته إلى سنة (١٣٤٠) حيث تشكلت الحكومة العراقية فعزلته وجعلت قصبة الزبير (مديرية) تابعة للبصرة وعينت لها مديراً.

ثم أسست فيها أيضاً (دائرة للبلدية) وتعين رئيسها سليمان بن عبد الرزاق الغملاس.

أبي الخصيب

قصبة أبي الخصيب هي على مسافة (٣) ساعات في الزوارق جنوب البصرة وتمتد إلى نهر أبي الفلوس.

ونفوسها نحو (١٥) ألف شخص غالبهم مسلمون. ويوجد فيها قليل من اليهود وبعض من الصابئة والنصارى.

وقصبة أبي الخصيب لم تكن هيئتها بصورة مجتمعة بل هي منقسمة إلى (٧ أو ٨) محلات كبار جداً كل واحدة منها متشكلة بين أنهار متفجرة وبساتين نضرة. وغالب بنائها محكم نضر ولها أسواق متفرقة حسنة.

وكانت مديرية إلى سنة (١٣٤٠) حيث جعلت قائمقامية وجميع النواحي تراجعها.

وفي القصبة (ممكس) مستقل منذ زمن بعيد. وفيها (٨) جوامع.

ومكتب ابتدائي. وحمامات أحدهما للسيد محمد بركات والآخر للحاج يوسف بن عبد الواحد.

وقد وصلتها سنة (١٣١٣) في خدمة والدي ونزلنا على فراش رب الكرم والسماحة (الحاج محمد بن رجب المير) فأكرمنا غاية الإكرام. وقام بلوازمنا خير قيام. وله (ديوانية) عامرة يقصدها غالب أهل البصرة إذا ذهبوا إلى أبي الخصيب. فيباشر الضيوف هو وكافة أنجاله وخدمه ورجاله بغاية الاعتناء والأدب. وغالب أوقاته منعكف على العبادة. ويؤم من حضر عنده في أوقات الصلوات الخمس. وله عادة مستمرة بتلاوة ورد (راتب) كل ليلة يحضره محبو الديانة.

وقد تم تصليح الطريق بين أبي الخصيب والبصرة سنة (١٣٤٢) فجعلت (الجوالات) تغدو وتروح بينهما على الدوام بلا انقطاع.

أعيان أبي الخصيب

(١) ملا طه آل إسحق (٢) الحاج محمود باشا عبد الواحد (٣) أحمد أفندي آل ياسين (٤) يوسف باشا آل زهير (٥) الحاج محمد آل عامر (٦) شعبان چلبي بن رجب.

الأُبُلَّة

بضم الهمزة والباء وتشديد اللام. بلدة قديمة كانت على الشط في زاوية الخليج الذي يدخل إلى البصرة. وهي أقدم من البصرة لأن البصرة مُصِّرت في أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٥) كما تقدم. وكانت الأبلة إذ ذاك مدينة عامرة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد.

قال نافع: لما كنا في البصرة وبلغ عددنا ستمائة قلنا: ألا نسير إلى الأبلة فإنها مدينة حصينة فسرنا إليها ومعنا العنز وهي جمع عنزة (وهي أطول من العصا وأقصر من الرمح وفي رأسها زُج) وسيوفنا وجعلنا للنساء رايات على قصب وأمرناهن أن يثرن التراب وراءنا حين يرون أنا قد دنونا من المدينة. فلما دنونا منها صففنا أصحابنا. قال: وفيها دبادبتهم وقد أعدوا السفن في دجلة فخرجوا إلينا في الحديد مسومين لا نرى منهم إلا الحدق. قال: فوالله ما خرج أحدهم حتى رجع بعضهم إلى بعض، قَتْلًا وكان الأكثر قد قتل بعضهم بعضاً ونزلوا السفن وعبروا إلى الجانب الآخر وانتهى إلينا النساء وقد فتح الله علينا ودخلنا المدينة وحوينا متاعهم وأموالهم. وسألناهم: ما الذي هَزَمَكُمْ من غير قتال فقالوا: عرفتنا الدبادبة أن كميناً لكم قد ظهر وعلا رهجه (يريدون النساء في إثارتهن التراب).

وكان خالد بن صفوان يقول: ما رأيت أرضاً مثل الأبلة مسافة. ولا أغذى نطفة. ولا أوطأ مطية. ولا أربح لتاجر. ولا أحفى لعائد. وقال الأصمعي: جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق. ونهر بلخ. ونهر الأبلة. وحشوش الدنيا خمسة: الأبلة. وسيراف. وعمان. وأردبيل. وهيت. وقال الواحدي: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق. وأبلة البصرة. وشعب بَوَّان. وسُغد سمرقند. وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: قد رأيتها كلها فوجدت الغوطة أطيبها وأحسنها.

(قال ابن خلكان) الأبلة بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وهي اليوم في عدادها وهي من جنان الدنيا وإحدى المنتزهات الأربع. (ويحكى) أن بكر بن النطاح الشاعر مدح أبا دلف العجلي ببيتين وهما:

يا طالبا للكيمياء وعلمها

مداح ابن عيسى الكيمياء الأعظمُ

لو لم يكن في الأرض إلا درهم
ومدحتــــه لأتـــاك ذاك الدرهم

فأعطاه بها عشرة آلاف درهم. فأغفله قليلًا ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة فأنشده:

بـك ابتعت في نهر الأبلة قرية   عليها بنـاء بالرخـام مشيد
إلى جنبها أخت لها يعرضونها   وعنـدك مـال للهبـات عتيد

فقال له أبو دلف كم ثمن هذا الأخت قال: عشرة آلاف درهم فدفعها إليه ثم قال له: تعلم أن نهر الأبلة عظيم وفيه قرى كثيرة وكل أخت إلى جانبها أخرى. وإن فتحت هذا الباب اتسع على الخرق فاقنع بهذه ونصطلح عليها فدعا له وانصرف. وقال الشيخ أبو منصور الثعالبي في ثمار القلوب (وأما نهر الأبلة فهو بالبصرة وحواليه من ميادين النخيل والأترج والنارنج وسائر الأشجار. وفيها من أصناف الزرع وأنواع الخضر ما لامنظر أحسن منه وعليه من القصور المتناظرة والأبنية الرائقة ما تحار فيه العيون وتهش له النفوس) وفيه يقول ابن أبي عيينة:

ويـا حبذا نهر الأبلة منظرا   إذا مــدَّ في آنائـه أو جزر

وقد ألم القاضي علي بن محمد بن داود بن أبي القاسم التنوخي بذكر نهر الأبلة في قصيدة وصف بها بعض أنهار العراق فقال:

أحب إلى نهر معقل الذي   فيـه لقلبي من همومي معقلُ
عـذب إذا ما عبَّ منه ناهل   فكأنـه من رحيق حب ينهلُ
متسلسل وكأنـــه لصفائـــه   دمعٌ بخدّيْ كاعـبٍ يتسلسلُ
وإذا الرياحَ جَرين فوق متونه   فكأنــه درع جلاها صَيْقـلُ

وكأن دجلة إذ تَغَطْمَطَ مَوْجُها ملـك يعظم خِيفة ويجـلُ
وكأنـــه ياقوتــة أو أعين زرقٌ يلاءَم بينها ويواصَلُ
عذبت فما ندري أماءٌ ماؤُها عند المذاقة أم رحيقٌ سَلسلُ
ولها بمدٍ بعدَ جَزرٍ ذاهبٍ جيشان يُدْبِرُ ذَا وهـذا يُقبلُ
وإذا نظرت إلى الأبلة خِلتهَا من جنة الفردوس حين تُجَمَّلُ
كم منزل في نهرها آلى السرور بأنـــه في غيرهـــا لا ينزلُ
وكأنما تلك القصور عرائس والروض حَلْيٌ فَهِي فيه ترفلُ
غنت قيان الوُرْقِ في أرجائها هَزجاً يخف له الثقيل الأولُ
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت يوم الوداع وعيرهم تترحـلُ
ربع الربيع بها فحاكت كفُه حللا بها عُقَدُ الهموم تُحللُ
فَمُدَبَّـــجٌ ومُوَشَّحٌ ومُسَمَّـــطٌ ومُطَرَّزٌ ومُحَبَّرٌ ومُهَلْهَلُ
فتخالُ ذا عيناً وذا ثَغْراً وذا خَـدًّا يُعَضَّضُ مرة ويُقَبَّلُ

ونهر الأبلة حفره زيادٌ. وكانت كثيرة النخل وقد دثرت تلك البلدة ومحيت رسومها واختلف في موضعها. فقيل هي عند نهر المطوعة. والذي يظهر لي أنها في الموضع المسمى (بلجان) حيث إن فيه آثار قلعة وبنيان وإذا حفرت أرضه يظهر في عمقها أساس بنيان. وأخبرني مَن له أملاك في ذلك الموضع بأنه حفر أساساً للبناء فوجد في عمق الأساس أعجاز نخل قديمة جداً. فلعل الأبلة كانت ممتدة من نهر المطوعة إلى بلجان.

وكان ابتداء خرابها من سنة (٢٥٦) حيث إنه في تلك السنة سير (جعلان) لحرب صاحب الزنج بالبصرة. فلما وصل إلى البصرة نزل بمكان بينه وبين صاحب الزنج فرسخ وخندق عليه وعلى أصحابه وأقام ستة أشهر في خندقه وجعل يوجه الزينبي وبني هاشم ومن خف لحربهم في اليوم الذي تواعدهم جعلان للقائه فلم يكن بينهم إلا الرمي بالحجارة

والنشاب ولايجد جعلان إلى لقاء الأعداء سبيلًا لضيق المكان عن مجال الخيل وكان أكثر أصحاب جعلان خيالة. فلما طال مقامه في خندقه أرسل صاحب الزنج أصحابه إلى مسالك الخندق فبيتوا جعلان وقتلوا من أصحابه جماعة وخاف الباقون خوفاً شديداً. وكان الزيني قد جمع البلالية والسعدية ووجه بهم من مكانين وقاتلوا الخبيث فظفر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة فترك جعلان خندقه وانصرف إلى البصرة وظهر عَجزه للسلطان فصرفه عن حرب الزنج وأمر (سعيداً الحاجب) بمحاربتهم وتحول صاحب الزنج بعد ذلك من (السبخة) التي كان فيها ونزل (بنهر أبي الخصيب) ونهب (٢٤) سفينةً من سفن البحر وسلب منها أموالًا كثيرة وقتل فيها ونهب أصحابه ثلاثة أيام البلدة.

(وفيها ٢٥٦) أيضاً دخل الزنج الأبلة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها. وكان سبب ذلك أن جعلان لما تنحى عن خندقه إلى البصرة شَنَّ صاحب الزنج الغارات على الأبلة وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية (نهر معقل) ولم يزل يحارب إلى ٢٥ رجب من العام المذكور حتى احتل الأبلة وقتل أبا الأحوص وعبيد الله بن حميد بن الطوسي. وأضرم النار في البلدة وكانت البلدة مبنية بالساج فأسرعت النار فيها وفتك بأهلها وكان ما أحرقت النار أكثر من الذي نهب (ومن ذلك اليوم خربت الأبلة) ولما بلغ أهل عَبَّادان ما فُعِل بالأبلة خافوا وأرسلوا إلى صاحب الزنج أن يؤمنهم ويحتل البلدة ففعل واحتلها.

قضاء الفَاوْ

الفاو- بلدة واقعة في عرض (٣٠) درجة شمالًا. وهي في منتهى شط

العرب عند قرب مصبه في خليج البصرة بالجانب الغربي. محاطة بالنخيل والأشجار تبعد عن البصرة نحو (٦٠) ميلًا.

قيل: إن سبب تسميته بالفاو- هو أن أرضه لما كانت خراباً غير مسكونة وكانت تابعة لمقاطعة الدكاك التي سميت أخيراً (بالمعامر) كما سيأتي. وأن سفينة من سفن الديلم من النوع المعبر عنه (بالبتيل) أصابه ريح في (نهر المهلبان) نسبة إلى المهلب ابن أبي صفرة. وكان ذلك النهر لزوجته خيرة فغلب عليه اسم المهلب وهي أم أبي عيينة ابنه.

فلما أصاب الريح تلك السفينة في ذلك النهر غرقت هناك وكانت تسمى (الفاو) فسمت الأعراب ذلك النهر (نهر الفاو) ثم اشتهرت تلك المقاطعة كلها بالفاو. وكانت في بادئ الأمر مرعىً لمواشي أهل (المعامر).

وكانت المعامر تسمى (الدكاك) وهي ملك لراشد السعدون فعرضها راشد للضمان فضمن حاصلاتها (يوسف الخليفة) أحد شيوخ الدواسر. وعمَّرها فسميت المعامر. وأرخت بقولهم (تعامير راشد) وذلك سنة (١٢٢٦).

وكان الفاو من ملحقات المعامر فضمن أرض الفاو (عبد الله الدورقي) مع جملة من ربعه وهم نحو (٢٠٠) شخص.

ثم في سنة (١٢٤٧) حصل في البصرة طاعون عام ففتك بأهلها جميعاً فتكاً ذريعاً وبالأخص هذه المقاطعات ففر من بقي منها وبقيت مقاطعة الفاو خراباً.

ثم انتقلت من ملك راشد السعدون إلى آل صباح هدية لمريم زوجة ابن صباح لقيامها بضيافة راشد السعدون لما نزل بأرضهم مجتازاً. وكان زوجها غائباً فقامت بضيافة المذكور حسب عادة العرب فكافأها على حسن

صنيعها بتلك الأرض. فلما صار قسم من الفاو في حوزة الصباح التزمه منهم (ابن جبران) سنة (١٢٥٥) وانتقل من الفداغية بغططه وغطيطه وسكن الفاو لكثرة مرعاه لأنه كان صاحب مواشي.

ثم اْلتزم أرض الفاو رجل من أهل فارس يسمي (الحاج راشد النابندي) سنة (١٢٥٩) وجعل يعمر فيها. وكان مقره عند نهر واقع جنوب الموضع الذي بنى فيه الإنكليز أخيراً (البنكلة) حجرة للبرقي. حيث إن الموضع كان هو آخر مقاطعة الفاو عند (نهر العريض) وما بعده من جهة الجنوب كان تحت الماء. ثم جعل يظهر ويربو شيئاً فشيئاً حتى أصبحت هناك أرض واسعة.

ثم في سنة (١٢٨٠) بنيت هناك حجرة وعبروا عنها (بالبنكلة) كلمة هندية. ثم في سنة (١٣٠٢) بنت الحكومة العثمانية الثكنة العسكرية التي أشرنا إليها في المقدمة وقبل تكملتها أوقف بناؤها.

ثم إن أرض الفاو اتسعت حتى بلغت أنهرها (٣٣) نهراً وتقدم عددها. (نفوسها) عبارة عن فلاحي تلك الأراضي وبعض الموظفين وأفراد من الباعة المتسببين يبلغ عدد الجميع نحو (٤٠٠٠) شخص (مواصلاتها) مع البصرة في النهر بواسطة السفن الشراعية والزوارق البخارية. وفي نية الحكومة تعديل الطريق من البصرة إلى الفاو لتسير بينهما الجوالات. وكان في الفاو محل بسيط للحكومة العثمانية عمره مدحت باشا ثم تهدم. ولكون الموقع في فم الخليج وهو نقطة مهمة تيقظت الحكومة العثمانية لها سنة (١٣٠٢) وأسست هناك قلعة محكمة مشرفة على فم الترعة وأقامت فيها مقداراً كافياً من العساكر المسماة (بالاستحكام) ثم حصل ما حصل وهدمت القلعة وعلا من أمامها الطين (الطاش) فغرست فيه النخيل عَمْداً لتحول بين تسلط القلعة على الشط.

وفي سنة (١٣٣٧) أمر والي البصرة (سليمان نظيف بيك) ببناء مدرسة صغيرة فيه ولقلة الأطفال هناك اتخذتها الحكومة العثمانية مسكناً للموظفين. وجعلت فيها دائرة مخصوصة لها.

وكان في الفاو- دائرة للبريد وللبرقي (ودائرة المرسى) ودائرة للمحجر الصحي من قبل العثمانيين. وبعض قصور لأصحاب الأملاك ودائرة بريد وبرقي من قبل انكلترا. وذلك إلى سقوط البصرة سنة (١٣٣٣) حيث جعل الفاو مديرية تابع للبصرة.

(وأما الغيلية) فهي في الجانب الشرقي من شط العرب وهي قاعدة إمارة الشيخ خزعل بن جابر بن مَرْدَارْ. وهي بلدة صغيرة طالما تنازعَها هي والمحمرة الدولتان العثمانية والإيرانية. وفي ٢٠ جمادى الأولى عام (١٣٤٣) دخل المحمرة (رضا خان) بالجنود الإيرانية فضعفت سطوة الشيخ خزعل. وفي أواخر رمضان ألقت الحكومة الإيرانية القبض على الشيخ خزعل وأرسلته إلى طهران بصورة عجيبة.

فصل

فيمن تأمر على البصرة زمن الخلفاء الراشدين

تقدم في الحالة السياسية عند (أجناس أهل البصرة) بعض مَن تأمر على العراق قبل الإسلام. والآن نذكر بعض من تأمر على البصرة منذ خطها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٥) هـ. (فنقول): لم تزل البصرة في النيابة زمن أمير المؤمنين عمر. وواليها (عتبة بن غزوان) ثم استعمل عمر عليها (المغيرة بن شعبة). ثم في سنة (١٧) أبو موسى الأشعري (كما تقدم عند سبب تسميتها).

وفي سنة (٢٠) كتب عمر رضي الله عنه إلى (عمار بن يَاسِرٍ) وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح (نهاوند) يأمره أن يبعث (عروة بن زيد الخير النبهاني) الطائي[1] إلى الريّ ودستبي في ثمانية آلاف ففعل وسار عروة النبهاني لذلك فجمعت له الديلم وأمدوا أهل الريّ وقاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم وفتح (الريّ ودستبي) وذلك سنة (٢٠) كما تقدم في تاريخ البحرين (ص١١٧).

ولما توفي عمر رضي الله عنه في (٢٦ ذو الحجة عام ٢٣) ودفن يوم الأحد غرة محرم الحرام. كان عامله على الكوفة المغيرة بـن شعبة. وعلى البصرة (أبو موسى الأشعري).

وفي سنة (٢٩) عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري واستعمل (عبد الله بن عامر بن كريز) بن ربيعة بن حبيب بـن عبد شمس وهو ابن خال عثمان. وكان سبب عزله أن أهل (إيذج. والأكراد) كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان. فنادى أبو موسى في الناس وحضهم على الجهاد (فما طابت نفوسهم للحرب) ونفروا منه وأرسلوا إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان يطلبون عزله وتولية غيره. فولى عليهم (عبد الله بن عامر) فلما سمع أبو موسى خبر ما رفعوه إلى الخليفة قال لهم يأتيكم غلام خرَّاجٌ وَلَّاجٌ كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين. وكان عمره أي (عبد الله بن

---

(١) نسبه هو عروة بن زيد الخير بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد بن قضاء بن المحيلس بن ثوب بن كنانة بن مالك بن نائل بن عمرو بن غوث بن طي (أبي القبيلة المشهورة). وقد تقدم اتصال نسب طي بقحطان بن هود عليه السلام في (تاريخ البحرين ص ٨١، وذكر خصال زيد الخير في ص١١٧) تاريخ البحرين أيضاً. وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر تاريخ البصرة نسب جدودنا متسلسلة إلى نبهان الأكبر فطي فقحطان بن هود عليه السلام. اهـ.

عامر) خَمْساً وعشرين سنة وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثَّقفي من عمان والبحرين.

وفي سنة (٣٦) عُين عثمان بن حنيف والياً للبصرة من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي إبان ولايته حصلت وقعة الجمل.

وقعة الجمل الشهيرة

وخلاصتها أن علياً كان متجهزاً إلى الشام في آخر (ربيع الثاني سنة ٣٦) فأتاه الخبر بأن طلحة والزبير وعائشة خرجوا من مكة قاصدين العراق للأخذ بثأر عثمان. فخطب علي في قومه وحثهم على مناصرته فأجابوه. وعاد نحو البصرة بتلك القوة التي كان عازماً بها على الشام وانضم له جموع حتى بلغوا نحو (٩) آلاف وقيل نحو ١٢ ألفاً فسار بـ(٦٢٠٠) في البر وبـ(٢٤٠٠) في النهر. حتى نزل عليٌّ بعبد القيس فانضموا إليه وسار من هناك فنزل (الزاوية) وسار من الزاوية يريد البصرة. وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر (عبيد الله بن زياد).

وكان نزولهم في (جمادى الآخرة عام ٣٦) وعند قرب الحرب بلغت جموع علي (٢٠) ألفاً. فجرت بين الفريقين مذكرات في الصلح حتى تم الصلح بينهم وناموا في تلك الليلة وهم عازمون على الصلح. ثم في أثناء الليلة قاموا وتشاوروا على إنشاب الحرب فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فقصد مضرهم إلى مضرهم. وربيعهم إلى ربيعهم ويمنهم إلى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح. فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة وهم ربيعة أميراً عليها عبد الرحمن بن الحارث وإلى الميسرة عبد الرحمن بن

عتاب. وثبتا في القلب وقالا: ماهذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً فقالا قد علمنا أن علياً غيرُ منتهٍ حتى يسفك الدماء وإنه لن يطاوعنا. فرد أهل البصرة أولئك الكوفيين إلى عسكرهم. فسمع علي وأهل الكوفة الصوت فخرج وأرسل رؤساء الميسرة والميمنة.

وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة فقال أدركي فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بكِ فركبت وألبسوا هودجها الأدراع. فلما برزت من البيوت وهي على الجمل بحيث يسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كافٌ عنه.

وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة فقالت: ماهذا؟ قالوا: ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر. فما فاجأها إلا الهزيمة. فمضى الزبير من وجهه إلى (وادي السباع) وأما طلحة فأتاه سهم غربٍ فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادي: إليّ إليّ عباد الله الصبر الصبر. فقال له القعقاع ابن عمرو: (يا أبا محمد) إنك لجريح وإنك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خُذ لعثمان مني حتى ترضى. فلما امتلأ خفه دماً وثقل قال لغلامه: أردفني وأمسكني وأبلغني مكاناً أنزل فيه فدخل البصرة فأنزله في دارٍ فمات فيها.

وأما الزبير فإنه لما انحاز. قال الأحنف بن قيس: مَن يأتيني بخبر الزبير؟. فقال عمرو بن جرموز: أنا. فأتبعه فلما لحقه نظر إليه الزبير قال: ما وراءك؟ قال: إنما أريد أن أسألك فقال غلام للزبير اسمه عطية: إنه معد. قال ما يهولك من رجل وحضرت الصلاة. فقال ابن جرموز: الصلاة. فقال الزبير: الصلاة. فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه في جربان درعه فقتله وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه. وخلى عن الغلام فدفنه بوادي السباع.

ورجع إلى الناس بالخبر. وقال الأحنف لابن جرموز: والله ما أدري أحسنت أم أسأت؟ فأتى ابن جرموز علياً فقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزبير فقال علي: ائذن له وبشره بالنار وأحضر سيف الزبير عند علي فأخذه فنظر إليه وقال: طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ وبعث به إلى عائشة لما انجلت الواقعة. وانهزم الناس يريدون البصرة فلما رأوا الخيل أطافت بالجمل عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا وعادوا في أمر جديد. ووقفت ربيعة بالبصرة يمنة وبعضهم ميسرة. وقالت عائشة لما انجلت الواقعة وانهزم الناس لكعب بن سور: خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم إليه وناولته مصحفاً فاستقبل القوم والسبئية أمامهم فرموه رشقاً واحداً فقتلوه ورموا أم المؤمنين في هودجها فجعلت تنادي: البقية البقية يا بني ويعلو صوتها كثرة: الله الله اذكروا الله والحساب فيأبون إلا إقداما. وبالأخص أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة. فذكرت أصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فتقاتلوا. فقال علي: من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملي. وجعل القوم يتقاتلون على خطام البعير حتى لم يُرَ مثل ذلك اليوم منظر وكأن الناس الجبل الأسود يتساقطون تحت الجمل كالفَرَاش على السراج. هذا يأخذ خطام الجمل ليأسر أم المؤمنين. والآخر يأخذه ليخلصها. حتى ضاع الخطام بين الأيدي فنادى علي: اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمع صوت قط أشد من عجيج الجمل فرمى البعير نفسه على شقه وجرجر البعير فقال القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وإنه كالقنفد لما فيه من السهام ثم أطاقا به. وفرّ من وراء ذلك من الناس. فلما انهزموا أمر عليّ منادياً فنادى: ألآ لاتتبعوا مدبراً ولاتجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور. وأمر علي نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر أخاها محمد

ابن أبي بكر أن يضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل إليها شيء من جراحة. فأدخل رأسه في هودجها. وقيل: لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فأدخل محمد يده فيه فقالت من هذا أحرق الله يده فقال لها: قولي في الدنيا. فقالت في الدنيا.

فأتاها علي فقال: كيف أنت يا أُمَّه؟ قالت: بخير قال: يغفر الله لك قالت: ولك. فلما كان الليل أدخلها أخوها محمد البصرة فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار. وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف. وتسلَّل الجرحى من بين القتلى ليلًا فدخلوا البصرة. فأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم وكان عدد القتلى عشرة آلاف خمسة من أصحاب علي وخمسة من أصحاب عائشة

ثم جهز علي عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة والمعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر. فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها علي فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت: يا بَنِيَّ: لايعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها وإنه على معتبتي لمن الأخيار. وقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وخرجت (يوم السبت غرة رجب) وشيعها أميالاً وسرح بنيه معها يوماً فكان وجهها إلى مكة فأقامت إلى الحج ثم رجعت إلى المدينة المنورة.

وفي سنة (٣٧) كان الوالي على البصرة عبد الله بن العباس.

وفي سنة (٣٨) بعد مقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سير معاوية (عبد الله بن الحضرمي) إلى البصرة وقال له: إن جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم. فانزل في مضر وتودد الأزد فإنهم كلهم معك. ودع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم لأنهم كلهم ترابية فاحذرهم. فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة. وكان ابن عباس قد خرج إلى علي بالكوفة واستخلف زياد ابن أبيه علي البصرة. فلما وصل ابن الحضرمي إلى البصرة نزل في بني تميم فأتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم. فخطبهم وحثهم على الأخذ بثأر عثمان.

وكتب زياد إلى علي بالخبر فأرسل علي إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ثم التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فإن امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه وكتب إلى زياد يعلمه ذلك فقدم أعين فأتى زياداً فنزل عنده وجمع رجالاً وأتى قومه ونهض إلى ابن الحضرمي ومن معه ودعاهم فشتموه وواقفهم نهاره ثم انصرف عنهم فدخل عليه قومٌ فقتلوه غيلة.

فلما قتل أعين أراد زياد قتالهم فأرسلت تميم إلى الأزد: إنا لم نعرض لجاركم فما تريدون إلى جارنا فكرهت الأزد قتالهم وقالوا: إن عرضوا لجارنا منعناه. وكتب زياد إلي على يخبره خبر أعين وقتله. فأرسل علي جارية بن قدامة السعدي (من بني سعد بن تميم) وبعث معه خمسين رجلاً وقيل (٥٠٠) من تميم وكتب إلى زياد يأمره بمعونة جارية والإشارة عليه فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما أصاب أعين فقام جارية في الأزد فجزاهم خيراً وقال: عرفتم الحق إذ جهله غيركم وقرأ كتاب علي إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم

وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء. فقال صبرة بن شيمان: سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه. وسار جارية إلى قومه وقرأ عليهم كتاب علي ووعدهم فأجابه أكثرهم فسار إلى ابن الحضرمي ومعه الأزد ومن تبعه من قومه. وعلى خيل ابن الحضرمي (عبد الله بن حازم السلمي) فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الأعور الحارثي فصار مع جارية فانهزم ابن الحضرمي فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن حازم فأتته أمه عَجْلَى وكانت حبشية فأمرته بالنزول فأبى فقالت: والله لتنزلن أو لأنزعن ثيابي فنزل ونجا وأحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلاً معه وعاد زياد إلى القصر وكان قصر سنبيل لفارس قديماً وصار لسنبيل السعدي وحوله خندق.

وفي سنة (٤٠) خرج عبد الله بن عباس من البصرة مستعفياً من ولايته ولحق بمكة. وذلك بسبب وشي حصل من (أبي الأسود الدؤلي) عند علي فأرسل علي بن أبي طالب إلى أبي الأسود يأمره بمراقبة أمور البصرة وأرسل يعاتب ابن عباس ويحاسبه في خراج البصرة. فعرف ابن عباس الأمر فاستعفى. وفي سنة (٤١) هـ حصل الاجتماع والاتفاق بين الحسن بن علي وبين معاوية رضي الله عنهما. فلما ترك الحسن أمر الخلافة لمعاوية ثار (حمران بن أبان) فاستولى على البصرة.

البصرة في زمن بني أمية

لما استقل معاوية بالخلافة عام الجماعة سنة (٤١) بعث العمال إلى الأمصار. فبعث المغيرة بن شعبة على الكوفة ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثيراً بن شهاب علي (الري) وأقره زياد.

ثم بعث على البصرة (بسر بن أرطأة) وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد (وقيل بن أبان) عند صلح الحسن مع معاوية كما تقدم فبعث بسر عليها وكان على فارس من أعمال البصرة (زياد بن أبيه) وبعث إليه معاوية يطلبه في المال فقال: صرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة إليه. وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله. فكتب إليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك فامتنع. فلما ولي بسر على البصرة جمع عنده أولاد زياد الأكابر: عبد الرحمن وعبد الله وعباد وكتب إليه لتقدمن أو لأقتلن بنيك فامتنع واعتزم (بسر) على قتلهم فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لأمه فقال أخذتهم بلا ذنب وصالح الحسن عَلَى أصحاب عَلِيٍّ حيث كانوا فأمهله بسر إلى أن يأتي بكتاب معاوية. ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال: إن الناس لم يبايعوك على قتل الأطفال وإن بسر يريد قتل بني زياد. فكتب إليه بتخليتهم وجاء إلى البصرة يوم المهاد ولم يبق منه إلا ساعة وهم موثقون للقتل فأدركهم وأطلقهم.

ثم عزل معاوية (بسراً) عن البصرة وأراد أن يولي عتبة ابن أبي سفيان فقال له عبد الله (ابن عامر): إن لي بالبصرة أموالاً وودائع وإن لم تولني عليها ذهبت فولاه وجعل إليه معها خراسان وسجستان وقدمها في أواخر سنة (٤١) وعين من قبله على خراسان قيس بن الهيثم السلمي. وكان أهل بلخ وبادغيس وهراة وبوشلخ قد نقضوا فسار إلى بلخ وحاصرها حتى سألوا الصلح وراجعوا الطاعة. وقيل: إنما صالحهم الربيع بن زياد سنة (٥١) كما سيأتي. ثم قدم قيس على عبد الله بن عامر فضربه وحبسه وولى مكانه عبد الله بن حازم.

عزل عبد الله بن عامر

كان ابن عامر حليماً ليناً للسفهاء فطرق البصرة الفساد من ذلك وقال له

زياد: جرد السيف فقال لاأصلح الناس بفساد نفسي. ثم بعث وفداً من البصرة إلى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ومنهم (ابن الكوا) وهو عبد الله بن أبي أوفى اليشكري فلما سألهم معاوية عن الأمصار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر وضعفه فقال معاوية تتكلم على أهل البصرة وهم حضور. وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولى على خراسان من أعداء ابن الكوا (عبد الله بن أبي شيخ اليشكري) أو طفيل بن عوف فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال: وددت أنه ولى كل يشكرى من أجل عداوتي.

ثم إن معاوية استقدم ابن عامر فقدم وأقام أياماً فلما ودعه قال: إني سائلك ثلاثاً قال: هن لك. قال: ترد عليَّ عملي ولاتغضب وتهب لي مالك بعرفة ودورك بمكة قال: قد فعلت قال: وصلتك رحم. فقال ابن عامر: وإني سائلك ثلاثاً ترد عليّ عملي بعرفة ولاتحاسب لي عاملًا ولاتتبع لي أثراً وتنكحني ابنتك هنداً قال: قد فعلت. ويقال: إن معاوية خيره بين أن يرده على اتباع أثره وحسابه بما صار إليه أو يعزله ويسوغه ما أصاب فاختار الثالثة فعزله وولى مكانه (الحارث بن عبد الله الأزدي) وهو من أهل الشام، فاستعمل الحارث على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفي. فبقي الحارث أميراً على البصرة أربعة أشهر، ثم عزله وولاها زياداً.

ولاية زياد على البصرة

كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة وكان يتشوق الإمارة عليها فاستثقل المغيرة ذلك منه فاستعفى من معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه. فيقال: إنه خرج زياد إلى الشام. ثم إن معاوية عزل الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة (٤٥) وجمع له

خراسان وسجستان. ثم جمع له (السند. والبحرين. وعمان) وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهي معروفة (وسميت بتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد لله والثناء) فحذرهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات والاسترسال في الفسق والضلال وانطلاق أيدي السفهاء على الجنايات وانتهاك الحرم-وهم يدنون منه فأطال في ذلك عنفهم ووبخهم وعرفهم ما يجب عليهم في الطاعة من المناصحة والانقياد للأئمة وقال: لكم عندي ثلاث لاأحتجب عن طالب حاجة ولو طرقني ليلاً. ولاأحبس العطاء عن إبانه ولاأحمر البعوث. فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الأهيم: أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب قال: كذبت. ذلك نبي الله داود.

ثم استعمل على شرطته عبد الله بن حصين وأمره أن يمنع الناس من الدُّلُوج بالليل وكان قد قال في خطبته: لاأوتى بمدلج إلا سفكت دمه وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة ثم يخرج صاحب الشرطة فلايجد أحداً إلا قتله (وكان أول من شدد أمر السلطان وشيد الملك) فجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه السفهاء والذعار وأَمَّنَ الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشيء يسقط من يد الإنسان فلا يتعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه. ولايغلق أحد بابه وأَدَرَّ العطاء واستكثر من الشرطة فبلغوا (أربعة آلاف) وَسُئِلَ في إصلاح السابلة فقال: حتى أصلح المصر. فلما ضبطه أصلح ما وراءه وكان يستعين بعدة من أصحابه منهم (عمران بن الحصين) رضي الله عنه ولاه قضاء البصرة فاستعفى فولى مكانه عبد الله بن فضالة الليثي. ثم أخاه عاصماً. ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد وكان يستعين بأنس بن مالك. وعبد الرحمن بن سمرة. وسمرة بن جندب ويقال إن زياداً أول من سير بين يديه بالحراب والعمد. واتخذ الحرس رابطة فكان خمسمائة منهم لايفارقون المسجد.

(وفاة المغيرة) وفي سنة (٥٠) توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة فولى معاوية مكانه (زياداً) وجمع له المِصْرَيْن فسار زياد إليها واستخلف على البصرة (سمرة بن جندب) فلما وصل الكوفة خطبهم فحصبوه على المنبر فلما نزل جلس على كرسي وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك ومَن لم يحلف حبسه فبلغوا ثمانين. واتخذ المقصورة من يوم حبس. ثم بلغه عن (أوفى بن حسين) شيء فطلبه فهرب ثم أخذ فقتله. وقال له عمارة بن عقبة ابن أبي معيط: إن عمر بن الحمق يجتمع إليه شيعة علي فأرسل إليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده وقال: لاأبيح أحد حتى يخرج عَلَيَّ وأكثر سمرة بن جندب اليتامى بالبصرة (يقال: قتل ثماني آلاف فأنكر ذلك عليه زياد).

وفي سنة (٥٣) في رمضان مات زياد. ولما مات استخلف على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان. وعزل بعد ذلك عبد الله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحاك ابن قيس.

ولاية عبيد الله بن زياد

لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية وهو ابن خمس وعشرين سنة قال له: مَن استعمل أبوك على المِصْرَيْن؟ فأخبره فقال له: معاوية لو استعملك لاستعملتك. فقال عبيد الله: أنشدك الله أن يقول أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك استعملتك فولاه خراسان ووصاه فكان من وصيته اتق الله ولاتؤثرن على تقواه شيئاً فإن في تقواه عوضاً. وقِ عِرضك من أن تدنسه وإن أعطيت عهداً فأوفِ به ولاتتبعن كثيراً بقليل ولايخرجن منك أمر حتى تبرمه فإذا خرج فلا يردن عليك. وإذا لقيت عدوَّك فكبر أكبر من

معك وقاسمهم على كتاب الله ولا تطمعن أحداً في غير حقه. ولا تؤيس أحداً من حق هوله. ثم ودعه فسار إلى خراسان أول سنة (٥٤) وقدم إليها أسلم ابن زرعة الكلابي. ثم قدم فقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ففتح (رامين. ونسف. وسكند) ولقيه الترك فهزمهم. وكان مع ملكهم امرأته خاتون فأعجلوها عن لبس خفيها فأصاب المسلمون أحدهما وقوّم بمائتي ألف درهم. وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم وهو يطعن حتى يغيب عن أصحابه ثم يرفع رايته تقطر دماً. وكان هذا الزحف من زحوف خراسان المعدودة. وكانت أربعة: منها للأحنف بن قيس بقهستان والمرغاب. وزحف لعبد الله بن حازم قَضَّ فيه جموع فاران:

وأقام عبيد الله والياً على خراسان سنتين. ثم ولاه معاوية على البصرة سنة (٥٥). بعد أن عزل عبد الله بن عمرو ابن غيلان عن البصرة. وولى على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي فلم يغز ولم يفتح.

وفي سنة (٥٩) عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة. ثم أعاده إليها بعد أيام قلائل.

وفي سنة (٦٤) مات يزيد بن معاوية واختلف الناس وحصل الاضطراب في البصرة حتى اضطر (عبيد الله بن زياد) إلى الفرار. ثم إن الناس فوضوا أمر البلدة لرأي قيس بن الهيثم السلمي وللنعمان بن سفيان الراسي الحرمي ليختارا من يرضيان لهم.

ولاية عبد الله بن الحارث

لما اتفق قيس والنعمان. ورضي قيس بمن يؤمره النعمان أشهد عليه النعمان بذلك وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا. ثم أتى عبد الله

ابن الأسود وأخذ بيده واشترط عليه حتى ظن الناس أنه بايعه. ثم تركه وأخذ بيد (عبد الله بن الحارث) بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الملقب (ببَّة) واشترط عليه مثل ذلك. ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ﷺ وحق أهل بيته وقرابته. وقال: أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عم نبيكم وأمه هند بنت أبي سفيان قد كان الأمر فيهم فهو ابن أختكم. ثم أخذ بيده وقال: رضيت لكم به فنادوه: قد رضينا. وبايعوه وأقبلوا به إلى دار الأمارة حتى نزلها وذلك أول (جمادى الآخرة عام ٦٤) وقال الفرزدق في بيعته:

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم وَبَبَّة قد بايعته غير نادمِ

وفي سنة (٦٤) بعد مبايعة عبد الله بن الزبير بمكة وإعلانه الخلافة لنفسه أرسل من قبله (عمر بن عبيد الله بن عمر التيمي) والياً على البصرة. وكان أمر الولاية إذ ذاك في غاية الارتباك. وأكثر الناس متحزبة إلى أحزاب وفرق فلم يتمكن عمر بن عبيد الله من أمر الحكم بشيء. فأرسل بدله في سنة (٦٥) الحارث بن أبي ربيعة.

مروان بن الحكم

وفي سنة (٦٥) سير مروان بن الحكم بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحارث (بقرقيسيا) واستعمله على كل ما يفتحه فإذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذهِ من ابن الزبير. فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق.

والبعث الآخر إلى المدينة المنورة مع حبيش بن دلجة القيني فسار بهم

حتى انتهى إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف بن أخي عبد الرحمن بن عوف من قبل بن الزبير فهرب منه جابر. ثم إن (الحارث بن أبي ربيعة) وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة وجه جيشاً من البصرة. وكان والي عليها لابن الزبير. وجعل عليهم الحنيف بن النحف التيمي لحرب حبيش).

فلما سمع بهم حبيش سار إليهم من المدينة. وأرسل عبد الله بن الزبير إلى المدينة (العباس بن سهل بن سعد الساعدي) أميراً عليها وأمره أن يسير في طلب حبيش حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف فأقبل العباس في آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله. وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهم على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم (٥٠٠) بالمدينة فقال العباس ابن سهل انزلوا على حكمي فنزلوا فقتلهم ورجع فلّ حبيش إلى الشام (كما في تاريخ مكة).

ذكر محاربة المهلبِ الخوارجَ

لما قربت الخوارج من البصرة أتى أهلها الأحنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم فأشار بالمهلب بن أبي صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان. فقال الأحنف ما لهذا الأمر غير المهلب فخرج إليه أشراف أهل البصرة فكلموه فأبى فكلمه (الحارث بن أبي ربيعة) فاعتذر بعهده على خراسان فوضع الحارث وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب فلما قرأه قال: والله لاأسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه وتعطوني من بيت المال ما أقوى به من معي فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به

كتاباً وأرسلوا إلى ابن الزبير فأمضاه فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثني عشر ألفاً. وخرج المهلب إلى الخوارج وهم عند الجسر الأصغر فحاربهم وهو في وجوه الناس.وأشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقي إلا أن يدخلوا فارتفعوا إلى الجسر الأكبر فسار إليهم في الخيل والرجال فلما رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ولما بلغ حارثة بن زيد تأمر المهلب على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس: كروا بنو ودّ ولبَّوا حيث شئتم فاذهبوا. وأقبل بمن معه نحو البصرة فرد الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب وركب حارثة في سفينة في نهر دجيل يريد البصرة فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمي بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة إلى شاطيء النهر وهو جرف فوثب التميمي إليها فغاصت بجميع من فيها فغرقوا. وأما المهلب فإنه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيري فتنحوا عنه إلى (الأهواز) فسير المهلب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخبارهم فلما أتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف أخاه (المعارك بن أبي صفرة) على نهر تيري. فلما وصل الأهواز قاتلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة فجال أصحابه ثم عادوا. فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى (مناذر) فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم (واقد) مولى أبي صفرة إلى نهر تيري وبها (المعارك) فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيري فأنزل (عمه المعارك) ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد إلى أبيه وقد نزل (سولاف) وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لاينزل إلا في خندق وهو علي تعبية ويتولى الحرس بنفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب وأبلى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسناً ظهر

فيه أثره ونادى المهلب أصحابه فعادوا إليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس. فلما كان الغد أراد القتال بمن معه فنهاه بعض أصحابه لضعفهم وكثرة الخوارج فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لايؤتى إلا من جهة واحدة. وأقام ثلاثة أيام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم (بسلى وسلبرى) وجرت بينه وبين الخوارج وقعتان عظيمتان انكسر المهلب في الأولى وتوفق في الثانية حيث إنه حمل هو وقومه حملة رجل واحد على الخوارج حتى كسرهم وقتل رئيسهم عبد الله بن الماحوز وكثيراً من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم. فارتفعوا منهزمين إلى كرمان وجانب أصبهان.

ولما فرغ المهلب منهم أقام مكانه حتى قدم (مصعب بن الزبير) على البصرة أميراً وعزل الحارث بن أبي ربيعة (العلة سنة ٦٧) وكان المهلب لما انتصر على الخوارج كتب إلى الحارث بن أبي ربيعة يعرفه ظفره فأرسل الحارث الكتاب إلى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هناك.

ذكر ولاية مصعب بن الزبير على البصرة وعزله

وفي سنة (٦٧) عزل عبد الله بن الزبير عن البصرة الحارث بن أبي ربيعة وهو القباع. واستعمل عليها أخاه (مصعباً) فقدمها مصعب متلثماً ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس: أمير أمير وجاء الحارث بن أبي ربيعة وهو الأمير فسفر مصعب لثامه فعرفوه وأمر مصعب الحارث بالصعود إليه فأجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم طَسَمٍ تلكَ آياتُ الكتابِ المبينِ نتلوا عليكَ من نبإٍ موسى

وفرعونَ بالحقِّ لقوْمٍ يؤمنونَ... (إلى قوله) من المفسدين﴾[1] (فأشار بيده نحو الشام) ﴿ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفُوا في الأرض ونجعلَهمْ أئمة ونجعلَهُم الوارثين﴾[2] (وأشار نحو الحجاز) ﴿ونُمكن لهم في الأرض ونُري فرعونَ وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[3] (وأشار نحو الكوفة) وقال: يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي (الجزّار).

(وفيها أي ٦٧) عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً عن العراق بعد أن قتل المختار وولى مكانه ابنه (حمزة بن عبد الله) وكان حمزة جواداً مخلصاً أحياناً حتى لايدع شيئاً يملكه ويمنع أحياناً ما لايمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف.

فكتب الأحنف إلى أبيه وسأله أن يعزله عنهم ويعيد مصعباً فعزله. وقيل: إن مصعباً أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولاً عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة. ثم إن مصعباً وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة. وقيل: بل انصرف مصعب إلى البصرة بعد قتل المختار. واستعمل على الكوفة الحارث بن أبي ربيعة فكانتا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة. ثم عزل حمزة بكتاب الأحنف وأهل البصرة ورد مصعباً وذلك سنة (٦٨) هـ.

وفي سنة (٧٠) حصل بالبصرة حرب مع جنود عبد الملك بن مروان وكان عامل ابن الزبير عليها (مصعباً) وسمي ذلك اليوم (يوم الجفرة) وسببها هو أن عبد الملك بن مروان سار سنة (٧٠) يريد مصعباً فقال له

---

(١) سورة القصص/١ - ٤.
(٢) سورة القصص/٥.
(٣) سورة القصص/٦.

خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد: إن وجهتني إلى البصرة وأتبعتني خيلًا يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفياً في خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلي. وقيل نزل على (علي بن أصمع).

فأرسل عمرو إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب قد استخلفه على البصرة. ورجا ابن أصمع أن يبايعه عباد بن الحصين وقال له: إني قد أجرت خالداً وأحببت أن تعلم ذلك لتكون ظهراً لي فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد: قل له: والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل فقال ابن أصمع لخالد: إن عباداً يأتينا الساعة ولا أقدر أن امنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع فخرج خالد يركض قد أخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكاً فقال: أجرني فأجاره وأرسل إلي بكر بن وائل والأزد فكان أول راية أتته راية بني يشكر وأقبل عباد في الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان الغد غدوا إلى جفرة نافع ابن الحارث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية. وعبد العزيز ابن بشر. ومرة بن مَحْكان وغيرهم. وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون إلى الجفرة. وأصحاب ابن معمر زبيرية.

ووجه مصعب زحر بن قيس الجعفي مدداً لابن معمر في ألفٍ. ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مدداً لخالد فأرسل عبيد الله إلى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد إليه فأخبره بتفرق القوم فرجع إلى عبد الملك فاقتتلوا (٢٤) يوماً وأصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب ومشت بينهم السفراء فاصطلحوا على أن يخرج خالد من البصرة فأخرجه مالك. ثم لحق مالك بالنباج وكان عبد الملك قد رجع إلى دمشق فلم يكن لمصعب همة إلا البصرة وطمع أن يدرك بها خالداً فوجده قد خرج فسخط

مصعب علي ابن معمر. وأقام مصعب بالبصرة ثم شخص إلى الكوفة فلم يزل بها حتى خرج إلى حرب عبد الملك بن مروان.

مقتل مصعب بن الزبير

وفي سنة (٧١) قُتل مصعبٌ. واستولى عبد الملك بن مروان على العراق (في خبر طويل).

(وفيها) أي ٧١ - تنازع على ولاية البصرة حمران بن أبان وعُبيد الله ابن أبي بَكرة فقال ابن أبي بكرة: أنا أعظم منك كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة. فقيل لحمران: إنك لاتقوى على ابن أبي بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهيم فاستعان به فغلب على البصرة. وعبد الله على شرطتها وكان لحمران منزلة عند بني أمية وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة (خالد بن عبد الله) بن خالد بن أسيد فوجه خالد إليها عبيد الله بن أبي بكرة خليفة له فلما قدم على حمران قال: قد جئتُ لاجئتَ. فكان عُبَيْدُ الله عليها حتى قدم خالد سنة (٧٢).

وفي سنة (٧٣) أمر عبد الملك بن مروان (عمر بن عبيد الله بن معمر) أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتال (أبي فديك الخارجي) فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخي عمر. وجعل خيله في القلب وساروا حتى انتهوا إلى (البحرين) أي: الاحساء. فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل (أبو فديك) وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا إلى المغيرة بن المهلب. ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل

الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى. فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير لأن أميرهم عمر بن موسى كان جريحاً فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا في عسكر الخوارج وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه (بالمشقر) فنزلوا عن الحكم فقتل منهم (٦٠٠٠) وأسر (٨٠٠) كما في تاريخ البحرين صفحة (٦١) وعادوا إلى البصرة.

(وفيها) أي ٧٣ - عزل عبد الملك عن البصرة خالد بن عبد الله وَوَلّاها أخاه (بشراً بن مروان) فاجتمع له المِصْرَان الكوفة والبصرة فسار بشر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث.

وفي سنة (٧٥) ولي عبد الملك (الحجاج بن يوسف) العراق فقط دون خراسان وسجستان. فأرسل إليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة المنورة وأمره بالمسير إلى العراق. فسار في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل (الكوفة) حين انتشار النهار فجأةً وأرسل إلى (البصرة) الحكم بن أيوب الثقفي أميراً من قبله.

وكان بِشر قد بعث المهلب إلى الخوارج. فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خَزٍ حمراء. فقال: عَلَيّ بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال: قاتله الله ما أغباه وأذمه والله لأني لأحسب خبره كروائه. فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل به. ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

وخطبهم خطبة أغلظ القول فيها. ثم سار من الكوفة إلى البصرة بعد أن استخلف على الكوفة (عروة بن المغيرة بن شعبة).

فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة. وتوعَّدَ مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة. فوثبوا عليه وكان مقدمهم (عبد الله بن الجارود) فاجتمعوا على مبايعته وخلع الحجاج فبايعوه سِراً وأعطوه المواثيق وأظهروها سنة (٧٧) هـ.

وكان الحجاج قد بقي بعدد قليل فزحفوا عليه ونهبوا أمتعته. ثم خافوا من محاربة الخليفة. فانضم إليه بعضهم. ثم وقع بعض شقاق فانحاز إليه جماعة أخرى وكان قد يئس من الحياة.

فلما كثر جيشه نهض للحرب فأصاب ابن الجارود سهم غرب فوقع قتيلاً وضعفت عزائم أصحابه. فنادى الحجاج بالأمان. ثم حصلت الحروب المشهورة بين الحجاج وشبيب.

وظل الحجاج على العراق والمشرق كله عاملاً لعبد الملك بن مروان.

وفي سنة (٨٣) اختار الحجاج موقعاً يكون متوسطاً بين الكوفة والبصرة ليقيم فيه ويمكنه إدارة البلدتين حتى إذا وقع اختلاف أو أمر يمكنه الوصول في أقرب وقت إلى أيها شاء. فاختط (بلدة واسط) وبنى فيها داراً للإمارة ومسجداً واتخذها مركزاً لحكومته.

ثم أعلن بعد ذلك لمن يريد السكنى فيها وأباح (عرصتها) لهم فابتدر الناس بالعمران حتى صارت في مدة يسيرة بلدة عظيمة.

وفي سنة (٨٧) جعل الحجاج على البصرة من قبله (الجراح بن عبد الله الحكمي).

وفي سنة (٩٣) قتل الحجاجُ (سعيدَ بن جُبير) رضي الله عنه لانتصاره لعبد الرحمن بن الأشعث. وله (ضريح) بالقرب من واسط يزارُ ويتبرك به.

وبقي الحجاج إلى أن مات (في شوال عام ٩٥) وله من العمر ٥٤ سنة. ومدة ولايته على العراق (٢٠) سنة. وكان لما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه (عبد الله بن الحجاج) واستخلف على حرب الكوفة والبصرة (يزيد بن أبي كبشة) وعلى خراجها (يزيد بن أبي مسلم) فأقرهما الوليد بن عبد الملك بعد موته ولم يغير أحداً من عمال الحجاج. (وقيل وُلي بعد الحجاج يزيد بن المهلب) ثم عزل عنها.

وفي سنة (٩٧) ولي على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي. ثم عزل عنها سنة (٩٨) وتولى بعده سفيان بن عبد الله الكندي.

ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز (صفر عام ٩٩) هـ جعل على البصرة في تلك السنة (عدي بن أرطاة الفزاري) عاملًا له وكتب إليه: (عليك بأربع ليال في السنة فإن الله تعالى يفرغ فيها الرحمة إفراغاً. وهي أول ليلة من شهر رجب وليلة النصف من شعبان. وليلتا العيدين. اهـ) فنشر عديٌّ العدل في البصرة وأقام الشريعة واستتب الأمن.

وفي سنة (١٠١) فرّ (يزيد بن المهلب بن أبي صفرة) من السجن في الشام وجمع جموعاً وسار بها نحو البصرة. وكان على البصرة (عدي بن أرطاة) عامل يزيد بن عبد الملك فجمع عدي أهلها وخندق عليها فأرسل إليه يزيد ابن المهلب أن ابعث إليَّ إخوتي وأنا أصالحك على البصرة فلم يقبل فشبت بينهما نار الحرب فاستظهر يزيد وحبس ابن أرطأة وهرب أعيان أهل البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر ولحقوا بالكوفة وبعضهم بالشام

وقتل يزيد من أهلها كثيرين واستولى عليها. ثم ولى عليها أخاه (مروان بن المهلب بن أبي صفرة) وخرج منها.

وفي سنة (١٠٢) جهزت العساكر تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك فسار من الشام في (٨٠) ألف مقاتل وجرت بينه وبين يزيد بن المهلب محاربات شديدة انجلت عن هزيمة ابن المهلب. فاحتل مسلمة العراق كله وخراسان وصار حاكماً عمومياً عليها. فولى من قبله على البصرة (عبد الرحمن بن سليمان الكلبي).

وفي سنة (١٠٥) كان الخليفة هشام بن عبد الملك فولى العراق (عمر بن هبيرة) وأرسل من قبله إلى البصرة (موسى) عاملاً عليها.

وفي سنة (١٠٦) أحيلت ولاية العراق وخراسان إلى خالد بن عبد الله القسري البجلي. فوجه من قبله إلى البصرة (عقبة بن عبد الأعلى).

وفي سنة (١٠٩) صرف عنها عقبة فولى (أبان بن صبارة البثري) ثم صرف عنها. فولى في سنة (١١٠) بلال ابن أبي بكرة. وأحيل أمر القضاء له.

وفي سنة (١٢٠) انتقلت ولاية العراق إلى (يوسف ابن عمر الثقفي) فأرسل من قبله (كثير بن عبد الله السلمي) عاملاً على البصرة.

وفي سنة (١٢٦) وجهت ولاية العراق إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز. فأرسل من قبله إلى البصرة (المسور بن عمر بن عباد) عاملاً عليها. وفي مدته ظهرت مبادئ الدولة العباسية ودخلت البصرةَ أربابُ الدعوة لبني العباس خفية وجعلوا يحركون الأهالي ضد بني أمية.

وفي سنة (١٢٨) خرج في العراق الضحاك بن قيس فجرت له محاربات

كثيرة مع عبد الله بن عمر ثم حاصر البصرة فسلمها المسور بعد ثمانية أيام فاستولى عليها الضحاك بجنوده.

وفي سنة (١٢٩) أرسل مروان (يزيد بن هبيرة) إلى العراق بعساكر كثيرة فوصل الكوفة واستخلصها من الخوارج بعد حروب شديدة. ثم أتى البصرة فحارب الخوارج خارج البصرة واشتدت الحرب بينهما نحو (١١) يوماً ثم انجلت عن هزيمة الخوارج فدخلها ابن هبيرة وضبط نواحيها.

وفي سنة (١٣١) أحيلت ولاية البصرة إلى (مسلم بن قتيبة الباهلي) ★ (وبعد) شهور من ولايته ظهرت الدولة العباسية وانتشرت عساكر في الأطراف. وأرسل (عبد الله السفاح) من قبله إلى البصرة (سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب) فكلفهم تسليم البلد فلم يوافقوه على ذلك وكان فيها بقية من بني أمية. ثم لحقهم المدد بأربعة آلاف فارس وقد تجمع في البصرة إذ ذاك أكثر ولاة بني أمية الذين كانوا في خراسان وفروا منها بعد تغلب بني العباس عليها وجاءوا إلى البصرة.

فانتشب الحرب مع سفيان واشتد الحرب نحو (٧) أيام ثم انهزمت عساكر بني أمية وتفرقت جموعهم فدخلت عساكر بني العباس البصرة.

البصرة في زمن بني العباس

قامت دولة بني العباس (في ربيع الأول عام ١٣٢) ولما دخلت عساكرهم البصرة واحتلوها تماماً ولي عليها (سفيان بن معاوية) بن يزيد بن المهلب وهو أول عامل لبني العباس على البصرة.

وفي أواخر سنة (١٣٢) ولى عبد الله السفاح ولاية البصرة إلى (سفيان

ابن عيينة المهلبي) وسعى في توطيد الأمان بين الأهالي. وفي تعمير ما خرب من المباني.

وفي سنة (١٣٣) عزل سفيان عن البصرة وولي عليها (سليمان بن علي) عم السفاح وألحق بالبصرة (السواد ودجلة والبحرين وعمان).

وفي سنة (١٣٩) عزل عن البصرة سليمان وتعين بدله (سفيان بن معاوية) مرة ثانية. وانتقم من الأهالي لميلهم لعبد الله بن علي أخي سليمان.

وفي سنة (١٤٠) حفر (مرزوق أبو الخصيب) مولى أبي جعفر المنصور (نهراً) في جنوبي البصرة فسمي (نهر أبي الخصيب) وهو معروف إلى اليوم بهذا الاسم (وقد تقدم ذكره عند الأنهر وعند ملحقات البصرة). وغرس عليه شيئاً كثيراً من النخيل والبساتين وبنى على صدره قصراً عظيماً.

وفي سنة (١٤٢) عصى عيينة بن موسى بن كعب في البصرة فقدمها أبو المنصور بعسكر جرار وأعادها إلى الرضوخ وعمل فيها جسراً عظيماً من القوارب والخشب وأمن السبل ثم عاد مظفراً.

وفي سنة (١٤٤) خرج عن الطاعة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم فجمع من أهل البصرة جموعاً كثيرة وسار بها نحو الكوفة ليحارب أبا جعفر المنصور فلما انتشب القتال بينهما وحمى وطيس الحرب أسفر عن قتل إبراهيم وتفرق جموعه.

وفي سنة (١٤٥) ولي البصرة (مسلم بن قتيبة الباهلي) وفي هذه السنة مصرت (بغداد) اختطها أبو جعفر المنصور.

وفي سنة (١٤٦) أمر المهدي بهدم دور بعض أهل البصرة وتخريب بساتينهم ومصادرة أموالهم وقتل مَنْ وجد منهم. فتوقف في أمرهم مسلم بن

قتيبة فعزل عن البصرة. وتولى بعده (محمد بن سليمان) فلما وصل البصرة هدم حالاً نحو (٣٠٠٠) دار. وأتلف نحو (٢٠) ألفاً من النخيل. وصلب من وجهاء البلدة (٥٥) شخصاً. وسجن (٥٠٠) رجل ثم أرسلهم مكبلين في الحديد إلى بغداد.

وفي سنة (١٤٧) أحيلت ولاية البصرة إلى محمد بن عبد الله السفاح وبعد ثلاثة أشهر استقال منها. فولى بدله (نخبة بن سالم).

وفي سنة (١٥٠) ولي على البصرة (عقبة بن مسلم) وفي زمانه وصلت العلوم العربية إلى أوجها. وبوشر في جمع اللغات العربية بالجد والسعي الكامل.

وفي سنة (١٥١) احتل عقبة (جزيرة البحرين) كما في تاريخها (صفحة ٦١).

وفي سنة (١٥٤) أرسل عقبة إلى البحرين لتسكين الثورة الحاصلة فيها فولى البصرة (عبد الملك بن ضبيان النميري).

وفي سنة (١٥٥) كثرت اللصوص في البصرة ليلاً ونهاراً استخفافاً بواليها عبد الملك. فعزل عنها ونصب مكانه (الهيثم بن معاوية).

وفي سنة (١٦٠) ولي على البصرة (محمد بن سليمان) وألحق لولاية البصرة دجلة والبحرين.

(وفيها) أمر الخليفة بتوسيع (جامع البصرة) لكثرة المصلين في ذلك الحين فوسع حسبما يرام. قيل: إنه أحصى عدد من صلى في الجامع فبلغ ذات يوم (٣٠) ألف رجل.

وفي سنة (١٦٦) ولي البصرة (روح بن حاتم).

وفي سنة (١٦٧) ثارت الأعراب والعشاير القاطنون بين البصرة والبحرين وهجموا على البصرة ونهبوا وقتلوا وخربوا. فكافحهم الوالي المذكور فلم يقدر. فطلب المدد من بغداد فأرسلت إليه العساكر فأصلح ما فسد.

وفي سنة (١٦٩) تولى البصرة (محمد بن سليمان).

وفي سنة (١٧٢) ولي البصرة (سليمان بن جعفر) وبعد ستة أشهر تولى محله (عيسى بن جعفر).

وفي سنة (١٧٤) ولي عبد الصمد بن علي.
وفي سنة (١٧٧) ولي عليها (مالك بن علي الخزاعي).
وفي سنة (١٨١) وليها (إسحق بن سليمان).
وفي سنة (١٨٤) وليها (سليمان بن أبي جعفر).
وفي سنة (١٨٥) وليها (عيسى بن جعفر).
وفي سنة (١٨٧) وليها (الحسن بن جميل).
وفي سنة (١٨٩) وليها (عيسى بن جعفر) مرة ثانية[1].

وفي سنة (١٩٠) وليها (جرير بن يزيد) وبعد ستة أشهر وليها (عبد الصمد بن علي) مرة ثانية.

وفي سنة (١٩٣) وليها إسحق بن عيسى بن علي. وفي مدة أولئك الولاة كانت العلوم في رقي. والمؤلفون يصنفون والبلدة في راحة واطمئنان.

وفي سنة (١٩٥) ولي على البصرة (المنصور بن المهدي) من قبل الأمين

---

(١) الأصح أن يقال: مرة ثالثة؛ لأنه وليها سنة ١٧٢ وسنة ١٨٥ وسنة ١٨٩. اهـ مصحح.

ابن هارون الرشيد. ثم لما وقع الخلف بين الأمين والمأمون واستولى (طاهر) القائد الشهير للمأمون على واسط والأهواز والكوفة اجتمع أهل البصرة وأرادوا الحرب مع[1] طاهر انتصاراً للأمين. فخالفهم المنصور. ثم خلع الأمين وبايع المأمون فقرر عمله على البصرة.

وفي سنة (١٩٦) جمعت (العراق. وفارس. والبحرين فوليت من قبل المأمون إلى الحسن بن سهل) وأرسل الحسن عاملاً عنه إلى البصرة (العباس ابن محمد الجعفري).

وفي سنة (٢٠٠) خرج أبو السريا الطالبي فاستولى على الأهواز وواسط الكوفة. وهجم على البصرة بعساكره فجمع عامل البصرة الجموع من الأهالي وقابله فانهزم العامل بعد حروب شديدة واستولى الطالبيون على البصرة.

وفي سنة (٢٠٤) جمع المأمون الجموع من العساكر وأرسلهم تحت قيادة أخيه صالح إلى البصرة لمحاربة الطالبيين فلما وصلوها جرت بينهما عدة حروب أسفرت بانتصار صالح واسترداده البصرة من يد الطالبيين. ثم ولي هو على البصرة من قبل أخيه.

وفي سنة (٢٠٦) جمعت (البصرة واليمامة والبحرين) ووليت لداود بن ماسحور.

وفي سنة (٢١٠) أمر الخليفة بإحصاء علماء البصرة وطلبة العلم. فأحصيت فبلغ عدد المدرسين (٧٠٠) مدرس وبلغ عدد طلبة العلم (١١) ألف طالب. فأمر أن يخصص لهم ما يسد به النواقص من المعاش وغيره ثم

(١) المقصود: الحرب ضده. اهـ مصحح.

طلب من تأليف العلماء في فنون مختلفة فجمع ما ألف في عشرين سنة فزادت علي مابتي ألف مجلد. فحملت تلك الكتب في ثلاث سفن من البصرة وأرسلت إلى بغداد.

وفي سنة (٢١٥) تولى البصرة محمد بن عباد المهلبي فحكم فيها إلى أن توفي سنة (٢١٦) فتعين بدله (عجيف بن عنبسة).

وفي سنة (٢٣٢) ولى البصرة (عمير بن عمار).

وفي عام (٢٣٩) وليها محمد بن رجا. وفي زمنه كانت أهالي البصرة منقسمة إلى فرقتين تسميان (البلالية. والسعدية) وكانت نار الحرب مشتعلة بينهم فأدى الحال إلى أنهم طردوا الوالي: (محمد بن رجا) وأطلقوا المحبوسين ونهبوا بيوت المثرين.

فصارت البصرة مضطربة الأحوال (فيضوية)[1] ولم تستقم فيها الولاة إلا شهوراً ثم يستعفون أو يطردون. أو يعزلون. إلى سنة (٢٥٣).

وفي عام (٢٥٤) قصد البصرة (صاحب الزنج) علي بن محمد وجعل يعوث[2] في باديتها.

وفي سنة (٢٥٥) ولي على البصرة (الأحوص الباهلي) وأرسلت العساكر الكثيرة تحت قيادة (جعلان التركي) نحو البصرة لرد غارات الزنوج فجاء جعلان بالجنود إلى البصرة وجعل يحارب الزنوج فلم يتمكن منهم بشيء فحصر همته في محافظة البصرة فخندق عليها وجعل يحافظها.

وفي سنة (٢٥٦) هاجمت الزنوج البصرة فقابلهم البصريون وجرت

---

(١) صحتها: فوضوية لأنها منسوبة إلى الفوضى. اهـ مصحح.

(٢) صحتها: يعيث لأنها من باب ضرب. اهـ مصحح.

بينهما مقتلة عظيمة اندحر فيها الزنوج. وجعلوا يعوثون[1] في أطراف البلاد ولامانع يردعهم.

ثم ساروا نحو (الأبلة) فخرجوا لهم بأربعة آلاف مقاتل فانكسر أهل الأبلة واحتلت الزنوج البلدة سنة (٢٥٦) كما تقدم في بحث الأبلة.

وفي(١٧ شوال عام ٢٥٧) دخل صاحب الزنج البصرة وضيق على أهلها بعد أن قتل منهم جمعاً غفيراً. ونهب سفنهم وعاث في أرضهم. وكانوا قد ضعفوا وتفرقوا فاستولى عليها وخربها وأخرب ما حولها من القرى. وبقي قائده يقتل ويحرق فيها يومين. ثم نادى في أهلها بالأمان وأن يحضروا، فحضروا جميعاً واغتنم العدو الفرصة وغدر بهم وأعمل السيف فيهم كل ذلك النهار ولم ينج إلا القليل ولم يصرف جيشه عنها حتى خربها.

وفي سنة (٢٥٩) أرسل (المعتمد على الله العباسي) إلى البصرة إسحق بن كنداج[2] لقتال الزنوج فأبلى بلاء حسناً وأظهر بطشاً في حروبهم يوصف. وكان صاحب الزنج يجمع أصحابه ويسيِّر طائفة منهم لقتال إسحق بالبصرة فيظفر بهم ويردهم مهزومين فبقي على ذلك سنة وأشهراً. ثم حصل بينه

---

(١) صحتها: يعيثون كما سبق الإشارة إليه - اهـ مصحح.

(٢) إسحاق بن كنداج أصله من بلاد الخزر. وكان من أشهر القواد أيام المعتمد على الله. وأبي العباس الموفق. واشتهر كثيراً في مواقعه حتى خافه الناس وهابته أصحاب المناصب وله المواقع المشهورة مع (ابن أبي الساج) وخمارويه بن أحمد بن طولون. وكان إسحق هذا والياً على الموصل والجزيرة وغيرهما من تلك النواحي. وملك (ديار مضر وربيعة) وبلاداً أخر بقوته. وهو الذي أرسله المعتمد إلى البصرة سنة (٢٥٩) لقتال الزنج (كما في داخل الأصل). اهـ مؤلف.

وبين أحمد بن موسى تنافر (كما وضحناه في الحاشية) ففارق البصرة[1] وذهب نحو الموصل.

وفي سنة (٢٦١) تحارب محمد بن واصل وعبد الرحمن ابن مفلح وطاشتمر. وسبب ذلك هو أن ابن واصل كان قد قتل (الحارث بن سيما) وتغلب على فارس. فأضاف (المعتمد) فارساً إلى موسى بن بغا (والأهواز والبصرة والبحرين واليمامة) مع ما كان إليه فوجه موسى (عبد الرحمن بن مفلح) إلى الأهواز وولاه إياها مع فارس وأضاف إليه طاشتمر.

فلما علم ابن واصل بأن ابن مفلح قد سار نحوهم من الأهواز زحف إليه من فارس فالتقيا (برامهرمز) وانضم أبو داود الصعلوك إلى ابن واصل فاقتتلوا فانهزم عبد الرحمن وأخذ أسيراً. وقتل طاشتمر واصطلم عسكرهما وغنم ما فيه من الأموال والعدد. وأرسل الخليفة إلى ابن واصل في إطلاق عبد الرحمن فلم يفعل وقتله وأظهر أنه مات. وسار ابن واصل من (رامهرمز) بعد هذه الواقعة مظهراً أنه يريد (واسطاً) لحرب موسى بن

---

(١) وذلك أن إسحق كان من رفقاء (أحمد بن موسى بن بغا) في الحروب أيام الموفق. فاتفق أن أحمد سار إلى الجزيرة وولى موسى بن أتامش (ديار ربيعة) سنة (٢٦٦) فأنكر ذلك إسحق وفارق عسكره وسار إلى (مدينة بلد) فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزمهم وأخذ أموالهم. ثم لقي (ابن ساور الخارجي) فقتله وسار إلى الموصل فقاطع أهلها على مال قد أعدوه. ثم لما قبض الأموال سار بقومه نحو (نصيبين. وديار ربيعة) وحارب حروباً كثيرة. ثم رجع إسحق بن كنداج المذكور إلى الموصل. فوصله من (الخليفة المعتمد) عهد بولاية الموصل. وفي سنة (٢٦٧) كانت وقعة بين إسحق بن كنداج وبين إسحق بن أيوب. وعيسى بن الشيخ. وأبي المعز بن موسى بن زرارة. وحمدان بن حمدون. ومن اجتمع إليهم من (ربيعة وتغلب وبكر) واليمن. فهزمهم ابن كنداج إلى نصيبين وتبعهم إلى (آمد) وتوفي ابن كنداج سنة (٢٧٩) وولي أعماله بعده ولده محمد ابن إسحق بن كنداج. اهـ مؤلف.

بغا فانتهى إلى الأهواز. وفيها إبراهيم بن سيما في جمع كثير. فلما رأى موسى شدة الأمر بهذه الناحية وكثرة المتغلبين عليها وأنه يعجز عنهم سأل أن يعفى فأجيب إلى ذلك.

تجهيز أبي أحمد إلى البصرة

وفي شوال عام (٢٦١) جلس المعتمد في دار العامة. فولى ابنه جعفر العهد ولقبه (المفوض إلى الله) وضم إليه موسى ابن بغا فولاه (إفريقيا. ومصر. والشام. والجزيرة. والموصل. وأرمينية. وطريق خراسان. ومهرجان قذق).

وولى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر ولقبه (الناصر لدين الله الموفق) وولاه (المشرق. وبغداد. والسواد. والكوفة. وطريق مكة. والمدينة المنورة. واليمن. وكسكر. ودجلة. والأهواز. وفارس. وأصبهان. وقم وكرج. ودينور. والري. وزنجان. والسند) وعقد لكل واحد منها لواءين أسود وأبيض. وشرط إن حدث به الموت وجعفر لم يبلغ الحلم أن يكون الأمر للموفق ثم لجعفر بعده وأخذت البيعة بذلك فعقد جعفر (لموسى بن بغا) على المغرب وأمر الموفق أن يسير إلى حرب الزنج فولى الموفق الأهواز. والبصرة. ودجلة. (لمسرور البلخي) وسيره في مقدمته (في ذي الحجة) وعزم على المسير بعده فحدث من أمر يعقوب بن الليث الصفَّار ما منعه عن المسير لأن ابن الصفَّار سار (في عام ٢٦٢) من فارس إلى الأهواز ليحتلها وجرت بينهما عدة معارك مشهورة مذكورة في المطولات.

وقال المسعودي: شخص الموفق لمحاربة قواد صاحب الزنج في (صفر عام ٢٧٧) وقدم ابنه أبا العباس (في رثا) إلى سوق الجيش وقيادته. وكان

رجل من أصحاب صاحب الزنج يقال له الشعراني قد تحصن في جمع كثير من الزنج ففتح أبو العباس ابن الموفق ذلك الموضع وغنم جميع ما كان فيه. ثم فتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق إلى الأهواز فأصلح ما أفسده الزنج. ثم عاد إلى البصرة.

ويقال: إنه بنى (هذه البصرة) وعمرها وسماها الموفقية ثم سميت بعد ذلك (بالبصيرة) بالتصغير. ثم لما خربت البصرة القديمة وتفرق الناس عنها. انتقل أكثر الناس لهذه (البصرة الحالية) فغلب عليها اسم البصرة ومحي عنها اسم (البصيرة والموفقية) اهـ.

وفي سنة (٢٨١) لما انتهت الحروب ولي البصرة (العباس بن تركس) فبادر في تعمير ما خرب من البصرة وسعى في ذلك سعياً عظيماً.

القرامطة

وفي سنة (٢٨٦) أظهر أبو سعيد الجنابي أنه يريد البصرة فكتب عاملها (أحمد بن محمد بن يحيى) إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق على عمارته (١٤) ألف دينار. ثم أغار أبو سعيد على النواجي وعلى البصرة في سنتي (٢٨٧ و ٢٨٩) وقوي أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينه وبينهم وقائع مشهورة يطول ذكرها.

وفي سنة (٢٩٩) ولي البصرة محمد بن إسحق بن كنداج وبعد ثلاثة أشهر من وروده هجمت القرامطة على البصرة والناس في صلاة الجمعة فأسرع الوالي وجمع الجنود وكافح بهم القرامطة حتى طردهم عن البلدة (ومجمل خبر القرامطة وضحناه في تاريخ الأحساء).

وفي سنة (٣٠٥) وقع في البصرة اختلال عظيم فهجم (الحسن بن خبل ابن رمال) وكان قائداً على العساكر البصرية فدخل الجامع وقتل خلقاً كثيراً من الأهالي فقاتلته الأهالي بالمثل. فرفع الخبر إلى بغداد فعزله الخليفة (وأرسل بدله أبا دُلف هاشم بن محمد الخزاعي).

وفي (٣٠٧) ضمن الوزير حامد بن العباس البصرة وجعل يأخذ الأموال ويدخر الذخائر والغلال فغلت أسعار البلدة وتضايق الناس من عمله ففسخ ضمانه وأعيدت كما كانت.

وفي سنة (٣١٠) ولي البصرة (سبك المفلحي) وفي مدة ولايته هجم على البصرة (طاهر بن سليمان بن سعيد القرمطي) ليلًا في (١٧٠٠) رجل وتسلقوا سور البصرة وعاثوا في الأرض وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال.

وفي سنة (٣١١) ولي البصرة محمد بن عبد الله الفاروقي وفي عام (٣١٣) منعت القرامطة من مسابلة العراق والبصرة وأمر الخليفة أن تتأهب كل بلدة لحربهم. وكتب في ذلك إلى جميع الولاة والعمال في البلاد.

وفي سنة (٢١٦) ولي على البصرة ابن رائق فدافع القرامطة أشد الدفاع. فأعلنت القرامطة بأنه إذا لم يفسح لهم بمسابلة العراق فإنهم يمنعون الحجاج عن الحج ويقتلون كل من يظفرون به.

وفي سنة (٣٢٢) جلس على كرسي الخلافة أبو العباس أحمد بن المقتدر.

وفي عام (٣٢٤) تغلب عمال الأطراف في زمنه فكانت (الموصل. وديار بكر. وربيعة ومضر) في يد بني حمدان (والبصرة. وواسط) في يد (ابن رائق) وكذلك تغلب جميع عمال المملكة العباسية ولم يبق للخليفة غير (بغداد) وأعمالها. والحكم فيها للأتراك.

وفي بادئ قيام (دولة بني بويه) كان بالبصرة وقعات بين بجكم والبريدي.

بجكم التركي والبريدي ٣٢٦

وملخص حربها - هو أن بجكم من مشاهير الأتراك في أيام الخلفاء وكان غلاماً (لأبي علي العارض) وزير (ماكان بن كالي) الديلمي فطلبه منه ماكان فوهبه له ثم فارق ماكان من فارقه من أصحابه والتحق (بمرداويج الديلمي) وكان من جملة الذين قتلوا مرداويج سنة (٣٢٣) وسار من بعد قتله مع فرقة من أصحابه نحو (بلاد الجبل) فجبوا خراج (الدِّينَوَر) وغيرها وساروا إلى (النهروان) وكاتبوا الراضي بالله في المسير إلى بغداد فظن (الحجرية) أنها حيلة عليهم فطلبوا أن يرجعوا إلى الجبل فأمرهم (ابن مقلة) بذلك وأطلق لهم مالاً فلم يرضوا به وغضبوا فكاتبهم (ابن رائق) وهو (بواسط) فمضوا إليه وقدم عليهم (بجكم) وأمره بمكاتبة الأتراك والديلم من أصحاب (مرداويج) فكاتبهم فأتاه منهم جماعة وافرة فأحسن إليهم (ابن رائق) وخلع على بجكم خاصة وأمره أن يجعل إمضاءه وعلامته (بجكم الرائقي). فأقام عنده مدة وارتفعت منزلته وصار يرافقه حيثما رحل.

وفي سنة (٣٢٥) ضمن البصرة (محمد بن يزداد) فظلم وأساء السيرة وأخذ أموال الناس بالباطل فالتجأ أهل البصرة إلى حاكم الأهواز (البريدي) فجهز البريدي عسكراً وأعانه أهل البصرة فطرد (محمد بن يزْداد) عن البصرة وخفف عن الناس المكوس والتكاليف الشاقة والرسوم. ولما تمكن من البصرة وصارت تحت حوزته تماماً بادر بالظلم والاعتساف حتى أنساهم ابن يزداد. فترك الناس أوطانهم وشكا البصريون ما حل بهم إلى الخليفة الراضي بالله.

وفي سنة (٢٥ أو ٣٢٦) سير ابن رائق إلى الأهواز (بجكم) فاستولى عليها وطرد عنها (أبا عبد الله البريدي) وكان مع بجكم في تلك الواقعة (٢٧٠) رجلًا من الأتراك وكان جيش البريدي (٣) آلاف فهزمهم بجكم. ثم أضاف إليهم البريدي مثلهم فصاروا (٦) آلاف مقاتل فالتقوا عند (نهر تستر) فبادر بجكم وعبر النهر هو وأصحابه فلما رآه أصحاب البريدي انهزموا من غير حرب واستولى بجكم على الأهواز.

ثم استدعاه ابن رائق إلى (البصرة) لقتال البريدي وأصحابه لأنهم كانوا قد فروا من الأهواز وتوجهوا نحو البصرة إلى هناك. ثم سار البريدي إلى (عماد الدولة بن بويه) واستمده فأنجده بأخيه (معز الدولة) فلما سمع (ابن رائق) بإقبالهم إلى الأهواز سير (بجكم) إليها فامتنع إلا أن يكون إليه الحرب والخراج فأجابه ابن رائق إلى ذلك.

فلما وصلوا إلى (أرجان) سار بجكم إليهم فانهزم أمامهم وذلك لأنه نزل مطر كثير عطل قسي الأتراك فعاد بجكم إلى الأهواز. وجعل بعض عسكره (بعسكر مكرم) فقاتلوا معز الدولة بها ١٣ يوماً ثم انهزموا إلى (تستر) فسار بجكم إلى تستر وأخذ معه جماعة من أعيان الأهواز وسار هو وعسكره إلى (واسط) فأقام بها واعتقل من معه من الأهوازيين وصادرهم على (٥٠) ألف دينار. فلامه بعض مقدميهم فأمر بإطلاقهم.

ولما أقام بجكم (بواسط) وعظم شأنه خافه (ابن رائق) فراسل (البريدي) وطلب منه الصلح علي بجكم فإذا انهزم يستلم البريدي واسطاً. فسمع بجكم بذلك فخاف واستشار أصحابه فأشاروا عليه بأن يبتدئ بالبريدي. ففعل وسار إلى (البصرة) فسير البريدي إليه. (١٠) آلاف مقاتل فانهزموا أمام بجكم. وكانت نية بجكم إذلال البريدي وقطعه عن ابن رائق. وتعلقت همته بالاستيلاء على (حضرة الخلافة) فأرسل إلى البريدي ثاني يوم الهزيمة يعتذر

إليه مما جرى ويقول له: أنت بدأت وتعرضت لي وقد عفوت عنك وعن أصحابك ولو تبعتهم لغرق وقتل أكثرهم. وأنا أريد أن أصالحك على أن أقلدك (واسطاً) إذا ملكت (الحضرة) وأصاهرك فسجد البريدي شكر لله تعالى.وحلف لبجكم وتصالحا وعاد بجكم إلى واسط. وأخذ في التدبير على ابن رائق والاستيلاء على (الحضرة) ببغداد وكانت بيد ابن رائق. فلما استوزر (الراضي) ابن مقلة وكان ابن رائق قد أخذ منه أموالاً وطلبها منه فلم يردها كاتب ابن مقلة بجكم وأطمعه في موضع ابن رائق وكتب إلى (الراضي) يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأصحابه ويضمن له أنه يستخرج منه ثلاثة آلاف ألف دينار. وأشار عليه باستدعاء بجكم وإقامته مقام ابن رائق فأجابه الراضي وهو كاره. فعجل ابن مقلة وكتب إلى بجكم بإجابة (الراضي) ويستحثه على المجيء إلى بغداد.

فكاشف بجكم ابن رائق بذلك. ومحا نسبته إليه من أعلامه وسار من (واسط - إلى - بغداد) واستعد له ابن رائق وسأل الراضي أن يكتب إليه بالعود إلى واسط ففعل. فلما قرأ بجكم الكتاب رماه وسار حتى نزل شرقي (نهر ديالة) وكان أصحاب ابن رائق على غربيه. فألقى أصحاب بجكم نفوسهم في الماء. فانهزم أصحاب ابن رائق وعبر أصحاب بجكم وساروا إلى بغداد. ودخلها بجكم في (١٣ ذو القعدة عام ٣٢٦) ولقي الراضي من الغد فخلع عليه وجعله (أمير الأمراء) مكان ابن رائق.

وكتب بجكم كتاباً عن الراضي إلى قواد ابن رائق يأمرهم بالرجوع إلى بغداد. ففارقوه جميعاً وعادوا. فلما رأى ابن رائق ذلك أتى بغداد واستتر بها. ونزل بجكم (بدار مونس) واستقر أمره ببغداد. وكان بجكم صاحب دهاء وحزم[1].

(١) ومما حكي عن دهاء بجكم أنه لما أرادا إرسال رسوله (أبو زكريا السوسي) إلى ابن رائق يكاشفه بما عزم عليه قال له الرسول: لاتكاشفه لأنه كان له رئاسة عليك، هو =

وفي سنة (٣٢٧) سار (الراضي بالله) وبجكم إلى (الموصل) قاصدين (ناصر الدولة بن حمدان) لأنه كان قد أخّر المال الذي عليه من ضمان البلاد التي بيده. فلما بلغا (تكريت) أقام الراضي بها وسار بجكم إلى ابن حمدان فالتقيا (بالكحيل) على ستة فراسخ من الموصل فاشتد بينهما القتال فانهزم أصحاب ابن حمدان وساروا إلى (نصيبين) وتبعهم بجكم واحتل (الموصل) وكتب إلى الراضي بالفتح وقد فارقه جماعة من (القرامطة) كان ابن رائق يكاتبهم فساروا إلى بغداد وظهر بها (ابن رائق) واستولى عليها فكتب الراضي إلى بجكم وكان من الموافقة أن (ابن حمدان) لم يبلغه خبر (بغداد) فطلب الصلح فصالحه بجكم على خمسمائة ألف درهم عاجلة. وسارا قاصدين بغداد. فأرسل (ابن رائق) يطلب الصلح فصالحه بجكم على أعمال قلده إياها فخرج من بغداد إليها ودخلها الخليفة وبجكم. وهناك اصطلح بجكم مع (أبي عبد الله البريدي) وقلد البريدي[1] وزارة الراضي وتزوج بجكم ابنته.

= أقوى منك وأكثر عدداً والخليفة معه والمال عنده كثير. فأجابه بجكم بقوله: أما رجاله فهم جوز فارغ وقد بلوتهم فعرفتهم فلا أبالي بكثرتهم. وأما كون الخليفة معه فهذا لايضرني عند أصحابي. وأما قلة المال معي فليس الأمر كذلك قد وفيت أصحابي استحقاقهم ومعي خمسون ألف دينار لاأحتاج إليها.

فلما استولى على بغداد قال للرسول: أتذكر إذ قلت لك: معي خمسون ألف دينار وفي الحقيقة لم يكن معي غير خمسة آلاف درهم فقال الرسول: هذا يدل على قلة ثقتك بي. فقال: لا ولكنك كنت رسولي إلي ابن رائق فإذا علمت قلة المال معي ضعفت نفسك فطمع العدو فينا فأردت أن تمضي إليه بقلب قوي فتكلمه بما يخلع قلبه ويضعف نفسه. اهـ مؤلف.

(١) البريدي - هو من عائلة من العمال في الدولة العباسية كان ابتداء أمرهم بأبي عبد الله بن محمد البريدي سنة (٣١٦) ونهايتهم بموت أبي القاسم بن أبي عبد الله. وبه انقرض اسمهم سنة (٣٤٩) كما سيأتي في داخل الأصل في سنة (٣٣٦). اهـ مؤلف.

وفي سنة (٣٢٨) أشار البريدي على بجكم بقصد (بلاد الجبل) والاستيلاء عُليها وأنه يسير هو إلى (الأهواز) ويأخذها من (ابن بويه) فسار بجكم وأرسل على الطريق رسوله (أبا زكريا السوسي) يحث البريدي على الحركة. وكان قصد البريدي الاستيلاء على بغداد بعد خروج بجكم فعرَّف السوسي بجكم بذلك فعاد إلى (بغداد) وقصد البريدي إلى واسط وأسقط اسمه من الوزارة. فسار البريدي عن واسط إلى (البصرة) فوصل بجكم واستولى عليها. وذهب البريدي إلى البصرة وتولى عليها مرة ثانية وذلك سنة (٣٢٨) وضمن أعشارها ورسومها.

ثم مات الراضي سنة (٣٢٩) فأرسل بجكم كاتبه من واسط إلى (دار الخلافة) يجمع الرؤساء ويتشاورون فيمن يقيمونه خليفة فاتفقوا على (المتقي لله) فسيَّر الخِلَع واللواء إلى بجكم (بواسط) ثم إن البريدي أنفذ جيشاً من (البصرة إلى بغداد) فأنفذ بجكم إليهم جيشاً تحت رئاسة (توزون القائد) فانهزم توزون وكتب إلى بجكم ان يلحق به وبينما كان بجكم في الطريق لقيه كتاب من توزون يبشره بالظفر فأراد الرجوع فأشار عليه بعض أصحابه بالصيد فقبل مشورتهم وجعل يتصيد حتى بلغ (نهر جور) فسمع أن هناك أكراداً لهم مال وثروة فشرهت نفسه إلى أخذها فقصدهم في قلة من أصحابه فهرب الأكراد فرمى أحدهم فلم يصبه ورمى آخر فأخطأه أيضاً. وكان لا يخطئ سهمه فأتاه غلام من الأكراد من خلفه وطعنه في خاصرته وهو لا يعرفه فخر صريعاً وكان ذلك (في رجب عام ٣٢٩) فأخذ الخليفة ما كان قد ادخر من المال فكانت قيمته ألف ألفٍ ومائتي ألف دينار. وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام.

وفي سنة (٣٣٢) جمع الجموع (يوسف بن وجيه حاكم عمان) وشحن السفن الكثيرة بالعساكر وقصد الأُبلة فاستولى عليها.

ثم تقدم نحو البصرة بعساكر فاستعد لقتاله والي البصرة (البريدي ولكنه لما علم تفوق قوة العمانيين. أخذ في أسباب الخداع فتمكن من الهجوم فجأة على سفنهم ليلاً فنهبها وأرجف مَنْ فيها حتى فروا منكسرين فما تمكن ابن وجيه من إيقاف قومه وتنظيمهم فاضطر للانهزام معهم وولو الأدبار.

وفي عام (٣٣٢) أيضاً قصد البصرة (معز الدولة ابن بويه) بعساكر وتأهب البريدي لقتاله ولما تصادما لم يتمكن البريدي من المقاومة فتقهقر إلى داخل البصرة وتحصن فيها فحاصره معز الدولة نحو شهرين ثم عاد عنه

فاستقل البريدي بالحكم في البصرة واستمر على عمله وحكمه إلى أن توفي.

وفي (١١ جمادى الأولى عام ٣٣٤) دخل معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي بغداد وطرد الأتراك وملكها. وبايعه (المستكفي) ثم إنه خلع المستكفي بعد شهور قلائل. وأقام موضعه (المطيع لله) فازدادت الخلافة ذلاً ولم يبق بيده إلا ما لايقوم ببعض حاجته. فملك (البصرة. والموصل) وبقية البلدان.

وسار (ناصر الدولة بن حمدان) من سامرة إلى بغداد وجرت بينه وبين معز الدولة حروب ثم اصطلحا.

وفي سنة (٣٣٤) توفي البريدي فتولى على البصرة ابنه (أبو القاسم) وفي عام (٣٣٥) وقع اختلاف وتباين بين معز الدولة ابن بويه وبين أبي القاسم والي البصرة المذكور فجهز كل منهما للآخر العساكر واستعدَّ للقتال.

وفي سنة (٣٣٦) سار السلطان (معز الدولة) ومعه الخليفة (المطيع لله) إلى البصرة لاستنقاذها من سلطة (أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدي)

وسلكوا البرية إليها. فأرسل (القرامطة) من (هَجر) إلى معز الدولة ينكرون عليه مسيره إلى البلد بغير إذنهم وهي لهم فلم يجبهم عن كتابهم وقال لرسولهم: قل لهم: مَن أنتم حتى تتأمروا؟ وليس قصدي من أخذ البصرة غيركم وستعلمون ما أقول لكم. ولما وصل معز الدولة إلى (الدريهمية) استأمن إليه عساكر أبي القاسم البريدي وفرَّ أبو القاسم بنفسه في (٢٤ رثا) إلى هجر والتجأ إلى القرامطة.

وملك معز الدولة البصرة. وسار منها إلى الأهواز ليواجه أخاه عماد الدولة. وأقام (الخليفة) وأبو جعفر الضميري بالبصرة وخالف (كوركير) وهو من أكابر القواد. على معز الدولة فسيَّر إليه الصميري فقاتله فانهزم كوركير. وأخذ أسيراً فحبسه معز الدولة (بقلعة رامهرمز) ولقي معز الدولة أخاه عماد الدولة (بأرَّجان) في شِعبان وقبل الأرض بين يديه وكان يقف قائماً عنده فيأمره بالجلوس فلا يفعل. ثم عاد إلى (بغداد) وعاد (المطيع) أيضاً إليها وأظهر معز الدولة أنه يريد أن يسير إلى الموصل فترددت الرسل بينه وبين ناصر الدولة. واستقر الصلح وحمل المال إلى معز الدولة فسكت عنه.

وفي سنة (٣٣٧) ولي البصرة أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي فتوفق لإصلاح البلدة فأحبه الناس وشكرت مساعيه.

وفي سنة (٣٤١) سار يوسف بن وجيه (حاكم عمان) بجيشين (بحري وبري) نحو البصرة وحاصرها. وسبب ذلك هو أن معز الدولة لما سلك الطريق البري إلىٰ البصرة. وأرسلت القرامطة تنكر عليه ذلك (وأجابها بعنف القول) كما تقدم في سنة (٣٣٦).

فلما علم يوسف بن وجيه استيحاشهم من معز الدولة (غنم الفرصة)

وكتب إليهم يطمعهم في البصرة. وطلب منهم أن يمدوه بجيش برئ ليساعدهم على مقصدهم. فأمدوه بجمع كثير منهم. وسار يوسف في البحر يقود الجيوش نحو البصرة. فبلغ الخبر إلى (والي البصرة) الوزير المهلبي وكان قد فرغ من الأهواز والنظر فيها فسار مجداً بعساكره نحو البصرة فدخلها قبل وصول يوسف إليها وشحنها بالرجال وأمده معز الدولة بالعساكر وما يحتاج إليه. وجرت بينه وبين ابن وجيه عدة معارك دامت أياماً ثم انفصلت بانكسار ابن وجيه وظفر المهلبي بسفنه وذخائره.

وفي سنة (٣٤٧) ولي البصرة (حبشي بن معز الدولة) فلما توفي والده عصي على عمه الأمير بختيار. وأراد الاستقلال بالبصرة ونواحيها.

وفي سنة (٣٥٧) أظهر حبشي العصيان على أخيه بختيار بن معز الدولة. فانتهى الخبر إلى أخيه فسير وزيره (أبا الفضل العباس بن الحسين) إليه وأمره بأخذه كيفما أمكن. فأظهر الوزير أنه يريد الانحدار إلى الأهواز. ولما وصل (واسطاً) أقام بها ليصلح أمرها وكتب إلى حبشي يطلب منه تسليم البصرة سلماً ويصالحه عليها. ويقول له: إنني قد لزمني مال على الوزارة ولابد من مساعدتي. فأرسل إليه حبشي مايتي ألف درهم وتيقن حصول البصرة له.

وأرسل الوزير إلى عسكر الأهواز يأمرهم بقصد الأبلة في يوم عينه هم وسار هو من واسط نحو البصرة فوصلها هو وعسكر الأهواز في اليوم الذي صار القرار عليه.

فلم يتمكن حبشي من إصلاح شأنه وما يحتاج إليه فظفرا به وأخذوه أسيراً وحبسوه (برامهرمز) فأرسل عمه (ركن الدولة) وخلصه فسار إلى (عضد الدولة) فأقطعه إقطاعاً وافرة وأقام عنده إلى أن مات في آخر سنة (٣٦٩) وأخذ الوزير من أمواله بالبصرة شيئاً كثيراً.

وفي سنة (٣٦٤) وصل عضد الدولة(١) واستولى على العراق وقبض على بختيار ثم أطلق سراحه بعد ذلك.

وكان لما قبض على بختيار كان ابنه (المرزبان ابن بختيار) بالبصرة متولياً عليها. فلما بلغه سجن والده تحصن فيها عن عضد الدولة وكتب إلى ركن الدولة يشكو ما جرى على والده وعميه من عضد الدولة ومن أبي الفتح بن العميد. ويذكر له الحيلة التي تمت عليه.

وفي سنة (٣٦٧) استولى عضد الدولة على ملك (بني حمدان) وفي عام (٣٦٩) حصلت وقعة بين عضد الدولة وبين أخيه فخر الدولة فأخذ عضد الدولة بلاد أخيه وانتصر عليه وملك (بلاد الهكارية).

وفي سنة (٣٧١) استولى على (جرجان) ثم توفي عضد الدولة سنة (٣٧٢) فملك أخوه شرف الدولة (بلاد فارس) وملك مكانه في بغداد ابنه (صمصام الدولة) سنة (٣٧٢) وهو أبو كاليجار المرزبان. فخلع على أخويه (أبي الحسين أحمد، وأبي طاهر فيروز شاه) وأقطعها بلاد فارس فسبقهم شرف الدولة إليها ودخل (شيراز) فعادا كلاهما إلى الأهواز.

وفي سنة (٣٧٣) قطع شرف الدولة الخطبة لأخيه صمصام الدولة وخطب لنفسه وتلقب (بتاج الدولة) وفرق الأموال وجمع الرجال وملك (البصرة) وأقطعها أخاه أبا الحسين.

فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سيَّر إليه جيشاً تحت قيادة الأمير أبي الحسن بن دبعش حاجب عضد الدولة فجهز تاج الدولة

---

(١) عضد الدولة هذا هو الذي قتل ابن بقية الوزير وصلبه على الجسر. وقال فيه أبو الحسين الأنباري المرثية التي مطلعها:

علو في الحياة وفي المات   لحق أَنت إحدى المعجزات

عسكراً تحت قيادة الأمير (أبي الأعز دبيس بن عفيف الأسدي) فالتقيا بظاهر قرقوب (في ربيع الأول عام ٣٧٣) واقتتلوا فانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر ابن دبعش. فاستولى أبو الحسين بن عضد الدولة على (الأهواز) وأخذ ما فيها وما في رامهرمز. وطمع في الملك.

وفي سنة (٣٧٣) أيضاً ولي البصرة أبو طاهر بن عضد الدولة. وفي عام (٣٧٤) قلد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي حماية الكوفة وهي أول (إمارة بني ثمال). وفي (تلك السنة) خطب أبو الحسين بن عضد الدولة بالأهواز لفخر الدولة.

وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة (بالبصرة) ونقشا اسمه على السكة.

(وفيها) خطب لصمصام الدولة (بعمان) وكانت لشرف الدولة وكان نائبه بها (أستاذ هرمز) فصار مع صمصام الدولة فلما بلغ الخبر إلى شرف الدولة أرسل إليه جيشاً فانهزم (أستاذ هرمز) وأخذ أسيراً وعادت (عمان) إلى شرف الدولة وحبس أستاذ هرمز في بعض القلاع وطولب بمال كثير.

وفي سنة (٣٧٥) سار شرف الدولة أبو الفوارس ابن عضد الدولة من فارس يطلب (الأهواز) واحتلها من يد أخيه أبي الحسين. وأرسل قوة إلى (البصرة) فملكها وقبض على أخيه أبي طاهر. وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة فراسله في الصلح فاستقر الأمر بينهما على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائباً عنه ويطلق أخاه الأمير بهاء الدولة أبا نصر ويسيره إليه وتم بينهما الصلح كما يرام.

وفي سنة (٣٧٦) ملك شرف الدولة (العراق) وقبض على صمصام الدولة وسمل عينيه سنة (٣٧٩).

وفي سنة (٣٧٨) هجمت القرامطة على البصرة فنهبوا منها بعض الأغنام والمواشي. فلما سمع (الشيخ أصفر) رئيس المنتفق جمع عربه وعقب القرامطة فلم يلحقهم إلا عند قرب الأحساء فأوقع بهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وغنم منهم وعاد مظفراً.

وفي سنة (٣٧٩) توفي شرف الدولة. وملك بعده أخوه (بهاء الدولة بن عضد الدولة) وسار أبو علي بن شرف الدولة إلى (شيراز) وجرت بينه وبين أصحاب صمصام الدولة حروب كثيرة. ثم قبض عليه (بهاء الدولة) وقتله وتجهز للمسير إلى (الأهواز) ليقصد بلاد فارس. فسار (فخر الدولة بن ركن الدولة) إلى العراق ليستولي عليها فكافحه أصحاب بهاء الدولة حتى عاد منهزماً.

وفي سنة (٣٨٠) وصل بهاء الدولة إلى الأهواز وجرت بينه وبين عساكر أخيه صمصام الدولة وقعة انهزم فيها جنود صمصام الدولة. ثم اصطلحا على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرجّان. ولبهاء الدولة خوزستان والعراق وأن يكون لكل واحد إقطاع في بلد صاحبه.

وفي سنة (٣٨٣) ملك صمصام الدولة (خوزستان) وفي عام (٣٨٦) ملكت عساكره (البصرة) تحت قيادة لشكرستان وأجلوا عنها نواب بهاء الدولة. فكتب بهاء الدولة إلى مهذب الدولة صاحب (البطيحة) يقول له أنت أحق بالبصرة فسيَّر إليها جيشاً تحت قيادة (عبد الله ابن مرزوق) فأجلوا (لشكرستان) عن البصرة.

ثم إن لشكرستان عمل للعودة إلى البصرة وهجم عليها في السفن ونزل أصحابه بسوق الطعام فاقتتلوا حتى احتل لشكرستان البصرة واسترجعها لنفسه. ثم كتب إلى بهاء الدولة يطلب المصالحة وهو يبذل الطاعة ويخطب

له بالبصرة فأجابه مهذب الدولة إلى ذلك وأخذ ابنه رهينة. وكان لشكرستان يظهر الطاعة لصمصام الدولة ولبهاء الدولة ولمهذب الدولة. وعسف بأهل البصرة مدة فتفرقوا ثم إنه أحسن إليهم وعدل فيهم فعادوا.

وفي سنة (٣٨٧) توفي فخر الدولة بن ركن الدولة.

فملك بعده ابنه (أبو طالب رستم) الملقب (مجد الدولة) وسنه يومئذ أربع سنوات. فكانت أمه تدبر أمور مملكته. وجعل أخوه (شمس الدولة) بهمذان وقرميسين إلى حدود العراق.

وفي سنة (٣٨٨) قتل صمصام الدولة وكانت مدة إمارته بفارس تسع سنين. وفي سنة (٣٨٩) استولى (بهاء الدولة) على بلاد فارس. وخوزستان.

قيام أبي العباس بن واصل

وفي شعبان عام (٣٩٤) تغلب أبو العباس بن واصل على البطيحة وأخرج منها (مهذب الدولة) سيده. وكان أبو العباس خادماً عند مهذب الدولة. فجرد مهذب الدولة معه عسكراً وسيره إلى حرب لشكرستان حين استولى على (البصرة) ومضى إلى سيراف وأخذ ما بها لأبي محمد بن مكرم من سفن ومال وأتى أسافل دجلة فغلب عليها وخلع طاعة مهذب الدولة. فأرسل إليه مهذب الدولة مائة سميرية فيها مقاتلة فغرق بعضها وأخذ أبو العباس ما بقي منها وعدل إلى (الأبلة) فهزم أبا سعد بن ماكولا. وهو يصحب لشكرستان فانهزم أيضاً لشكرستان من بين يديه واستولى (ابن واصل) على البصرة ونزل دار الإمارة وأمن الديلم والأجناد وقصد لشكرستان مهذب الدولة فأعاده إلى قتال أبي العباس في جيش فلقيه أبو العباس وقاتله فانهزم لشكرستان بعد أن قتل كثير من رجاله. واستولى

أبو العباس على ثقله وأمواله وأصعد إلى البطيحة وأرسل إلى مهذب الدولة يقول له: قد هزمت جندك ودخلت بلدك فخذ لنفسك. فسار مهذب الدولة إلى بشامين وصار عند (أبي شجاع فارس بن مردان. وابنه صدقة) فغدرا به وأخذا أمواله. فاضطر إلى الهرب وسار إلى واسط.

فاستولى (ابن واصل) على أموال مهذب الدولة وبلاده ثم اتسع الأمر على (ابن واصل) فاضطر إلى الانسحاب من البطيحة وعاد إلى (البصرة) خوف اتساع خط الدفاع. وترك البطائح شاغرة (فوضوية) ليس فيها أحد يحفظها.

ثم في سنة (٣٩٥) عاد مهذب الدولة إلى البطيحة. وفي سنة (٣٩٦) انتشب الحرب الأخير بين بهاء الدولة وأبي العباس فأسفر عن انهزام أبي العباس بن واصل وقتل أصحابه وعاد إلى (البصرة) مهزوماً. فأتبعه بهاء الدولة بجنود تحت قيادة وزيره (أبي غالب) فسار المذكور نحو البصرة وحاصرها وجرت بينهما عدة وقعات أسفرت بانهزام أبي العباس وترك ذخائره وسفنه فأخذها الوزير ومضى أبو العباس مهزوماً وركب مع (حسان بن ثمال الخفاجي) هارباً إلى الكوفة. ودخل الوزير (البصرة) وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح.

وفي سنة (٤٠٣) توفي بهاء الدولة. ومدة ملكه (٢٤) سنة.

وملك مكانه في (العراق) ابنه (أبو شجاع سلطان الدولة) وسار من (أرَّجان) إلى شيراز. وولى أخاه (جلال الدولة أبو طاهر)- البصرة - وأخاه أبا الفوارس (كرمان).

وفي سنة (٤١١) ملك العراق (مشرف الدولة أبو علي ابن بهاء الدولة) وخوطب (بأمير الأمراء) وأزال عن (بغداد) أخاه سلطان الدولة وخطب

له بها (عام ٤١٢) ثم اصطلحا في سنة (٤١٣) على أن يكون العراق لمشرف الدولة. وأن تكون فارس وكرمان. لسلطان الدولة.

وفي سنة (٤١٥) توفي سلطان الدولة وملك بعده ابنه (أبو كاليجار).

وفي سنة (٤١٦) توفي مشرف الدولة. وملك بعده أخوه (جلال الدولة أبو طاهر) وخطب له ببغداد. وكان (بالبصرة) فلم يصعد إلى بغداد. فقطعت خطبته وأقيمت لابن أخيه (الملك أبي كاليجار) وهو يحارب عمه (أبا الفوارس) صاحب كرمان ببلاد فارس. فلم يقدر أن يجيء إلى بغداد لسبب ذلك. ثم اصطلح مع عمه سنة (٤١٨) وكانت بغداد في تلك المدة بلا ملك ثم خطب الأتراك فيها (لجلال الدولة) فصعد إليها في سنة (٤١٨).

اختلاف الديلم والترك على البصرة

وفي سنة (٤١٩) ولى النفيس أبو الفتح محمد بن أردشير (البصرة) استعمله عليها جلال الدولة. فلما وصل إلى مشان منحدراً إليها وقع بينه وبين الديلم الذين كانوا بالمشان وقعة استظهر عليهم وقتل منهم وكانت الفتن بالبصرة بين الأتراك والديلم وبها (الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة) فقوي الأتراك بها فأخرجوا الديلم فمضوا إلى (الأبلة) وصاروا مع بختيار بن علي فسار إليهم الملك العزيز بالأبلة ليعيدهم ويصلح بينهم وبين الأتراك فكاشفوه وحملوا عليه. ونادوا بشعار أبي كاليجار فعاد منهزماً في النهر إلى البصرة ونهب بختيار (نهر الدير. والأبلة) وما جاورها من السواد وأعانه الديلم. ونهب الأتراك أيضاً وارتكبوا المحظور ونهبوا دار بنت الأوحد بن مكرم زوجة جلال الدولة.

استيلاء أبي كاليجار على البصرة

ولما بلغ الملك أبا كاليجار ما كان بالبصرة سيّر جيشاً إلى بختيار وأمره أن يقصد البصرة فيأخذها. فساروا إليها وبها الملك العزيز بن جلال الدولة. فقاتلهم ليمنعهم فلم يقدر على مكافحتهم فانهزم منهم وفارق البصرة إلى (واسط) فملك عسكر أبي كاليجار البصرة ونهب الديلم أسواقها.

و(في ذي القعدة عام ٤١٩) توفي قوام الدولة أبو الفوارس ابن بهاء الدولة صاحب كرمان. فنادى أصحابه بشعار (الملك أبي كاليجار) وأرسلوا إليه يطلبونه فقدمها. وجرت بينه وبين (جلال الدولة) عدة حروب ولم يصطلحا إلا في سنة (٤٢٨).

وفي سنة (٤٢٠) ولى على البصرة أبو كاليجار من قبله أبا منصور بن بختيار.

وفي سنة (٤٢١) سار إلى البصرة أبو علي بن ماكولا ليحتلها وكان فيها أبو منصور بن بختيار بن علي نائباً لأبي كاليجار الديلمي. فجهز جيشاً في ٤٠٠ سفينة تحت قيادة (أبي عبد الله الشرابي) فعند المهاجمة هبت ريح شمالية كانت على البصريين فانهزموا وعادوا إلى البصرة. ثم اختلف الحال وانخدع أبو علي فانهزم أسيراً. وكان جماعة من البصريين مع (جلال الدولة محمد بن سبكتكين) فلم يستصحبهم أبو علي تأنيساً للديلم الذين في البصرة. فلما أصيب تجهز هؤلاء البصريون وانحدروا إلى البصرة وقاتلوا من بها من عسكر أبي كاليجار فانهزم عسكر أبي كاليجار. ودخل عسكر جلال الدولة البصرة (في شعبان عام ٤٢١) ثم جمع بختيار الجيوش وتواقع مع أصحاب جلال الدولة فانهزم بختيار فأخذ أسيراً فقتل غلطاً. ثم دخلها عسكر أبي كاليجار ونادى أهلها بشعاره وذلك لحصول اختلال في جنود جلال الدولة.

وفي سنة (٤٢٤) سارت جنود جلال الدولة مع ولده الملك العزيز نحو البصرة ودخلوها (في جمادى الأولى) وذلك أنه كان العامل بها (ظهير الدين ابن أبي القاسم) والياً على البصرة لأبي كاليجار فأظهر عليه الخلاف. وخطب لجلال الدولة وكتب إلى ولده (الملك العزيز) فانحدر إليه بالعساكر واحتلوا البصرة وأخرجوا منها عساكر أبي كاليجار. ثم في سنة (٤٢٥) وقع سوء تفاهم بين الملك العزيز وبين النائب المذكور. وجرت بينهما حروب كثيرة آلت إلى خروج الملك العزيز من البصرة وعود النائب المذكور إلى طاعة أبي كاليجار.

وفي سنة (٤٢٩) خوطب جلال الدولة (بملك الملوك).

وفي سنة (٤٣٠) ضمن البصرة أبو القاسم على أن يسلم كل سنة (٧٠) ألف دينار ثم حصل منه تلاعب وخلف.

ففي سنة (٤٣١) وجه الملك أبو كاليجار جنوده نحو البصرة تحت قيادة (العادل أبي منصور بن مافنه) فاحتلوها (في صفر) وكانت بيد (الظهير أبي القاسم) المتقدم ذكره. ولما كثرت أمواله واشتهر أمره تعرض إلى أملاك (أبي الحسن ابن أبي القاسم بن مكرم حاكم عمان) وأمواله وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليجار وبذل له زيادة (٣٠) ألف دينار في ضمان البصرة كل سنة (ضماً في الظهير أبي القاسم) وجرى الحديث في قصد البصرة فصادف قلباً موغراً من الظهير. فأجابه لذلك وجهز الملك الجنود تحت قيادة العادل أبي منصور فسار إليها وحصرها وسارت العساكر من (عمان) أيضاً في البحر وحصرت البصرة حتى تمكنوا من احتلال البصرة وأخذ الظهير أسيراً وصودرت جميع أمواله وقرر عليه دفع (١١٠) آلاف دينار يدفعها في مدة أحد عشر يوماً.

ووصل الملك أبو كاليجار إلى البصرة فأقام بها ثم عاد إلى الأهواز

وجعل ولده (عز الملوك) فيها ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس. ولما بارح أبو كاليجار البصرة أخذ معه (الظهير) إلى الأهواز.

ثم في ٦ شعبان عام (٤٣٥ هـ - ١٠٤٣ م) توفي جلال الدولة فملك بعده (أبو كاليجار بن سلطان الدولة) وكان مقصد الجنود تمليك (الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة) فرغبهم أبو كاليجار بالأموال فمالوا إليه. وقد حاول (الملك العزيز) تمليك بغداد بعد ذلك مرتين فلم يتوفق. ثم توفي عام (٤٤١).

وأما أبو كاليجار فلم تتم له الخطبة ببغداد إلا سنة (٤٣٦)هـ وبقي إلى أن توفي (في ٤ جمادى الأولى عام ٤٤٠) فملك بعده ابنه (الملك الرحيم). وفي شعبان عام (٤٤٤) استولى على (البصرة) وانتزعها من يد أخيه أبي علي وسلمها إلى البساسيري[1] وكذلك استولى الملك الرحيم على (اصطخر).

---

(١) البساسيري هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد. وهو الذي خرج على القائم بأمر الله ببغداد. بعدما قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها وخطب له على منابر (العراق. وخوزستان) فعظم أمره وهابته الملوك فأخرج القائم من بغداد وخطب (للمستنصر العبيدي) صاحب مصر.

ثم في سنة (٤٥١) أتى إلى العراق (طغرلبك السلجوقي) وأعاد القائم إلى الخلافة. ثم قصد البساسيري حتى التقى الجمعان فضربت فرس البساسيري بنشاب فسقط فحز رأسه وحمل إلى السلطان ونهبت أمواله وأخذ رأسه إلى بغداد في ذي الحجة من العام المذكور وطيف به في البلدة.

وكان البساسيري هذا في أول أمره مملوكاً (لبهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه) ومن بعده لابنه جلال الدولة. واتحد مع (ثابت بن علي بن مزيد) على (نور الدولة دبيس بن علي) أخي ثابت وسار معه سنة (٤٢٤) إلى قتاله واستوليا على بلاده. وكانت وفاة دبيس (في ١٠ شوال عام ٤٧٣) ومدة إمارته ٦٧ سنة وقام بالأمر بعده (بهاء الدولة منصور).

وشيراز. وأرَّجان) ونواحيها. ولما توفي أبو كاليجار ملك بعده ابنه (الملك الرحيم) ببغداد وبقي عليها إلى أن أخذها منه (طغرلبك بن داود السلجوقي) في ٢٥ ذو الحجة عام ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م. وبه انقرض ملك بني بويه. فأولهم معز الدولة بن بويه. وآخرهم الملك الرحيم بن أبي كاليجار ومدتهم من سنة (٣٢٠ إلى ٤٤٧) اهـ.

الدولة السلجوقية

أول من قام منهم (الملك ميكائيل بن سلجوق) حيث دخل (في رمضان

= وفي سنة (٤٢٥) استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي من بغداد. لأن السيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم فتعين البساسيري في ذلك الموضع لردعهم. ثم صار من مقدمي جيوش الملك أبي كاليجار أخي جلال الدولة وقوى أمره جداً. لما ملك جلال الدولة والملك الرحيم بن أبي كاليجار وأُقطع الإقطاعات وكثرت أمواله وأتباعه. وكانت من جملة إقطاعاته (العراق) وبادوريا فقصدها جمع من عرب (بني عقيل) سنة (٤٤١) ونهبوا أطراف البلد وقطعوا السابلة فسار البساسيري من بغداد في أثرهم وجرت بينهما معركة شديدة ثم استولى البساسيري على (الأنبار) وكانت بيد (قرواش بن المقلد العقيلي) فأساء السيرة بها فاستنجد أهلها بالبساسيري فسير نحوها جيشاً وملكها وأحسن السيرة مع الرعية. وأقام فيها إلى أن أصلح مالها وقرر قواعدها وعاد إلى بغداد. وفي سنة (٤٤٤) لما ملك (الملك الرحيم) البصرة سلمها إلى البساسيري (كما في الأصل) وفي سنة (٤٤٥) وصل الخبر إلى بغداد بأن جمعاً من الأعراب قد أفسدوا في البلاد وقطعوا السبل ونهبوا القرى طمعاً في السلطنة بسبب الغزو. فسار إليهم البساسيري وتبعهم إلى (البوازيج) فأوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم أموالهم. وفي سنة (٤٤٦) قصد (قريش بن بدران) صاحب الموصل (مدينة الأنبار) واحتلها ونهب أموال البساسيري وخطب بها (لطغرلبك) فجمع البساسيري الجموع وقصد الانبار واسترجعها. وكان ذلك سبب الوحشة بينه وبين الخليفة حينئذ وأسر بالأنبار (١٠٠) شخص من بني خفاجة. وأسر أيضاً (أبا الغنائم ابن المحلبان) صاحب قريش وعاد إلى بغداد اهـ. مؤلف.

عام ٤٢٩) بلدة طوس وملكها. ثم لما آلت السلطنة لبركيارق وأخيه محمد ابني ملكشاه. وقعت بينهما فتن وحروب دامت مدة طويلة (مبسوطة في المطولات) وفي خلالها عم الفساد. فصارت الأموال منهوبة. والدماء مسفوكة. والمدن مخربة. والقرى محرقة. والسلطنة مطموع فيها. وكان بركيارق (بالري) والخطبة له فيها وفي (بلاد الجبل. وطبرستان. وخوزستان. وفارس. وديار بكر. والجزيرة والحرمين الشريفين).

وكان محمد (بأذربيجان) والخطبة له فيها وفي (أرانية وأرمينية وأصبهان. والعراق) إلا تكريت. وأما أعمال (البطائح) فكانت الخطبة في بعضها لبركياق. وفي البعض الآخر لمحمد.

وأما البصرة فكانت الخطبة فيها لكليهما. ثم إن طغرلبك وجه ولاية البصرة سنة (٤٤٧) إلى هزار أشب بن عياض. وفي سنة (٤٥١) وجهت البصرة إلى (أبي سعد سابور بن مظفر الأغر) وفي مدته عصت العشائر القاطنة بين البصرة وواسط فسار عليهم أبو سعد وأوقع بهم حتى رضخوا للطاعة. ويقال: إنه في سنة (٤٦٩) ضمن البصرة (ابن علانة اليهودي) في مدة السلطان ملك شاه.

وفي سنة (٤٧١) ضمن البصرة (خمارتكينة) على أن يدفع سنوياً ألف دينار أو ماية حصان. وفي سنة (٤٧٥) ولي البصرة العميد بن عصمة. وفي زمانه غزا البصرة بنو عامر عام (٤٨٣) في جمادى الأولى. قيل: سبب ذلك هو أنه ورد من بغداد في بعض السنين رجل (أشقر من سودان مصر) يَدَّعي الأدب والنجوم ويسخر الناس فَلَقَّبَهُ أهل بغداد (أثليا) وكان نازلاً في (الثوى) فسرق ثياباً من الديباج وسار بها فرآه (الدرك) فأتوا به إلى رئيس الشرطة. فأطلقه لحرمة العلم فسار حاقداً على البصريين. وتوجه نحو (الأحساء) حتى نزل على رئيس (بني عامر) وأغراه على نهب البصرة وَحَسَّنَ

له ذلك فجمع رئيس بني عامر من العشائر ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها (العميد بن عصمة) وليس معه من الجند إلا اليسير فخرج إليهم في أصحابه وكافحهم وصد هجماتهم. ثم أتاه من أخبره بأن أهل البلدة يريدون أن يسلموها إلى العرب فخاف وانسحب نحو (الجزيرة) التي هي مكان (القلعة بنهر معقل).

فلما بلغ الأهالي انسحابه فروا من البلدة خوفاً على أنفسهم فدخلت العرب البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها بعدما نهبوا ما فيها نهباً شنيعاً. فكانوا ينهبون نهاراً. وأصحاب (العميد بن عصمة) ينهبون ليلاً. وأحرقوا عدة مواضع. وفي جملة ما أحرقوا داران للكتب إحداهما وُقفَتْ قبل أيام عضد الدولة بن بويه (فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليها غيرنا) وهي أول دار وقفت في الإسلام والأخرى وقفها الوزير (أبو منصور بن شاه مردان) وكان بها نفائس الكتب وأعيانها. وأحرقوا أيضاً النحاسين وغيرها من الأماكن وخربت أوقاف البصرة التي لم يكن لها نظير ومن جملتها أوقاف على الجمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى (الدواليب التي كانت تحمل الماء وترقيه إلى أقنية الرصاص الجارية إلى (المصانع) وهي على فراسخ من البلد. وهي من عمل (محمد بن سليمان الهاشمي) وغيره. وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى في أيام (السلطان ملكشاه) فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر إلى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد إلى البصرة لإصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها.

ثم إن (أثليا) المتقدم ذكره قبض بالبحرين وأرسل إلى السلطان فشهره في بغداد سنة (٤٨٤) على جمل وطيف به في البلد وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه وهو يسبهم ثم أمر به فصلب. فلما كان كذلك ورأى بركيارق قلة المال عنده. والعسكر قد زاد طمعه أرسل إلى أخيه في تقرير

قواعد الصلح فأجابه إلى ذلك وتم بينهما في (ربيع الثاني عام ٤٩٧) على أن لايتعرض بركيارق لأخيه محمد في الطبل وأن لايذكر معه في البلدان التي صارت إليه. وأن لايكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبات بين وزرائهما واقتسما البلاد. فخطب في بغداد لبركيارق وأرسل له الخليفة الخِلَعَ وبقي بركيارق في الملك إلى أن توفي (في ٢ ربيع الثاني عام ٤٩٨).

فاستقل بالمملكة أخوه (السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي) واستقام أمره. ولكن كثرت في زمنه القلائل والفتن. فاستقل بالبصرة (إسماعيل بن سلانجق) كما سيأتي واشتدت شوكة (صدقة بن منصور الأسدي) صاحب الحلة. فتغلب علي (واسط. والبطيحة. وتكريت) وانتزع (البصرة) من يد إسماعيل بن سلانجق كما سيأتي.

وفي سنة (٤٩٣) ولى على البصرة الأمير قمباج. فأرسل إسماعيل بن سلانجق وكيلاً عنه.

استقلال اسماعيل بالبصرة

كان إسماعيل بن سلانجق أميراً على البصرة من قبل الدولة السلجوقية. وكانت إليه في أيام ملكشاه (شحنكية) الري. ولما وليها كان أهل (الري والرستاقية) قد أعيوا من وَلِيَهُمْ وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وأرسل من شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاود وأعنة للدواب. ثم عزل عنها.

ثم إن بركيارق أقطع البصرة (للأمير قمباج سنة ٤٩٣) فأرسل إليها الأمير إسماعيل المذكور نائباً عنه. فلما فارق (قمباج) بركيارق وانتقل إلى خراسان. حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد بها. فانحدر

(مهذب الدولة بن أبي الخير) من البطيحة إليه ليحاربه ومعه (معقل بن صدقة بن الحسين الأسدي) صاحب - الجزيرة الدبيسية - فأقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا إلى (مطار) فبينما كان معقل يقاتل قريباً من القلعة (التي بناها بمطار. وجددها إسماعيل وأحكمها) أتاه سهم غرب فقتله. فعاد (ابن أبي الخير) إلى البطيحة. وأخذ إسماعيل سفنه وذلك سنة (٤٩١) فاستمد ابن أبي الخير (كوهرائين) فأمده بأبي الحسن الهروي. وعباس بن أبي الخير. فلقياه فكسرهما إسماعيل وأسرهما ثم إنه اطلق عباساً على مال أرسله أبوه. وأما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة الآف دينار فلم يصح له منها شيء. وقوى حال إسماعيل فبنى (قلعة بالأبلة) و(قلعة بالشاطئ) مقابل مطار. وصار مخوف الجانب. وأمن البصريون به وأسقط شيئاً من المكوس واتسعت إمارته باشتغال السلاطين. وملك (المشان) وأضافها إلى ما بيده. وأعلن استقلاله بالبصرة بعد سنتين من ولايته.

فلما كانت سنة (٤٩٥) كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه فقوي طمعه في واسط. فصعد في السفن إلى (نهر أبان) وراسلهم في التسليم فامتنعوا وقالوا: راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأي. فانتقل من مكانه وصعد إلى الجانب الشرقي وخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه.

وخيم جند واسط تلقاءه وراسلهم ووعدهم وهم لايجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه أقبح شتم. فلما أيس منهم عاد إلى (البصرة) وساروا بإزائه من الجانب الآخر فوصل إلى (القمر) وعَبَّر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن أن البلد خالية وأن الناس قد خرجوا منها لما رآه من كثرة من بإزائه. فيوقع الحريق في البلدة فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم فخاب ظنه حيث إن العامة كانوا على دجلة أولهم في البلدة

وآخرهم مع الترك بإزائه. فلما عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم (٣٠) رجلاً وأسروا قسماً كثيراً منهم وألقى الباقون أنفسهم في الماء فأتته من ذلك مصيبة لم يظنها وأسرت أعيان أصحابه وعا إلى البصرة ولكنه في عودته هذه ربح محافظة بلدته. وذلك لأنه قصد البصرة في ذلك الوقت (الأمير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود) وهو صاحب أعمال واسعة منها (نصف عمان. وجنابة. وسيراف. وجزيرة بني نفيس) - لعلها جزيرة قيس - وكان سبب قصده إياها هو أنه كان مع إسماعيل ثلاثة أشخاص أحدهم يعرف (بجعفرك) والأخر يسمى (زنجويه) والثالث يقال له (أبو الفضل الأبلي) فأطمعوه في أن يعمل سفناً كباراً ويشحنها بالمقاتلة في البحر ويسيرها نحو أبي سعد المذكور. فعمل نيفاً وعشرين سفينة.

فلما بلغ الخبر للأمير أبي سعد أرسل نحو خمسين سفينة مشحونة بالجند نحو البصرة فدخلوا (شط العرب) في سنة (٤٩٥) وأقاموا محاربين لكل من يعرض لهم. وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل وقتلوا صاحب قلعة الأبلة. وكاتبوا (بني برسق) بخوزستان. يطلبون منهم إرسال عسكر ليساعدوهم على أخذ البصرة فتمادى الجواب في الطريق. فركنت الطائفتان إلى الصلح على أن يسلم إسماعيل إليهم الثلاثة الأشخاص (جعفرك ورفيقية) ويقطعهم مواضع ذكووها من أعمال البصرة. فلما رجعوا لم يف لهم بشيء من ذلك بل أخذ منهم سفينتين. فغضب لذلك (أبوسعد) وجهز جيشاً آخر في نحو مابة سفينة وسار نحو البصرة يقودها بنفسه حتى أرسى عند فوهة (نهر الأبلة) فبرزت له عساكر إسماعيل في عدة سفن ووقع القتال بين الفريقين وكان البحريون نحو (١٠) آلاف. وأصحاب اسماعيل نحو (٧٠٠) فانهزمت عساكر إسماعيل وصعد البحريون في دجلة فأحرقوا عدة قرى وتفرق عسكر إسماعيل فبعضه في الأبلة وقسم (بنهر الدير) والبقية في مواضع أخر.

فلما ضعف إسماعيل عن مقاومة (أبي سعد) طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد أن يسعى في الصلح وأرسل إليه بذلك فأعاد الجواب عليه. يذكر فيه قبح ما عامله به إسماعيل مرة بعد أخرى وتكررت الرسائل بينهم فأجاب إلى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد إلى بلاده. وحمل كل واحد منهما إلى صاحبه هدية فاخرة.

وفي جمادى الأولى عام (٤٩٩) قصد البصرة (سيف الدولة صدقة بن مزيد) صاحب الحلة بأمر (السلطان محمد السلجوقي) وحاصر فيها إسماعيل فخرج إليه واقتتلا فتمكن بعض أصحاب صدقة من دخول البلدة. وقتلوا عدداً من موالي إسماعيل وانهزم إسماعيل إلى (قلعة بالجزيرة) ونهبت البصرة. واتفق أن (المهذب بن أبي الخير) انحدر في سفن كثيرة وأخذ القلعة التي لإسماعيل (بمطار) وقتل بها خلقاً من أصحابه وأحضر إلى صدقة جملة من الأسراء فأطلقهم. فلما علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه وأهله وأمواله فأجابه وأجله سبعة أيام. فأخذ كل ما أمكنه حمله مما عز عليه وأتلف في الماء ما عجز عن حمله وسار إلى (الباسيان) إلى أن وصله ماله في السفن فتوجه نحو فارس. واعترته حدة مزاج حتى جعل ينتقم من أصحابه وأهل بيته ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته ورجعت إلى بغداد. ثم مرض فلما وصل (رامهرمز) توفي هناك في آخر سنة (٤٩٩) وعمره تجاوز (٥٠) سنة. وكانت سيرته حسنت في أهل البصرة في آخر أيام ولايته.

وقد تقدم ذكر استيلاء الأمير صدقة على البصرة في جمادى الأولى عام ٤٩٩ وأنه استناب بها مملوكاً كان لجده (دبيس بن مزيد) يسمى (التوفتاش وجعل معه (١٢٠) فارساً. فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم إليهم من العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير فقاتلهم التونتاش فأسروه وانهزم

أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف أواخر ذي القعدة وأحرقوا الأسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون ٣٢ يوماً وتشرد أهله في السواد. ونهبت خزانة الكتب التي كان (وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء) وهي نحو خمسين ألف مجلد. وبلغ الخبر إلى صدقة فأرسل إلى البصرة عسكراً فوصلوها وقد فارقها العرب. ثم إن السلطان محمداً أرسل (شحنة. وعميداً) إلى البصرة وأخذها من صدقة وعادأهلهاإليها وشرعوا في عمارتها.

وفي سنة (٥٠١) وقع حرب بين صدقة وبن لسلطان محمد السلجوقي أسفر عن قتل صدقة وأسر ابنه (دبيس بن صدقة).

وفي سنة (٥٠٣) وليت البصرة من قبل السلطان محمد إلى الأمير آقسنقر. وفي زمنه بودر بإصلاح ما خرب من البصرة.

وفي سنة (٥٠٥) تولى على البصرة الأمير سنقر البياتي من قبل الأمير آقسنقر فسار في الناس بسيرة حسنة.

وفي سنة (٥١١) توفي السلطان محمد السلجوقي. وجلس بعده ابنه (السلطان محمود) فأطلق سراح دبيس بن صدقة من معتقله وأعاده إلى الحلة.

وفي شوال عام (٥١١) أيضاً توفي أبو علي محمد بن سعد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالي الإسناد روى عن أبي علي بن شاذان وغيره.

وفي سنة (٥١٣) استولى على البصرة (علي بن سكمان) وسبب ذلك هو أن السلطان محمد كان قد أقطع البصرة (الأمير آقسنقر البخاري)

فاستخلف بها نائباً يعرف (بسنقر البياتي) فأحسن السيرة حتى إنه أقام سفناً وجراراً يحمل فيها الماء العذب من وسط الشط للضعفاء والسابلة. فلما توفي السلطان محمد عزم هذا الأمير سنقر على القبض على أمير يسمى (غزغلي) مقدم الأتراك الإسماعيلية (وهو مذكور وله شهرة) وحج بالناس من البصرة عدة سنين. وعلى أمير آخر اسمه (سنقر ألب) وهو مقدم الأتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه وأخذا «القلعة» وما وجداه له. ثم إن سنقر ألب أراد قتله فمنعه غزغلي فلم يقبل منه. فلما قتله وثب غزغلي على سنقر ألب فقتله ونادى في الناس بالسكون فاطمأنوا. وكان أمير الحاج من البصرة في تلك السنة أميراً يسمى (علي بن سكمان) المتقدم ذكره وهو أحد أمراء البلدقية وكان في نفس غزغلي عليه حقد حيث تم الحج على يده ولأنه خاف أن يأخذ بثأر سنقر ألب لأنه كان مقدم البلدقية. فأرسل غزغلي إلى أعراب البادية يأمرهم بنهب الحجاج فطمعوا في ذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسناً وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة حتى دنا منها على مسافة يومين من البصرة. فأرسل إليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة. فانحاز نحو (العوني) موضع في أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل إلى العوني حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلي إلى علي بن سكمان وتقاتلا فقتل غزغلي وسار علي إلى البصرة فاحتلها وملك القلعة وأقر عمال آقسنقر البخاري ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله أن يكون نائباً عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر إلى ذلك فطرد إذ ذاك نواب آقسنقر واستقل بالبلدة وتصرف بها تصرف المستبد واستقر فيها وأحسن السيرة إلى سنة (٥١٤) فسير السلطان محمود عساكر كثيرة تحت قيادة الأمير آقسنقر إلى البصرة فذهب إليها واحتلها من علي بن سكمان سنة (٥١٥).

وفي سنة (٥١٧) عصي على الخليفة المسترشد بالله (حاكم الحلة) دبيس بن صدقة فحاربه الخليفة فهزمه وفرّ من الحلة والتجأ إلى عشائر المنتفق واتفق معهم فهجموا على البصرة ونهبوا الأموال فأرسل إليهم الخليفة جنوداً تحت قيادة البرسقي فطردهم عن البلد وأمنها.

وفي سنة (٥٣٢) أحيلت ولاية البصرة إلى (الشيخ معروف رئيس المنتفق).

وفي سنة (٥٤٣) توفي الشيخ إبراهيم بن نبهان الرقي وكان مولده سنة (٤٥٩) وكان قد صحب الغزالي والشاشي وروى الجمع بين الصحيحين للحميدي عن مصنفه.

وفي سنة (٥٥٨) أمر الخليفة المستنجد بالله (بإجلاء بني أسد من بلادهم) وهم أهل (الحلة المزيدية) فوجه إليهم الجند تحت قيادة (يزدن بن قمباج) وكانوا منبسطين في البطائح واللوير. فلا يقدر عليهم. فتوجه يزدن إليهم بجيوش فرسان ومشاة. وأرسل إلى (ابن معروف) رئيس المنتفق وهو يومئذ والي البصرة يستقدمه فجاءه في جموع من المنتفق وسدوا مسالك الماء على بني أسد. ثم أوقعوا فيهم حتى قتلوا منهم زهاء أربعة آلاف شخص. ثم نادوا فيمن بقى (مَن وُجِد منهم بعد اليوم في الحلة المزيدية فدمه هدر) فتفرقوا من ذلك الحين في البلدان ولم يبق بها منهم أحد يُعرف[1] وسلمت بطائحهم إلى ابن معروف.

---

(١) وموجود اليوم من بني أسد أناس في البصرة في قرية يوسفان يقال لهم (بيت شريدة) منهم الحاج حمدي بن صالح وابن أخيه صالح بن الحاج يوسف بن أحمد بن شريدة اهـ مؤلف.

وفي سنة (٥٦١) قصد البصرة ابن شنكا حاكم واسط. وكان والي البصرة كمشتكين. وجعل ينهب ابن شنكا القرى ويخرب أطراف البلدة لعلمه بظلم كمشتكين وحبه جمع المال.

وفي سنة (٥٦٢) قصد البصرة ابن شنكا مرة ثانية ونهبها وخرب الجهة الشرقية منها في المرتين وتغلب على البصرة وحكمها.

وفي سنة (٥٦٣) وجهت العساكر من بغداد تحت قيادة عميد الدين نحو البصرة لاستخلاصها من ابن شنكا ولما وصل عميد الدين واسطاً جمع ما بها من العساكر واستقدم من بالأهواز من الجنود. وسار بالكل نحو البصرة فاحتلها وطرد عنها ابن شنكا.

وفي سنة (٥٧٧) هـ أقطع الخليفة الناصر لدين الله العباسي ولاية البصرة إلى (الأمير طغرل) أحد عبيده.

وفي سنة (٥٨٠) أرسل طغرلبك (محمداً بن اسماعيل) نائباً عنه. وأحال له جباية الأموال والأحكام كافة.

وفي ٦ صفر عام (٥٨٨) قصد البصرة (بنو عامر) تحت زعامة رئيسهم (عميرة) وكان في البصرة محمد بن إسماعيل نائباً لطغرلبك مملوك الخليفة (الناصر لدين الله) فوقعت الحرب بين البصريين وبني عامر وبقيت إلى الليل فثلم العرب السور ليلاً ودخلوا البلدة صباحاً. فكانت مقتلة عظيمة ونهبت الأسواق وبعض البيوت. ثم خرجوا مسرعين من البلدة لما بلغهم قدوم عشائر المنتفق فتصادموا معهم فتفوقوا وغنموا أموال خفاجة والمنتفق ثم أسرعوا الكرة إلى البصرة وجعلوا ينهبون ما بقي من البيوت حتى اضطر أهلها إلى مفارقتها وتلفت أموال عظيمة وجرت فيها مصائب عظام. ثم بعد مدة فارق البصرة بنو عامر فعاد أهلها (وقال ابن الأثير) وقد رأيت طبق هذه القصة بعينها سنة (٥٩٣).

وفي سنة (٦١٨) ولي على البصرة (الأمير ملتكين) وفي سنة (٦٢٢) هجم جلال الدين بن خوارزمشاه بعساكره على البصرة فقاومه ملتكين ودافع عن البصرة دفاعاً شديداً وامتدَّت الحرب قدر شهرين حتى ورد للبصرة المدد من بغداد فطردوا الخوارزمية عن البصرة.

التاتار

وفي سنة (٦٥٦) أغار على بغداد (هولاكو التاتاري) فدمر وقتل ونهب وعاث في الأرض بالفساد. وفي سنة (٦٦٤) هلك هولاكو على دين الوثنية وقام بالأمر من بعده ابنه (أبغا) فوجه ولاية العراق إلى شمس الدين محمد. وبقي أبغا ملكاً إلى أن مات كافراً سنة (٦٨٠) فتسلطن في محله أخوه (أحمد بن هولاكو) وكان قد اعتنق الدين الإسلامي ثم بعد ثلاث سنوات قتله ابن أخيه (أرغون بن أبغا) وملك هو البلاد. وعين ولاية بغداد لابنه وظل هو إلى أن مات كافراً سنة (٦٩٠) وكان ظلوماً غشوماً فبعد موته وقع الخلاف فيما بينهم واشتد القتال إلى أن أفضى الأمر إلى تولية (قازان ابن أرغون) واعتنق الدين الإسلامي وفشا الدين الإسلامي في التتر. وولى العراق إلى رجل يسمى (محمد السكري).

وفي سنة (٧٠٣) مات ملك العراق (قازان) المذكور مسموماً. وملك بعده ابنه (خدابنده محمد) وفي سنة (٧١٥) مات محمد خدابنده. وتحكم بعده ابنه (السلطان أبو سعيد بهادرخان) بن خدابنده بن أبغا بن هولاكو إلى أن مات سنة (٧٢٦) فانتقلت السلطنة إلى أبا خان من العائلة الجنكيزية وكان قد وقع الخلاف بين التركمان التتريين بعد موت أبي سعيد وتفرقت كلمتهم وانقسمت المملكة بين أمرائهم وتغلب على بعض البلاد الفراتية المماليك (ملوك مصر والشام) وتغلبت قبائل العرب على (البصرة. والسماوة.

والكوفة) وعلى جميع البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق.

وفي سنة (٧٣٨) انتقلت الحكومة إلى (موسى خان) وبعد شهور أشعل نار الحرب (السلطان محمد) أحد العائلة الجنكيزية فأخضع المهالك. ثم هجم (حسن إيلخاني) على الجنكيزيين أتاهم من الديار الرومية بعسكر جر ر فقتل السلطان محمداً وموسى خان جميعاً. فحكم في العراق من سنة (١٤٠) وتأسست الحكومة الإيلخانية.

وفي سنة (٧٥٧) توفي حسن الإيلخاني فتقلد الأمر من بعده ابنه السلطان أويس وبقي إلى أن توفي سنة (٧٧٦) فاستقل بحكومة العر ق (السلطان حسين بن أويس) وبقي إلى سنة (٧٨٤) حيث قتله أخوه (السلطان أحمد بن اويس) واستقل بسلطنة العراق إلى أن زحف على العراق (تيمورلنك) وطرد السلطان أحمد عن العراق.

وذلك أن الخلاف دام بين التتريين إلى عام (٧٩٥) حيث استولى تيمورلنك سلطان التتر على أغلب العراق وبعض بلاد الجزيرة (كما بيناه في تاريخ البحرين ص ٦٩).

لأنه ذهب لمحاصرة بغداد (في ١١ شوال عام ٧٩٥) ودخلها بعد الحصار الشديد يوم عيد الأضحى فتقرب على زعمه بذبح المسلمين وقتل خلقاً كثيراً. ثم أمر عسكره بأن يأتي كل واحد منهم برأسين من أهل بغداد وبنى بتلك الرءوس مآذنَ على صورة المنابر (إرهاباً للأهالي) وعجز بعض الجنود عن المجيء برءوس الرجال فقطعوا رءوس النساء والأطفال.

وولى على (الجزائر. والبصرة) حفيده ميرزا أبو بكر بن ميران خان فجاءها بعساكر الفرس وعاث في البلاد. وكان هلاك تيمور سنة (٨٠٧) بمدينة نزار وحمل إلى سمرقند ودفن بها وعمره مجاوز (٨٠) ومدة ملكه نحو

(٣٥) سنة. وتملك بعده حفيده (خليل بن ميرشاه بن تيمور) ومكث قليلاً ثم هلك وتفرق ملكهم بأيدي المتغلبين. وبقي لتيمور عقب كان منهم سلاطين بالهند.

وفي سنة (٨٠٨) تحصل السلطان أحمد على مدد فزحف بجموعه نحو العراق وجعل يحارب جنود تيمور حتى استخلص العراق بعد حروب عديدة يشيب لهولها الرضيع.

وفي سنة (٨١٣) انتشبت الحروب بين السلطان أحمد ابن أويس وبين (قره يوسف) أحد ملوك التركمان فقتل السلطان أحمد بعد حروب شديدة انجلت عن انقراض حكومة الإيلخانية من العراق.

حكومة قره قوينلي

في سنة (٨١٤) استولت حكومة قره قوينلي على العراق. وأول من قام منهم (الملك قره يوسف) المتقدم ذكره فأعلن حكومته في العراق ونواحيها. وفي سنة (٨١٥) فوض حكومة البصرة والجزائر لولده (الشاه محمود). وفي سنة (٨١٧) قتل فانتقل الملك إلى أخيه أمير شاه أمير محمد. وفي سنة (٨٤١) قتله اسكندر بن قره يوسف فانتقلت المملكة إلى (ميرزا جهان شاه) بن قره يوسف فانفرد بحكومة (أذربيجان. وديار بكر وبغداد والبصرة وفارس. وكرمان).

وفي سنة (٨٦٧) ولي حكومة بغداد والبصرة (بيربداق) بن جهان شاه. وفي سنة (٨٧١) انتشبت الحرب بين قره قوينلي وبين (آق قوينلي حسن الطويل) وظلت بينهما حتى انجلت بانقراض حكومة قره قوينلي. وانتقلت حكومة العراق إلى حسن الطويل.

حكومة حسن الطويل

أو

حكومة آق قوينلي

وفي سنة (٨٧٢) تشكلت في العراق حكومة (الطوال) وأول قائم بها (حاكم ديار بكر) حسن الطويل ابن علي بيك بن عثمان بن قطلوبيك بن طورغلي التركماني. وبقي حاكماً إلى أن توفي (في عام ٨٨٣) وخلف خمسة أولاد (خليل ميرزا) وكان حاكماً في فارس. ومقصود بيك وكان حاكماً في بغداد. ويعقوب. ومصبح. ويوسف. فملك بعده ابنه خليل ميرزا بن حسن. وفي سنة (٨٨٣) أيضاً ثار عليه أخوه يعقوب فقتله وأخذ بزمام الحكم فكانت مدة خليل ستة أشهر ونصف. وفي سنة (٨٨٤) تحيل يعقوب شاه بحيلة غريبة حتى استولى على (ديار بكر) ونزعها من يد الأكراد والتركمان وانتصر عليهم. ثم في سنة (٨٩٦) مات مسموماً (لأمور ذكرها القرماني في تاريخه) واستولى باي سنقر. ثم قتل فاستولى رستم ميرزا. ثم قتل فاستولى السلطان أحمد. ثم قتل في سنة (٩٠٣) فاستولى السلطان مراد بن يعقوب وقصتهم مفصلة (في تاريخ القرماني).

تغلب الدولة الصفوية

وفي سنة (٩١٤ هـ ١٥٠٨ م) هجم الشاه إسماعيل الصفوي على العراق بجنوده واحتله[١] (وفي سنة (٩٣٠) توفي الشاه إسماعيل وتقلد الملك ابنه

---

(١) تقدم البحث على الشاه إسماعيل في تاريخ البحرين (ص ٧٣) وكان تملكه على مملكة الإيران في أقرب وقت يعد من الأعاجيب. فإنه فتح شيراز وجعل مركزه

(شاه طهماسب) وكان ذار جور وظلم حتى نفرته جميع الأهالي وهاجرت من العراق واستقلت غالب القبائل بنفسها وخلعت طاعة حكومة العراق.

وفي سنة (٩٣٤) ولي العراق (ذو الفقار) المشهور وكان ممن عرف بالعقل والكياسة والدراية. فأرسل سفراء من قبله إلى (السلطان سليمان القانوني) ليسلمه العراق. فلما سمع طهماسب خان ذلك الخبر وجه جيوشه نحو (ذي الفقار) وجرت بينهما حروب لم يتمكن في خلالها على ذي الفقار. إلى أن اغتاله أخواه (علي بك وأحمد بك) فقتلاه طمعاً في الملك فتغلب طهماسب على العراق بلا معارض لحصول الخلل الداخلي الواقع بين الإخوة.

فولى من قبله على البصرة والجزائر (قانصو بك). وظلت البصرة خاضعة لولاة بغداد اسماً لا فعلاً. لأن أيادي الجشع والاستبداد تتنازعها. إلى أن أشرق على العراق جميعه هلال العدل والأمان. من قبل آل عثمان.

ترجمة السلطانين

السلطان سليم الأول بن السلطان بايزيد الثاني هو تاسع ملوك آل عثمان. جلس على عرش المملكة سنة (٩١٨)هـ وعمره ٤٦ سنة. ولما استتب له الأمر زحف بجنوده في ٢٢ المحرم عام (٩٢٠ هـ ١٥١٤ م) من أدرنة يقودها بنفسه نحو الإيران لقتال الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي. واشتبك بينهما

= تبريز سنة (٩٠٧هـ ١٥٠١م) وفتح العراق العربي وخراسان وديار بكر سنة (٩١٤هـ ١٥٠٨م) وأرسل أحد قواده فاحتل بغداد في تلك السنة. وفي عام (٩١٦هـ ١٥١٠م) ضم إلى أملاكه بلاد فارستان وأذربيجان فامتدت مملكته من خليج فارس إلى بحر الخزر إلى منابع الفرات. وبذلك توجهت همة السلطان سليم الأول العثماني إلى فتح العراقين (العربي والعجمي). اهـ مؤلف.

الحرب فأسفر بانتصار الجنود العثمانية نصراً باهراً إلى أن دخلت مدينة (تبريز) عاصمة العجم يومئذ (في ٢ رجب) من العام المذكور. وبعد أن مكث فيها السلطان سليم ثلاثة أشهر سار إلى بلاد (كردستان. وكرجستان) فضبطها وضمها إلى مملكه. ثم قفل راجعاً إلى الآستانة.

وفي سنة (٩٢٣) زحف بجيوشه نحو مصر بعد أن ضبط بقية سورية. وسار نحو مصر فاحتلها بعد حرب شديدة. ودخلت الجنود العثمانية مدينة (القاهرة) وضبط القطر المصري بأجمعه. ثم إن (المتوكل على الله) آخر الخلفاء العباسيين الذي كان بمصر يومئذ. تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم. وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي (اللواء. والبردة. والسيف) وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين الشريفين. ثم أخذ معه المتوكل إلى القسطنطينية في تلك السنة (٩٢٣ هـ ١٥١٧ م) فأقام فيها إلى أن شاخ فاستأذن بالرجوع إلى مصر فأذن له وعين له ما يكفيه من (المعاش) فظل بمصر إلى أن توفي سنة (٩٤٥).

فاعتباراً من عام (٩٢٣)هـ صار كل ملك عثماني يلقب (بخليفة المسلمين) ولم يزل هذا اللقب الشريف إلى زماننا. ومما جعل للسلطان سليم أهمية عظمى في التاريخ. نقل الخلافة الإسلامية إليه. حيث إنها ربطت (معنى) العالم الإسلامي المنتشر على سطح الكرة بملوك بني عثمان. وفي سنة (٩٢٦) توفي السلطان سليم فكانت مدته ٨ سنين و٨ أشهر. فرقي عرش المملكة السلطان سليمان الأول القانوني.

(وأما السلطان مراد الرابع) فهو ابن السلطان أحمد الأول الـ(١٧) من ملوك بني عثمان. جلس على سرير الملك سنة (١٠٣٢) وعمره ١٢ سنة. ولصغر سنه لم يقو على ضبط الأمور. بل بقيت على ما كانت عليه من

الاضطراب والاختلال. ولما بلغ أشده قام بجد ونشاط وباشر الأمور بنفسه فزحف أولاً على العراق واسترجع بغداد وما جاورها من يد دولة العجم سنة (١٠٤٨ هـ ١٦٣٨ م). ثم تحارب مع الدولة الألمانية فانتصر عليها انتصاراً باهراً. ولو طال عمره لخدم الدولة خدمات جليلة تعود عليها بالنفع الجزيل. ولكنه توفي في ١٦ شوال سنة (١٠٤٩ هـ ١٦٤٠ م) فكانت مدته ١٧ سنة وعمره ٣١ سنة اهـ باختصار. وكنت لما دخلت بغداد في سنتي (٣٢ و١٣٤٣) هـ رأيت أحد مدافع السلطان مراد مكتوباً عليه بالخط العربي الواضح إنه عمل سنة (١٠٤٠) هـ) وهذا المدفع هو المسمى عند أهل بغداد بـ(طوب أبي خزامه) لثرم حاصل عند ملفظه وهو معظم عندهم حتى إنهم يدخلون رأس كل مولود يولد لهم في ملفظ المدفع تبركاً به إلى حال التاريخ وهو موضوع في محل مخصوص يزار ويتبرك به. ويعتقدون فيه اعتقاداً تاماً. وهو يعد من الآثار العتيقة.

البصرة في زمن آل عثمان

وفي سنة (٩٢١ هـ ١٥١٥ م) لما انتقل ملك الجزيرة إلى ملوك بني عثمان. فأول من ملك منهم (ارفة. وديار بكر. وماردين والموصل. والرقة) وجميع بلاد الجزيرة (السلطان سليم الأول) كما تقدم في ترجمته. فأيد الشرع الشريف. وأبطل المظالم والمكوس والمغارم. ولما توفي (في ٩ شوال عام ٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م) رقي عرش المملكة بعده ابنه (السلطان سليمان الأول القانوني) فسار نحو العراق حتى دخل بغداد في ٢٤ جمادى الآخرة عام (٩٤١ هـ ١٥٣٤ م) بعد أن فر منها حكامها لما سمعوا بقدومه خوفاً وذعراً من قوة سلطانه وشوكته. وبعد أن أقام السلطان سليمان في بغداد أربعة أشهر توجه إلى (النجف. وكربلا) لزيارة ضريحي سيدنا علي وابنه

الحسين رضي الله عنهما. وعين والياً على بغداد (سليمان باشا) أحد أمراء جيوشه وجعل معه نحو ألفين من الجنود العثمانية. ثم رجع السلطان ببقية الجيوش حاملًا لواء النصر والظفر في ٢٨ رمضان عام (٩٤١) إلى تبريز ماراً ببلاد الأكراد وكانت (البصرة) لها شبه استقلال إلى سنة (٩٤٥) هـ حيث بعث حاكمها يومئذ (مغامس بن مانع) برضائه واختياره مفاتيح قلعتها مع ابنه راشد إلى السلطان سليمان وعرض على سدته طاعته وخضوعه. فألحقت البصرة إلى ولاية بغداد يحكمها وال واحد.

ثم إن السلطان لما شاهد الطاعة والانقياد من الشيخ مغامس أسره ذلك فأكرم ابنه (راشداً) إكراماً جزيلًا. وأقره هو وولده راشد على حكم البصرة لكن بشرط أن تكون الدراهم والخطبة يوم الجمعة باسم السلطان العثماني. وأن يعمل في البصرة بمقتضى ما تصدر له الأوامر من ولاة بغداد.

قيل وفي سنة (٩٥٠) تولى البصرة (مانع المغامس) ثم في سنة (٩٥١) جعل الشيخ مغامس يعاكس بعض أوامر ولاة بغداد. وربما رفض بعضها بتاتاً. فوافق أن لجأ إليه بعض الجناة الأشرار فحماهم فطلبهم والي بغداد. فامتنع الشيخ مغامس من إرسالهم فعرض الوالي الخبر على أعتاب السلطنة فصدرت الأوامر بسوق الجنود نحو البصرة فتوجهت تحت قيادة (إياس باشا) سنة (٩٥٣). والتقيا عند الجزائر وجرت بينهما معركة أسفرت بانكسار الشيخ مغامس وفراره إلى نجد.

واحتل إياس باشا البصرة سنة (٩٥٣) وتولى الحكم فيها فرفع المظالم وبعض الضرائب المخالفة لقوانين الحكومات المتمدنة. فسر الأهالي من إياس باشا[1].

---

(١) ولقد مر على العراق زمن الدول المؤقتة نحو (٢٨٠) والبصرة وما اتصل بها تلعب فيها عمال الدول المتغلبة. وظلت هدفاً لصدماتهم ودارت حرب للأعراب أو =

. . . .

= العشائر الرافعين ألوية المخالفة. وزد على ذلك أن عمال تلك الدول عند انقراض دولتهم يظهرون العصيان وتحدثهم أنفسهم بالاستقلال. فيشرعون يحاربون كل دولة جديدة متغلبة فتهجم على البلاد العساكر وتفني النفوس. وتشدد الحصار بسد مجاري المياه وتخريب الأنهر وقصم الأشجار وهدم الأبنية والقصور وإعفاء المساكن والدور. حتى آل القطر كله إلى الخراب. وظلت البلدة على تلك الحالة إلى أن رفرف على أرجائها العلم العثماني وذلك عند دخول السلطان سليمان (كما في الأصل) فجمع بين ولايتي البصرة وبغداد فأحالها إلى والٍ واحد فأطاعته العشائر والأعراب وعرضوا عليه حسن انقيادهم ولكن الحال ما استقام زمناً طويلًا حتى هجمت على العراق شاهات الأعاجم (كما سيجيء في داخل الأصل) فأوقعت في عمرانه التخريب وبعد حروب متوالية ومصائب متتابعة وأحوال متنوعة وأمور غير مطردة. انقلبت حكومة العراق إلى (الكولات) سنة (١١٩٣) وإن الكولات وإن كانوا بصفة ولاة منصوبين من قبل الدولة العثمانية إلا أن أحكامهم وأفعالهم كانت استبدادية بالتغلب. ففوضوا حاصلات البصرة على ما حازته من الأهمية العظمى إلى مشايخ المنتفق في مقابلة نقود معينة.

ولواء العمارة إلى مشايخ (بني لام. والبو محمد) وسائر العشاير والعماير وجعلوا حكومة البصرة نفسها إلى بعض أتباعهم وفوضوا له الأمر بصورة مطلقة فمشايخ تلك الجهات جهلاء على الإطلاق. قد ألفت طباعهم الغرور وسفك الدماء ونهب الأموال فلذلك لم يتركوا في زمن حكومتهم واستبدادهم فعلًا من المظالم إلا ارتكبوه. ولاطريقاً في العدوان إلا سلكوه. ومن ذلك أن السفن لاتسير فرادى في نهر الدجلة الذي هو الواسطة الوحيدة لتجارة العراق بل كانت تجتمع بالمئات فتسير مجتمعة خوف النهب والسلب ومع ذلك فإنها لاتصل بغداد إلا بعد أن توقف في ١٣ موضعاً لتأدية (الخاوة) رشوة للعشائر. وكانت تلك العشائر ملجأ للقاتل والسارق والجاني حيث من لجأ إليهم أصبح آمناً.

فلما انتهت حكومة الكولات سنة (١٢٤٦) هـ ورجعت حكومة العراق رأساً إلى يد الدولة العثمانية وبدت الأعمال والأحكام تجري على يد الولاة المنصوبين من قبل =

وفي سنة (٩٥٦) عصت أنحاء الجزائر وواسط فاستنجد أميرها علي بيك من والي البصرة. فرفع والي البصرة الخبر إلى بغداد فأرسل واليها عسكراً تحت قيادة (تمرد علي باشا) وسارت العساكر من البصرة أيضاً فحصروا (حاكم الجزائر عليان) في قلعة المدينة وابتدر الحرب بين الطرفين ففر (عليان) بعد معركة شديدة فاستولت الجنود العثمانية على الجزائر وواسط وأمنوا الأهالي ونظموا مركز الحكومة هناك. وفي سنة (٩٧٠) وجهت ولاية البصرة إلى (درويش علي باشا). وفي سنة (٩٧٥) جمع (ابن عليان) الأعراب من المنتفق والجزائر وسار بهم نحو الجزائر فاحتلها مرة ثانية فجهز والي بغداد الجنود وساقها نحو ابن عليان تحت قيادة (اسكندر

= الدولة العلية. وبادر الولاة في إصلاح ما فسد من الأملاك ورفع المظالم عن الرعايا واستخلاصهم من الجور.

ومعلوم أن ملكاً لعبت به أيدي الظلمة المتلاعبة زمناً طويلًا وتخلله الفساد لايمكن إصلاحه دفعة واحدة. فاضطرت الحكومة العثمانية لإجراء التدابير في استخلاصه تدريجياً فبادر الولاة تعمل المماشاة مع المشايخ والأعراب. وطوراً تستغل العنف لاستخلاص الملك من أيديهم مما يلزم من التشبثات. وعلى ذلك المنوال تمكن والي العراق (رشيد باشا الكوزلكي) المتولي على بغداد سنة (١٢٦٨) من استخلاص (مهيجران. ونهر خوز) وبعض المقاطعات من أيدي المنتفق وذلك بأن فرقها من التزامهم وجعلها بإدارة الحكومة. وفي سنة (١٢٨٢) فرق والي العراق (نامق باشا) المتولي على بغداد سنة (١٢٧٧) مرة ثانية مقاطعة (أبي الخصيب. ويوسفان. والفياضي. والعامية) ثم فرق أيضاً أكثر محال (قضاء القرنة) وأودعها إلى يد متسلمي البصرة. فأخذوا وارداتها رأساً إلى الخزينة العثمانية. ثم أرسل نامق باشا إلى البصرة (منيب باشا) وأعطاه الأوامر والتعاليم الشديدة في ذلك وقد تقدم عند ذكر الأنهر بعض الأبحاث. ثم ربط منيب باشا سنة (١٢٨٦) أكثر مقاطعات البصرة (برسم الجريب) فارتفعت من بين الأهالي المنافسات والمنازعات التي كانت تنجم عن الالتزام. فكسبت الناس الراحة. وتنحت الأعراب عن التغلب وأثبت لأهل الأملاك أملاكهم وأمنهم في أوطانهم. فتحصلوا على التوفير والثروة. اهـ مؤلف.

باشا) وكذلك حشد والي البصرة عساكره ووجهها نحو المذكور فطردوا ابن عليان وضبطوا الجزائر مرة ثانية.

وفي ٢٧ شعبان عام (٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م) رقي عرش الخلافة السلطان مراد الثالث بن السلطان سليم الثاني بعد وفاة والده. وفي تلك السنة نشبت الحرب بين قبائل العرب والجنود العثمانية. فانكسرت الجنود عند (نهر الغراف) ووالي البصرة يومئذ (درويش علي باشا) فاستخف الأهالي به وجعلوا يعاكسون أوامره حتى اضطر الوالي إلى مبارحة البصرة والاستعفاء من وظيفته بعد أن جعل وكيلاً عنه على البصرة (افراسياب الديري)وضمنه البلدة على خراج معين وتوجه علي باشا المذكور إلى دار الخلافة (وكان افراسياب الديري كاتباً للجنود العثمانية المحافظة في البصرة).

فحكم البصرة افراسياب سنة (١٠٠٥) وعامل الأهالي بما يحبون فحسنت أيامه وأحبته الرعية وقوى نفوذه فاشرَأبتْ نفسه إلى الفتوح.

ففتح في بادىء الأمر (القبان) وكان مستقلاً بحكمه (بكتاش أغا).

وكان (بكتاش أغا) يداهن من حوله من الحكام ليغضوا الطرف عنه. كحاكم (الدورق وحاكم الحويزة) السيد مبارك خان.

وفتح افراسياب الديري أيضاً أكثر الجزائر. ومنع ما كان يأخذه السيد مبارك خان المذكور من البصرة من الجوائز. وكذلك منعه مما كان يستورده من شط العرب (من الجهة الشرقية).

(وكان لما توجه علي باشا والي البصرة المتقدم ذكره إلى دار الخلافة ورفع خبر تقلبات أهالي البصرة وأحوالهم. أقرت الحكومة العثمانية بقاء

افراسياب على البصرة)[1] وظل افراسياب يحكم البصرة إلى أن توفي سنة

(١) وكان في سنة (١٠٠٨) رفع راية العصيان والي بغداد (دلي حسن) فأرسلت الدولة العثمانية لمحاربته (صقلي حسن باشا) ففاز الأول على الثاني وقتله ثم هزم ولاة ديار بكر. وملك العراق والجزيرة.

وفي عام (١٠١٢) خضع دلي حسن لأوامر الدولة فعينته والياً على (البوسنة) فسار بجنوده إليها.

وفي تلك السنة ورد الخبر بجلوس السلطان أحمد خان الأول وفي أيامه وأيام ولديه السلطان مصطفى الأول والسلطان عثمان الثالث كانت الأحوال مضطربة. وفي سنة (١٠٣٢) ثار رئيس الشرطة ببغداد (بكير أغا) وقتل والي بغداد. واستبد في الأحكام فأرسلت الدولة لقتاله (حافظ باشا) فحاربه وحصره فسولت لبكير أغا نفسه الخبيثة أن يخون الدولة (علاوة على ما ارتكبه من الجرائم) فأرسل (للشاه عباس) ملك العجم وعرض عليه تسليم بغداد. فتوجه الشاه نحوها بجنوده. وقبل وصوله عقد القائد العثماني مع بكير أغا الخائن صلحاً ودخل بغداد واحتلها بالجنود العثمانية.

ولما وصلها الشاه عباس حاصرها ثلاثة أشهر. فما تمكن من أخذها إلا بخيانة (ابن بكير أغا) الذي ساعده على ذلك بشرط تعيينه حاكماً على بغداد من قبل الشاه ولكن خاب سعيه حيث قتله الشاه جزاء خيانته لدولته وقتل والده أيضاً.

ولما وصل الخبر لمسامع (السلطان مراد الرابع) بسقوط بغداد وجه لاستردادها (أحمد حافظ باشا) فسار نحوها بالجنود سنة (١٠٣٤) وضيق الحصار على بغداد. وفي أثناء الحصار تمردت بعض الجنود فاضطر إلى مغادرة بغداد والرجوع إلى (الموصل) وفي (٧ ربيع الثاني عام ١٠٤٠) توجه لمحاصرة بغداد (خسرو باشا) فدافع عنها قائد حاميتها دفاعاً شديداً وصد هجوم العثمانيين عنها فرفع الحصار (خسرو باشا) ورجع إلى الموصل.

وفي سنة (١٠٤٨ هـ ١٦٣٨ م) سار السلطان الغازي مراد خان الرابع بجيوشه المظفرة نحو بغداد وحاصرها. ثم هاجمها في (١٨ شوال) من السنة المذكورة فاحتلها بالجنود البواسل وأدرجها في ضمن الممالك العثمانية هي وتوابعها وجعلت قاعدة ولاية كبيرة كما تقدم في الأصل وقد دخلتها في (٢ رمضان عام ١٣٣٢) وفي (٩ صفر عام ١٣٤٣) شاهدت في طريقي إليها ما ذكرته في رحلتي إليها في آخر الكتاب. اهـ

(١٠١١) فتعين محله ابنه علي باشا ابن افراسياب الديري سنة (١٠١١) هـ وقيل (١٠١٢).

وفتح في أيامه (الجزائر) وانتزع (كوت معمر) من حاكم بغداد. و(كوت الزكية) من يد حسن بن النائب. واستفحل أمره. فوجه (الشاه عباس الأول) نحوه جنوداً عظيمة تحت قيادة (الإمام قلي خان) فجرت بينهما معركة أسفرت بانتصار علي باشا. ورجوع (الإمام قلي خان) عن البصرة مكسوراً[1] وذلك سنة (١٠٣٦) وأرخت تلك المعركة بقول بعضهم (عليٌّ دَمَّر الخان) واستمر علي باشا إلى أن توفي سنة (١٠٥٧) فتعين بعده ابنه (حسين باشا بن علي باشا) على البصرة.

وفي سنة (١٠٥٨) جلس على عرش السلطنة (السلطان محمد الرابع) الذي لم يتم السنة السابعة من عمره. ولصغر سنه وبعد بلاد (الجزيرة والعراق) عن مركز الخلافة وقعت البلاد في الفوضى وصارت عساكر الإنكشارية والسباهية لاترحم صغيراً ولاتوقر كبيراً. وكانت الثورات متوالية من الأهالي بسبب استبداد الجنود وظلت الأمراء على تلك الحالة إلى سنة (١٠٦٧) حيث ورد الأمر من رئيس الوزراء (محمد باشا) الشهير بكوپرلى- إلى الولاة والحكام بقمع الإنكشارية وإلزامهم العودة إلى السكينة فقتل منهم خلق كثير وبذلك عادت السكينة للبلدان وأمنت الناس على أموالهم وأرواحهم.

وكان (حسين باشا) المتقدم ذكره لما تولى على البصرة سار في بادئ الأمر بسيرة حسنة. ثم خاض في المظالم كالذين خاضوا وأعلن عصيانه عن دولته. وتجبر على رعيته. فرفعت الأهالي شكواها إلى عميه (أحمد أغا

(١) وهو الذي احتل البحرين كما في تاريخها صفحة (٧٣) اهـ مؤلف.

وفتحي بك) ولدى افراسياب. فتوجه المذكوران من البصرة نحو دار السلطنة العثمانية ليعرضا على أعتاب السلطنة أَلَمَ ما تجده أهالي البصرة من المظالم الحاصلة من ابن أخيهما. فجهزت الحكومة العثمانية لهما جيوشاً ووجهتها معهما نحو البصرة وكان قائد القوة العثمانية (مرتضى باشا) حاكم بغداد يومئذ. فلما وصل مرتضى باشا إلى حدود البصرة. دعي حسين باشا أمراءه وجلساءه. واستشارهم في أمره فما رأى عندهم ما يسره لثقل قلوبهم عليه مما نقم منهم. وفهم أنهم يميلون في الباطن إلى عميه. فترك حسين باشا البصرة وفرَّ إلى بلاد (بهبهان) بأرض العجم فتولى البصرة عمه أحمد بن افراسياب سنة ١٠٦٦ هـ وبقي إلى أن دخل مرتضى باشا البصرة بلا حرب. وذلك سنة (١٠٦٧) وأخذ بزمام الحكم. ثم رأى من (أحمد أغا وأخيه فتحي بك) تحفزاً على أخذ البلدة لهما وهابهما. فأمر بقتلهما فقتلا.

فاشمأزت الأهالي من فعله وأنكرت ذلك عليه. ثم أبرموا معاهدة سرية مع أهل الجزائر. وأظهروا العصيان على مرتضى باشا وجعلوا يقتلون عماله في النواحي وموظفيه. فلما عجز عن ردعهم وخاف على نفسه منهم ترك البصرة وخرج منها مع قسم من رؤساء جنوده.

فراسل أهل البصرة (حسين باشا) المتقدم الذكر وهو إذ ذاك مقيم في (بهبهان) واستقدموه فدخل البصرة سنة (١٠٦٨) وأخذ بزمام الحكم في البصرة مرة ثانية. ثم عاد إلى ظلم الرعية وانتقم ممن لم يساعده في مدة حكمه الأول وتجبر على الأهالي. إلا أنه لم يخرج عن طاعة الدولة العثمانية. بل جعل يرسل إلى الدولة باقي خراج البلدة المعتاد.

وكان مع ظلمه وتجبره محباً للعلماء والفضلاء وأهل الأدب. وكان للشعر سوق في دولته. وعطاياه متواصلة للشعراء. ثم رفعت الدولة (العثمانية) رتبته إلى رتبة (ميرميران) فقوى نفوذه.

ثم أغراه وزيره وصهره (يحيى أغا) على أخذ الأحساء فزحف نحو الأحساء بالأعراب والعشاير. وانتزعها من يد (محمد باشا بن علي باشا) سنة (١٠٧٣) وأظهر بها ظلمه وبغيه فهتك الأعراض وأفسد البلاد. ففرَّ الناس منها.

وفرّ حاكم الأحساء محمد باشا بن علي باشا وتوجه نحو دار الخلافة ورفع شرح القضية إلى الأبواب السلطانية وما أجراه حسين باشا بالأهالي (كما بيناه في تاريخ الأحساء).

ففي سنة (١٠٧٦) ورد الأمر السلطاني إلى (إبراهيم باشا) حاكم بغداد بتسيير الجنود نحو البصرة وانتزاعها من يد حسين باشا (بسبب شكاية حاكم الأحساء) فجهز إبراهيم باشا الجنود وسار يقودها بنفسه نحو البصرة.

ولما سمع حسين باشا بقدوم الجنود نحوه (بنى قلعة) في القُرنة. ثم لما وصل إبراهيم باشا إلى (العرجا) اسم موضع. أرسل إلى أعيان البصرة كتباً سرية يأمرهم بتأمين الأهالي. ومناوأة حسين باشا.

وكان لما توجه حسين باشا بجموعه إلى القرنة لملاقاة الجنود العثمانية. جعل نائباً على البصرة مَن قبله (محمد بن فداغ) فثار أهل البصرة على هذا النائب وحاصروه حتى قتلوه وأخرجوا أتباعه من البصرة.

فلما سمع بذلك حسين باشا وهو مرابط بالقرنة. أرسل إلى البصرة سرية من جنوده فباغتوا الأهالي ليلًا وقتلوا في البصريين مقتلة عظيمة انتهت في (٢١ رمضان) من العام المذكور.

وفي (١٤ رجب) وصل إبراهيم باشا نحو القرنة وشرع بالمهاجمة. وجرت بينهما معركة عظيمة في (١٥ رجب) ولم تنتج بفائدة. فظل إبراهيم باشا

محاصراً القرنة نحو ثلاثة أشهر ولما لم يتمكن من احتلالها وعجز عن إخضاع حسين باشا جنح إلى الصلح.

وعقد مع حسين باشا في ٨ شوال عام ١٠٧٦ صلحاً وتعهد إبراهيم باشا لحسين باشا بأن يطلب من دار السلطنة (مرسوماً) بإعادة حسين باشا على حكم البصرة ويُرسل ذلك المرسوم مع يحيى أغا وزير حسين باشا وصهره الذي كان في اسطنبول. فوافقت الحكومة العثمانية على ذلك.

فدخل حسين باشا البصرة في سنة (١٠٧٧) وحكم البلدة مرة ثالثة فتوجه قسم من البصريين نحو دار السلطنة وشرحوا تفصيلًا بما جرى عليهم من حسين باشا.

فعينت السلطنة على البصرة (يحيى أغا بن علي أغا). ورفعته إلى رتبة باشا فقيل له (يحيى باشا) ووجهت معه قوة كافية للبصرة فسار يحيى باشا نحو البصرة فبرز له حسين باشا بجموعه وجرت بينهما معركة أسفرت بانكسار حسين باشا وفراره بعد أن أحرق البلدة وخرب حصونها وقصورها وفر بمن تبعه إلى (الدورق) وأبقى به حاشيته وعائلته. وتوجه بنفسه إلى (شيراز) مستنصراً بالشاه سليمان بن الشاه عباس بن صفي بن الشاه عباس الأول (انظر تاريخ البحرين ص ٧٣).

فلما وصل شيراز طلب من حكومتها المساعدة فلم تلتفت لقوله لما بلغها من تواتر ظلمه وبغيه. فسار إلى الهند فأكرمه صاحب الهند. وولاه بعض مدنه المسماة (باچير) فاستقدم أهله من الدورق إلى محل وظيفته. وبقي هناك إلى أن هلك هو وابنه علي بك في الحروب مع مَنْ يليه في خبر طويل.

وكان لما انكسر حسين باشا أمام القوة العثمانية. دخل البصرة (يحيى باشا) وحكم البلدة وذلك سنة (١٠٧٨) هـ.

وفي سنة (١٠٨٠) تعين والياً للبصرة (مصطفى باشا).

وفي سنة (١٠٨١) تعين عليها (قره مصطفى باشا).

وفي سنة (١٠٨٣) تعين عليها محافظ بغداد (حسين باشا) أو حسن.

وفي سنة (١٠٨٥) تعين عليها سلحدار (حسين باشا).

وفي سنة (١٠٨٨) تعين عليها مرة ثانية محافظ بغداد (حسن باشا).

وفي سنة (١٠٩٢) تعين عليها سلحدار (حسين باشا).

وفي سنة (١٠٩٤) تعين عليها الوزير (عبد الرحمن باشا).

وفي سنة (١٠٩٨) تعين عليها كمركجي (حسين باشا).

وفي سنة (١٠٩٩) تعين عليها مرة ثانية الوزير (عبد الرحمن باشا).

وكان عالماً فاضلًا محباً للخيرات عادلًا. فأحيا أكثر الجوامع والمدارس وهو مؤسس (المدرسة الرحمانية) وألغى عن الأهالي الرسوم المجحفة وبسط العدل في الرعية في زمانه. وأحيا العلم وأهله.

وفي سنة (١١٠٠) تعين عليها الدفتردار السابق (الوزير حسين باشا)

وفي سنة (١١٠٢) تعين عليها الوزير (أحمد باشا بن عثمان باشا).

(وفي هذه السنة) عصت عشائر الجزائر والمنتفق وهجموا على البصرة حتى وصلوا محلًا يقال له (الدير) فبرز لهم والي البصرة أحمد باشا ودارت بينهما رحى القتال فأسفرت عن قتل الوالي وتضعضع جنوده. فلما سمع بقتله الكتخدا حسين أغا جمع أهالي البصرة فعينوه باتفاق الآراء والياً على البصرة. فجمع الجنود والأهالي وجعل يكافح الأعراب حتى ... عن البلدة.

وفي سنة (١١٠٣) قتل حسين أغا والي البصرة المذكور. فعينت الأهالي بدله (حسين باشا) الجمال. ورضيت به.

وفي سنة (١١٠٤) وجهت ولاية البصرة إلى (خليل باشا) أخي أحمد باشا والي بغداد. فجمع العساكر من بغداد والموصل وشهرزور وساقها نحو (الشيخ مانع شيخ المنتفق) فالتقى الجمعان في الجزائر ودارت رحى القتال فأسفرت بانكسار خليل باشا فاضطر إلى التقهقر. ثم إن الحكومة استمالت الشيخ مانع ونهته عن الشقاق وزادت مخصصاته فخضع للدولة وعاد خليل باشا والياً على البصرة مستقلّاً فيها. ثم بعد زمن قليل عاث أعوان خليل باشا في البلدة وأجروا الفظائع في الأهالي حتى نفرت الأهالي من الوالي المذكور فطردوه من البلدة وأرسلوا شيخ المنتفق فقدم نحو البصرة الشيخ مانع فسلموا إليه إدارة الولاية وذلك سنة (١١٠٦) وظل الشيخ مانع شيخ المنتفق يحكم في البصرة إلى سنة (١١٠٩) حيث خدعه (حاكم الحويزة - فرج الله خان) واستعمل عليه الدسائس والحيل حتى أخرجه من البصرة وضبط هو حكمها وعين على البصرة من قبله (داود خان).

وفي سنة (١١١١) وجهت ولاية البصرة مع انضمام ايالة حلب إلى (علي باشا) فجمع بأمر الدولة العثمانية العساكر من ديار بكر والموصل وحلب وسيواس وبغداد وسار بتلك الجموع نحو البصرة. ولما وصل (القرنة) وسمع داود خان بقدوم تلك الجنود فرّ بنفسه إلى (الدورق) فدخل علي باشا البصرة وملكها.

وفي سنة (١١١٤) تعين على البصرة (قبودان محمد باشا).

وفي سنة (١١١٨) تعين عليها الوزير (خليل باشا).

وفي سنة (١١٢٠) عصى شيخ المنتفق (الشيخ مغامس). وجمع الأعراب وهجم على البصرة واحتلها فحصل في البلدة اختلال عظيم وفقد الأمن

منها. فلما وصل ذلك مسامع السلطنة صدرت الإرادة السنية إلى والي بغداد (حسين باشا) بحشد الجنود من بغداد والموصل وديار بكر وحلب وشهر زوز وسوقها نحو البصرة. فصدع بالأمر. فلما سمع الشيخ مغامس بسوق القوات نحوه جمع جموعه من المنتفق والنجديين وحشدهم في قلعة بناها علي (نهر عنتر) المعروف في القرنة واستعد للقتال. فلما وصلت الجنود ودارت الحرب أسفرت عن فرار الشيخ مغامس فاحتلت الجنود العثمانية القرنة ثم البصرة. ووجهت ولايتها إلى كتخدا بغداد (مصطفى أغا).

وفي سنة (١١٢٤) تعين على البصرة الوزير (عثمان باشا).
وفي سنة (١١٢٦) تعين عليها الوزير (حسن باشا).

وفي سنة (١١٢٨) تعين عليها (ميرميران) أحمد باشا. ثم أخذت البلدة بالفوضى لكثرة مظالم الإنكشارية واغتنم الفرصة شاه العجم (طهماسب الثاني) فأغار على أطراف البلاد سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م) لحصول اختلاف بينه وبين العثمانيين على البلدان التي احتلوها منه سنة (١١٣٨ هـ ١٧٢٥ م).

ثم حصل في داخلية العثمانيين اغتشاش بسبب الإنكشارية أدى إلى خلعهم السلطان أحمد الثالث. وتعيين ابن اخيه السلطان محمود الأول في سنة (١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م).

وبعد أن استتسب الأمن استأنفت الدولة العثمانية الحرب مع مملكة الفرس. وتغلبت - الجنود العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقائع أهرقت فيها الدماء. فطلب الشاه الصلح وتم بين الدولتين في ١٢ رجب عام (١١٤٤ هـ ١٧٣٢ م) على أن تترك مملكة العجم للدولة العلية كل ما فتحته سوى مدائن (تبريز. وأردهان. وهمذان) وباقي إقليم لورستان

فعارض في هذه المعاهدة (نادرخان) أكبر ولاة العجم. وسار بجيوشه إلى مدينة أصفهان وعزل الشاه طهماسب وولى مكانه ابنه القاصر (الشاه عباس الثالث) وأقام نفسه وصياً عليه. ثم قصد البلاد العثمانية. وبعد أن انتصر على جنود الدولة حاصر مدينة (بغداد) فبادر الوزير طوبال (أي الأعرج) عثمان باشا إلى محاربته وجرت بينهما عدة وقائع استشهد فيها عثمان باشا المذكور.

فطلبت الدولة الصلح وبعد مخابرات طويلة اتفق مندوب الدولة مع نادرخان في ١٨ جمادى الأولى عام (١١٤٩ هـ ١٧٣٦ م) في مدينة تفليس علي أن ترد الدولة إلى العجم كل ما أخذته منها وأن تكون حدود الدولتين كما تقرر بمعاهدة سنة (١٠٤٩ هـ ١٦٣٩ م) المبرمة في زمن السلطان الغازي مراد الرابع.

وكان قد نودي له في سنة (١١٤٨) وقيل: بل نودي له في سنة (١١٤٩). انظر تاريخ البحرين صفحة (٧٧).

وفي سنة (١١٥٤) تعين على البصرة (الحاج علي أغا).

وفي سنة (١١٦٠) تعين عليها الوزير (أحمد باشا).

وفي سنة (١١٧٨) نفرت قلوب القبائل من معاملة والي بغداد (عمر باشا) فهجر كثير منهم الأوطان والتجأ (الشيخ سليمان) شيخ قبيلة بني كعب إلى حاكم (شيراز) كريم خان الزندي. فأسكنه مع قبيلته بأرض (الدورق).

وفي سنة (١١٨٠) قتل بالبصرة بعض الذوات قتلهم (سلام أغاسي محمد أغا) وصادر بعض القبائل بأمر والي بغداد عمر باشا. فزاد الاختلال في جميع العراق. فاتخذ كريم خان الزندي- هذا الاختلال فرصة وجعل يحشد جيوشه ليغير بها على العراق.

وفي سنة (١١٨٢) تولى البصرة (سليمان بيك الكبير) أبو سعيد وفي تلك السنة وصل (كريم خان) بجنوده إلى (شط العرب) وبصحبته (الشيخ سليمان) شيخ بني كعب.

وبعد أيام قلائل رجع مع جنوده إلى (شيراز).

وفي سنة (١١٨٨ هـ ١٨٨٣ م) أرسل (كريم خان الزندي) جنوده نحو البصرة وتحت قيادة أخيه (صادق خان). فلما وصلوا البصرة حاصروها ومعهم قبيلة (بني كعب) وضيقوا على أهلها حتى اضطر الناس إلى أكل خسيس الحيوانات من كلب ونحوه.

فحضر لمساعدة أهل البصرة (ثامر بن سعدون. وثويني بن عبد الله. رؤساء عشائر المنتفق بجموعهما. وظلوا يدافعون هجومات العجم. ثم لما طالت المدة رجعا إلى مقرهما بالبادية مع قومهما، وكانت الدولة العثمانية مشغولة بحرب (الروس) ولم تتمكن من إرسال المدد إلى العراق.

واستمر القتال بين العراقيين والعجم نحو (١٣) شهراً وكان متسلم البصرة (سليمان بيك)[١] ووزير بغداد (عمر باشا).

ثم إن الدولة العلية أمدت عمر باشا بالجنود ليحافظ بها على البصرة. ولكن لعدم الضبط والربط (في ذلك الحين) كان أكثر الوزراء خونة. وكان رؤساء جنود المدد ثلاثة (عبد الله باشا. وعبدي باشا. ومصطفى باشا) فكأنهم ارتشوا حيث أشاعوا بأن السلطان أصلح مع كريم خان ليثبطوا همم الجنود عن المقاومة. ثم إنهم صوروا (منشوراً) كذباً بالصلح وبعزل عمر باشا لتقصيره في أمر البصرة وتولية (مصطفى باشا) بدله.

---

(١) سليمان بيك هو الذي آلت إليه وزارة بغداد. وهو سيد دواد باشا وزير بغداد الشهير. اهـ مؤلف.

وكل ذلك افتراء منهم على السلطنة. ولبعد المسافة بين بغداد ودار الخلافة وعدم ارتباط البريد بينهما كان يتعذر وصول تحقيق الخبر. خصوصاً مع غلظ حجاب ملوك آل عثمان (إذ ذاك) ثم إن عمر باشا لما تأكد عزله خرج عن البلدة وخيم بالجانب الغربي منها وتأهب للسفر إلى دار الخلافة بالآستانة. فهجم عليه ليلاً رجال مصطفى باشا وقبضوه وأخرجوا (منشوراً) بإعدامه لإهماله في أمر البصرة. وقطعوا رأسه علناً سنة (١١٩٠).

دخول صادق خان البصرة

ثم ظهر للأهالي بأن مصطفى باشا متباطن مع العجم وإن كان متجاهراً بالبغض لهم أمام العامة.

ثم كتب مصطفى باشا إلى متسلم البصرة (سليمان بيك) بأن المدد من الدولة بطيء. فإما أن تصطلح مع العجم أو تسلم لهم البلدة. وكتب أيضاً مصطفى باشا إلى الدولة بأن صلحنا مع العجم انتظم وأن جيوشهم تفرقت عن البصرة وعادت إلى مقرها.

ولما وصل كتاب مصطفى باشا إلى سليمان بيك قرأه على أعيان البصرة فعلموا حينئذ بالهلاك والبوار. وخرج منهم جماعة إلى قائد العجم طالبين منهم الأمان للنفوس والأعراض. فدخل (صادق خان) بعسكره البصرة سنة (١١٩٠) وهتك وفضح في البصريين ولم يدع مأثمة إلا ارتكبها ولا هتك عرض إلا أجراه وفعله هو وعسكره. ولم يف بشيء مما وعدهم به من العهود. بل لم يترك شيئاً من الظلم إلا وفعله هو وعسكره وفعلوا أفعالاً ما فعلتها التتار مع المسلمين. ثم أمر الناس بسب الصحابة جهراً على المنابر.

فهاجر من البلدة كل من كان في قلبه إيمان وقدر على الفرار إلى البراري والقفار. وبعضهم ركبوا البحار. ورضوا بالذل في الدنيا بدلاً من العار. فخربت البلاد وتعطلت المساجد والمدارس. ثم إنه جمع أعيان البلد ممن بقى فيها وكبلهم في الحديد والأغلال وجعل يعذبهم بالضرب بالسياط ليقر كل بما لديه من مال مدفون أو مستودع عند أحد. وكذلك فعل مع النساء المخدرات. حتى جمع أموال البلد وثروتها. ثم بعد أربعة أشهر أرسل سليمان بيك مكبلاً في الحديد إلى شيراز مع قسم من أعيان البصرة لأجل أن يصير عذابهم هناك أمام الشاه.

ثم إن عساكر العجم لما استقروا بالبصرة وفعلوا ما فعلوا فيها استخفوا بقبائل العرب وطمحت نفوسهم لغزو بلاد (المنتفق) وزحفوا بجموعهم نحو المنتفق وجرت بينهما وقعة عظيمة في المحل المسمى (الفضيلة) في غربي شطر الفرات أسفرت عن انكسار العجم وتقهقرهم إلى البصرة وذلك في سنة (١١٩١).

فحنق صادق خان لذلك وعزم على محاربتهم مرة ثانية. وتوجه إلى شيراز بالأسارى البصريين بعد أن جعل على البصرة والياً (علي محمد خان) وأرسل مدداً وذخائر من شيراز لعلي محمد خان، وسار المذكور بالجموع نحو المنتفق وصحبته أيضاً عشائر بني كعب فبرزت لهم عشائر المنتفق تحت رياسة (ثويني. وثامر) الشبيبيين فالتقى الجمعات في المحل المسمى (أباحلانة) وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن هزيمة العجم وفرارهم أمام العرب. بعد أن قتل قائد الحملة العجمية (على محمد خان) وأخوه مهدي خان وذلك في ٢٥ ذي القعدة سنة ١١٩٢ وكانت وقعة أبي حلانة هي السبب في تقصير همة العجم عن التوغل في العراق. بل إنها ألجأتهم إلى الانسحاب من البصرة.

فانسحب (همة خان. ومحمد حسين خان) بالجنود الباقية من البصرة.

فلما بلغ الخبر لوالي بغداد بانسحاب جنود العجم وجه متسلماً على البصرة (نعمان بيك) فسار المذكور إليها وأخذ بزمام الأمر فيها سنة (١١٩٢) بدون مقاومة. فرمم أسوار البصرة وأنعم على أهلها بحسن المعاملة والعدالة.

قيل: وسبب انسحاب بقية العجم من البصرة هو ورود خبر موت كريم خان. وتغلب (زكي خان) على سلطنة العجم. وفرار صادق خان (وقيل: إن موت كريم خان كان سنة ١١٩٣) والأرجح سنة (٩٢).

ولما تغلب زكي خان على السلطنة أطلق سراح أهل البصرة الذين كانوا أسارى في شيراز مع سليمان بيك متسلم البصرة سابقاً وأنعم على المسلم بإعادته على ولاية البصرة. لأنه لم يعلم بأن العثمانيين احتلوها ونصبوا عليها (نعمان بيك) فخرج سليمان بيك من شيراز قاصداً البصرة. ولما وصل إلى (الحويزة) كاتب أهل البصرة بأنه هو لم يزل والياً للبصرة وقد قاسى الشدائد في الدفاع عن البصرة لما كانت محصورة بالعجم. ولما سقطت أخذ أسيراً من أجلها. ومع ذلك فإن الدولة العلية لم تعزله عن منصبه. وأيضاً فقد أقره زكي خان على ولاية البصرة. فبلغ الخبر إلى (نعمان بيك) وثامر الشبيبي.

فلم يقبلا إعادة سليمان بيك إلى ولاية البصرة. وبقي المذكور في الحويزة. وكاتب والي بغداد (حسن باشا) واستعطفه فلم يسعفه فرفع أمره بنفسه إلى الدولة العلية وبقي في الحويزة ينتظر الفرج.

فبدت عليه طلائع السرور. وذلك بأن ثامراً غزا (عرب الخزاعل) فأصابه سهم فمات سنة (١١٩٣) وترييس الشيخ ثويني بن عبد الله على

المنتفق. ورضي بدخول سليمان بيك البصرة واستقدمه ليساعده على تسليم البصرة فسار سليمان بيك نحو البصرة. وإذا بقدوم (المرسوم السلطاني) وارداً له بتعيينه متسلماً على البصرة مرة ثانية فدخل البصرة سنة (١١٩٣) وأخذ.بزمام الحكم وبث بين الأهالي العدل والأمان.

ثم جعل سليمان بيك يراسل الدولة العلية رأساً ولما سنحت له الفرصة طلب من الدولة أن تعينه وزيراً لبغداد وهو يتعهد بقطع دابر الفساد المتزايد في العراق. لاسيما وأن أهل بغداد قد نقموا على وزيرهم (حسن باشا) لضعفه عن مقاومة (عجم محمد. وابن خليل) العائثين في الأرض بالفساد. وطردوا وزيرهم حسن باشا فخرج من بغداد متوجهاً نحو (ديار بكر) فلما وصلها مرض فمات بها.

فعين أعيان بغداد على بلدتهم (إسماعيل بيك) وكيلًا إلى أن يصدر الأمر من الدولة العلية. فبعد أيام قلائل ورد (المرسوم السلطاني) بتوجيه وزارة بغداد إلى (سليمان بيك) متسلم البصرة فلقب (بالوزير سليمان باشا) وأسندت إليه (إيالة) بغداد. والبصرة وشهرزور (في ١٥ شوال عام (١١٩٤).

وورد أمر آخر لسليمان باشا بن أمين باشا الموصلي بأن يحافظ على أمور بغداد ويؤمن طرقها إلى أن يصلها وزيرها سليمان باشا. فتوجه سليمان باشا المذكور من البصرة نحو بغداد وصحبه (ثويني بن عبد الله) مع عشائره وجملة من عسكر (بلدة الزبير) النجديين. فلما وصلوا إلى (العرجاء) من أرض المنتفق لاقاهم (إسماعيل بيك كتخدا) مع عسكره ليشد عضدهم فأمر سليمان باشا بقطع رأسه لأمور ينقمها عليه قديماً.

وولى علي البصرة سنة (١١٩٤) متسلماً (سليمان أفندي) وأرسل معه (مهر داره أحمد زكي).

ثم ارتحل الوزير قاصداً بغداد من طريق كربلاء[1] فدخل بغداد (في رمضان عام ١١٩٤).

وفي سنة (١١٩٩) ارتكب حمد بن حمود (شيخ خزاعة) العصيان فسارت عليه جنود الوزير إلى الأهواز وكسرته فتفرقت جموعه وفر حمد إلى الحسكة. فلما علم (عجم محمد) العاصي بفرار حمد التحق به وانضما معاً على

(١) وكان لما وصل الوزير إلى كربلاء التمس منه ثويني الرجوع فأذن له. ولما قارب الوزير (الحلة) لقيه الأمير سليمان بن عبد الله بن شاوى الحميري. لما بينهما من الصداقة القديمة فأكرمه وأجله. ولما حاذى (المسعودية) استقبله قائمقامه والي الموصل (سليمان باشا بن أمين باشا) مع علماء وأعيان بغداد. وعزل نعمان أفندي عن الكتخدائية ونصب (عبد الله أفندي) وكيلاً فيها. وأذن لوالي الموصل بالعودة إلى مقر منصبه. ولما نزل (ديالة) ورد عليه من (حاكم) بابان أكبر أبنائه - الأمير عثمان بيك - ومعه نحو (٥٠٠) خيال من الأكراد لمساعدة الوزير فعند ذلك عزم الوزير على محاربة الأشقياء (عجم محمد. وابن خليل) قبل دخوله بغداد فقصدهما بتلك الجموع وأوقع بهما حتى تمكن من قتل ابن خليل وقطع رأسه.

وانهزمت بقية عصاباته وتفرقوا. وظل (عجم محمد) تائهاً لاملجأ له سوى الذل والهوان. ثم أجاز الوزير كل شجاع على ما أبداه من البسالة وقت الحرب. واستقام في ذلك المحل نحو شهر. ثم دخل بغداد في رمضان عام ١١٩٤ هـ وحصل للأهالي بقدومه تمام الاطمئنان.

وبعد استقرار الوزير في بغداد أظهر العصيان أمير قبيلة خزاعة (حمد بن حمود) فخرج إليه الوزير وأوقع به حتى كسره وذلك سنة (١١٩٥) وولى مشيخة خزاعة (لمحسن بن محمد) فأتاه حمد بن حمود خاضعاً ومذعناً لأداء ما عليه وعلى قومه من الخراج المنقطع عندهم وطلب العفو عما مضى. فقبل الوالي عذره.

وفي سنة (١١٩٨) شق عصا الطاعة (محسن الخزاعي) وبنى قلعة وتحصن فيها فقصده الوزير بالجنود وهدم عليه القلعة بالمدافع وشتت جموعه. وعزله عن المشيخة وأعاد في المشيخة حمد بن حمود وأضاف إليه (إمارة الشامية) علاوة على مشيخة خزاعة ورجع الوزير إلى بغداد. اهـ مؤلف.

الافساد ثم لحقها بعد ذلك سليمان بن شاوى. ثم فارقها ابن شاوى وسار إلى (ثويني بن عبد الله) شيخ المنتفق وأغراه على أخذ البصرة وعلى خلع الوزير بمكاتبة الدولة. فانخدع ثويني بطلاوة لفظه ووافقه على مرامه. وأرسل إلى حمد بن حمود ليساعده على مهاجمة البصرة. وتوجه الكل نحوها.

ولما وصلوا (بلدة الزبير) خرج إليهم متسلم البصرة (إبراهيم بيك) الذي تولى البصرة سنة (١٢٠٠) ولما دخل على ثويني أمر بالقبض على المتسلم وركب في الحال ثويني وسار إلى البصرة فاحتلها ودخل دار الحكومة وضبطها واستولى على البلدة بعد أن سلب جميع ما يملكه المتسلم إبراهيم بيك ثم نفاه إلى (مسقط).

فلما بلغ وزير بغداد ما فعله ثويني وابن شاوى في البصرة حشد جنوده واستقدم الأمراء وطلب متصرف (بابان) إبراهيم باشا من بلاد الأكراد (كوى وحرير) وطلب أيضاً متصرف (باجلان) عبد الفتاح بيك فأقبلا عليه بعساكرهما من فرسان الأكراد وشجعانهم. ولكن لما أبطآ عن الوقت المقرر لهما عزلهما عندما وردا عليه. ونصب في مكان إبراهيم باشا (عثمان باشا ابن محمود باشا) وفي مكان عبد الفتاح بيك (عبد القادر بيك) فجمعا له كل ما في وسعهما. ولما تكاملت القوة خرج الوزير من بغداد (في ١٢ جمادى الأولى عام ١٢٠١) وسار أولاً نحو (خزاعة) وسقاها كأس الردى لكثرة خروج العصاة والأشقياء منها.

وكان الوزير قبل خروجه من بغداد راسل (حمود بن ثامر بن سعدون) فوفد على الوزير منابذاً لعمه ثويني. ثم إن الوزير قصد (المنتفق) فلما وصل (أم العباس) خيم فيها وأقام بها ثلاثاً وذلك في غرة محرم عام (١٢٠٢) ثم سار بجنوده نحو بني المنتفق وتواقع معهم حتى كسرهم وفرق جموعهم وانهزم ثويني فولى الوزير على قبائل المنتفق (حمود بن ثامر) وجعل على البصرة

مصطفى أغا الكردي خازنداره (وقيل: إن مصطفى أغا تولى البصرة سنة ١٢٠٣) وجعل الوزير عسكر اللاوند في البصرة لحمايتها تحت رئاسة (إسماعيل بيك) وبعد أن استقرت الأمور قفل الوزير راجعاً إلى بغداد (في ربيع الأول عام ١٢٠٢).

وفي سنة (١٢٠٣) عصى متسلم البصرة مصطفى أغا الكردي ومنع الخراج. بعد أن راسل متصرف بابان وأغراه على شق عصا الطاعة على الوزير واتفقا على أن يساعد أحدهما الآخر ويكونان مستقلين كل شخص في جهته وكذلك وافقت عساكر اللاوند المقيمون في البصرة رأى المتسلم على العصيان لكونهم أكراداً من جنسه. ثم راسل أيضاً متسلم البصرة (ثويني بن عبد الله) وضمه إليه واتفقا على المساعدة. ثم كتب المتسلم (محضراً) إلى الوزير بعدم لياقة حمود لمشيخة المنتفق والأولى جعل ثويني بن عبد الله شيخاً للمنتفق فوافقه الوزير على ذلك مسايسة لهما وعزل حموداً ونصب محله (ثويني) وأرسل له خلعة المشيخة حسب العادة وجعل الوزير يسوسهما إلى أن يتمكن من القبض على المتسلم المذكور.

ثم إن الوزير وجه (محمد بن شاوى) إلى متسلم البصرة ينصحه ويحذره عاقبة العصيان وأرسل معه (مكاتيب) إلى مصطفى أغا بن حجازي رئيس البوارج العثمانية الراسية في نهر البصرة يأمره فيها بالقبض على متسلم مصطفى أغا بصفة سلمية أو بقتله اغتيالاً. فشعر المتسلم بالمكيدة وتحذر على نفسه ثم احتال على قتل رئيس البوارج المذكور حتى قتله.

فلما بلغ الوزير قتل رئيس البوارج أمر بحشد الجنود ليسير بها نحو البصرة. ثم ورد على الوزير مكاتيب من الأمير سليمان بن شاوى يطلعه فيها على مراسلات جارية بين المتسلم المذكور و(عثمان باشا الكردي) يستحثه فيها على الإفساد والرجوع إلى السلب والنهب كالعادة. وأنهما قد عقدا

اتفاقاً على مهاجمة بغداد واستغلال البصرة. فتحذر الوزير وتأخر عن السير إلى البصرة إلى أن يتمكن من حل هذه المشكلة وأرسل في الحال إلى عثمان باشا الكردي يستقدمه إلى بغداد للمشاورة معه في أمور سرية فانخدع عثمان باشا وتوجه إلى بغداد. وتفاوض معه الوزير على أن يزوجه أخت الكتخدا فقبل عثمان باشا التزوج وتقرر وقت الزواج في فصل الربيع وعاد عثمان باشا إلى مقره فرحاً مسروراً. فلما أقبل فصل الربيع قدم عثمان باشا بعشيرته وأكراده إلى بغداد على الميعاد. فلما وصلها انحلت عرى كل من عاهد المتسلم فلما دخل عثمان باشا بغداد رأى الوزير متأهباً لحرب البصرة فما وسعه إلا السير معه نحو البصرة. فلما بلغ مصطفى أغا متسلم البصرة انضمام عثمان باشا إلى الوزير ما وسعه إلا الفرار إلى (الكويت) فلما علم الوزير بفراره جد في السير حتى نزل خارج البصرة.

ثم نصب على البصرة متسلماً (الأمير عيسى بيك الارديني) وذلك سنة ١٢٠٤ وأعاد شيخاً للمنتفق (حمود بن ثامر) ثم قفل الوزير راجعاً إلى بغداد في رمضان من العام المذكور. وعندما حلها عزل عثمان باشا من متصرفية بابان. وأطلعه على مكاتيبه التي راسل بها ابن شاوى (المتقدم ذكرها) فبهت المتصرف ثم مرض فمات. وولى محله (إبراهيم باشا) في كوى وولى (محمود باشا) في حرير.

وفي سنة (١٢٠٥) طلب العفو والسماح (ثويني بن عبد الله) فقبله الوزير وأذن له بالعودة إلى أراضي المنتفق بعد أن كان منفياً. (كما في تاريخ المنتفق).

وفي سنة (١٢٠٨) تعين متسلماً للبصرة (عبد الله أغا). ثم عصى على وزارة بغداد ولما سيقت نحوه الجنود فر بنفسه سنة (١٢١٣) من البصرة وفي سنة (١٢١٤) قدم بغداد (عبد الله أغا) متسلم البصرة سابقاً وهو خاضع

لأوامر الوزير فأكرمه الوزير سليمان باشا وأعاده إلى البصرة متسلماً عليه في تلك السنة ١٢١٤ فأخذ بزمام الحكم فيها مرة ثانية. وأرسل معه الشيخ عبد الله الرحبي قاضياً للبصرة.

وفي سنة (١٢١٦) تعين متسلماً للبصرة (سليم بيك) صهر الوزير. وفي سنة (١٢١٧) عزل متسلم البصرة عنها.

وفي هذه السنة (١٢١٧) توفي وزير بغداد سليمان باشا ودفن بجوار الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت[1] وتولى الوزارة بعده بأمر سلطاني (الكتخدا علي بيك) وتحصل على رتبة باشا فقيل له (علي باشا).

وفي سنة (١٢١٨) تعين على البصرة (إبراهيم أغا).

وفي سنة (١٢١٩) غزا (سليمان بيك) ابن أخت وزير بغداد بادية الجبلين (أجا وسلمى) وغنم منهم فأحبه الوزير وجعله كتخدا بغداد.

وفي أواخر عام (١٢٢٠) حاصر سعود بن عبد العزيز أمير الدرعية (البصرة) فقتل ونهب وحرق. فصابر متسلم البصرة إبراهيم أغا ودافع دفاعاً

---

(١) ومن آثار الوزير سليمان باشا الحميدة. تعميره (كوت الإمارة) وسوره. وعمر أيضاً (سوق البصرة) وعمر غالب (قرية الزبير) وعمر سور (دار السلام) وأنشأ سور غربيها. وهدم دار الإمارة في بغداد ثم عمرها عمارة لائقة بالوزارة. وأنشأ المدرسة المعروفة اليوم (بالسليمانية) وشحنها بكتب الفقه والحديث والأدب. وعمر (جامع القبلانية) وجامع محمد الفضل. وجامع الخلفاء ونقصه عما كان عليه في الأصل. وزَوَّق جامع الإمام الأعظم ومنارته. وعمر وأنشأ سوق السراجين والأنبار (الخان) الذي فيه قرب دار الإمارة وعمر قنطرتي (دلي عباس) على نمط اختاره. وأنشأ على (نهر نارين) قنطرة. وسور الحلة. وسور ماردين. وأنشأ قرب الموصل (قلعة) حصينة. وأحيا في طريق ماردين موضعاً معروفاً (بجلاغة) عند الصادرين والواردين. اهـ. مؤلف.

جيداً. ثم أتاه (حمود بن ثامر) بعربه وانضم الجمعان وكافحا (سعوداً فاضطر للتقهقر.

وفي سنة (١٢٢١) حشد الوزير علي باشا جنوده لمحاربة شاه العجم (فتح علي خان) فخرج من بغداد في (١٠ ربيع الأول) يقود الجيوش ومعه رؤساء العرب وأعيان الأكراد. حتى دخل حدود الإيران. فلما تقارب الجمعان تقدم الكتخدا سليمان بيك ابن اخت الوزير بطليعة فلاقته طليعة من العجم يقودها (عبد الرحمن باشا) جبار الكرد الذي كان طريداً في أرض العجم. وجرت بين الطليعتين مناوشات أسفرت بانكسار سليمان بيك وأخذه أسيراً عند العجم. فلما وصل الخبر لخاله الوزير علي باشا اضطر إلى التقهقر وتحصن في الجبال. ثم أتاه (حمود بن ثامر) بعربه فقوي عضد الوزير ورجعا إلى بغداد في سلخ رجب من العام المذكور.

ولما دخل الوزير بغداد أكرم حموداً وأحسن جائزته بعد أن كان غضباناً عليه.

ثم بعد مدة أطلق العجم سراح سليمان بيك ورجع إلى بغداد. وفي آخر سنة (١٢٢١) قتل علي باشا وزير بغداد اغتاله أحد خدمه وهو يصلي فتعين لوزارة بغداد سليمان بيك الذي كان أسيراً عند العجم وتحصل على رتبة باشا فدعي (سليمان باشا). وفي سنة (١٢٢٣) تعين متسلماً للبصرة (سليم بيك). وفي سنة (١٢٢٥) بلغ الوزير سليمان باشا المذكور أن متسلم البصرة السابق (سليماً بيك) راسل الدولة العثمانية طالباً منها ولاية (بغداد. وشهرزور. والبصرة) فلما تحقق لدى الوزير ما جنح إليه المتسلم. راسل (حمود بن ثامر) وأمره بأن يزحف بعشائره نحو البصرة يحارب المتسلم حتى يخرجه من البصرة.

فتأخر حمود في تلبية طلبه لأن المتسلم أفهم حموداً بأن الرئيس قادم من طرف الدولة بعزل سليمان باشا المذكور عن وزارة بغداد. وتولية المتسلم المذكور محله. ولكن لما استبطأ على حمود ورود (أوامر الدولة) مع ترادف رسل الوزير إليه، زحف بجموعه نحو البصرة.

وكان المتسلم سليم بيك قد حصن البلدة وتحصن هو في السفن الراسية في شط العرب. وأبقى في البلدة (الدَّرك. والشرطة) يعسون بالليل على الأسوار والأبواب. فاستنهض حمود سكان (بلدة الزبير) من النجديين فنهضوا معه وحاصروا البصرة مع (برغش بن حمود) ثم إن أهل البصرة خانوا المتسلم وفتحوا أبواب السور ففر المتسلم إلى السفن وظل بها أياماً وهو يدافع ثم اضطر إلى التسليم وسافر في سفنه إلى (أبي شهر).

فتعين في آخر سنة (١٢٢٥) أحمد بيك أخو الوزير متسلماً للبصرة وبعد وصوله إليها. ورد الخبر بوصول (الرئيس) إلى بغداد حاملاً (المرسوم السلطاني) بعزل الوزير سليمان باشا وتولية عبد الله بيك الذي كان منفياً إلى البصرة.

فهمَّ الوزير بقتل الرئيس. ففر الرئيس إلى جهة الموصل خوفاً على نفسه، وجعل يكاتب المتصرفين المقيمين في القصبات على تنفيذ الأمر السلطاني. فأول من انتدب لمناصرته (عبد الرحمن باشا الكردي) بجنوده وسار مع (الرئيس) ومعهم عساكر الموصل وصحبهم الوزير الجديد (عبد الله بيك) وفي معيته (طاهر بيك) اللذين كانا منفيين إلى البصرة.

فلما قاربوا بغداد وأرادوا أن يظهروا عزل الوزير السابق وينفذوا أوامر الدولة الواجب إطاعتها بتولية الوزير الجديد. فبرز لهم الوزير الأول بعساكره ليقاتلهم ولكنه لما رأى تفوقهم عليه جنح للفرار بنفسه

قاصداً (حموداً بن ثامر) في ١٩ رجب من السنة المذكورة ليحتمي عنده أو ليستعين بـه عليهم. ولكنه أثناء سيره نحو المنتفق استضاف (قبيلة الدفافعة) فغدروه ليلاً فقتلوه. إما طمعاً في سلبه أو ليجعلوها يداً عند الوزير الجديد. فاستقر الوزير الجديد (عبد الله باشا) في بغداد سنة (١٢٢٥). وجعل (طاهر بيك) نديماً له وصاحب مشورته.

وفي سنة (١٢٢٦) تعين لولاية البصرة (رضوان أغا).
وفي سنة (١٢٢٧) تعين لها (يعقوب أغا).

وفي سنة (١٢٢٨) تعين لها (سعيد باشا). ولعله في آخر تلك السنة صار وزيراً لبغداد.

وفي سنة (١٢٢٩) تعيين لولاية البصرة (بكر أغا).

وفي سنة (١٢٣٦) تعين لولاية البصرة (محمد كاظم أغا).

ولما استتب الأمر لمحمد كاظم أغا في البصرة جعل ينظم أحوال البلدة ويحصن موقعها لأمور في نفسه فبنى سوقاً مستطيلاً في داخل البصرة وفي طرفيه (مخفران) وجعل في داخل السوق أبواب بيتيه (الديوان والحرام) وكذلك بنى في وسطه باباً كبيراً يفضي إلى الجامع الذي كان يسمى (مسجد بدر).

ولما تولى البصرة عزيز أغا جدد بناء ذلك فنسب له واشتهر (بجامع عزيز أغا) والسوق (بسوق كاظم أغا) وهما باقيان إلى اليوم.

وكان قد جعل كاظم أغا ذلك السوق في غاية المتانة والإحكام يشبه ثكنة عسكرية. فوشي به إلى (داود باشا) وزير بغداد. بأن كاظم أغا جعل يحصن البصرة ليستقل بها فاستقدمه الوزير إلى بغداد. ثم سأله عن سبب

بنائه هذا السوق العظيم فبهت كاظم أغا وخشي على نفسه من بطش الوزير فاعترف حالاً بأنه إنما بناه باسم يوسف بيك (أي نجل داود باشا) فأمره الوزير في الحال بالذهاب إلى دائرة سجلات الأملاك فيسجله باسم يوسف بيك فذهب كاظم أغا وفعل ما أمر به وجعل هذا السوق فداء لنفسه. ثم إن الوزير أمر كاظم أغا بالبقاء في بغداد ولم يأذن له بالعودة إلى البصرة (وهذه القصة معلومة عند البصريين).

ثم بعد تقلب الأحوال آل أمر ذلك السوق إلى جعله وقفاً على مسجد عزيز أغا. وهما باقيان إلى اليوم تحت نظارة دائرة أوقاف البصرة ثم في سنة (١٣٤٠) تشبثت دائرة أوقاف بغداد بإلحاقه لأوقاف بغداد فما تمكنت. وفي نية دائرة أوقاف البصرة هدم قسم منه وجعله بيوتاً.

وفي سنة (١٢٣٩) تعين على البصرة (عبد الغني أغا).

وفي سنة (١٢٤٠) تعين عليها (عزيز أغا) وهو الذي جدد بناء المسجد الكائن في سوق كاظم أغا (كما تقدم) ومتصل بجامع عزيز أغا من جهة الشمال (المدرسة الرءوفية) التي تغلبت عليها وعلى أوقافها أيدي الجشعين. حتى أمست كالملك لبعض أئمة المسجد المذكور. وكانت بها عدة كتب مهمة صارت في خبر كان.

محاصرة المنتفق البصرة مع سلطان مسقط

وفي سنة (١٢٤٢) سار الشيخ عقيل بن محمد بن ثامر إلى بغداد ووفد على الوزير فأكرمه وولاه مشيخة المنتفق وعزل حموداً عنها.

فغضب لذلك حمود وجاهر بالعصيان وأرسل ابنيه (ماجداً وفيصلاً) لاحتلال البصرة. وندب حمود لمساعدة ابنيه بني كعب (شيعة المحمرة).

وكذلك استقدم (سلطان مسقط) السيد سعيد مع عسكره الإباضية. فسار ماجد بجموعه حتى نزل قريباً من (نهر معقل) وذهب أخوه فيصل حتى نزل الموضع المسمى (أبا سلال) ومعه عسكر مسقط وجموع بني كعب وحاصروا البصرة. فبرزت لهم عساكر (عقيل) النجديون من داخل البصرة وتواقعوا مع رهط فيصل حتى كسروهم فارتفعوا من ذلك المحل. ورجع العقيليون إلى داخل البصرة بلواء النصرة فقوي بهم عضد البصريين وصمموا على مثابرة الدفاع والمقاومة ضد تلك العشاير وظلت المناوشات بين الطرفين نحو شهرين. ثم إن متسلم البصرة أرسل إلى (سلطان مسقط) وصالحه على مال معين سراً وحذره بطش الدولة إذا غضبت فأقلع بسفنه من شط البصرة ورجع بأسطوله الشراعي نحو عاصمته.

ولما بارح سلطان مسقط البصرة بأسطوله ضعفت شوكة ابني حمود. فانضم فيصل بجموعه لأخيه ماجد عند نهر معقل. وأراد أن يتسلقا سور البصرة بالسلالم وأباحها ماجد لجنده الشيعة ستة أيام. فنقلت الجواسيس ذلك النبأ المزعج فخرج عليهم سكان (بلدة الزبير) وهاجموهم من جهة الغرب. وخرج المتسلم بعسكره من جهة الجنوب وأحاطوا بهم وأثخنوا فيهم القتل حتى فرقهم شذراً مذراً.

وفي سنة (١٢٤٦) رجع العراق جميعه رأساً إلى يد الدولة العثمانية وانتسخت (حكومة الكولات) وزراء الأقطار الخاضعة للحكومة العثمانية. فلما ذهب أولئك الوزراء والرؤساء. وبدأت الأعمال والأحكام تجري على يد الولاة المنصوبين من قبل الدولة بادروا في إصلاح ما فسد من الملك. ورفع المظالم عن الرعايا. ومعلوم أن ملكاً لعبت به أيدي المتغلبين زمناً طويلاً لايصلح في مدة قليلة.

فجعلت الولاة تارة تماشي الأعراب والمشايخ على فكرتهم وطوراً

تستعمل الشدة معهم: لاستخلاص الأملاك المغصوبة من يدهم بما يلزم من التشبثات وعلى هذا المنوال تدرجاً فاستخلص والي العراق رشيد باشا الكوزلكي سنة (١٢٧٣) مهيجران ونهر خوز وبعض المقاطعات من أيدي المنتفق وذلك بأن فرقها من التزامهم وجعلها بإدارة الحكومة. وفي سنة (١٢٧٧) تولى بغداد مرة ثانية محمد نامق باشا.

وفي سنة (١٢٨٢) فرق نامق باشا المذكور مقاطعات أبي الخصيب ويوسفان والفياض والعامية. ثم فرق غالب مقاطعات القرنة وجعل الكل بيدي متسلمي البصرة. وأخذ وارداتها رأساً إلى (الخزينة).

ولما أتم نامق باشا ما أراده وجه عنايته لاستخلاص الأملاك والنخيل من أيدي الأعراب الذين كانوا ينهبون ثروة البلاد بوسيلة محافظة النخيل. وأرسل (منيباً باشا) إلى البصرة سنة (١٢٧٧) وأعطاه الأوامر والتعاليم الشديدة في ذلك.

فبذل (منيب باشا) جهده في تنفيذ الأوامر ووجه عزمه إلى استخلاص الأملاك. وأعلنَ للعشائر والأعراب المتغلبة بأن محافظة الأملاك والحاصلات هي من وظائف الحكومة. وبالفعل طردهم وأثبت لاهل الأملاك أملاكهم وأمَّنَهم في أوطانهم. فتحصلوا على توفير ثروتهم وحفظ حقوقهم. ولم يزل البصريون يثنون على نامق باشا ومنيب باشا. ثم ارتبطت غالب مقاطعات البصرة سنة (١٢٨٦) برسم الجريب.

وفي سنة (١٢٤٧) تعين لولاية البصرة (السيد محمد أفندي).
وفي سنة (١٢٤٨) تعين لها (درويش أغا).
وفي سنة (١٢٤٩) تعين لها (مصطفى أغا).
وفي سنة (١٢٥٠) تعين لها (علي أسطه).

وفي سنة (١٢٥١) تعين لها (محمد أغا ميراخور).

وفي سنة (١٢٥٢) تعين لها (أحمد چلبي)[١].

وفي سنة (١٢٥٤) تعين لها (محمد صالح بن زيادة). زيادة زاد محمد صالح.

وفي سنة (١٢٥٥) جلس على عرش السلطنة العثمانية (السلطان عبد المجيد) وفي أيامه امتدت أعمال (البريد. والبرقي) في الجزيرة والعراق. وابتدئ سير السفن البخارية في نهر الدجلة[٢].

وفي سنة (١٢٥٨) تعين على البصرة مرة ثانية (مصطفى أغا).

وفي سنة (١٢٥٨) أيضاً جاهر أهل كربلاء بالعصيان فأرسل الوزير عليهم (محمد نجيب باشا) بالجنود العثمانية فأدب العصاة حتى خضعوا وعادوا إلى السكينة.

وفي سنة (١٢٥٩) تعين على البصرة (بهرام أغا).

وفي سنة (١٢٦١) تعين عليها (السيد إبراهيم أفندي).

وفي سنة (١٢٦٢) تعين عليها (خورشيد أغا).

وفي سنة (١٢٦٣) تعين عليها قائمقام (صادق بيك).

وفي سنة (١٢٦٤) تعين عليها (محمد أغا).

وفي سنة (١٢٦٥) تعين عليها مرة ثانية (عُزَيْر أغا).

---

(١) وفي سنة (١٢٥٣) أخذ علي باشا المحمرة. وأرخها بعضهم بقوله (أتاها وأشعل النيران فيها= ١٢٥٣) وأرخت أيضاً بقولهم (كلب عار = ١٢٥٣) وأرخت كذلك بقولهم (الكعبي ظرطوه= ١٢٥٣). اهـ.

(٢) وفي سنة (١٢٥٥) استولت عساكر محمد علي باشا المصري على بعض بلاد الجزيرة. وبعد مدة قليلة خرجت منها. ودخلتها الجنود العثمانية. اهـ مؤلف.

وفي سنة (١٢٦٦) تعين عليها ميرميران (معشوق باشا).

وفي سنة (١٢٦٨) تعين عليها (إسماعيل باشا).

وفي سنة (١٢٧١) تعين عليها (بكر بيك).

وفي سنة (١٢٧١) أيضاً تعين متصرفاً للبصرة (أويسى باشا).

وفي سنة (١٢٧٢) تعين متصرفاً لها (محمد بيك).

وفي سنة (١٢٧٢) أيضاً تعين وكيلًا للمتصرف (قربى أفندي).

وفي سنة (١٢٧٣) تعين لها (رشيد باشا) الكوزلكي[١] وهو الذي استخلص (مهيجران. ونهر خوز. وبعض المقاطعات) من يد المنتفق بأن فرقها من التزامهم وجعلها بإدارة الحكومة.

وفي سنة (١٢٧٤) تعين على البصرة مرة ثانية (أويسى باشا).

وفي سنة (١٢٧٥) تعين عليها (محمدعلي باشا).

وفي سنة (١٢٧٧) تعين عليها قائمقام (حسام الدين أفندي).

وفي سنة (١٢٧٧) أيضاً تعيَّن للبصرة (محمد منيب باشا) وهو الذي استخلص مقاطعة (أبي مغيرة).

وفي سنة (١٢٧٩) تعين على البصرة وكيلًا (الحاج علي أفندي).

وفي سنة (١٢٨٠) تعين عليها (إسماعيل بيك) متسلماً.

وفي سنة (١٢٨١) تعين متسلماً للبصرة (سليمان بيك).

وفي سنة (١٢٨٢) فرق نامق باشا والي العراق مقاطعة أبي الخصيب

---

(١) وفي سنة (١٢٧٣) أتى الإنكليز إلى أبي شهر والمحمرة وأرخ مجيئهم بقولهم (عجم خرجوا من ديارهم = ١٢٧٣) وأرخ ذلك آخرون فقالوا (ذوقوا مسَّ سَقَر = ١٢٧٣). اهـ.

ويوسفان. والعامية والفياضي. ثم أكثر محال قضاء القرنة. وأودعها بـ.
متسلم البصرة وأخذ وارداتها رأساً للخزينة كما تقدم.

وفي (سنة ١٢٨٦) تعين متسلماً لها (غالب أفندي).

وفي سنة (١٢٨٦) أيضاً ارتبطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب. فارتفعت من بين الأهالي المنافسات والمنازعات التي كانت تنجم عـ الالتزام. ثم فوضت أكثر الأراضي الأميرية منها ببدل المثل. ومنها بشر. (الإعمار) وألغيت بعض الرسوم التي كانت تؤخذ من الأهالي. فدبت رو الحياة في ثروة البلاد.

ثم بعد ذلك تشكلت أصول الولاية. ورتبت دائرة البلدية لما يلزم مـ تنظيم البلدة (ومحكمة التمييز) لمحافظة حقوق الأهالي. فحصلت الأمنـ العمومية والحرية في الأعمال. فابتدر الناس يهاجرون إلى البصرة. والفارون يرجعون لأوطانهم فعمرت البلاد واطمأنت قلوب العباد.

وفي سنة (١٢٨٧) تعين متصرفاً للبصرة (حافظ باشا).
وفي آخر سنة (١٢٨٧) أيضاً تعين لها متصرفاً (خليل بيك).

وفي سنة (١٢٨٨) تعين لها متصرفاً (سعيد أفندي).
وفي سنة (١٢٨٩) تعين لها متصرفاً (آصف أفندي).

وفي سنة (١٢٩٠) تعين لها وكيلاً (أحمد باشا) قمندان البحرية.

وفي أواسط السنة المذكورة تعين متصرفاً للبصرة (خالد بيك الميرآلاي قمندان البحرية وصار وكيلاً للمتصرف.

وفي سنة (١٢٩١) تعين متصرفاً لها (أشرف باشا).
وفي سنة (١٢٩٢) تعين للبصرة والياً عليها (ناصر باشا السعدون) وهـ

الذي سعى في فصل البصرة عن بغداد بمراجعة الدولة العثمانية وعقد بها لواء (نجد) فصارت البصرة ولاية بعد أن كانت متصرفية. ثم حصل بين ناصر باشا المذكور وبين قاسم باشا بن محمد چلبي الزهير تضاغن اضطر أخيراً قاسم باشا إلى الفرار ليلًا من البصرة والتجأ إلى قمندان البحرية (خالد بيك) لما بينهما من الصداقة القديمة. فأركبه في البارجة المسماة (مسكنه) ووجهه إلى بغداد. فلما أصبح الصباح وأراد ناصر باشا القبض على قاسم باشا وجده قد توجه إلى بغداد فأبرق حالاً ناصر باشا إلى قائمقام العمارة بالقبض على قاسم باشا الزهير من البارجة وإرجاعه إلى البصرة تحت المحافظة.

فلما وصل قاسم باشا العمارة قابله (شعبان باشا) قائمقام العمارة بالإكرام وأضافه وأخبره بمضمون البرقية ولم يقبضه بل أمره بسرعة التوجه إلى بغداد. ثم أبرق شعبان باشا إلى ناصر باشا بأن العمارة هي تابعة لبغداد ولايمكنني أن أقبض على أحد إلا إذا وصلني أمر من بغداد.

فلما وصل قاسم باشا الزهير إلى بغداد. توجه إلى الآستانة وشرح للدولة حال العراق وما حصل عليه بعد تولية ناصر باشا فطلبت الدولة ناصر باشا إلى الآستانة. وجرت بينه وبين قاسم باشا محاكمة لاحاجة لذكرها. وبقي قاسم باشا الزهير في الآستانة إلى أن توفي سنة (١٣٠٤) ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري. ثم أسندت لابنه رتبة باشا فلقب (يوسف باشا الزهير). وتوفي يوسف باشا في البصرة في قصبة الزبير سنة (١٣١٠) ولم يعقب سوى بنت واحدة.

وفي سنة (١٢٩٣) لما ثار لواء نجد مرة أخرى. فأنفذ والي بغداد أوامره إلى والي البصرة ناصر باشا السعدون ليقوم بأود هذا الخلل. فسار

نحو (الأحساء) وأدب الثائرين ونصب متصرفاً على الأحساء (بزيغ العزيز ا
ثم عزله وجعل محله ابنه (مزيد باشا بن ناصر باشا) المذكور.

وفي سنة (١٢٩٤) تعين وكيلاً للوالي (الفريق محمد منير باشا).

وفي سنة (١٢٩٥) تعين والياً على البصرة الوزير (عبد الله باشا).

وفي سنة (١٢٩٦) تعين والياً لها الفريق (ثابت باشا). وهو الذي
فاوض الدولة العلية العثمانية في أمر البواخر النهرية. ففوضت له الحكوم
الأمر في إصلاحها. بالاتفاق مع مجلس إدارة الولاية.

وفي سنة (١٢٩٧) رجعت البصرة متصرفية وتعين لها (مظهر باشا
برتبة روم ايلي.

وفي سنة (١٢٩٩) تعين متصرفاً لها (يحيى أفندي).

وفي سنة (١٣٠١) عادت البصرة ولاية وصار ابتداء تشكيلها ولاي
وتعين عليها وكيلاً للوالي قمندان البحرية الميرلوا (علي رضا باشا
التركي.

وفي سنة (١٣٠٤) تعين والياً لها (الحاج عزت أفندي) التركي (بالا)

وفي سنة (١٣٠٥) تعين لها (المشير نافذ باشا) التركي.

وفي سنة (١٣٠٦) تعين لها الفريق (شعبان باشا العنتابي) وبقي ثماني
أشهر ثم عزل. وتولى مكانه المشير (هداية باشا) التركي. وهو الذي أمر
البصريين بزرع القطن في البصرة سنة (١٣٠٧) وجلب لهم بذر القطن من
الموصل.

وفي سنة (١٣٠٩) تعين والياً للبصرة (محمد حافظ باشا) التركي برتب
روم ايلي.

وفي سنة (١٣١٠) تعين وكيلاً للوالي (أمين بيك) قمندان البحرية.

وفي سنة (١٣١٠) أيضاً تعين والياً على البصرة الفريق (حمدي باشا) التركي الريزي.

وفي سنة (١٣١٤) تعين عليها (عارف باشا) التركي برتبة روم ايلي

وفي سنة (١٣١٥) تعين عليها (الفريق محسن باشا) المرة الأولى.

وفي سنة (١٣١٥) أيضاً تعين عليها بعده (محمد أنيس باشا) التركي (روم ايلي).

وفي سنة (١٣١٦) تعين عليها الفريق (حمدي باشا) مرة ثانية.

وفي سنة (١٣١٧) تعين عليها المرة الثانية (محسن باشا).

وفي سنة (١٣١٩) تعين وكيلاً للوالي (عبد اللطيف باشا) الشامي برتبة (روم ايلي).

وفي سنة (١٣١٩) أيضاً تعين والياً عليها القمندان (مصطفى نوري باشا).

وفي سنة (١٣٢٢) تعين وكيلاً للوالي (فخري باشا) الميرلواء التركي

وفي سنة (١٣٢٢) أيضاً تعين والياً عليها الفريق (مخلص باشا) وهو الذي أمر بإنشاء المخافر في البصرة سنة (١٣٢٣) كما تقدم عند ذكر (رقوم البصرة).

وفي سنة (١٣٢٤) تعين وكيلاً على البصرة (عبد المجيد بيك) التركي (بالا).

وفي سنة (١٣٢٤) تعين والياً على البصرة (عبد الرحمن حسن بيك) المصري (بالا).

وفي سنة (١٣٢٦) تعين والياً عليها (محرم بيك) التركي (الدرجة الأولى).

وفي سنة (١٣٢٧) تعين والياً عليها (عارف بيك) المارديني (بالا).

وفي سنة (١٣٢٧) أيضاً تعين وكيلًا عليها (راقم أفندي) التركي رتبة (مدرس).

وفي سنة (١٣٢٧) أيضاً تعين والياً على البصرة (سليمان نظيف بيك) من الدرجة الأولى. الديار بكري وهو الذي أمر بقص الطريق بين العشار والبصرة. وأمر أيضاً ببناء مخفر في وسط الطريق يقال له (الرشادية). ثم صار هذا المخفر أخيراً (دار المساحة).

وفي سنة (١٣٢٨) تعين وكيلًا على البصرة (علي وهبي أفندي) التركي (مدرس).

وفي سنة (١٣٢٨) أيضاً تعين والياً عليها (حسين جلال باشا) التركي (الدرجة الثانية).

وفي سنة (١٣٢٩) تعين والياً عليها (حسن رضا باشا) البغدادي (ميرلواء).

وفي سنة (١٣٣٠) تعين وكيلًا (طاهر أفندي) الحمصي برتبة (مدرس).

وفي سنة (١٣٣٠) تعين وكيلًا عليها (علي رضا باشا الركابي) الشامي ميرلواء.

وفي سنة (١٣٣١) تعين والياً عليها (علاء الدين أفندي) الحمصي متمايز.

وفي سنة (١٣٣١) تعين وكيلًا عليها (عزت بيك) ميرالاي الكركوكي.

وفي سنة (١٣٣٢) تعين والياً عليها (سليمان شفيق باشا) التركي (ميرلواء).

وفي سنة (١٣٣٢) تعين وكيلًا عليها (صبحي بيك)التركي (ميرالاي). وهو القائد العمومي للجنود العثمانية في البصرة.

وفي آخر السنة المذكورة شبت نار (الحرب العظمى) في أوربا. وفي (١ ذي الحجة) من العام المذكور أمرت الحكومة العثمانية بسد شط العرب عند (الفاو) مدخل البصرة.

وفي (١٧ منه) هاجمت إنكلترا (الفاو) واحتلته في (٢٠ منه) وفي (٢٧ منه) قدم البصرة (عجيمي باشا السعدون) للجهاد مع بعض عشائره ولكن قبل تكاملهم سقطت البصرة فاضطر للانسحاب. وكان القائد العثماني هناك اليوزباشي (سامي بيك) أركان حرب. فدافع دفاع الأبطال حتى استشهد عند الفاو. فبعد قتله تضعضعت القوة العثمانية الكائنة عند الفاو. فاستقدم صبحي بيك من بغداد واليها (جاويد باشا) فأتى إلى البصرة ليضبط أمر البلدة. وذهب صبحي بيك بنفسه إلى محل المعركة ليأخذ بزمام الجنود هناك. وفي أثناء صده هجمات الأعداء سحب جاويد باشا جميع الجنود من البصرة وتبعهم بعض مأموري الدوائر الرسمية.

فلما بلغ صبحي بيك انسحاب جاويد باشا. اضطر صبحي بيك إلى التقهقر إلى (القرنة) وأدرك الجنود المنسحبة هناك وجعل يدافع بها بثبات

جأش إلى أن نفدت ذخائره الحربية فاضطر إلى التسليم وسيق أسيراً إلى الهند حيث اعتقل هناك مع بقية جنوده. ثم توفي في معقله رحمه الله[1].

وكان انسحاب العثمانيين من البصرة يوم الجمعة (٣٠ ذو الحجة) وفي يوم السبت كانت البلدة فوضوية وهجمت فقراء البلدة على مخزن المكس فنهبوا جميع ما فيه وتقاتلوا مع بعضهم على النهب والسلب وفي يوم الأحد (٢ محرم عام ١٣٣٣ = ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ م) دخلت الجنود الإنكليزية البصرة وفي تلك السنة حصل طغيان عظيم فأرخت بلفظ (غريق بكي = ١٣٣٣).

وفي (٢٠ محرم عام ١٣٣٣) سقطت القرنة.

وفي (١٨ جمادى الأولى) هجم العرب (بمشاحيفهم) على البصرة فلم يتوقفوا بسبب طغيان الماء ولكن غنموا من الجنود الإنكليزية بعض الذخائر والأسلحة.

وفي (١٨ جمادى الآخرة) جرت وقعة الشعيبة الشهيرة على مسافة نحو عشرة أميال شمال غربي البصرة ودامت ثلاثة أيام متوالية. ثم اضطرت الجنود العثمانية للانسحاب لسوء تفاهم حصل بين القواد أدى إلى انزعاج

---

(١) وكان في أوائل تشرين الأول عام (١٩١٤) (موافق أواسط ذي القعدة عام ١٣٣٢) صدرت الأوامر السرية إلى لواء المشاة ١٦٥ - من الفرقة السادسة (وهي فرقة بونة) بالإقلاع من بمبي إلى خليج فارس فتوجهت نحو الخليج ونزلت في (البحرين) وفي (٢٦ ذو الحجة ١٣٣٢) هـ موافق (١٤ تشرين ثاني ١٩١٤) استولت على (الفاو) بعد مناوشات دامت نحو عشرة أيام.

وكانت القوة العثمانية مؤلفة من الفرقة (٣٢) ومقرها البصرة وعددها ناقص جداً عن المطلوب ومعظم جنودها من العرب سكان العراق تحت ضباط من الترك وعددهم نحو خمسة آلاف جندي عثماني.

(سليمان بيك عسكر) فانتحر بنفسه لما أصابه من سوء التفاهم.

وفي (٢ رجب) سقطت العمارة.

وفي(أول رمضان)سقط (سوق الشيوخ).

وفي (٩ رمضان) سقطت الناصرية.

وفي سنة (١٣٣٣) أيضاً تقدمت الجنود الإنكليزية نحو بغداد فانكسرت انكساراً شنيعاً اضطرت فيه إلى التقهقر إلى (الكوت) فحاصرتها الجنود العثمانية في الكوت. وظلت الجنود العثمانية مرابطة عند السن[1] تحت قيادة (نور الدين باشا) وكان عدد الجنود الإنكليزية المحصورة نحو (٥٠ ألف) وفي (١٥ ربيع الثاني ١٣٣٤) اضطرت الجنود الإنكليزية المحصورة إلى التسليم مع قائدها الفريق (طونزند) وسيقت أسراء إلى الأناضول.

وفي (١٥ جمادى الأولى ١٣٣٥ هـ ١١ آذار ١٩١٧ م) سقطت بغداد في يد الإنكليز.

وفي سنة (١٣٤٢) جعل فرع للسكة الحديدية عند جسر الغربان (شمال البصرة الحالية) يأتي القطار إلى المحطة صباحاً ومساء. ويخرج إلى تلك المحطة الأهالي مساء للتنزه بين أقضب الحديد التي كأنها (خطاط) فوق حاجب غانية.

---

(١) السن هو عبارة عن سد كالسور ممتد من الساحل الغربي من نهر دجلة إلى الجهة الأخرى إلى مسافة طويلة (وبلدة الكوت واقعة أمامه في الجهة الشرقية مع انحراف إلى جهة الشمال). وهذا السد هو من الأبنية القديمة. وكان في أثناء محاصرة الكوت قد رممته الجنود العثمانية وظلت تدافع خلفه الجنود الإنكليزية المهاجمة من جهة البر والمهاجمة من جهة النهر إلى أن عجزت القوات البريطانية واضطرت إلى التسليم وسيقت مأسورة إلى الأناضول وقد رأيت هذا السن في صفر ١٣٤٣ أثناء رجوعي من بغداد.

وفي ٢٣ ذي الحجة عام (١٣٤٢) وصل البصرة حاكم البحرين سمو الشيخ حمد بن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة للزيارة.

وفي جمادى الأولى من عام (١٣٤٣) أرسل اثنين من صغار أنجاله إلى البصرة ليدخلا في إحدى المدارس. وهما (الشيخ مبارك. والشيخ عبد الله).

العمارة - أو - واسط

أول أعمال واسط من شرقي دجلة (فم الصلح) ومن الجانب الغربي (زرقامية) وآخر أعمالها من ناحية الجنوب (البطائح) وعرضها (الخيثمية) المتصلة بأعمال (باروسما) وعرضها من ناحية الجانب الشرقي عند أعمال (الطيب) اهـ ياقوت.

وقد شرع الحجاج في عمارة واسط سنة (٨٣) وفرغ منها سنة (٨٦) ولما فرغ منها كتب إلى عبد الملك بن مروان يقول له: إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين وسميتها (واسطاً) اهـ.

وإنها أول مدينة بنيت بعد الصحابة في الإسلام. وإن (العمارة) قد عمرت مع ما عمر من البطائح. ثم خربت في زمن دولة الديلم، والدولة السلجوقية. ثم لما استتب الأمر لبني العباس (بعد القلاقل) رجعت البطائح وما والاها إلى أحسن نظام. وجباها عمالهم كما كانت قديماً[1].

وكان اشتداد أمر البطيحة واستفحال (بني شاهين) في أواسط القرن (٤) للهجرة.

---

(١) وآثار البلدان القديمة باقية. وتسمى اليوم (فليفلة. وحروط وجاريز. وغتر) وقبور الأبطال (قطاط. وواقف. وعزيزة) وكانت هذه الأماكن زمن العباسيين في غاية الحضارة. اهـ مؤلف.

ولكثرة الطوارئ على العمارة زال عمرانها وتقلص ظل حضارتها حتى كانت سنة (١٢٧٥) غالبُ بيوتها أكواخاً من القصب.

ثم إن (نامق باشا) الشهير بعد أن نظم أحوال البصرة أرسل إلى العمارة (محمد باشا) الديار بكري (الميرلوا) وأمره بما يلزم من التدابير في استخلاص الأهالي من عبث الأعراب وتأمين الطرق وصيانة حقوق الأهالي. فبذل المذكور همته في إصلاح عشائر العمارة وتأمين طرق المواصلات.

ومصَّر (العمارة. وكوت الإمارة) اللتين كانتا عبارة عن أكواخ. وبنى فيها الأسواق والخانات فجعلها قصبة يأوي إليها الناس آمنين.

فأخذت من ذلك الحين بالتقدم والترقي حتى أصبحت في سنة (١٣٢٦) زمن الحرية. من أحسن المدن العراقية منظراً.

وقد دخلتها في سنتي (٣٢ و١٣٤٣) فرأيت أسواقها حسنة لاسيما السوق الجديد المستطيل من الشاطئ إلى داخل البلدة. وبها شارع مستطيل على حافة نهر الدجلة. وهو عبارة عن رصيف ممتد من أول البلدة إلى آخره. وعلى ذلك الشارع محل للحكومة وفيه قصور منيفة للسنية (الأملاك المدورة) وعليه بيوت معتمدي الدول. ووكلاء البواخر. ومرسى السفن والبواخر تلقاء السوق الجديد.

وبها جسر عظيم معقود على ظهره سفن مصفوفة بين الشاطئين. يفتح عند مرور البواخر إلى بغداد. ثم يعقد بأسلوب حسن.

الحالة الطبيعية

(الموقع والحدود) العمارة هي اليوم مدينة منتظمة شمالي البصرة على

مسافة (٢٤) ساعة في نهر الدجلة. وهو يخترقها من وسطها. ولكن معظم العمران في الجانب الشرقي من الدجلة.

ويحدها شمالاً (كوت[1] الإمارة) وجنوباً (العزيز) ويحدها شرقاً صدر نهر (طيب الاسم) وغرباً (هور جفجافة) الذي هو آخر حدود المنتفق.

وأهم مقاطعاتها وأعظمها مقاطعة (كحلة. والمشرَّح. والأبيقع. ومجر الكبير. ومجر الصغير. والكسرة. والحفيرة) وكلها تشرب من الدجلة.

وهي تنقسم إلى قدر (٢٤٠) نهراً كما سنذكرها.

وفي سنة (١٣٤٠) شق نهر كبير سمي (نهر بتيرة) وفي النية إقامة سد عند فوهته لئلا يجتذب معظم الماء إليه فتنقص بقية الأنهر عن الإرواء في أماكنها. وهناك محل عند قرب النهر تقيم فيه هيئة (دائرة المساحة).

١ - نهر المجر الكبير	٩ - نهر الحنظلية
٢ - نهر المرسد	١٠ - نهر أم العلق
٣ - نهر أبيض	١١ - نهر بدعة بيت نصار
٤ - نهر شلاني	١٢ - نهر أم طربالة
٥ - نهر الشمرية	١٣ - نهر المتعافية (العوفية)
٦ - نهر الشمرية الثاني	١٤ - نهر عبد السيد
٧ - نهر الهويرة	١٥ - نهر الصخرية
٨ - نهر البقيشة	١٦ - نهر الصويفية

(١) ويقابل كوت الإمارة قرية يقال لها (الخان) وهي واقعة في الجانب الغربي من الدجلة. وعند نقصان الماء زمن الصيف يعسر على البواخر دخول الكوت. فيكتفي أصحابها بالإرساء عند (الخان) وقد دخلتها سنة (١٣٤٣) ورأيت بها نحو (٤٠) دكاناً وقهوتين. وغالب بيع أهلها الشعير. وإنه لَمُكَدَّسٌ بكثرة على الأرض. اهـ مؤلف.

١٧ - نهر الشفيج
١٨ - نهر العالمة
١٩ - نهر المرحية
٢٠ - نهر الصويلحية
٢١ - نهر الدويليب
٢٢ - نهر أم حية
٢٣ - نهر قرمة ونى
٢٤ - نهر العفنة
٢٥ - نهر السفجة
٢٦ - نهر السفيجة
٢٧ - نهر غربة
٢٨ - نهر دنينات
٢٩ - نهر الفجة
٣٠ - نهر أبو الدود
٣١ - نهر النعيسة
٣٢ - نهر المدلية - أ
٣٣ - أيضاً نهر المدلية - ب
٣٤ - نهر خرسانية
٣٥ - نهر الحنظلية
٣٦ - نهر الأعويرية
٣٧ - نهر السبعة
٣٨ - النهر الكبير
٣٩ - نهر النجدية
٤٠ - نهر الوشاجة
٤١ - نهر الصفيجة
٤٢ - نهر الجفَّالية
٤٣ - نهر المجلاقة
٤٤ - نهر المسعدة
٤٥ - نهر القرمة
٤٦ - نهر أم السمسم
٤٧ - نهر المنير
٤٨ - نهر أم السرتاج
٤٩ - نهر أرض القوام
٥٠ - نهر أبي حصيوة
٥١ - نهر أبي رمانة
٥٢ - الوليوتية
٥٣ - نهر الطنازة
٥٤ - نهر الطوب
٥٥ - نهر الكيسون
٥٦ - نهر البويقة
٥٧ - نهر حميدات - أ
٥٨ - أيضاً نهر حميدات - ب
٥٩ - نهر أبي العجول
٦٠ - نهر العبدية
٦١ - نهر العبرة
٦٢ - نهر الخنتية
٦٣ - نهر المضنة
٦٤ - نهر الأجيرع

٦٥ - نهر الضجيجة
٦٦ - نهر أم الذبان
٦٧ - نهر المجايس
٦٨ - نهر أبي حصان
٦٩ - نهر أبي الزديري
٧٠ - نهر بدعة يانة
٧١ - نهر كبيسة أبتر
٧٢ - نهر أدم ديقاني
٧٣ - نهر أم البطوط
٧٤ - نهر المكرية (من الكبار)
٧٥ - نهر السبيل
٧٦ - نهر الكريمة (القريمة)
٧٧ - نهر الدهيرية
٧٨ - نهر القفيص
٧٩ - نهر الداغرية
٨٠ - نهر اللقوز
٨١ - نهر أبي شعير
٨٢ - نهر المختاجة
٨٣ - نهر الصيفية
٨٤ - نهر جادي
٨٥ - نهر الطينات
٨٦ - نهر الدنسة
٨٧ - نهر الموزانية
٨٨ - نهر المتعافية
٨٩ - نهر أم الحنة
٩٠ - نهر جادل
٩١ - نهر الحواشي
٩٢ - نهر أم صخير
٩٣ - نهر أبي دنبوس (دمبوس)
٩٤ - نهر الهميلي
٩٥ - نهر البقعة
٩٦ - نهر أم الهوى
٩٧ - نهر أبي ديركلي
٩٨ - نهر جبرائيل
٩٩ - نهر السجع
١٠٠ - نهر العدل
١٠١ - نهر المصغى
١٠٢ - نهر الحسينية
١٠٣ - نهر الحلوة
١٠٤ - نهر المخبولة
١٠٥ - نهر أبي حلانة
١٠٦ - نهر أبي شويعية
١٠٧ - نهر الخزرة
١٠٨ - نهر الزبيري
١٠٩ - نهر العويسية
١١٠ - نهر الحنباية
١١١ - نهر الدوارة
١١٢ - نهر جزرة

١١٣- نهر أبي زاكي
١١٤- نهر العقبيلة
١١٥- نهر الشواطئ
١١٦- نهر جادى
١١٧- نهر مويلحة
١١٨- نهر الحنيصة
١١٩- نهر الطوال
١٢٠- نهر الكويت
١٢١- نهر المحيص
١٢٢- نهر أبي ودرة
١٢٣- نهر الطرفاية
١٢٤- نهر الرفيع
١٢٥- نهر فجيجات
١٢٦- نهر الكريزات
١٢٧- نهر البطولي
١٢٨- نهر أم جحيفة
١٢٩- نهر بيت جبارة
١٣٠- نهر السنيك
١٣١- نهر البوعجلول
١٣٢- نهر الرملة
١٣٣- نهر مزيرية
١٣٤- نهر السلمانة
١٣٥- نهر بدعة بيت وادي
١٣٦- نهر الرشيدة
١٣٧- نهر شمعة
١٣٨- نهر الممكن
١٣٩- نهر الزهرية
١٤٠- نهر الحشف
١٤١- نهر المنديل
١٤٢- نهر العدلة
١٤٣- نهر الصبية
١٤٤- نهر العويفي
١٤٥- نهر الجبان
١٤٦- نهر الجذابة
١٤٧- نهر الجذوعية
١٤٨- نهر الحُبَينيَّة
١٤٩- نهر قرمة مطشة
١٥٠- نهر الوبلنان
١٥١- نهر الهزامة
١٥٢- نهر لقلق
١٥٣- نهر الطليعة
١٥٤- نهر جليل
١٥٥- نهر الفضلة
١٥٦- نهر الشاخة
١٥٧- نهر شبت خنجر
١٥٨- نهر شبت فلحى
١٥٩- نهر بيت شبت سعيد
١٦٠- نهر شبت المؤمنين

١٦١ - نهر محدر
١٦٢ - نهر المربي
١٦٣ - نهر كليلة
١٦٤ - نهر البطاطة
١٦٥ - نهر الوادي
١٦٦ - نهر أم الطوس
١٦٧ - نهر الصيارية
١٦٨ - نهر الدوار
١٦٩ - نهر خر البيدر
١٧٠ - نهر خر الصبيان
١٧١ - نهر الأعيوج
١٧٢ - نهر الجر - أ
١٧٣ - أيضاً نهر الجر - ب
١٧٤ - نهر الوصيفات
١٧٥ - نهر الدويجة
١٧٦ - نهر مذنبات
١٧٧ - نهر أم ثلاثية
١٧٨ - نهر الغردل
١٧٩ - نهر أبي شطيب
١٨٠ - نهر الوليس
١٨١ - نهر الحابسية
١٨٢ - نهر العجمة
١٨٣ - نهر أم صفران
١٨٤ - نهر المصدفة
١٨٥ - نهر الوردة
١٨٦ - نهر الشواطئ
١٨٧ - نهر البوهنبور
١٨٨ - نهر الدهاية
١٨٩ - نهر الحبيليات
١٩٠ - نهر الزهري
١٩١ - نهر المنجس
١٩٢ - نهر أبي جيرة
١٩٣ - نهر أبي فسيوة
١٩٤ - نهر أبي لفاح
١٩٥ - نهر الأبيتر
١٩٦ - نهر أبي حباب
١٩٧ - نهر معيهى
١٩٨ - نهر الحد
١٩٩ - نهر أبي خصيوة
٢٠٠ - نهر قرمة جفت
٢٠١ - نهر الطويهية
٢٠٢ - نهر أم فراس
٢٠٣ - نهر خر الملحان
٢٠٤ - نهر أبي دنييس
٢٠٥ - نهر المجبرية - أ
٢٠٦ - أيضاً نهر المجبرية - ب
٢٠٧ - نهر شيب خربداي
٢٠٨ - نهر خر صحين

٢٠٩- نهر خر شوكة
٢١٠- نهر خر ظاهر
٢١١- نهر خر علج
٢١٢- نهر الجمشة
٢١٣- نهر قوام (عند علي الشرقي)
٢١٤- نهر عوفة
٢١٥- نهر عديل
٢١٦- نهر تسعان
٢١٧- نهر طير العدلية
٢١٨- نهر الشرموطية
٢١٩- نهر المجهولة
٢٢٠- نهر كنيمرة
٢٢١- نهر الرهين
٢٢٢- نهر الصيبان
٢٢٣- نهر الشواطئ[١]
٢٢٤- نهر الجعدة
٢٢٥- نهر الوهابية
٢٢٦- نهر صنيجة
٢٢٧- نهر العاقولة
٢٢٨- نهر السرية
٢٢٩- نهر الغريزة
٢٣٠- نهر الصنوبيلة
٢٣١- نهر فيجة
٢٣٢- نهر الفاعوس
٢٣٣- نهر الحشرية
٢٣٤- نهر أبي عرابية
٢٣٥- نهر البوركة
٢٣٦- نهر المالحة
٢٣٧- نهر المجابس
٢٣٨- نهر العكاش

ويوجد غير هذه الأنهر (نهران) آتيان من جبل بيشتكوه الواقع في حدود الممالك الإيرانية. ونبعهما هناك ويجريان إلى العمارة أحدهما يسمى (دويريق) والآخر (طيب الاسم) وهما يصبان في الأهواز.

(الجبال) وفي داخل العمارة جبل ممتد من شماليها إلى داخل أرض الإيران.

---

(١) يظهر - والله أعلم - أن هذا النهر قد تكرر ذكره فهو قد ذكره تحت رقم ١٨ اهـ مصحح.

(الهواء) هواء نفس ذات العمارة. وقضاء شطرة العمارة المسماة (قلعة صالح) وناحية على الغربي. فهذه الثلاثة مواضع هواؤها معتدل. وما سواها فله أحوال.

الحالة الاقتصادية

(الزراعة والنباتات) أراضي العمارة قوية المنبت صالحة لأن يزرع فيها غالب أنواع الزراعة:

(حاصلاتها) الحنطة. والشعير. والشلب (الأرز) والذرة والسمسم والماش. والدخن. ولكن غالب زراعتهم الشلب (الأرز).

وفيها النخيل. والعنب. والتين. والرمان. والخوخ وبها نحو (٢٠) بستاناً. وغالب بساتينها ومزارعها وبيوتها (للسنية) أي الأملاك المدورة وهي محاطة بالحدائق والحقول.

ويوجد في الجهة الغربية عن العمارة عند المواقع المسماة (على الشرقي. وعلى الغربي. والجبيلة) غابات فيها كثير من شجر الصفصاف يحتطب منها. وفي الجنوب كذلك يوجد شجر الصفصاف.

(الحيوانات الأهلية) الجمال. والخيل. والجاموس. والبقر. والضأن. والمعز. والحمير. والدجاج. والبط. والأوز. والحمام.

(الحيوانات الوحشية) الغزال. والأرنب. والذئب. والخنزير. وابن آوى. وأبو الحصين. والوز البري. والدراج. والهدهد. والبط النهري. والبوم. والغراب. ونحوها.

(المعادن) يوجد فيها مملحتان يستعمل ملحها للدبغ فقط. وبها معدن الجص.

(الصناعة) للصابئة المقيمين في العمارة مهارة تامة في صناعة نقش الحلى (المكفَّت).

(صادراتها) الحبوب والجمال والبقر والضأن والمعز والبط والأوز والدجاج. ويؤتى منها ومن على الغربي السمن والصوف.

(تجارتها) متوسطة. والفواكه بها كثيرة. والخيرات متيسرة غزيرة. وبيوتها ومنازلها عامرة حسنة.

الحالة السياسية

(المساحة) طولها من الكوت إلى آخر حدود (العزير) من جهة القرنة نحو (٤٦) ساعة. وعرضها من غربيها الواقع في صدر نهر طيب إلى (هور جقجاقة) الذي هو آخر حدود المنتفق نحو (٢٦) ساعة.

(السكان) نفوس العمارة مع ملحقاتها نحو (١٥٠) ألف نسمة ونفوس ذات العمارة (١٥) ألفاً.

ويتبع اللواء ثلاثة أقضية (شطرة العمارة) وتسمى قلعة صالح نفوسها نحو (٢٠) ألفاً. وبها مسجد ذو منارة. وسوق مستطيل حسن. وقسم من البيوت مشرف على الدجلة وبينها دائرة للبريد والبرقي. ومركز للشرطة. وقد دخلتها في ٢٨ صفر عام ١٣٤٣ هـ.

(٢)- زبير أي مسيعدة ونفوسها نحو (٢٠) ألفاً.

(٣)- دويريق ونفوسها نحو (١٥) ألفاً. كلها من الدرجة الثانية. ويتبع العمارة من النواحي.

(أ) على الغربي وبها سوق حسن محتو على نحو ماية دكان. وبها

مسجدان أحدهما للسنة والآخر للشيعة. ودخلتها في ٢ صفر عام ١٣٤٣.

(ب) على الشرقي.

(ج) طفرة.

(د) أزيرق.

هـ) الكميت.

وأكبر مقاطعاتها (كحلة. والمشرح. والأبيقع. ومجرى الكبير. ومجرى الصغير. والكسرة. والحفيرة.

وعشائر اللواء عددهم تقريباً بالآلاف:

١٤ بني لام
٠٥ آل بو محمد
٣ . السواعد
٠٤ البودراج
٠٥ ربيع السراي (وهم في ذات العمارة)
٠٥ السودان.

وفي العمارة جامعان للجمعة الكبير منهما مشرف على دجلة وبه منارة حسنة. ودخلته في ١ صفر عام ١٣٤٣ هـ وفي داخله مدرسة لطلبة العلم. (وبها) أيضاً مسجدان للشيعة. وفيها دائرة للبريد والبرقي. وبها (٥) حمامات للرجال. و(٤) للنساء.

رحلتنا من البصرة إلى بغداد عام ١٣٤٣

في الباخرة المسماة (زبيـدة) والنولون ثماني رُبِّيَات هندية. أقلعت الباخرة بنا من مرفأ العشار يوم السبت بعد الظهر (في ٢٩ محرم عام

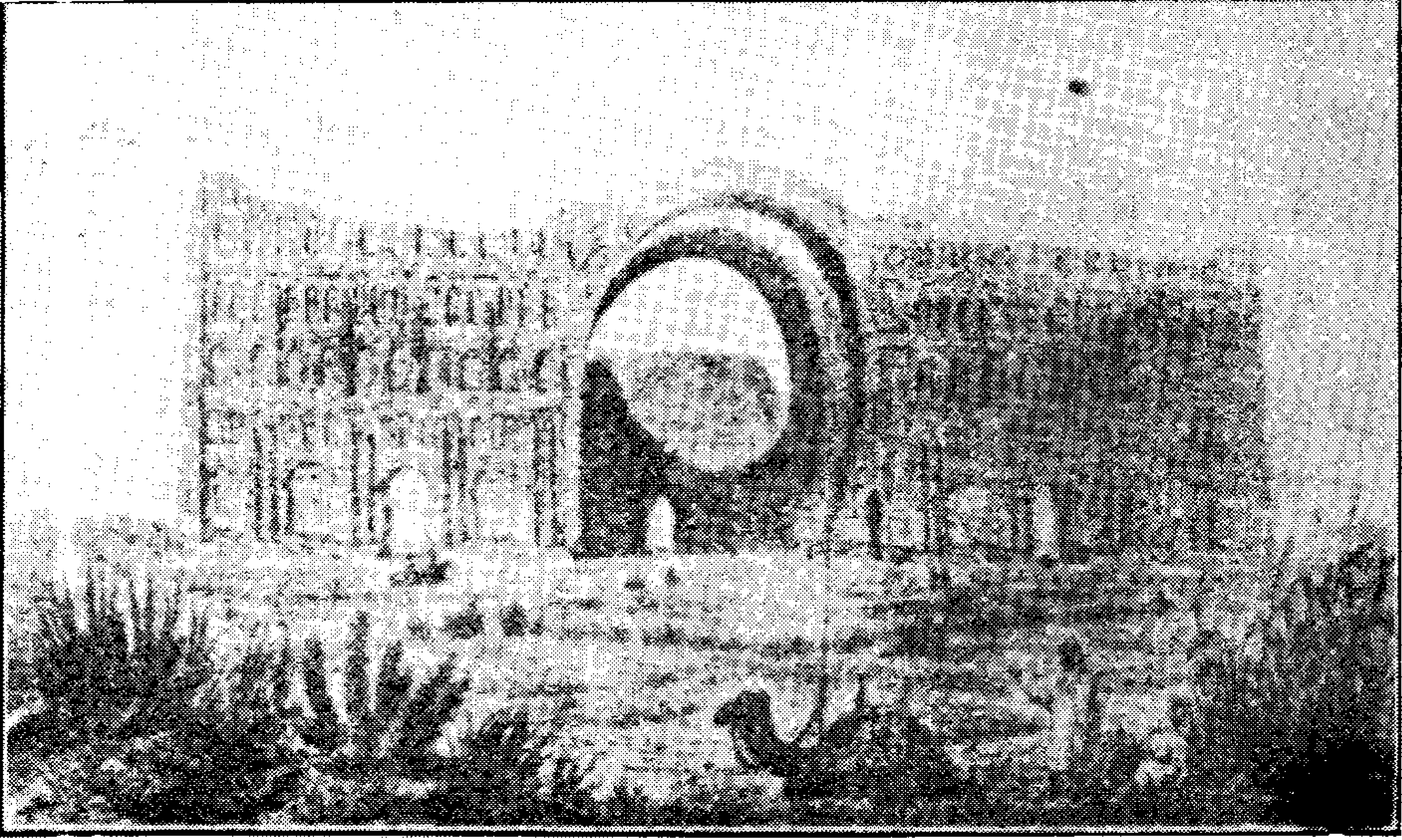
١٣٤٣) فوصلنا (القرنة) الساعة واحدة ليلاً ولم ننزلها. وفي صباح يوم الأحد حاذينا الموضع المسمى (الكَسَّارة) وبه الأعراب يبيعون على المسافرين الدجاج والبيض فاشترينا منهم (١٥) بيضة بقران (ربع رُبِّية) واشترينا كل دجاجة بقران أيضاً. والباخرة سائرة ملاصقة (للجرف) والأعراب بحذائها يهرولون في البريبارون الباخرة. ثم بعد الظهر حاذينا الموضع المسمى (سليمان أغا) وفي العصر حاذينا الموضع المسمى (أبا روبة) وبه قبر يعرف بأبي روبة. ووصلنا ليلة الاثنين الساعة أربعة (قلعة صالح) وبعد ساعة سافرنا منها. وفي صباح يوم الاثنين وصلنا (العمارة) في ١ صفر. وسافرنا منها بعد الظهر وحاذينا الموضع المسمى (الكميت) الساعة ١١ وهو واقع في الجهة الغربية وحاذينا بعد المغرب (على الشرقي). ووصلنا يوم الثلاثاء ضحًى (على الغربي) ونزلنا البلدة واشترينا منها ما يلزمنا من الطعام وأخذنا (حقة) السّمن برُبِّيَتَيْن وهو من أهم حاصلاتها وصادراتها. ثم سافرنا منها بعد ساعة (٣ صفر) وعند الغروب وصلنا قرية تسمى (قنديلا) وربما سميت (الشيخ سعد) ثم أقلعت باخرتنا منها بعد نصف ساعة. ووصلنا فجر يوم الأربعاء الكوت[1] ولنقصان الماء في نهر دجلة زمن الصيف لم تتمكن الباخرة من الإرساء عند مرفأ الكوت. فأرست أمامه في الجانب الآخر عند قرية تسمى (الخان) فنزلناها واشترينا منها لوازمنا وفيها سوق صغير محتوٍ على نحو ٤٠ دكاناً وقهوتين. وغالب بيعهم في الشعير وهو مكدس على التراب بكثرة. وبعد ساعة سافرنا منها وحاذينا وقت العصر موضعاً فيه ضريح السيد عبد الله. (ولم أعلم ابن مَنْ هو) وهو يزار ويتبرك به. وفي تلك الأرض عشائر (قبيلة المير) ورئيسها محمد الياسين وله بها قلعة حسنة في

(١) يسمى كوت العمارة لأنه من ملحقاتها. ويسمى كوت الإمارة لأنه كان مركزاً لبعض الأمراء.

الجملة. وعند الغروب لحمت باخرتنا فبتنا تلك الليلة في محلنا إلى ثاني يوم بعد الظهر حتى أقلعت وسارت وعند الغروب وصلنا (البغيلة) وهي في الجهة الغربية. ونزلناها. وبها ثلاثة أسواق حسان وجامع ذو منارة مشرف على دجلة. وبها جملة قهاوي وسوقها رائج. وبعد ساعة سافرنا منها. وفي الساعة السادسة لحمت باخرتنا فبتنا تلك الليلة حتى الصباح ثم أقلعت وسارت وفي آخر النهار حاذينا (العزيزية) في الجهة الشرقية ورأينا أنقاضها المتهدمة زمن الحرب العظمى أثناء المعارك بين العثمانيين والإنكليز. وقد أنشئ في شماليها قرية أخرى (تدعى بذلك الاسم).

وفي يوم ٧ صفر عام ١٣٤٣ حاذينا طاق (كسري) فالتمسنا من (ربان) الباخرة أن ينزلنا إلى البر ثم ينتظرنا في مرفأ (حذيفة بن اليمان) فلبى طلبنا فنزلنا إلى البر ومشينا نحو (٢٠) دقيقة حتى وصلنا طاق كسرى فذرعت عرض داخله فوجدته (٥٥) ذراعاً باليد. وذرعت الطول فوجدته (١١٠) أذرع. وأما طول سقف الطاق الأعلى فالباقي منه نحو (٨٢) ذراعاً. وبجانبه جدار باق من القصر عالٍ وفيها نقوش وعقود للطبقات يستفاد منها أن القصر كان مبنياً من خمس طبقات على الأقل. إذا فرضنا أن الجدار الموجود هو نهاية الارتفاع. وأما إن تهدم من أعلاه شيء فربما إن القصر كان ارتفاعه أكثر من خمس طبقات.

وبناء الطاق هو بالآجر الكبار وارتفاعه بمقدار الجدار الموجود اليوم (كما تراه في الصورة) وقد ارتقيت على ظهر الطاق على أطراف الآجر البارزة فوجدته في غاية المتانة والإحكام مع قوة أطراف الآجر حيث إني وقفت على طرف آجرة بجسمي وهززت نفسي عليها لأختبر قُوَتَّهُ فما انكسرت ولم يؤثر ثقل الجسم فيها بشيء.



طاق كسرى

ثم سرنا نحو ضريح (سلمان الفارسي) وهو شمال الطاق على مسافة ربع ساعة. وعنده قرية فيها (مدير) مع قسم من الشرطة حذاء المسجد الذي فيه الضريح. وفي داخله قبة عظيمة على الضريح ومكتوب على باب حجرة الضريح بخط كبير: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1] وأمام باب الحجرة رواق للصلاة (طرمة) ومنقوش على وجه عقد الطاق (طغرة عثمانية) كبيرة مكتوبة (السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد) وتحته تاريخ التعمير (١٣٢٢) وفي وسط حوش المسجد حوض ماء له بزابيز للوضوء. ومكتوب على وجه باب الحوش من الخارج جهة الطريق: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[2] والتاريخ (١٣٢٣). وعند

(١) سورة الرعد/٢٤.

(٢) الآية الأخيرة من سورة الكهف.

بعض دكاكين وقهوة. ثم سرنا عائدين نحو نهر الدجلة فوصلنا الجرف وعلى حافته ضريح (حذيفة بن اليمان) في حجرة كبيرة. وفي شرقيها باب يفضي إلى حجرة صغيرة فيها ضريح (عبد الله الأنصاري) وأمام الحجرتين رواق وحوش كبير فزرناهما. وهذا الموضع واقع جنوبي غربي الطاق على مسافة ١٥ دقيقة. وبقينا هناك إلى أن وصلتنا الباخرة فركبناها وسافرنا نحو بغداد فوصلناها (في ٩ صفر عام ١٣٤٣). ونزلنا على فراش تحسين بيك قدري في محلة الميدان (محلة البقشة) وفي يوم الجمعة ذهبنا إلى جامع الشيخ عبد القادر وصلينا فيه الجمعة وزرنا ضريح الشيخ عبد القادر القيلاني[1]. وفي الجمعة الأخرى ركبنا عربة وذهبنا إلى الأعظمية وصلينا الجمعة في جامع الإمام أبي حنيفة وزرنا ضريحه. ثم سرنا مشياً إلى نهر الدجلة وعبرنا في زورق إلى الجانب الآخر. وسرنا مشياً (٢٠) دقيقة حتى وصلنا (الكاظمية) فزرنا ضريح موسى الكاظم وابنه محمد الجواد وكلاهما في قفص في وسط حجرة كبيرة وعليها قبتان متلاصقتان مصفحة من الخارج بالذهب وكذلك المنائر وأبواب الحجرة كلها مصفحة بألواح الذهب. وفي شمال الضريحين مسجد (قيل: إنه بناء الدولة الصفوية). وأمام أبواب الحجرة الثلاث أروقة ومحيط بالكل حوش (صحن) مفروش بالحجارة الصماء.

وفي الجهة الجنوبية باب من وسط الصحن يفضي إلى جامع أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة صلينا العصر فيه وزرنا ضريح أبي يوسف ثم عدنا إلى بغداد على (سيارة) كبيرة تجرها الخيل ومدارجها مركبة على قضيب من حديد ممتد على الأرض بين البلدتين كقضب القطار.

ثم بارحنا بغداد في ٢٥ صفر عام ١٣٤٣. في الباخرة المسماة (محيدية)

---

(١) الجيلاني وقد يقال: الكيلاني. اهـ مصحح.

وفي ٢٦ صفر وصلنا الكوت ورأيناه من بُعد وكانت تبنى منارة مسجده التي تهدمت زمن حصر الجنود الإنكليزية فيه. ونزلنا (قرية الخان) وبعد ساعة سافرنا منها وفي آخر النهار حاذينا (السن) الذي كانت الجنود العثمانية مرابطة فيه لمحاصرة الكوت.

شذرات متفرقة

وصلنا هذا التقريظ

من حضرة الذكي الفاضل. والألمعي الكامل. ذي الفكرة الوقادة والقريحة المستجادة الأديب أحمد بن صالح آل بسام. على البحر الطويل المقبوض:

عليك بِسِفْرٍ قد حوى جُلَّ مقصد ... تنور بمغنى روضه بالتعهد
ويمم ميادين العلوم مواظبا ... على الدرس تحظى في حياة بأسعد
فما الفوز إلا في رياض يحفها ... مصابيح من نور العلوم بمشهد
وما الفوز إلا بالمعارف فاقتطف ... أكاليل من زهر العلوم لتهتدي
فللعلم لذات ألذ من الغنى ... وفي العلم تحظى في مقام ومقعد
فمن كان ذا حظ يفوز بنوره ... ومن كان ذا جد تهنى بمورد
فبادر زماناً أيها الشهم وانتهز ... لعمرك أوقاتاً تروح وتغتدي
فما المرء إلا كالخيال وإن بقي ... من الدهر أعواماً بعمر ممدد
فلا تتركن العلم واسهر لنيله ... ولا تهملن العمر يمضي بمَرْقَدِ
وَسَرِّح بأفنان المعارف منظراً ... وكن في دروس العلم طَلَّاع أَنْجُدِ
ألا إن أهل العلم تبقى حياتهم ... مدى الدهر في خلد بمجد مشيد
كما أن أهل الجهل أموات جهلهم ... ولو أنهم فازوا بتبر وعسجد

فإن كنت ذا فهم وعلم وحكمة　　وتطلب أن تشفى الفؤاد بمشهد
فخـــير كتـــاب بالمعـــارف يزدهي
كتـاب حوى الإعجاز بالصدق مرتدي
حوى جُلَّ آياتِ البلاغة آيُهُ　　وبان به الإبداع في كل مقصد
فتحفة محمود المساعي (محمد)　　تجلت بآيات البيان المحمدي
تجلت بتاريخ الأعارب إنها　　بتاريخهم تبدي العجاب لتَشْهَدِ
بهمة قطب العلم من شاد في الورى　　علوماً وآداباً بمجد مخلد
همام بني النبهان شهم وإنه　　لإكليل طيٍّ ذو ذكاءٍ موقد
ألا إن ينبوع العلوم بتحفة　　سمت للثُّريَّا في جمال كَفَرْقَدِ

عنيزة من (القصيم)　　أحمد بن صالح آل بسام

تم بعون الله (تاريخ البصرة) من كتاب التحفة النبهانية. في تاريخ الجزيرة العربية.

المنتفق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم ومَنْ والاهم إلى يوم الدين (وبعد) فإنني قد أشرت فيما طُبع من التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية إلى أني قد رتبت كتابي هذا على حسب السنين العربية القمرية ونظائرها بالميلادية. وجعلت رموز الشهور العربية كما هو معروف لدى علماء الهيئة من محرم (م. ص. را. ر. جا. ج. ب. ش. ن. ل. ذا. ذ)[1] وإن القصد من جمع هذا التاريخ هو إحصاء الفائدة حسب الطاقة بصورة مختصرة اقتصاداً في الوقت وتسهيلاً للمراجعة.

وجعلت ابتداءه من حين بزوغ شمس الإيمان بظهور نبينا محمد ﷺ. علي أنه إن اقتضى البحث أو الموضوع بأن أذكر شيئاً قبل ذلك فإني أذكره حسب ما يظهر لي معتمداً على أجل الكتب التي سأذكر أسماءها إن شاء الله في آخر جزء من هذا التاريخ.

وإنني كنت قد قمت بتهيىء رحلة عمومية في جزيرة العرب وبالأخصّ في أواسطها لكي أحيط بجُل هاتيك البقاع المجهولة حتى عن أهلها أنفسهم.

(١) لم نتقيد بهذه المختصرات بل كتبنا اسم الشهر كاملاً اهـ مصحح.

ولكن لنشوب الحرب العظمى وقف تيار همتنا وتراجع عزم فكرنا عن ذلك. فاقتصرنا على ما سطرناه (لأن معظم ما جمعناه في عنفوان نشاطنا سُلب منا مع قسم من رسوم وصور ومناظر نادرة الوجود ضمن مؤلفاتنا العديدة). وكنا قد بذلنا قسماً لا يستهان به من ثروتنا في اقتناء تلك النوادر والملح وتخليصها من أيدي محي العلم والفنون القديرين على ذلك. وإنني قد زدت بعض مسائل خارجة عن موضوع التاريخ وتفاسير رأيت الحاجة ماسة إليها وهذا ما دعاني لأن أكتب عن وضع تاريخ بمعناه الحقيقي.

ولم أضع في أوائل الأجزاء أو أول المباحث مقدمات أو توطئات أو نظريات للأمور اختصاراً للفائدة واقتصاداً في الوقت وخوفاً من سآمة القارىء. ثم إنني ألحقت في كل جزء جدولاً بأسماء الوفيات من الفقهاء والعلماء والأدباء. وقسماً من الأعيان مع الإشارة إلى الأعمال التي برعوا فيها أو أخلدت لهم ذكراً حسناً وأن جميع كتبي قد نسقتها على خطة جديدة يعرفها القارىء عند المراجعة. وبذلت جهدي في وضعها على طريقة تذلل العقبات أمام المؤرخين الذين يأتون من بعدنا حيث إن تاريخ جزيرة العرب غامض حتى عن أهلها أنفسهم. وإن بعض المؤرخين والصحفيين قد نشروا قسماً من مباحث تاريخنا الذي طبع. وقسماً مما ألقيناه على تلامذتنا في مسقط وفي البحرين وفي البصرة. بل أقول إن قسماً من أوراقنا اختلست منا في البصرة ونشرت ولم تنسب لنا ومع ذلك فلا لوم على الناشر لأن المقصد واحد وهو بث العلوم والفوائد. وقد أدخلت في مؤلفاتي تحسينات جمة مفيدة لمن يعي.

وإننا قد فكرنا في ذلك المنهج منذ أعوام وجعلنا نقدم رجلاً ونؤخر أخرى. خوفاً من حسود معاند. أو من محاب مارد. بيد أن الظروف ألجأتنا إلى وضعه ونشره.

والله أسأل أن يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل. على أنني مرجح ما قاله الشيخ محمد بن قاسم الغنيم الزبيري في آخر نظمه لمتن زاد المستقنع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل. حيث يقول:

لا يسلم الفاضل من أهل الحسد ... وإن توارى بالخمول وانفرد
وهو قديم داؤه في الناس ... وحاسد يكفيه ما يقاسي
ومن إلى المرآة يوماً نظرا ... فعين ما يرى فيها يرى
فالأرمد الأحول فيها أحولا ... والأحور الأكحل فيها أكحلا
وقسمة الأفهام قسمة النظر ... والمرء لا يبصر غير ما ظهر

الشيخ محمد بن الشيخ خليفة النبهاني

الحالة الطبيعية

(الموقع والحدود) عرض لواء المنتفق ممتدٌّ من قضاء (الكوت) الملحق بولاية بغداد والواقع شرقي اللواء إلى صحراء (الشامية) الواقعة في غربيه. ويقدر بمسافة (١٠٠) ميل وطوله من حدود قضائي (الديوانية. والسماوة) التابعين للواء (الحلة) إلى لواء (العمارة) الواقعة في جنوبيه يقدر بنحو (١٢٤) ميلاً. ويمر من وسط اللواء نهر الغرَّاف (نهر الحي) الذي صدره يقابل قصبة الكوت. فيروي أراضي (الحي. والشطرة والناصرية) ثم يصب في الفرات على بعد نحو ميلين جنوب قصبة الناصرية.

(الجو) أما الحي والشطرة ففي الدرجة الأولى من جودة الهواء. وأما (سوق الشيوخ) فأردؤه هواء. وأما (الحمار والناصرية) فهواؤهما متوسط بين القسمين.

(المنظر العام) أَراضي اللواء هي مُنْبَتَةٌ على الإطلاق وحاصلاتها مستوفرة غير أن غالب أراضي (سوق الشيوخ والحمار) يغمرها في الغالب الماء إبَّان الزيادة فلذلك ترى زراعتها متأخرة وأسباب عمرانها بطيء. وإن لواء المنتفق ليس به جبال ولا آكام وإن أرضه تروى بواسطة الأنهر. سوى أن نهر الغرَّاف يتناقص ماؤه زمن الصيف فيضطر غالب الناس إلى حفر آبار فيه للشرب حيث إن ما يصل إليه الماء زمن الفصول الثلاثة من الأراضي لا يلحقها الماء زمن الصيف إلا بالدلاء أو بالمضخات. ومن ثم لم ترغب الأهالي في غرس النخيل ولا الأشجار. ولكن يوجد في (الحي والشطرة. وقلعة سكر) بعض البساتين وهم يسقونها (بالسواني أي الدواليب).

(الأنهار) في اللواء نهر الغراف الذي عليه مدار حياة أهل اللواء وهو يَمُرُّ بقصبة الحي وقلعة سكر والكرادي. ثم يتفرع إلى فرعين: أحدهما يسمى نهر الشطرة لمروره عليها. والآخر يسمى نهر البدعة. والثاني نهر الفرات الشهير وهو يمر على الناصرية ثم ينساب من وسط سوق الشيوخ ومنه إلى الحمّار فيتشكل هناك غدير يسمى (هور الحمار) ثم يسير النهر مستمراً على مجراه القديم فيمر على (القرنة) فيقترن هناك بنهر دجلة كما في تاريخ البصرة(صفحة ٢١٦)وأهالي اللواء قليلون بالنسبة لحالة الأراضي الطبيعية.

وأهم الجداول فيه (السديناوية. المايبة. السايح. فالحية. الطليعة. المصقر. المعيدية. بُويترين. غُليوين. مجيشية. سفحة. أم نخلة). ويتفرع من كلٍّ نهيراتٌ صغار وينتهي قسم منها بالغدران (الأهوار) الكثيرة العدد الموجودة في هذا اللواء. وينتهي القسم الآخر إلى المزارع. أو إلى الصحراء.

(القبائل القاطنة) في لواء المنتفق أشهرها بنو أسد. آل إبراهيم. الخفاجة. بنو ركاب. أزيرق. حكيم. بنو زيد. الضفير) ومعظم هذه العشائر تقطن على ضفاف الأنهار وعلى حافة الغدران «الأهوار» وهي تشتغل بالزراعة سوى قبيلة الضفير فإنها رَحَّالة.

(الضفير) أعراب منبثون في بادية العراق. وكانوا تحت زعامة آل سعدون إلى نشوب الحرب العظمى سنة «١٣٣٢هـ ١٩١٤م» كما سيأتي والرئاسة فيهم في «آل ابن سويط» منذ ثلاثة قرون أو أكثر وهم بطن من سُليم أهل شجاعة وبأس. وهم مؤلفون من عدة فخائذ تحالفوا أو تسموا «بالضفير» وفي أوائلِ القرن «١١هـ ١٧م» تقريباً تَرَيَّس فيهم أحد بني سويط حيث إنه في سنة «١٠٨٠هـ ١٦٦٨م» كان رئيسهم «سلامة بن مـرشد بن سويط» وكذلك كان هو الرئيس فيهم في عام «١٠٩٦هـ

١٦٨٤م » وفي آخر سنة (١١٣٩هـ ١٧٢٥م) مشى شهيل بن سويط رئيس الضفير ببعض قبائل المنتفق وصحبهم (دجيني ابن سعدون بن عرعر) آل حميد وقصدوا الأحساء وحاصروا فيها الأمير علي بن محمد. وجرت بينهما عد معارك قتل فيها كثير من الطرفين. ونهب ابن سويط بعض قرى الأحساء. ثم تفوق عليهم الأمير علي وكسرهم ففروا مهزومين. ثم بعد مد تصالحوا. وكانوا معدودين في عشائر نجد ثم ظعنوا منه قاصدين العراق سنة « ١٢٢٤هـ ١٨٠٨م » فراراً من ثورة الوهابية الذين استفحل أمرهم في ذلك الزمن. فاستوطنوا بادية العراق وكان عدد خيامهم وخدورهم نحو « ٤٠٠٠ » مضرب. وعدوا في عشائر العراق إلى سنة « ١٣٤٥هـ ١٩٢٧م » حيث توفي رئيسهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط. فعينو في محله « عجيمي بن شهيل بن سلطان بن سويط » بشرط أن يسعى في إنقاذهم من التكاليف والضرائب الموضوعة عليهم من قبل الحكومة العراقية فتعهد لهم بذلك. ولما أخذ بزمام المشيخة واستتب له الأمر تذاكر مع الحكومة العراقية في رفع بعض الضرائب المجحفة فلم يَرَ لقوله تأثيراً ولم يُسْمَعْ له كلام. فتوجه نحو (مكة المشرفة) مظهراً قصد أداء فريضة الحج ولما وصل مكة اجتمع بالأمير ابن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وتذاكر معه مَليًّا.

فلبى الأمير طلبه وأقره على رئاسته وعين له راتباً بعد أن أكرمه ببعض الهدايا. وأعفى عشائره من بعض الرسوم والتكاليف المزعجة. ولما عاد من الحجاز نقل عجيمي المذكور قومه وأعرابه إلى « أم رضمة » حذاء حدود العراق. وكان معه جماعة من علماء الإخوان ليوقفوا قومه على أمور الدين

ثم إن « هزاعاً بن مجلاد » شيخ قبيلة « الدهامشة » اقتفى خطة عجيمي ابن سويط. ثم انضم إليهما بعض من عشيرة العمارات التابعة « لفهد بيك بن هذال ».

(الزراعة) غالب زراعتهم الحبوب ففي المائة « ٦٠ » حنطة وشعير و(٣٠) أرز. وذرة. ودخن. وما بقي فسمسم. وكشري (ماش) والمزروعات المستنبتة عندهم على قسمين: (مائي. وكبسي) فالمائي ما سقي من الأنهر والجداول. والكبسي هو ما زرع في الأراضي التي كان الماء قد غمرها فإذ نضب عنها الماء يبذر فيها فينمو بالرطوبة الباقية في الأرض. وإن غالب أراضيهم تزرع سنة كبسي وأخرى مائي. ويقولون: إن زراعة الكبسي أ في بركة وأكثر نماء. ومن مزروعاتهم النخيل «ومن الخضر» البامية والباذنجان الأسود. والأحمر. والدباء بأنواعها الثلاثة.

(الفواكه) العنب. التين. الرمان. المشمش. البطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر.

(الحيوانات الأهلية) أو الداجنة. الإبل. الخيل. الجاموس. البقر الضأن. المعز. الحمير.

(الحيوانات المفترسة) السبع. الذئب. الخنزير. ابن آوى. والثعلب.

(الصيد) الظباء. الأرانب. الأوز. البط. الحباري. وقسم مهم من أنواع الطيور. كالشقراق. والبرهام. والقطا. والحجل. ونعيج الماء (بط نهري) ونحوها. فإنهم يأكلون لحومها ويجمعون ريشها للبيع حيث تتخذ منه الوسائد.

(الصناعة) ليس لديهم شيء من الصناعة سوى أنه ينسج في (سوق الشيوخ) الأعبئة النفيسة الرقيقة. وتعتني الصابئة الذين يسكنون الناصرية وسوق الشيوخ بصياغة الحلى المكفّت «شغل الصَّبه».

(التجارة) هي عبارة عن تصدير السمن. والجلود. والحبوب وكلها بالنسبة لسائر اللواء في الدرجة الثانية.

المآثر المقدسة

في سوق الشيوخ: ضريح أبي يعلى الصحابي رضي الله عنه.

في الحي: ضريح أبي ذر الغفاري الصحابي رضي الله عنه.

في الحي أيضاً: ضريح سعيد بن جبير التابعي رضي الله عنه.

في الجزيرة من (البطائح) ضريح السيد أحمد الرفاعي أحد المشايخ الصوفية الكبّار المتوفى سنة (٥٧٨)هـ وعمره (٦٦) سنة. وهو في موضع يبعد عن مركز قضاء الحي بنحو (٣٦) ميلًا يقال له: (أرض أم عبيدة وكان العثمانيون قد بنوا هناك مسجداً كبيراً محيطاً بالضريح. وحُجَر لسكني الزوار والخدم. وكان العثمانيون ينفقون على الخدمة من ريع (الأملاك المدورة) إلى سنة (١٣٣٣ هـ ١٩١٥م) حيث انسحبت الجنود العثمانية من هناك فهجمت العشائر على المسجد فنهبت ما على القبة من الكساء وأثاثات المسجد وفراشه. ثم إنهم بعد ذلك تجاسروا على قلع خشب الأبواب والنوافذ فظل المسجد خراباً إلى سنة (١٣٤٢ هـ ١٩٢٤م) فنهض الموفق للخير السيد إبراهيم الراوي شيخ الطريقة الرفاعية في العراق وجمع من محبي الديانة مبلغاً كافياً من النقود وشيد المسجد والضريح فأعادهما كما كانا سابقاً.

الآثار القديمة

يوجد اليوم في جنوب الناصرية على مسافة (١٠) أميال منها بالقرب من محطة (المقيَّر) محل يقال له «تَلّ المقيَّر» أو (أور الكلدان) وذلك التل هو من بقايا مدينة قديمة من زمن الكلدانيين كان نهر الفرات يمر من حذائها. وإن النقابين يبحثون فيها وقد استخرجوا منها آثاراً كثيرة

وإن من الآثار التي استخرجت حديثاً في عام (١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م) هيكل الآلهة يقال: إن تاريخه يعود إلى (٦٦٢٢ ق هـ ٦٠٠٠ ق م).

وكذلك يشاهد السائح في الشمال الشرقي من الشطرة خرائب لاغاش (تللو) وهي خرائب بلدة قديمة واقعة جنوب (الكرادي) كان يسمها (البابليون) (لارستا) التي هي من بقايا مدن الكلدان القديمة وقد بحث النقابون فيها كثيراً وعثروا على شيء من صفائح الذهب والحجارة الثمينة والصدف والهياكل ونحوها.

الحالة السياسية

(المساحة) تقدر مساحة لواء المنتفق بنحو (٢٠) ألف ميل مربع.

(السكان) تقدر نفوس اللواء بنحو (٢٥٠) ألف شخص منها (١١٠٠) صابئة- و(١٥٠٠) يهودي- و(٩٢) ألف شخص سني المذهب. وما بقي فشيعة جعفرية. (الشعار): فالسنة يضعون على رؤوسهم العقال ومن تحته (صمادة) حمراء. وسادة النسب يلبسون العمامة الخضراء. أما الشيعة فالعامة يضعون من تحت العقال الصمادة الزرقاء. والسادة منهم يلبسون العمامة السوداء. بل إن هذه العادة جارية عند غالب العراقيين. ولواء المنتفق متشكل من أربعة أقضية «الناصرية. وسوق الشيوخ. والشطرة. وقلعة سكر».

١ - (قصبة الناصرية) وهي مركز اللواء. واقعة في الجانب الشرقي من نهر الفرات. وهي مدينة حسنة الأسواق وطرقها مستقيمة واسعة. وهي لطيفة الترتيب معتدلة الهواء.

وأول من اختطها ناصر باشا ابن راشد السعدون سنة (١٢٨٥ هـ ١٨٦٧ م) فنسبت له. وقد جعل طرقاتها وجادتها على الطراز الحديث وبها جامع ذو منارة مشرفة على الفرات. وفي داخل البلدة مسجد آخر ذو منارة أيضاً. وبها أبنية ضخمة كصرح الحكومة والمستشفى. وغالب أهلها مسلمون من أهل السنة والجماعة ومقلدون مذهب الإمام مالك بن أنس إمام الأئمة وإمام دار الهجرة رضي الله عنه. وتقدر نفوس الناصرية بنحو (١٥) ألف شخص. وفيها دائرة للبريد والبرقي. وفيها ثلاثة حمامات. وستة أسواق. وفي الجانب الغربي من الفرات بساتين وحدائق. ويربطها بالجانب الشرقي جسر من الخشب. كما وأنه يقرنها بمحطة المقير خط حديدي صغير.

ويتبع الناصرية (ناحية أبي قداحة. والعكير. والمقير) ومن القرى (البطيحة. والكوت).

٢ - (قصبة سوق الشيوخ) هي شمال الناصرية على مسافة (١٥) ميلاً. وواقعة في الجانب الغربي من الفرات. فيحدها شمالاً وشرقاً الفرات. وجنوباً وغرباً صحراء الشامية. والبلدة صغيرة. وهواؤها وخيم. والماء محيط بها من غالب جهاتها (أنهر. ومستنقعات. وغدران) كما وأن حدائق النخيل محيطة بها. ولها أسواق حسان في الجملة. وشوارعها ضيقة. وبها جامعان أحدهما في وسط البلدة والآخر قريب من الفرات. وأهلها غالبهم مسلمون ومعظمهم من أهل السنة. وأن سوق الشيوخ هو محط الرحل من الأعراب. ومحل مسابلة أهل البادية القاطنين في صحراء الشامية. ومن ثم فالتجارة فيه رائجة. والأبنية فيه كثيرة. ونفوسه متزايدة. فتقدر اليوم بنحو (٢٥) ألف نسمة. وبه تنسج الأعبئة الرقيقة. وغالب أهله (ملاكون) والبقية تجار وفلاحون.

وإن أول من اختطه رئيس المنتفق، الشيخ ثويني بن عبد الله زمن إمارته الممتدة من الغراف إلى البصرة إلى قرب الكويت. لأنه لما أصبح نفوذه سائداً على كثير من عشائر العراق ونجد. وكان معه في غزواته سوق متنقل معه. وهو عبارة عن خيام فيها تجار وباعة ينزلون قريباً من الأعراب إذا خيموا. فتقوم سوقهم ويعرضون فيها ما يحتاجون إليه من الألبسة والأواني وأنواع الأثاثات. ويتعوضون بدلها (الوبر. والصوف. والشعر. والدهن) ونحو ذلك - وإنه يوجد مثل هذا السوق إلى يومنا هذا مع القبائل الرحل - ثم إن عشائر الشيخ ثويني رغبوا في أن تقام لهم سوق دائمية قريبة من الفرات. فأمر الشيخ ثويني أصحاب سوقه المتنقل معه بالإقامة في الصقع الذي يرى فيه اليوم (سوق الشيوخ) لطيب مائه في ذلك الزمن بالنسبة لما جاوره ولكثرة مرعاه فخطط السوق من ذلك الحين ونسب إليه. وقيل: إنه كان موجوداً قبل ذلك ويسمى (سوق النواشي) باسم عشيرة عراقية وكان الشيخ ثويني يدين التجار الدراهم بكثرة وإذا احتاج إليها أخذها منهم. وكان غالب مشائخ القبائل يمتارون من ذلك السوق فعرف باسم الكل وترك اسم سوق النواشي. وعلى كلا القولين فإن تأسيسه كان في أواخر القرن (١٢ هـ ١٨ م) وبقي هذا السوق رائجاً إلى أن قتل ثويني سنة (١٢١٢ هـ ١٧٩٦ م). كما ستعلمه. ثم صار مركزاً لمهات مشايخ المنتفق ومخزناً لذخائرهم ومؤنهم وملجأ حصيناً لهم.

ثم لما ضعفت شوكة المنتفق وحصل التنافر فيما بينهم انحطت أهمية ذلك السوق. ثم في سنة (١٢٨٨ هـ ١٨٧٠ م) جعلت الحكومة العثمانية ذلك السوق (قضاء) ولكنه ظل آخذاً بالتقهقر والانحطاط حتى صار في سنة (١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م) بمنزلة (مديرية) وإن كان يحكمه قائم مقام. ثم بعد إعلان الدستور عام (١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م) أخذ بالتقدم والارتقاء ولم يزل عارجاً في سلم التقدم والحضارة.

وفي تجاه البلدة في الجانب الآخر على الفرات قرية صغيرة تسمى (محلة الصبة) بيوتها من القصب بين بساتين ملتفة وماء الفرات يجري في شوارعها. وأهلها صابئة. وحرفتهم الحدادة وصياغة الحلى وتكفيته.

ويتبع سوق الشيوخ (ناحية الحمار. وبنوسعيد. وعكيكه) ومن القرى (قرية الخميسية. وأم بطّوش). (قرية الخميسية) اختطها الحاج عبد الله بن خميس النجدي سنة (١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م) فنسبت له. وهي واقعة جنوب غربي سوق الشيوخ على مسافة نحو (٨) أميال منه.

٣ - (قصبة الشطرة) هي واقعة على نهر الغراف وتبعد عن الناصرية في السفن الشراعية بنحو (٦) ساعات. ومن جهة البر بنحو (١٧) ميلاً. وموقعها في وسط اللواء وحديثة العمران. أنشأها فالح باشا ابن ناصر باشا السعدون سنة (١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م) لما ضمن خراج المنتفق. وأما الشطرة القديمة فهي تبعد عنها بنحو (١٥) ميلاً.

وتقدر نفوسها بنحو (١٧) ألف شخص. وهي اليوم محل مسابلة غالب العشائر والأعراب. وتجارتها واسعة. وجل أهلها يشتغلون في البيع والشراء. وهي آخذة في التوسع والعمران. وفيها مسجد للصلاة.

وكان نهر الشطرة واسعاً جداً ويسكن على ضفافه كثير من العشائر. ثم أخذ ماؤه يقل شيئاً فشيئاً (لعله في القرن ١٣ هـ ١٩ م) بعد أن فتحت قناة البداع. فهاجر قسم من القبائل التي كانت تقطن أراضيه عقب حدوث جدب ومحل في أراضيهم كعشائر (خفاجة. وعبوده. والأزيرق). إلى نواحي البصرة فأسسوا هناك لهم قرية تسمى (محلة أخوات رزنه) وجعلوا يشتغلون في البصرة بالحمالة وبالبناء. ووضع التمور في الصناديق مصفوفاً. ونحو ذلك من الأشغال البسيطة. كما وأن قسماً منهم هاجروا إلى أماكن أخرى.

ثم إن نهر الشطرة أبدل صدره في أول القرن (١٤ هـ ٢٠ م) فأخذت المياه تنساب فيه بوفرة.

ويتبع الشطرة (ناحية دواية) فقط.

٤- (قلعة سكر) هي عبارة عن قرية واقعة على نهر الغرّاف وقد جعلت أخيراً مركزاً لناحيتها وتقدر نفوسها بنحو (٢٠٠٠) شخص. وحرفتهم الزراعة.

ويتبعها (ناحية الكرادي). مركزها قرية الكرادي التي أسست عام (١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م) تقريباً. وموقعها في جنوب مركز القضاء على مسافة نحو (١٢) ميلاً. وهذه القرية آخذة بالنمو. لأن تجارتها الداخلية أوسع من تجارة (قصبة قلعة سكر) حيث إن بعض سكان الشطرة جعلوا ينقلون مساكنهم إليها تدريجاً لقلة مياه الشطرة. ويتبع القضاء من القرى (الكرادي. منافر. أبوهاون. سويق بن شقيان. سويد شمير).

٥- (قصبة الحي) وهي واقعة على نهر الغرّاف. وتقدر نفوسها بنحو (١٦) ألف نسمة. وكان الحي يعد قرية من قرى البطائح وكانت قصبتها البطيحة. ثم صارت واسطاً. ثم الحي. ويسمى (حي واسط) و(جزيرة السيد أحمد الرفاعي) وكل هذه الأسماء لقرى واقعة بين نهري دجلة والفرات (ويحدها) من جهة الشرق والجنوب والغرب دجلة والفرات. ومن الشمال (كوت الإمارة) فتصير هذه القرى في جزر بين النهرين. وفي كل زمان تشتهر باسم القرية التي يسوطنها أمير تلك القرى. وفي زماننا هي مشهورة باسم (الحي) وبها مسجد للصلاة. ثم لما تشكلت الحكومة العراقية سنة (١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م) ألحق الحي بقضاء الكوت.

البطائح

جمع بطيحة وهي واقعة بين واسط والبصرة. ونذكر بحثها هنا لمناسبة احتلال المنتفق لها كما سيأتي: وإلا فوضع بحثها في تاريخ البصرة. ولكن لما عزب عن فكرنا وضع البحث هناك وضعناه هنا للمناسبة المذكورة.

وكانت البطائح قديماً قرى متصلة وأرضها عامرة آهلة بالسكان. فاتفق في أيام (كسرى أبرويز) المتولى على مملكة الفرس سنة (٣٣ ق هـ = ٥٩٠ م) أن زادت دجلة زيادة فاحشة وزاد الفرات أيضاً على خلاف العادة فعجز عن سد بثوق المياه فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها. ولما غيض الماء وأراد (أبرويز) العمارة أدركه أجله فتوفي[1] فتربع على عرش المملكة ابنه (شيرويه) عام (٧ هـ ٦٢٨ م) فلم

---

(١) وأبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن المنذر الثالث ملك (الحيرة) سنة (١٣ ق هـ = ٦٠٩ م) قرب النجف، وولى بعده على الحيرة (إياس بن قبيصة الطائي) ولستة أشهر من ولاية إياس بعث نبينا محمد ﷺ. أي في عام (٦١٠ م). كما في تاريخ البصرة (ص ٢٠٢). وإن ابرويز هو الذي أرسل إليه صاحب الشريعة الإسلامية عليه الصلاة والسلام كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبد الله ابن حذافة السهمي سنة (٧ هـ ٦٢٨ م) فلما حضر عبد الله أمام أبرويز سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله: أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس) فقرأه (أبرويز) فلما انتهى منه مزقه وأساء إلى حامله. وكتب إلى عامله باليمن يأمره بأن يغزو المدينة المنورة ويأتيه برسول الله أسيراً. وعاد عبد الله إلى النبي ﷺ وأخبره بما فعل أبرويز فقال (اللهم مزق ملكه كما مزق كتابي) فلما قتل أبرويز ورقي ابنه عرش مملكة فارس كتب إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله ﷺ. =

تطل مدته. ثم تقلد الحكم بعض نساء لم تكن فيهن كفاءة وعجز الكل عن العمارة.

ثم لما أشرقت شمس الإسلام واشتغل الناس بالحروب لم يلتفت المسلمون إلى عمارة الأرضين: فلما استقرت قواعد الدولة الإسلامية استفحل أمر البطائح وتهشمت مواضع البثوق وتغلب الماء على النواحي ودخلها العرب بالسفن فرأوا فيها مواضع كثيرة عالية لم يصلها الماء فبنوا فيها القرى وسكنها قوم من العرب وزرعوها (أرزاً) وجعلوا فيها بعض بساتين. ويقال: إن أول من قلع القصب منها وزرع الأرز في أماكنه (هو عبد الله ابن دراج) مولى معاوية ابن أبي سفيان.

ويقال: إن مساحة البطائح كانت ثلاثين فرسخاً في مثلها. وكانت (قرية واسط) حسنة لتوسطها بين البصرة والكوفة. وكانت كثيرة البساتين والأشجار قريبة من نهر الحي (نهر الغرّاف).

وإن أول من اختط بها المنازل الحجاج بن يوسف الثقفي عام (٨٣ هـ ٧٠٢ م) وفرغ من عمارتها عام (٨٦ هـ ٧٠٤ م) واتخذ فيها قصراً للإمارة والحكم. وكتب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه ذلك كما في تاريخ البصرة (ص ٣٤٦).

= وفي عهد أبرويز أيضاً حدثت المعركة الشهيرة (بوقعة ذي قار) بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب انتصاراً باهراً على الفرس عام ١٣ ق هـ ٦٠٩ م) ثم إن أبرويز قتله ابنه شيرويه وأخذ الملك لنفسه كما في تاريخ البصرة (ص ٣٠) والبحرين (ص ٥٥). ولم يملك شيرويه إلا بضعة أشهر حتى قتل وخلفه أردشير الثالث سنة (٨ هـ ٦٢٩ م) مَلَّكَهُ الفرس وهو طفل فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو (رئيس الوزراء) المسمى جنس. ولكن الأمور في الحقيقة هي بأيدي النساء فحصلت الاضطرابات الداخلية. اهـ.

وكانت تسمى (مدينة الحَجَّاج) ومدينة واسط. وقد بلغت البطائح في إبان الدولة الأموية الشأو الأعلى وسارت الشوط الأبعد: وظلت عامرة آهلة بالسكان في عيش رغد إلى زمن حكومة الديلم حيث تغلب على تلك المواضع والقرى في أوائل دولة الديلم (بني بويه) أقوام من أهلها وتحصنوا بالمياه والسفن. فخرجت تلك الأراضي عن طاعة السلطان. وصارت تلك المياه كالخنادق لهم إلى أن انقرضت دولة بني بويه عام (٤٤٧ هـ ١٠٥٤ م) ثم لحقتها في التقلص الدولة السلجوقية سنة (٥٨٩ هـ ١١٩٢ م) ثم لما استتب الأمر لدولة بني العباس سنة (١٣٢ هـ ٧٥٠ م) رجعت البطائح إلى أحسن نظام وجباها عمالهم كما كانت في قديم الزمان كما سيأتي.

وكان اشتداد أمر البطيحة واستفحال (بني شاهين) بها في أواسط القرن (٤ هـ ١٠ م) وذلك أنها كانت في بادئ أمرها كثيرة القصب والآجام. ولاعمارة فيها بل هي مأوى للبغاة واللصوص وقطاع الطرق. فدخلها (عمران بن شاهين الخفاجي) سنة (٣٢٩ هـ ٩٣٩ م) وكان يصطاد السمك والطيور منها. ثم جعل يقطع السبل وتحصن فيها حتى استفحل أمره وقويت شوكته واتخذ له مخافر على التلال التي بالبطيحة. فتغلب على تلك النواحي. وكان ذلك في أيام بني بويه فحاربه (معز الدولة) مراراً فالمرة الأولى عام (٣٣٨ هـ ٩٤٩ م) ثم حاربه مراراً إلى سنة (٣٤٠ هـ ٩٥١ م) فلم يظفر به فصالحه وأمَّره على البطيحة سنة (١٣٤٠ هـ ٩٤٩ م) ثم نقض الصلح عام (٣٤٤ هـ ٩٥٥ م) ثم سار معز الدولة إلى واسط عام (٣٥٥ هـ ٩٦٥ م) وجهز من هناك العساكر لقتال عمران مع أبي الفضل العباس بن الحسن. ثم قدم على معز الدولة من عمان (نافع مولى ابن وجيه صاحب عمان) يستنجده على استخلاص عمان فانحدر معز الدولة إلى الأبلة. وجهز له جنوداً في السفن. وأرسلها معه إلى عمان.

ثم عاد من الأبلة وطرقه المرض فجهز العساكر فسار قسم منهم إلى البطائح فنزلوا الجامدة وسدوا الأنهار التي تصب إليها وذهب القسم الآخر لقتال عمران. وعاد هو إلى بغداد فتوفي فيها فتولى بعده ابنه (عز الدولة بختيار) وأمر برجوع العساكر إلى أماكنها وعقد مع عمران الصلح واستمروا على ذلك مدة. ثم في عام (٣٥٩ هـ ٩٦٩ م) زحف نحوه بختيار بن معز الدولة حتى عسكر في واسط وجعل يتصيد ويتحين الفرص.

وفي مدته سدت بثوق الماء فلما فاض الماء خربت تلك السدود واتخذ (عمران بن شاهين) معقلاً غير الذي كان مقيماً فيه ولما قصدته عساكر بختيار عام (٣٥٩ هـ ٩٦٩ م) لمحاصرته فأقاموا (بواسط) يتصيدون ويتحينون الفرص عليه فلم يتمكنوا منه. وسئموا الإقامة في البطائح من شدة الحر وكثرة البعوض والضفادع وقلة مواد المعيشة. فاضطر بختيار لمصالحة عمران فصالحه ورجع إلى بغداد بعد العناء الشديد. في رجب عام (٣٦١ هـ ٩٧١ م). وكانت مدة استقلال عمران بن شاهين بالبطيحة (٤٠) سنة. ولم يقدر عليه أحد من الملوك ولا من الخلفاء. وما ذاك إلا لشدة مناعة تلك الأراضي إذ كان صاحبها ذا قوة. ولما توفي عمران سنة (٣٦٩ هـ ٩٧٩ م) تولاها ابنه (الحسن بن عمران) في أيام عضد الدولة ابن بويه. فطمع عضد الدولة في البطيحة فأرسل وزيره نحوها بالجنود ولما وصل الوزير البطيحة أمر الجنود بسد أفواه الأنهار الداخلة إلى البطائح فضاع فيها الزمان والأموال وجاء وقت الفيضان. فبثق الحسن بعض تلك السدود فأعانه فيضان الماء فتهدمت السدود. فتفوق الحسن على الوزير فاضطر عضد الدولة إلى مصالحته.

وفي سنة (٣٧٣ هـ ٩٨٣ م) قتل أبو الفرج بن عمران بن شاهين أخاه

الحسن واستولى على البطيحة. فغضب الجنود لذلك فقتلوا أبا الفر
وعينوا في محله (أبا المعالي ابن أخيه الحسن) في السنة المذكورة.

وكان المظفر بن علي الحاجب أكبر قواد عمران بن شاهين وكانت
كلمة نافذة. فزور كتاباً عن لسان صمصام الدولة بن بويه يعهد إليه بولاية
البطيحة. فعزل أبا المعالي وتولى هو مكانه في تلك السنة أيضاً. وأحس
السيرة في الناس وظل إلى أن مات عام (٣٧٦ هـ ٩٨٦ م) فأخذ بزمام الحكم
ابن اخته (أبو الحسن علي بن نصر) وتلقب (بمهذب الدولة) فعدل في الحكم
وبذل الخير فقصدته الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة معقلاً
لكل قاصد. واتخذها الأكابر وطناً فيها الدور الحسان. وهناك احتمى
(القادر بالله) إلى أن صار خليفة. وبعمران البطيحة ضعف عمران بغدا
وتقدمها وأخذ بالتقلص حتى إنه لجأ إليها (أبو نصر بن سابور الوزير) عا
(٣٩٢ هـ ١٠٠١ م) فاستوطن البطائح وتبعه الناس. وجعلت الأبنية
تزداد فيها يوماً فيوماً.

وفي سنة (٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م) هاجم (أبو العباس بن واصل) البطيحة
فاحتلها وأخرج منها مهذب الدولة واستولى على أمواله فاضطرب أهل
البطيحة ونفروا منه وظفروا بعسكره فأوقعوا فيهم. فخرج منها وتركها
شاغرة.

ثم عاد إليها مهذب الدولة سنة (٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م) واستولى عليها
ومكث بها إلى أن توفي عام (٤٠٨ هـ ١٠١٧ م) فتذاكر الجند في إقامة
ابنه (أبي الحسين أحمد) فسمع بذلك ابن اخته (أبو محمد عبد الله بن نبي)
فاستدعى الديلم والأتراك ورغبهم بالمال في إقامته على البطيحة وقرر معهم
وقتاً معيناً للقبض على أبي الحسين. فلما قبضوه أمر بضربه فمات بسببه بعد
ثلاثة أيام. وأخذ بزمام الحكم.

وتسلم الأموال وذلك عام (٤٠٨ هـ ١٠١٧ م) ثم بعد ثلاثة أشهر توفي. فاتفق أعيان البلدة على تولية:

أبي عبد الله الحسين بن بن بكر الشرابي

وكان الشرابي من خواص مهذب الدولة. وبقي على البطيحة إلى سنة (٤١٠ هـ ١٠١٩ م) حيث ساق (سلطان الدولة بن بويه) نحوه الجنود تحت قيادة (صدقة بن فارس المزيدي) فسار إليها واحتلها بعد أن أسر الشرابي عنده. وأخذ بزمام حكم البطيحة وظل بها إلى أن توفي عام (٤١٢ هـ ١٠٢١ م) فتعين في محله (شابور بن المرزبان) وجعل يدير أمور البلدة. ثم في سنة (٤١٨ هـ ١٠٢٦ م) تخلص الشرابي من السجن بحيلة. وذهب إلى الخارج فجمع قسماً من أهل البطيحة كانوا قبل ذلك قد عصوا على أبي كاليجار الديلمي. فلما أتاهم الشرابي نظمهم وسار بهم يقودهم نحو البطيحة فاحتلها بعد معركة عنيفة. وأخذ بزمام الحكم فيها.

فلما بلغ الخبر (لابن المعبراني) جمع جموعه وسار بها نحو البطيحة وتحارب مع الشرابي حتى كسره. ففر الشرابي إلى (دبيس بن صدقة). واستولى (ابن المعبراني) على البطيحة وجعل يدير شئونها وكان رجلًا ميالاً إلى السلم أكثر من الحرب.

وفي سنة (٤٢٠ هـ ١٠٢٨ م) خطب بها لأبي كاليجار.

وفي عام (٤٣٣ هـ ١٠٤١ م) زحف على البطيحة أبو نصر بن الهيثم واحتلها بعد قتال شديد. ثم أدى الخراج لجلال الدولة. ثم في عام (٤٣٥ هـ ١٠٤٣ م) ثار عليه الجند وشقوا عصا الطاعة وخطبوا يوم الجمعة لأبي

كاليجار. فأخذ ابن الهيثم في تدبير أمره حتى نهض فتفوق على الجند وأدبهم حتى خضعوا لطاعته.

وفي سنة (٤٣٨ هـ ١٠٤٦ م) قصد البطيحة (علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات) وحاصرها. وكان بها ابن الهيثم المذكور وضيق عليه حتى اضطره إلى الصلح. ثم حصلت بينهما معركة في صفر عام (٤٣٩ هـ ١٠٤٧ م) فانتصر فيها أبو الغنائم بعد أن قتل من أهل البطيحة خلق كثير وغرقت لهم عدة سفن وتفرقوا في الآجام. ونهبت دار (ابن الهيثم) وصارت البطيحة لأبي كاليجار ثم بعد مدة آلت البطيحة لمهذب الدولة أحمد بن أبي الخير.

وفي سنة (٥١٠ هـ ١١١٦ م) دخلت البطائح تحت نفوذ (دبيس بن صدقة المزيدي) ثم في عام (٥١٧ هـ ١١٢٢ م) عصى دبيس المذكور على (الخليفة المسترشد بالله) فتوجهت نحوه الجنود وحاربته حتى كسرته وفر من أمامها: ثم ضغطت عليه حتى خرج من الحلة والتجأ إلى (عشائر المنتفق) واتفق معهم على مهاجمة البصرة. وجمعوا جموعهم وساروا بها نحو البصرة وهاجموها حتى احتلوها ونهبوها كما في تاريخها (ص٢٩٨). وسيأتي بحث إجلاء بني أسد من البطائح سنة (٥٥٨ هـ ١١٦٣ م) ثم إجلاء المنتفق منها عام (٦١٦ هـ ١٢٢٨ م) ثم عودتهم إليها عند ذكر إمارة بني معروف. وظلت البطائح عامرة إلى أوائل القرن (٨ هـ ١٤ م) حيث أخذت بالتقهقر والانحطاط لاشتعال نار الفتن بين أهلها فتنازع أمرها الثوار وعصاة القبائل فلعبت شوطاً مهماً لاسيما في زمن انفصال البصرة عن حكومة بغداد. فقد ابتلعتها ثورة المشعشعين كما سيأتي (٩ هـ ١٥ م) وظلت مشوشة مضطربة الأحوال إلى القرن (١٢ هـ ١٨ م) حيث أخذت بتحسن الأحوال لهدوّ الفتن من جهة وجفاف بعض المستنقعات من جهة

أخرى. فنهض عمرانها على أيدي أمرائها من آل سعدون حيث إنهم وسعوا فيها الجزيرة بواسطة السدود. ثم خطوا (الناصرية) والشطرة وبمساعدتهم نهض ابن خميس فخط الخميسية كما تقدم.

أما جزائر البطائح

فيقال: إن عدد الناتئ منها فيما مضى نحو (٣٦٠) جزيرة منبثة في طول البطائح وعرضها. قسم منها كان يسمى (جزائر شط العرب) وبعضها كان يقال له (جزائر خوزستان) ويقال: إن غالبها كان تابعاً لحكومة خوزستان. ولما دخلت البصرة في ضمن الممالك العثمانية في أواسط القرن (١٠ هـ ١٦ م) أخذ بعض زعماء القبائل بالانضمام إلى العثمانيين بعشائرهم رسمياً. ثم إنه في سنة (٩٥١ هـ ١٥٤٣ م) لما حصل التضاغن بين رئيس المنتفق (الشيخ مغامس) وبين الحكومة العثمانية فساقت نحوه الجنود من بغداد تحت قيادة (إياس باشا) والتقيا عند الجزائر. جرت بينهما معركة أسفرت بانكسار الشيخ مغامس وفراره إلى نجد وذلك عام (٩٥٣ هـ ١٥٤٥ م) فاحتل إياس باشا الجزائر وعين عليها والياً من قبله كما سيأتي. ثم مشى بجنوده إلى البصرة وضبطها كما في تاريخها (ص٢٨٤).

وفي سنة (٩٥٦ هـ ١٥٤٨ م) عصت أنحاء الجزائر وواسط على الحكومة العثمانية فبلّغ واليها (علي بيك) الخبر إلى (والي البصرة) وهو رفعه إلى بغداد. فساق وزير بغداد الجنود نحو الجزائر تحت قيادة (تمرّد علي باشا) وزحفت قوة أخرى من البصرة نحوها أيضاً وحاصر الكل (زعيم الجزائر الشيخ عليان) في قلعة المدينة ودارت رحى القتال بين الفريقين ولما حمي وطيس الحرب فر (عليان) من المدينة بنفسه في خاصته فاستولت الجنود

العثمانية على الجزائر وواسط. وأمنوا الأهالي ونظموا مركز الحكومة هناك.

وفي عام (٩٧٥ هـ ١٥٤٩ م) جمع (ابن عليان) جموعاً من أعراب المنتفق وأعراب الجزائر وسار بهم نحو الجزائر فاحتلها كرهاً. فجهز والي بغداد الجنود وساقها نحو ابن عليان تحت (قيادة اسكندر باشا) وكذلك حشد والي البصرة (درويش علي باشا) عساكره ووجهها نحو المذكور واجتمع الكل على حربه حتى طردوه من البلدة وضبطوا الجزائر مرة ثانية كما في تاريخ البصرة (ص ٣٠٩). وإن ذلك التمرد كان ناشئاً من تعداد إمارات الجزيرة. فجعلت الزعماء تنضم تارة للعثمانيين وطور إلى (الصفويين ملوك خوزستان) فأدى ذلك إلى النزاع بين الحكومتين على البصرة والجزائر. كما وأن بعد مركز عاصمة آل عثمان مما جعل الأعراب تتمرد وتنقض العهود وتحدثهم أنفسهم بالاستقلال التام والانفصال عن أي دولة كانت. وساعدهم على ذلك تحصين الجزائر الطبيعي بالمستنقعات والغابات حتى أصبحوا في مأمن يعسر على الخصم مهاجمتهم فيه.

خلاصة الحوادث

هي إن الجزائريين قد حاربوا الحكومة العثمانية مراراً عديدة نجهل تفصيلها في الوقت الحاضر وإن شاء الله سنبذل أقصى ما يستطاع من مجهوداتنا في تحقيق تلك الحوادث وأسبابها ونعرضه في الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى حيث إنه جرت حروب في القرن (١٠ هـ ١٦ م) وفي أواسط القرن (١١ هـ ١٧ م) وآخر حرب عظمى وقعت في الجزائر هي في سنة (١٣١٤ هـ ١٨٩٥ م) تحت زعامة شيخ الجزائر في ذلك اليوم الشيخ حسن

ابن خيون الأسدي: فساقت الحكومة نحوه الجنود تحت قيادة «محمد فاضل باشا الداغستاني» ثم البغدادي فسار بالجنود نحو الجزائر وأخمد نار الثورة بعد معركة عنيفة أحرقت فيها «المدينة» ثم بعد مدة حصل من نجله الشيخ سالم الخيون مشاغبات.

ولما تشكلت الحكومة العراقية سنة (١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م) نهض الشيخ سالم بن حسن بن خيون بمطالب مهمة وعاكس الحكومة. في بعض الأمور. ففي عام (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م) حصل بينه وبين الحكومة العراقية اختلاف شديد أدى إلى القبض عليه وإرساله إلى محكمة البصرة فقررت نفيه إلى الموصل بعد محاكمات عديدة وتهم كثيرة. وبهذه الحادثة انحلت مشيخة الجزائر. فلا إمارة فيها اليوم ولا مشيخة. وإنما أسست الحكومة العراقية (قضاء الجبايش) وبعثت إليه قائم مقام وموظفي إدارة وأبطلت المشيخة وجعلت محلها عدة «مختارين» مشايخ المحلات «عُمَداً» يراجعون الحكومة في مسائل معينة لهم تحت نظام مقرر معلوم عند الطرفين.

الحويزة

إن الحويزة هي خارجة عن موضوعنا ولكننا نذكر هنا نبذة عن مجمل أحوال مواليها لأنهم كانوا ممن حكم في الجزائر. وذلك أنه في القرن (٩ هـ ١٥ م) ابتدأت الثورات واشتعلت نارها تحت زعامة «محمد بن فلاح المتمهدي المشعشع» وهو جد حكام الحويزة ومؤسس إمارتهم وهم الملقبون بلفظة «مولى» وكان ظهور ثورته في الجزائر فنهض لمدافعته وصد غاراته أمير البلاد. وهو يومئذ من عشيرة «عبادة» فتواقع معه وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت بفوز محمد بن فلاح واحتلاله البلدة فأخذ بزمام الأمور فيها وأسس إمارة قوية ظلت في عقبه. ثم إنهم نقلوا قصبة حكمهم

إلى « الحويزة » وتأمروا فيها وطار « صيتهم » بين العرب. ولما أفضت الإمارة إلى المولى (مبارك بن عبد المطلب بن حيدر بن محسن بن محمد المتمهدي) سار إلى الجزائر وتغلب عليها في القرن (١٠ هـ ١٦ م) واجتاح البلاد وأخضع أهلها قهراً.

وفي سنة (١٠٥٥ هـ ١٦٤٤ م) ثارت الجزائر ثورة عظيمة وانتشرت في جميعها الفتن. فسار إليها « المولى علي خان » وأخمد نيران الثورة وأرجع المياه إلى مجاريها. وفيه يقول ابن معتوق الشاعر الحوزي المولود بالبصرة سنة (١٠٢٥ هـ ١٦١٥ م) والمتوفى سنة (١١١١ هـ ١٦٩٨ م) من قصيدة:

لولا إيابك للجزائر ما صفت   منها مشارع مائها المتكدر
أسكنت أهليها النعيم وطالما   شهدوا الجحيم بها وهول المحشر
وكسوتها حلل الأماني وإنها   لولاك أضحت عوزة لم تستر

ثم في أيام (المولى منصور بن عبد المطلب) ثارت الجزائر مرة أخرى فشمر عن ساعد الجد وسار إليها بالجموع وقمع الفتن ولكنها رغم تلك الحروب والتأديب من الموالي لم تَرْعَوِ عن الثورات المتوالية لاسيما في عهد الموالي فكانت تسكن تارة بالقوة وطوراً بالسياسة.

وكانت الجزائر في القرن (١١ هـ ١٧ م) تتنازعها حكومات « أو إمارات » أربع: حكومة (القبان) وحكومة (الدورق) وحكومة (الحويزة) وحكومة (البصرة) وإن تلك المناطق الأربع هي محل تنازع الحكومة العثمانية والحكومة الصفوية والتي كانت عاصمتها مدينة شيراز (فالحكومة العثمانية تفضل فوز حكومة البصرة وحكومة القبان كما وأن حكومة شيراز تميل إلى نصرة حكومتي (الدورق. والحويزة) ثم لما تولى (افراسياب) على البصرة زحف فاجتل القبان. كما في تاريخ البصرة (ص٣١٠).

الكبائش أو الكبائس

جمع كبش وهو الخروف: أو جمع كبيسة وهي الأرض التي تزرع على رطوبة الأرض الكامنة فيها. ويقولون ثمرسقي وثمركبسي. وإن الكبائش هي اسم لعدة عرائش فوق جزر كثيرة يفصل بعضها عن بعض ماء المستنقعات فيضطر الشخص لركوب الزوارق عندما يذهب لقضاء أشغاله من حاجيات البيت أو زيادة الأقارب والأصدقاء، ويحد قضاء الكبائش شمالاً حدود لواء العمارة. وشرقاً ناحية المدينة التابعة لقضاء القرنة. ومن الغرب والجنوب قضاء سوق الشيوخ.

نفوس الكبائش

على ما قيل تقدر بنحو (٣٣) ألف نسمة.

(صادراتها) أهم الصادرات منها القصب. والبردي. والسمك. والشلب هو الأرز غير المقشور، والذرة بنوعيها، وإن أول من بنى فيها بالآجر والحجارة هو أميرها، الشيخ سالم بن حسن الخيون، المتقدم ذكره. ثم لما تأسست الحكومة العراقية بنت هناك «صرحاً» سنة (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م) فصار مركزاً مهماً للحكومة هناك.

أجناس أهل لواء المنتفق

عموماً غالبهم أعراب من عشائر المنتفق.

(الديانة) السائدة هي الملة المحمدية السمحة البيضاء.

(المذاهب) جميع المنتفق وآل سعدون وقسم من عشائرهم يقلدون

مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وأما بقية العشائر فمنهم شيعة جعفرية. وقسم حنابلة نجدية.

المنتفق وآل شبيب وآل سعدون

المنتفق - اسم قبيلة مشهورة منسوبة إلى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الخ وتتمة النسب في تاريخ البحرين. ص ٨١، فبنو المنتفق هم بطن من عامر بن صعصعة اشتهروا باسم أبيهم فقيل لهم، المنتفق. وكانت منازلهم آجام القصب بين البصرة والكوفة وكانت الإمارة فيهم في بني معروف، كما سيأتي.

(أما تاريخ المنتفق) فغامض تفصيله والذي نعلمه في الوقت الحاضر عن مشايخهم وحكامهم هو أنه في سنة. ٣٧٨ هـ ٩٨٨ م. لما هجمت القرامطة على البصرة. كان رئيس المنتفق وشيخهم الرجل البطل المسمى (بالشيخ أصغر) فلما بلغه ذلك جمع جموعه وسار بها نحو (القرامطة) ليضعف شوكتهم فما أدركهم إلا قرب الأحساء فأوقع فيهم وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن انكسار القرامطة وفرار قائدهم وتمزق جموعهم فغنم منهم (أصغر) مغانم كثيرة ثم سار في أثرهم نحو (الأحساء) فتحصنوا فيها فلم يتمكن على محاربتهم فعدل إلى (القطيف) وسلب ما كان فيها من أموال القرامطة وعبيدهم ومواشيهم ثم عاد إلى البصرة حاملاً لواء الظفر كما في تاريخها (ص٢٨٢) وتاريخ الأحساء.

وظل (الشيخ أصغر) رئيساً للمنتفق إلى أن توفي عام (٤١٠ هـ ١٠١٩ م) فجعلت الرياسة تنتقل من شيخ إلى آخر. ثم إنه في سنة

(٤٩٩ هـ ١١٠٥ م) اجتمعت (ربيعة. والمنتفق) ومن انضم إليهم من الأعراب وساروا نحو البصرة وهاجموها فدافع عنها واليها حتى عجز فأسروه وانهزم أصحابه ولم بقدر من بها على حفظها فدخلوها عنوة بالسيف في أواخر (ذي القعدة) من العام المذكور.

وأحرقوا الأسواق والدور الحسان بعد أن نهبوا ما قدروا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون (٣٢) يوماً حتى فرّ معظم البصريين من البلدة كما في تاريخها (ص٢٩٥).

وفي عام (٥١٧ هـ ١١٢٢ م) شق عصا الطاعة حاكم الحلة (دبيس) بن صدقة، فساق الخليفة المسترشد بالله الجنود نحوه وحاربته حتى انهزم من الحلة فارًّا بحاشيته. والتجأ إلى عشائر المنتفق ثم اتفق معهم على مهاجمة البصرة فساروا إليها وأوقعوا بأهلها ونهبوا الأموال. فوجه الخليفة نحوهم الجنود تحت قيادة (البرسقي) فحاربهم حتى أخرجهم من البصرة كما في تاريخها (ص٢٩٧).

إمارات آل معروف على البصرة

وفي سنة (٥٣٢ هـ ١١٣٧ م) صدر الأمر من الخليفة ببغداد بتعيين (الشيخ معروف رئيس المنتفق) يومئذ والياً على البصرة. ثم في عام (٥٥٨ هـ ١١٦٣ م) حصل بعض إفسادات وتعديات من بني أسد من الحلة. لأنه كان في نفسه عليهم شيء لمساعدتهم.

(السلطان محمد السلجوقي) لما قدم بغداد. فسارت الجنود نحوهم تحت قيادة (يزدن بن قماج) بعد أن استقدم لمساعدته (ابن معروف) رئيس المنتفق من البصرة وانضم الكل على حرب بني أسد حتى أجلوهم من

ديارهم وهم صاغرون وسلمت (بطائحهم) إلى ابن معروف فدخلتها عشائر المنتفق كما في تاريخ البصرة (ص ٢٩٨).

وظلت عشائر المنتفق في البطائح إلى سنة (٦١٦ هـ ١٢١٨ م) حيث حصل منهم ما كدر صفاء الأمن والراحة. (فوجه الخليفة الناصر لدين الله) نحوهم الجنود تحت قيادة (الشريف معد) المتولي على بلاد (واسط) يومئذ فسار لقتالهم يقود الجيوش حتى التقى معهم في موضع يعرف (بالمقير) وهو تل كبير بالبطيحة قرب الغرّاف على مسافة (١٠) أميال جنوب الناصرية (كما تقدم عند بحث الآثار القديمة) وكان رئيس المنتفق يومئذ (معلي بن معروف) وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار عشائر المنتفق وظعنهم من أماكنهم واضطرارهم إلى الجلاء من البطائح فذهبوا نحو (الأحساء والقطيف) ليستوطنوا فيها فما تمكنوا من البقاء لكثرة أضدادهم هناك. فعادوا نحو البصرة وطلبوا من متسلمها بأن يكاتب وزارة بغداد بالعفو عنهم ليعودوا هادئين إلى مقرهم في العراق فكتب المتسلم لهم بذلك وسيرهم مع أصحابه إلى بغداد ليعرضوا الخضوع والانقياد لأوامر الخليفة فلما قاربوا (واسط) لقيهم قاصد (ساعي) من الوزارة يقود سرية ومعه الأوامر بمقاتلتهم وعدم الإذن لهم بالدخول إلى العراق فتحاربوا معه حتى تفوقوا عليه وغنموا منه بعض الأسلحة فتمكنوا بها من احتلال البطيحة وذلك عام (٦١٧ هـ ١٢١٩ م) وقيل عام (٦١٨ هـ) وعاد جميع بني معروف إلى البطيحة وقوي أمرهم فيها.

وظلت البطائح عامرة آهلة بالسكان إلى أوائل القرن (٨ هـ ١٤ م) حيث أخذت بالتهقهر والانحطاط لاشتعال نار الفتن بين أهلها.

(أما آل شبيب) فإن آل سعدون فخيذة منهم وكانت الإمارة فيهم

والكل سادة من بني هاشم أتوا من الحجاز إلى بادية العراق فاستوطنوه كما سيأتي.

أما آل سعدون ونسبهم

فإنهم منسوبون إلى الشيخ سعدون. وكان رئيسهم الذي أدركناه هو (عجيمي باشا) ابن سعدون باشا بن منصور باشا ابن راشد بن ثامر بن الشيخ سعدون الكبير (الذي قتل في معركة حصلت بين المنتفق والعثمانيين حين كانوا نازلين في بادية العراق قرب السماوة) وقد اشتهر بنوه به فقيل لهم (آل سعدون) والشيخ سعدون هو ابن الشريف محمد بن الشريف شبيب بن مانع بن شبيب بـن مانع بن مالك ابن سعدون بن إبراهيم (الملقب بأحمر العينين) ابن كبشة بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (المكنى بابن فليتة) ابن مهنا بن حسن (المشهور بابن أبي عمارة) ابن مهنا الأعرج (المكنى بابن أبي هاشم) ابن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بـن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبد الله الأعرم بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. قد تفرع منهم عدة فصائل (كآل صالح. وآل محمد. وآل روضان. وآل راشد وآل صقر. وآل سعدون).

ويقال: إن أول من هاجر منهم من مكة المشرفة هو (الشريف شبيب ابن مانع) وأخواه (مهنا. وبركات) وأسباب ظعنهم من مكة مختلف في أسبابه. والمشهور بين المنتفق هو أن بني عمهم قتلوا عبداً للشريف شبيب المذكور. فتشاحنت قلوبهم. ثم اغرتهم أختهم (نوره) على الثأر من بني عمهم حفظاً لمكانتهم لاسيما وأن ذلك العبد كان مقدماً عندهم: فتعاز شبيب مع أخويه على الانتقام من بني عمهم وعينوا لهم يوماً. ثم هجموا في

على بني عمهم وقتلوا منهم جملة. ثم فروا من الحجاز بمن تبعهم فتوجه (مهنا ابن مانع) نحو تونس الغرب. وسار (بركات بن مانع) نحو بلاد العجم (إيران) وأقبل الشريف شبيب نحو العراق.

إمارة آل شبيب

أقبل الشريف شبيب بن مانع نحو العراق وذلك بعد انقراض دولة بني العباس من العراق. أي في حدود القرن (٧ هـ ١٣ م) ثم تزوج بامرأة عباسية فولدت له مانعاً[1] ثم صالحاً. وكان الشريف شبيب جواداً شجاعاً فاكتسب شهرة واسعة وطار صيته بين العشائر العراقية حتى صار مقدماً عندهم. ثم استفحل أمره حتى نفذ قوله على العشائر الملتفة عليه من بني مالك والنازلة بجذائه فتربس فيهم تدريجاً. ثم تفرد بالحكم على عشائر المنتفق ثم زاد نفوذه حتى صارت له صولة تامة على غالب عشائر العراق. ثم تسيطر على البصرة بعشائر بني مالك فجعل يعين عليها من شاء ويعزل من شاء لو لم يحصل بينه وبين الخزاعل وزبيد تشاحن وتخاذل لتمكن من حكم العراق أجمع كما سيأتي.

وكان لما قدم الشريف شبيب بن مانع إلى العراق بعد أفول دولة بني العباس وجد هناك قبائل لها نفوذ تام في البادية (فبنو مالك) كانوا مستولين على الأراضي الجنوبية من العراق (الشامية) تحت رآسة (ابن خصيفة) وأما (الأجود) فإنهم كانوا متغلبين على الغرَّاف (الحي) تحت زعامة (آل وطحل) فنزل الشريف شبيب بجوار بني مالك. ولما استفحل

---

(١) وقيل إن والدة مانع كانت من آل خصيفة أمراء بني مالك الذين كانوا مشايخ في بادية البصرة. كما سيأتي ذكرهم في داخل الأصل. اهـ مؤلف.

أمره وظهرت شوكته تسيطر أولاً على (بني مالك) ثم جعل يحارب بهم من ضادَّه.

ثم بعد مدة حصل بينه وبين رئيس (الأجود) مشاحنة أدت إلى مشق الحسام فجمع شبيب أعرابه وضمهم إلى بني مالك ومشى على الأجود وجرت بينهما عدة معارك أسفرت أخيراً عن قتل الشريف مانع بن شبيب ابن مانع فترييس محله ابنه مانع.

إمارة الشريف مانع بن شبيب بن مانع

أخذ الشريف مانع بن شبيب بن مانع بزمام الأمر. وكان قائداً حربياً ذا إقدام وبسالة. فجمع الجموع من مالك وجعل يواصل الحرب على (الأجود) حتى تفوق عليهم وأثخن فيهم القتل إلى أن أباد معظمهم ومحق شوكتهم وطلب من بقي منهم الصلح[1] وكان بجانب بني مالك فخائذ من عقيبة. وبجانب الأجود، قبيلة البدور. وفصيلة من الرولة. والشُريفات والجوارين[2] ولما طلبت عشائر الأجود الصلح أجابهم الشريف مانع إلى ذلك بشروط منها:

(١) ويقال: إنه لم يبق من رجال الأجود إلا (٤٠) طفلاً يتيماً قُتل آباؤهم أثناء الحروب وظلوا مستضعفين إلى أن نمت عشيرتهم مرة ثانية وعاد الفارون بعد الصلح وطلبوا الأمان. وهذه القصة شائعة بين المنتفق ويستشهدون لذلك بأن عشيرة الأجود تنتخي وتعتزي عند الضرورة واللزوم بكلمة (يتيم) إلى اليوم إشارة إلى يتمهم في بادئ أمرهم بعد تلك المعارك المجحفة التي ذكرناها في داخل الأصل. اهـ مؤلف.

(٢) الجوارين اسم يطلق على عدة قبائل تحالفوا وتسموا باسم (الجوارين) لفظ مأخوذ من المجاورة. ورئيسهم اليوم حسين بن قبيج الدريس. وحسن بن ثامر بن عبيقة =

١ - الاعتراف بأنه الزعيم الأعلى على الكل.

٢ - أنه لايجب عليه النهوض من مقعده فيما إذا قدم إلى مجلسه أحد رؤسائهم. أوحياه. أو سلم عليه.

ومنها شروط أخر يصعب قبولها فرضها عليهم (ثأراً) لدم أبيه الذي قتل أثناء المحاربة معهم كما تقدم. فقبلوا تلك الشروط وتم الصلح بينهما على ذلك مع من بقي من العشائر التي كانت منضمة إلى جانب «الأجود» وصاروا من حلفائه خاضعين له كما سيأتي. ثم لما نمت عشيرة آل أجود، وتطورت الأحوال جددوا التحالف مع القبائل التابعة لآل شبيب والمنبثة في الأراضي والمدن المعبر عنها اليوم (بالمنتفق) وهي التي ترتوي من نهر الغرّاف وما يتصل به إلى سواحل الفرات قبل أن يتفرق ماؤه في المستنقعات. وغدير الحمّار (هور الحمار) وأهم العشائر هناك. بنو ركاب[١] والحميد[٢] وعبودة[٣] وخفاجة[٤] وقسم من العشائر الصغار النازلة على

= يرأس فخيذة منهم جاءت من حائل قديماً مع زعيمها (سالم أبي عنن) فاستوطنت بادية العراق. ثم تحالفت مع الجوارين. وأنهم ينتخون اليوم عند الضرورة (بأخي سعدة). اهـ مؤلف.

(١) بنو ركاب زعيمهم اليوم الشيخ شلال. ومحمد بن كريم وهم نازلون في (أبي مهيف) قرب الشطرة.

(٢) آل حميد رئيسهم اليوم موحان بن النوري. وهم نازلون عند الكرادي.

(٣) عبودة شيخهم خيون بن عبيد بن جبير وهم نازلون عند الشطرة.

(٤) خفاجة هم من بني عمرو بن عقيل. وفي عام (٤١٧ هـ ١٠٢٥ م) جمعهم دبيس بن علي بن مزيد وحارب بهم قرواشاً أمير بني عقيل وملك منه الأنبار في تلك السنة. ثم انتقضت خفاجة على دبيس وأميرهم يومئذ (منيع بن حسان) وسار إلى الجامعين فنهبها وملك الكوفة وتغلبت خفاجة على الفرات حتى منعت بني عقيل من وروده. زعيمهم صقبان بن علي بن فضل. وهم نازلون في نواحي الشطرة. اهـ مؤلف.

الفرات. والكل كانوا يعرفون (بالأجود) وكانت الإمارة في أربعة بيوت منهم وأظهرها (بيت وثال) وآخرهم الشيخ على الحيدر وابنه الشيخ باقر وقد أعقب باقرٌ ابنين جعفراً وصادقاً وهما قد دخلا في سلك العلماء واستوطنا (سوق الشيوخ). وكان بعد انحلال آل وثال جعل أمراء آل سعدون ينتخبون لهم رئيساً. تارة من المناع. وطوراً من الخليف. وآونة من ابن صبيخة ورئيس المنتفق هو الذي يولي ويعزل من شاء منهم.

وأما بنو مالك[1] فكانوا مقيمين عند سوق الشيوخ. وبنو سعيد[2] كانوا في الجزيرة (بين الغرّاف ودجلة) وهؤلاء القبائل الثلاث (بنو مالك. والأجود. وبنو سعيد) هم الذين كانوا يؤلفون تحالف المنتفق الذي كان يرأسه آل شبيب. ثم آل سعدون كما سيأتي.

ولما اتحدت بنو مالك والأجود تحت رئاسة زعيمهم الباسل الشريف مانع. وأصبحوا قوة لاتغلب لاسيما بعد انضمام بني سعيد أهل الجزيرة إليهم[3] اشرأبت نفس الشريف مانع إلى البصرة. فزحف نحوها بجموعه

---

(١) بنو مالك كانت الرئاسة فيهم لجيش بن خصيفة. ثم لابنه علي. ثم لابنه ثامر بن علي. ثم لابنه سليمان بن ثامر بن علي بن حبش. ثم تنقلت الرياسة إلى (مصبح العرفج) وهو أيضاً من بني مالك وظل في المشيخة إلى أن توفي عام (١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) فترئس محله ابنه الأوسط (سلطان) نحو سنة ثم عزل وتعين بدله أخوه (مهلهل بن مصبح العرفج) سنة (١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م) اهـ مؤلف.

(٢) بنو سعيد كان رئيسهم (أبو حمزة) إلى أن انحلت مشيخة آل سعدون سنة (١٢٩٥ هـ ١٨٧٧ م) ثم جعلت الحكومة العثمانية تعين على كل فخيذة وعشيرة شيخاً منها. اهـ مؤلف.

(٣) هذا مجمل ما قيل في تحالف المنتفق الثلاثي. وأما اليوم فلم يبق من تلك الأقسام إلا جماعات قليلة لاتتحد مع بعضها إلا لغايات خصوصية. أو تصادق مؤقت لغرض من الأغراض. اهـ مؤلف.

فاحتلها وجعل يحكمها. وبقي الحكم فيها لأعقابه. ولما آل أمر البصرة إلى الشيخ مغامس ابن مانع.

إمارة الشيخ مغامس بن مانع

جعل مقر حكمه في البصرة وصار يدير شئونها وشئون البادية إلى سنة (٩٤٥ هـ ١٥٣٧ م) حيث بعث برضائه واختياره مفاتيح قلعتها مع ابنه (راشد بن مغامس) إلى السلطان سليمان العثماني وعرض عليه الطاعة والخضوع. فأصدر السلطان أمراً بإلحاق ولاية البصرة إلى مدينة بغداد يحكمها وال واحد. وبعد أن تحقق لدى السلطنة كمال الخضوع والانقياد من (الشيخ مغامس) أسرها ذلك فأمرت بإكرام ابنه راشد إكراماً جزيلاً. وأقرتها على حكم البصرة بشرط أن تكون الدراهم المتعاطى بها عثمانية. وأن يخطب في يوم الجمعة دائماً باسم السلطان العثماني كما وأنه يجب على الشيخ مغامس أن ينفذ ويعمل في البصرة بمقتضى ما تصدر له الأوامر من ولاة بغداد: فقبل الكل بذلك.

إمارة الشيخ مانع بن مغامس بن مانع بن شبيب

ثم إن الشيخ مغامس عين ابنه الشيخ مانعاً والياً على البصرة في سنة (٩٥٠ هـ ١٥٤٢ م) وجعل يدير الحكم بها على ما يرام. ثم في سنة (٩٥١ هـ ١٥٤٣ م) ظهرت من الشيخ مغامس بن مانع بوادر المخالفة وجعل يعاكس ولاة بغداد في بعض الأمور. ثم وافق أن لجأ إليه بعض الجناة الأشرار فحماهم حسب عادة العرب في الدخيل. فطلبتهم الحكومة إلى بغداد فامتنع من إرسالهم إلى بغداد. فرفع الوالي الخبر إلى دار السلطنة فصدرت

الأوامر بسوق الجنود نحو البصرة: فتوجهت تحت قيادة (إياس باشا) (سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٥ م) والتقى الفريقان عند الجزائر وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار الشيخ مغامس وفراره بمن يلوذ به نحو نجد. فسار إياس باشا إلى البصرة فوجدها خالية فاحتلها كما في تاريخها (ص ٣٠٧)

ثم في عام (٩٨٢ هـ ١٥٧٣ م) انتشبت الحرب بين قبائل العرب والجنود العثمانية فتفوقت العرب على الجنود. وفي عام (١١٠٢ هـ ١٦٩٠ م) عصت عشائر الجزيرة والمنتفق وهاجموا البصرة حتى وصلوا إلى المحل المسمى (بالدير) فبرز لهم والي البصرة (أحمد باشا بن عثمان باشا) وكافحهم وجرت بينهما معركة أسفرت عن انسحابهم لكن بعد أن قتل الوالي المذكور.

ثم في سنة (١١٠٤ هـ ١٦٩٢ م) لما وجهت ولاية البصرة إلى خليل باشا (أخي أحمد باشا والي بغداد) حشد الجنود وساقتها نحو (الشيخ مانع بن مغامس) والتقى الجمعان في الجزائر فدارت رحى القتال بينهما فأسفرت عن انكسار خليل باشا وتقهقر جنوده فاستولى الشيخ مانع على البصرة وذلك عام (١١٠٥ هـ ١٦٩٢ م) فعرضت الحكومة عن الحرب واستمالت الشيخ مانع بزيادة (مخصصاته) فخضع لأوامر الدولة وانسحب من البصرة فعاد خليل باشا والياً عليها.

ثم إن خليل باشا أساء المعاملة مع الأهالي حتى ثاروا عليه وطردوه من البلدة. وأرسلوا إلى الشيخ مانع يستقدمونه فقدم إليهم واستلم زمام إدارة البصرة وذلك عام (١١٠٦ هـ ١٦٩٣ م) وظل يحكم في البصرة ويدير شئونها وشئون عشائر المنتفق إلى عام (١١٠٩ هـ ١٦٩٦ م) حيث خدعه حاكم الجزيرة (فرج الله بن مطلب خان) واستعمل عليه الدسائس والحيل حتى

أخرجه من البصرة وضبطها هو وعين عليها من قبله (داود خان) كما في تاريخ البصرة (ص٣١٦).

ثم في سنة (١١١٥ هـ ١٧٠٢ م) حصلت معركة شديدة بين قبائل المنتفق وقبيلة خزاعة بقرب السماوة فتفوقت خزاعة بعد أن قتل من الطرفين خلق كثير. وفي عام (١١٢٠ هـ ١٧٠٧ م) شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية الشيخ مغامس بن مانع بـن مغامس بن مانع بن شبيب وجمع قومه وهاجم بها البصرة حتى احتلها فساقت الدولة نحوه الجنود. ولما علم بقربها منه تحصن في القلعة التي بناها في (القرنة) على نهر عنتر المعروف هناك. وجعل يدافع عن نفسه حتى عجز فاضطر إلى الانسحاب فدخلت الجنود العثمانية البصرة وحكمتها. كما في تاريخها (ص٣١٧) وبقي الشيخ مغامس في البادية شيخاً على المنتفق وكان له أخ يسمى صقر بن مانع تنسب إليه اليوم الصقر. ومنهم الشيخ ثويني بن سيف بن سلطان بـن مهنا بن فضل بن ناصر بن صقر بن مانع بن شبيب بـن مانع بن مالك الخ.

ثم أفضت المشيخة إلى:

الشيخ محمد بن شبيب بن مانع

وظل الشيخ محمد بن شبيب بن مانع في المشيخة إلى أن آل أمرها إلى:

الشيخ منيخر الصقر

فترأس الشيخ منيخر الصقر على المنتفق عام (١١٥٩ هـ ١٧٤٥ م) تقريباً وظل في المشيخة إلى أن أعقبه:

الشيخ عبد الله بن محمد

أخذ الشيخ عبد الله بن محمد بن شبيب بن مانع بزمام الإمارة وظل يدير شئونها إلى أن توفي عام (١١٧٥ هـ ١٧٦٠ م) وكان له من الولد: ثويني وحبيب. وناصر. ونجم. وصقر. فتقلد الأمر من بعده ابنه الشيخ ثويني:

فصل

في إمارة الشيخ ثويني بن عبد الله

المرة الأولى

تربع على أريكة المشيخة البطل الهمام الشيخ ثويني بن عبد الله بن محمد ابن شبيب بن مانع الشبيبي سنة (١١٧٥ هـ ١٧٦٠ م) بعد وفاة والده وجعل يوسع نفوذه ويقوي مركزه ويؤيد بني عمه بإسناد الوظائف لهم ليشتد عضده بأقاربه. حتى زها ملكه من عام (١١٧٥ هـ ١٧٦٠ م) إلى (١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ م) وكان المعاصر له ابن عمه ثامر بن سعدون بن محمد بن شبيب ابن مانع (وهو أيضاً أخوه من أمه) وكان لما تولى ثويني بن عبد الله رئاسة المنتفق كما تولاها من قبله أبوه وجده وأبو جده. وجه في بادئ الأمر سطوته ونفوذه نحو الأعراب المنبثين من جنوبي بغداد إلى حدود الكويت. وكان يعد من أجود العرب في زمانه وأسخاهم. فاستتب له الأمر كما أراد.

وله أيام مشهورة في الحرب لا سيما في زمن إمارته الأولى. فمن أيامه (يوم دُبَى) كربى اسم موقع قرب البصرة. وذلك أن عشائر بني كعب غزت أخاه (صقراً) فقصدهم ثويني وتواقع معهم وأثخن فيهم القتل حتى أذلهم وأسكن الرعب في قلوبهم. ومنها (يوم تنومه). ومنها (يوم ضجعة) والعوام

يحرفونها ويقولون (جضعة) وسبب الواقعة هو أن عبد المحسن ابن سرداح لما تاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الأحساء استعد لحربهم واستنجد بالشيخ ثويني فأمده بالمال وبالرجال. وكان رئيس بني خالد يومئذ (سعدون ابن عرعر) ولما تحقق لدى سعدون بأن الشيخ ثويني أمد عبد المحسن بالرجال استعد هو للفريقين. وفي فصل الربيع زحف كل فريق على من يليه. وأمر سعدون بن عرعر فرسان قومه بأن يشنوا الغارات على عشائر المنتفق قوم ثويني. ثم التقى الجمعان في أرض بني خالد في الموضع المسمى (ضجعة) ودارت بينهما الحرب والطعان. وتجالدت الفرسان مدة من الزمان. حتى سئمت أعراب بني خالد من الحرب فامتطى متن الخيانة بعض رجال (ابن عرعر) وتقهقروا. فتمكن الشيخ ثويني من اجتياح عشائر بني خالد وأثخن فيهم الضرب حتى فر سعدون في خاصته نحو نجد. فغنم ثويني ذخائرهم وأنعامهم. وعاد إلى مقره حاملًا لواء النصر والظفر.

الحوادث في زمن إمارة الشيخ ثويني

إن من أهم الحوادث في زمنه هي زحف الأعاجم (أهل فارس) نحو المنتفق بعد احتلالهم البصرة سنة (١١٩٠ هـ ١٧٧٥ م) كما في تاريخنا (ص٢٨٩) وقد طمعوا في غرو بلاد المنتفق فساق (صادق خان) جنوده نحو عشائر المنتفق فبرز لهم الشيخ ثويني بجموعه والتقى معهم في الموضع المسمى (الفضيلة) قرب ساحل الفرات الغربي. وتصادمت الأبطال في ذلك المكان وحمي وطيس القتال فلم يك إلا برهة من الزمان حتى أدبرت الأعاجم مكسورة أمام ضراغمة المنتفق وخسروا أنفساً كثيرة. ومات معظم من سلم من القتل غرقاً في النهر. وذلك لأن قائد العجم استحسن بأن يجعل نهر الفرات خلف جنوده حفظاً لهم من حدوث طارئ يهاجمهم من الخلف ا

عرفوه من خفة سرعة خيالة العرب في الالتفاف على العدو (وقطع خط الرجعة عليه) فكان ذلك الرأي هو السبب لدمار جنوده لأنه لما بدأ فيهم الفشل وأرادوا الهزيمة لم يجدوا مفراً سوى العبور في النهر إلى الجانب الآخر. فلحقتهم فرسان العرب تثخنهم ضرباً وطعناً وهم على حافة النهر. ففقدوا معظم قوتهم وذهب من نجا منهم إلى البصرة ودخلوها متقمصين ثوب الفشل والقهر.

فحنق لذلك صادق خان وصمم على إعادة الكرة على المنتفق مرة ثانية (لإماطة ثوب الفشل والعار) وكسر شوكتهم. وطلب المدد من أخيه (كريم خان الزندي) فأرسل إليه ما أراد من الرجال والسلاح. ولما تكاملت لديه القوة استعد للحرب ونظم جنوده كما يرام.

وفي سنة (١١٩٢ هـ ١٧٧٧ م) ساق جنوده نحو بلاد المنتفق تحت قيادة (محمد علي خان) الشهير بينهم بالبسالة. وكان مع عساكر العجم عشائر (بني كعب) فالتقى الجمعان في المحل المسمى (أبا حلانة) وعندما عاين العرب كثرة جنود العجم وقوة استعدادهم جنحوا إلى السلم. وأرسلوا إلى محمد علي خان يذاكرونه في الصلح. فطمع فيهم واستضعفهم بطلبهم الصلح وجعل يشترط عليهم شروط أباها شيم العرب. فرفض الشيخ ثويني قبول تلك الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان واستعد للنزال مستصوباً قول عمرو بن معديكرب الزبيدي حيث يقول:

لما رأيت نساءنا يعزفن بالمعْزاء شدّا
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدّى
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الأمر جدّا
نازلت كبشهمو ولم أر منْ نزال الكبش بُدّا

وكان محمد علي خان قد رتب مكيدة حربية للعرب مع (علوان شيخ آل كثير) وقت الزحف على المنتفق. فوصل خبر تلك المكيدة (للشيخ ثويني. وثامر) بواسطة الجواسيس. فتحذرا منها. واستعدا لفل ما غزله قائد العجم. ولما تصادم الجمعان وتقارعت الأقران. حملت العرب حملة رجل واحد على خصمائهم. فلم تمض إلا ساعات حتى انفل جيش العجم المتلب وتقهقروا فارين دون انتظام لا يلوى أحد على صاحبه. بعد أن قتل قائد العجم وذلك في ٢٥ ذي القعدة عام (١١٩٢ هـ ١٧٧٧ م).

وإن هذه المعركة صارت سبباً في تثبيط همة العجم من الولوج في أراضي العراق ومن التوغل فيها. ولما عاد الشيخ ثويني إلى مقره رافع راية الظفر. وفدت عليه الشعراء وهنأته بالنصر والظفر. فأجازهم بالمجوهرات والتحف التي غنمها من العجم وبالسيوف المرصعة النادرة الرحوذة. وكان ممن أبلى في هذه المعركة بلاء حسناً (حمود بن ثامر السعدون) وهو يومئذٍ فتى شاباً. ومحمد بن عبد العزيز بن مغامس. واقتصر العجم على احتلال البصرة فقط كما في تاريخها (صفحة ٣٢٢).

وفي عام (١١٩٣ هـ ١٧٧٨ م) حصل خلف بين المنتفق وقبيلة خزاعة أدى إلى مشق الحسام. ثم أسفر عن قتل (ثامر بن سعدون بن محمد) وكان قد أعقب تسعة أبناء وهم. (حمودو محمد) وهما أشقاء وأخوالهما بنو خيقان. (وراشد وعبد الله) وهما أشقاء وأخوالهما (أهل الخرج من نجد). وقد أعقب عبد الله ابنين مشاري وعَمْراً. فمشاري أعقب بدراً. وأعقب عَمْرٌ حَمُّودًا. وناصر وعلي وصالح أشقاء وأخوالهم (الشحمان). وعبد المحسن وأخوالهم (آل محسن) من أشراف الحجاز. وآل محسن هاجروا من مكة إلى العراق سنة (١٠٤٠ هـ ١٦٣٠ م) وكان زعيمهم في سنة (١٢٧٠ هـ ١٨٢٥ م) عندما أنشأ الأتراك حكومة قومية في السماوة (سعدون آل محسن). وكان رجلاً سفَّاحاً. ومنصور وأخواله من (بيت كليب من ربيعة).

غزوة الشيخ توينى نحو نجد

وفي أوائل سنة (١٢٠١ هـ ١٧٨٥ م) جمع الشيخ ثويني جموعه من المنتفق. وأهل المجرة: وأهل الزبير: وأعراب شمَّر. وغالب فخائذ طي. وزحف بتلك القوة نحو نجد حتى دنا من (القصيم) فخيم عند قرية (تنومة) وتواقع مع أهلها حتى تفوق عليهم وغنم منهم. ثم ارتحل بجنوده قاصداً (بريدة) وهاجم أهلها حتى أخضعهم. وكاد أن يخضع بتلك الجموع سائر أنحاء نجد لتوفر قوته ولكن بينما هو يحتل الأراضي النجدية، وإذا بمخبر يخبره بحدوث خلل في العراق يهدد مركزه هناك وبحصول بعض الفتن في نواحي بغداد أيضاً[1] وسعى المفسدون وألفتوا أنظاره نحو البصرة ليكف عن التوغل في نجد، ثم أتاه منضماً إليه (حمد بن حمود شيخ خزاعة) فعطف الشيخ ثويني بجموعه متجهاً نحو البصرة حتى خيم عند قصبة (الزبير) وذلك بتدبير سليمان بن شاوى كما في الحاشية. فخرج متسلم البصرة (إبراهيم بيك) لملاقاة الشيخ ثويني للسلام عليه. وعندما دخل المتسلم أمر عليه الشيخ ثويني بالقبض واعتقاله. ثم ركب الشيخ مع قومه وسار إلى البصرة

---

(١) وذلك أن حمداً بنَ حمود شيخ خزاعة كان قد شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية سنة (١١٩٩ هـ ١٧٨٤ م) فوجه وزير بغداد نحوه الجنود. وتواقعت معه في (الأهواز) حتى كسرته فتفرقت جموعه. وفر حمد إلى (الحسكة) ولما علم (عجم محمد) العاصي على الدولة أيضاً بفرار حمد التحق به وانضما معاً على العبث في أطراف العراق. ثم لحقهما بعد ذلك سليمان بن شاوى. ثم إن ابن شاوى فارقهما. وسار نحو (الشيخ ثويني) وأغراه على احتلال البصرة. والكف عن التوغل في نجد ثم حسَّن له بأن يسعى في خلع وزير بغداد بمكاتبة الدولة العثمانية. فانخدع ثويني بطلاوة لفظه ووافقه على مرامه. وأرسل ثويني إلى حمد بن حمود شيخ خزاعة يستقدمه للغرض ذاته وليتفقا على مهاجمة البصرة كما في تاريخها (ص ٣٢٥) اهـ مؤلف.

واحتلها بجموعه. ثم أمر بمصادرة جميع ما يملكه المتسلم. ثم بعد ذلك نفاه إلى (مسقط) ومنها توجه المتسلم بنفسه إلى وطنه.

ثم إن الشيخ ثويني أحضر أعيان البصرة ورؤساءها ووعدهم ومناهم بالمناصب وطلب منهم بأن يكتبوا (مضبطة) إلى الحكومة العثمانية يطلبونه حاكماً عليهم. فامتثلوا الأمر وكتبوا إلى الدولة بذلك وأرسلوها مع مفتي البصرة يومئذٍ، فلما وصل (الآستانة) عرضها على أعتاب السلطنة فغضبت غضباً شديداً وكادت أن تأمر بصلب المفتي لولا تدارك بعض العلماء ذلك إكراماً للعلم كما في تاريخ البصرة (**صفحة ٣٢٦**) وبادرت الحكومة بإصدار الأوامر إلى وزير بغداد (سليمان باشا) يسوق الجنود نحو البصرة ومحاربة ثويني وإخراجه منها. فصدع بالأمر وخرج الوزير من بغداد في ١٢ جمادى الأولى عام (١٢٠١ هـ ١٧٨٥ م) يقود الجنود بنفسه نحو البصرة وبدأ أولاً بالمسير نحو عشيرة خزاعة وسقاها كأس الردى وأثخن فيها الضرب لانضمام رئيسها حمد بن حمود إلى الشيخ ثويني كما تقدم. وكان سليمان باشا قبل خروجه من بغداد كاتب (حموداً بن ثامر) يستقدمه. فوفد إلى الوزير حمود منابذاً عمه ثويني. وبعد أن أخضع الوزير قبائل خزاعة زحف بجنوده نحو بلاد المنتفق ولما وصل الموضع المسمى (أم العباس) خيم فيه وأقام به ثلاثة أيام وذلك في غرة محرم عام (١٢٠٢ هـ ١٧٨٦ م). ولما علم ثويني بقدوم الجنود العثمانية نحوه خرج إليهم بجملة من الأعراب وأهل الزبير بعد أن جعل على البصرة أخاه (حبيباً) من قبله. وتصادم ثويني مع الجنود (بأدنى المجر) عند نهر الفاضلية قرب (سوق الشيوخ) وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار ثويني وتفرق جموعه وفراره إلى الجهرة (وهو اسم ماء غرب الكويت) ثم رحل منه متجهاً نحو بني خالد في (الصمان) فكانت مدة حكمه في البصرة نحو ثلاثة أشهر.

إمارة حمود بن ثامر بن سعدون المرة الأولى

فدخل سليمان باشا البصرة وأمن الأهالي وعين عليها (مصطفى آغا الكردي) ونصب حمودا شيخاً على المنتفق، ثم عاد الوزير إلى مقره كما في تاريخ البصرة (صفحة ٣٢٧).

وفي عام (١٢٠٣ هـ ١٧٨٧ م) دخلت أراضي (السماوة) تحت حكم حمود ابن ثامر بعد حرب دموية وقعت بينه وبين خزاعة، وفي تلك السنة (١٢٠٣) أيضاً شق عصا الطاعة متسلم البصرة (مصطفى آغا) المذكور. وأرسل إلى الشيخ ثويني بن عبد الله يذاكره في الأمر. وكان مخيماً ببعض عشائره غربي البصرة عند (جبل صفوان) فاتفق رأيهما على العصيان بشرط أن يعاضد كل واحد صاحبه على تقوية منصبه.

ثم إن مصطفى آغا كتب (محضراً) لوزير بغداد قال فيه (إن حموداً بن ثامر) لا يتمكن من إدارة شئون مشيخة المنتفق (وإن عمه الشيخ ثويني هو رجل محنك في الإمارة وقد مارسها مدة فينبغي تعيينه شيخاً على المنتفق) فشعر الوزير بما أبطنه المتسلم. ولكن وافقه على تعيين ثويني مسايسة. وعزل حموداً عن المشيخة. وأرسل خلعة الإمارة لثويني حسب العادة، وجعل يسوسها إلى أن تمكن من القبض على المتسلم كما في تاريخ البصرة (صفحة ٣٢٨).

مشيخة ثويني بن عبد الله المرة الثانية

ولما عين وزير بغداد الشيخ ثويني بن عبد الله بن محمد سنة (١٢٠٣ هـ ١٧٨٧ م) أخذ بزمام الإمارة. فاطمأن خاطر المتسلم بتعيين ثويني (ظناً منه بأنه نجح في مكيدته) وظل يقوي مركزه لتتميم ما عزم عليه، وكاتب كلَّ

من وافقه على العصيان إلى ضبط أموره وأيدها. ثم تظاهر بالعصيان فقتل رئيس بوارج البصرة (المورع البحري) حيث فهم بأن الوزير أمر سراً للموزع المذكور بالقبض على المتسلم. فبادر المتسلم بالقتل قبل أن يُقبض.

فعند ذلك ساق الوزير الجنود من بغداد نحو البصرة يقودها بنفسه ولما وصل إلى الموضع المسمى (بالعرجاء) ترفع الشيخ ثويني من موضعه إلى البادية. وعند ما رأى مصطفى آغا تخاذل رهطه ما وسعه إلا الفرار بنفسه إلى الكويت.

ولما بلغ الوزير خبر تمزق جموع العصاة بالرعب قبل اللقي جد في السير نحو البصرة حتى عسكر خارجها، ونصب على البصرة (الأمير عيسى بيك الماردیني) متسلماً عليها، وأعاد (حموداً) شيخاً على المنتفق وذلك عام (١٢٠٤ هـ ١٧٨٨ م) ثم قفل الوزير راجعاً إلى مقره في العام المذكور كما في تاريخ البصرة (صفحة ٣٣٠).

تولية حمود بن ثامر المرة الثانية

لما أخذ حمود بن ثامر بزمام الحكم عام (١٢٠٤ هـ ١٧٨٨ م) جمع جموعه من المنتفق وأهل الزبير، ومشى بهم يقودهم نحو عمه الشيخ ثويني وتصادم معه عند (جبل صفوان) حتى اضطره إلى التقهقر فغنم حمود خيامه وبعض عتاده وذهب ثويني إلى (الدورق) من بلاد بني كعب (جنوب البصرة) ومن ثم توجه نحو الأحساء حتى نزل عند رئيس بني خالد (زيد بن عرعر) واستنصره على ابن أخيه فاعتذر له بعدم التمكن على الغزو بقوله إن حموداً هو مُنَصَّبٌ من قبل الدولة العثمانية والحرب معه تُعد حرباً مع الدولة. فغادره ثويني متجهاً إلى الكويت، ومنها إلى العراق حيث ولج بغداد خفية عام (١٢٠٥ هـ ١٧٨٩م) وذهب إلى صرح الوزارة وألقى نفسه في

رحاب الوزير (سليمان باشا) وطلب منه العفو عما مضى فعفا عنه وقبل عذره، وأقام عنده مدة طويلة وجعل يترجاه في إعادته على مشيخة المنتفق كلما سنحت له فرصة وهو يتعهد للوزير بمحاربة الوهابية في نجد وصد غاراتهم المتوالية في تلك الأيام على العراق وسعى في إنجاز ذلك كثيراً من الفارين من نجد من الوهابية في ذلك الوقت. وكاتبوا سليمان باشا في ذلك من البحرين، والكويت. والزبير. واسترحموا إعادة ثويني شيخاً على المنتفق ليمشي على الوهابية. فلبى الوزير طلبهم ووجه مشيخة المنتفق لثويني عام (١٢١١هـ ١٧٩٥م) بعد أن أمر بعزل حمود بن ثامر عن المشيخة.

تولية ثويني - المرة الثالثة

فتوجه الشيخ ثويني بن عبد الله من بغداد محفوفٌ بالعساكر العثمانية بأمر الوزير حتى أوصلوه إلى مقر إمارته في موكب عظيم وذلك سنة (١٢١١هـ ١٧٩٥م) ولما استتب حكمه واستقرت أموره مع قبائل المنتفق جعل يحشد الجموع من أعراب المنتفق وأهل الزبير وأعراب الضفير، وعند ما تكاملت جموعه سار بهم نحو نجد في أواخر العام المذكور، واستقدم من الأحساء رئيس بني خالد (براكاً بن عبد المحسن الخالدي) فجمع المذكور جموعه من بني خالد وسار بهم نحو ثويني منضماً له ليساعده على ردع الوهابية الذين انتزعوا منه حكم الأحساء. فاجتمع بالشيخ ثويني في (الجهرة) وقررا بينهما خطة الدفاع والهجوم. وأقاما هناك نحو ثلاثة أشهر حتى تكاملت جنودهما.

وجعلت الأعراب الفارة من أمام الوهابية تقدم عليهما من كل حدب.

ثم إن الشيخ ثويني أركب بعض جنوده في السفن من البصرة ومعهم الميرة.

وأمرهم بالمسير نحو (القطيف) وزحف هو بنفسه يقود الجنود براً نحو (الأحساء) فلما علم بقدومهم (محمد بن معيقل) قائد جموع الوهابية. خامره الخوف فارتحل بجموعه من (قرية) وهو اسم ماء في (الطَّفّ) حتى نزل بهم (أم ربيع وجودة) فأتى ثويني ونزل بجموعه في الطَفّ قرب موضع خصمه. فطلب محمد بن معيقل أمداداً من الأمير (ابن سعود) فأمده بجموع تحت قيادة (حسن بن مشاري بن سعود) وأمره بأن يكون هو القائد العام للجيشين.

فلما وصل المدد إلى ابن معيقل حصل عندهم بعض النشاط. ولكن الشيخ ثوينى لم يقصدهم بالحرب بل أعرض عنهم وارتحل بجموعه من الطفّ وسار حتى نزل موضعاً يسمى (الشباك) وهو ماء في أرض بني خالد.

وعند حط الرحال قتل الشيخ ثويني غيلة وذلك أنه كان منفرداً عن حاشيته أثناء نصب الخيام فأتاه من خلفه خادم يسمى (طعيسا) وطعنه برمح بين كتفيه[1] فخز شهيداً (فقتل ذلك الخادم في الحال ولم يستنطق عمن عمده على فعلته) وحمل الشيخ ثويني إلى داخل خيمته ميتاً. ثم دفن سراً في (جزيرة العماير) وأراد رؤساء قومه إخفاء موته لئلا تنفلّ جموعهم وأخبروا بأنه مريض وجعلوا يطلبون له القهوة والماء تظاهراً بأنه حي. وعينوا أخاه (ناصراً) وكيلاً عنه وذلك في ٤ محرم عام (١٢١٢هـ

---

(١) طعيس كان مملوكاً للجبور من بني خالد ففر من سيده براك بن عبد المحسن وبقي عند ثويني. ثم انهزم إلى الوهابية في نجد. ثم غزاهم ثويني ذات مرة قبل هذه الغزوة وكسرهم وسبى منهم سبياً وفي ضمنه هذا العبد فأخذه وأعاده إلى سيده الأول براك المذكور. فغضب العبد وصمم على قتل ثويني. وقيل: بل إن العبد هو معمد من قبل الوهابية بقتل ثويني. ولما حانت له الفرصة أثناء نصب الخيام طعنه طعنة نجلاء. اهـ مؤلف.

١٧٩٦م) ولكن رغم ذلـك التكتم فشا خـبر موتـه فانسل (براك الخالدي) بقومه وانضم إلى حسن بن مشارى. فوقع التخاذل والفشل في بقية الجموع. فارتحلوا منهزمين لا يلوى أحد على صاحبه. فتتبعهم حسن بن مشارى بجيوشه وظل يطاردهم حتى أوصلهم (الكويت) ثم كفّ عنهم وسار بقية المنهزمين حتى نزلوا ماء يسمى (أصفوان) ثم شرع إخوة ثويني في لمّ شعث جنودهم ليعيدوا الكرة على الوهابية مرة ثالثة. إلا أن وزير بغداد صرف نظره عنهم وولى مشيخة المنتفق لحمود بن ثامر. وكان ثويني قد أعقب من الأبناء (براكاً. و).

تولية حمود - المرة الثالثة

لما تولى حمود بن ثامر إمارة المنتفق سنة (١٢١٢ هـ ١٧٩٦م) سار في الحكم بسيرة حسنة فخضعت لسطوته الأعراب. لأنه كان معدوداً في فرسان العرب وشجعائهم كما وأنه يعد في أذكيائهم ودهاتهم. وله وقائع وأيام مشهورة أقر له فيها خصماؤه. فمن أيامه وهو فتى في حياة والده (يوم الرضيمة) وهو يوم لسعدون بن عرعر الخالدي على ثامر السعدون فإنه في ذلك يوم طاعن مطاعنة الفحول. ومنها (يوم أبي حلانة) عام (١١٩٢ هـ ١٧٧٧م) وهو يوم للمنتفق على (محمد علي خان الزندي) قائد العجم في البصرة كما في تاريخها (صفحة ٣٢٢) فإنه ما عرف حمود وذكر اسمه بين الشجعان إلا في ذلك اليوم ومنها (يوم علوى) اسم ماء على ساحل غدير يبعد عن البصرة بنحو (٣٥) ميلاً جهة الغرب فإنه كان فيه فارس الكتيبة. وله عدة أيام مشهورة تقدم ذكر بعضها. وفاتنا ذكر البعض الآخر (لفقد مسودة تاريخ المنتفق منا) كما وضحنا ذلك في مقدمة تاريخ البحرين. ومن محاسن حمود بن ثامر إفشاء السلام على من عرف ومن لم

يعرف. وإطعام الطعام. حتى إنه ليلزم ضيوفه بالمقام عنده أعواماً. ومن ديدنه السؤال عن جليل الأخبار السياسية وغيرها. وإنه لذو حلم ووقار. ولما كفَّ بصره آخر عمره ازداد هيبة ووقاراً. وعظم ملكه وسلطانه واستمرت مشيخته الأخيرة إلى سنة (١٢٤٢هـ ١٨٢٥م) كما سيأتي.

على أن الشيخ حموداً كان ينتقد عليه في إناءته المفرطة. وإنه لا يسمع شكاية في عماله ولو تظاهروا بالظلم. ولا يصغى لمنتقد على كاتبه ولو جار أو عطل أمور الرعية. وإن صاحب الظلامة يمكث في ضيافته مدة ويأكل من طعامه في تلك المدة أكثر مما يطلبه. وهو مستبد برأيه.

الحوادث في زمن إمارة حمود

وفي سنة (١٢١٣هـ ١٧٩٧م) حشد وزير بغداد الجنود وساقها نحو (الأحساء) تحت قيادة (الكتخدا علي بيك) لمحاربة الوهابية الذين احتلوا الأحساء وصحبه بأمر الوزير (حمود بن ثامر) بأعرابه وفي ضمنهم عشائر عقيل يرأسهم يومئذٍ (ناصر بن محمد الشبلي) وعشائر شمَّر ويقودهم رئيسهم (فارس بن محمد الجربا الشمَّري). وأصحب الوزير أيضاً مع الكل (محمداً بن عبد الله بن شاوي الحميري) أحد دهاة العرب في أيامه ومعه ثلة من أهل الزبير يقودها (إبراهيم بن ثاقب بن وطبان) فسارت تلك الجموع نحو الأحساء حتى نزلت (المبرز) وحاصروا قلاع البلدة وظلت المدافع تقذف قنابلها عليهم وفي أثناء مدة الحصار غزا الشيخ حمود أطراف نجد فأغار على قبيلة (سبيع) وغنم منهم إبلاً وضأناً. وكان بصحبته في هذه الغزوة (فارس الجربا) وابن أخيه بنية ابن قرينس[1] وكان بنية أحد من اشتهر

(١) تصغير قرناس. والقرناس في أصل اللغة شبه أنف بتقدم الجبل اهـ مؤلف. والقياس في تصغير قرناس: قرينيس. اهـ مصحح.

بالكرم والشجاعة والنخوة. ولما قفل حمود بغنائمه وأقبل على (الكتخدا) قدّم إليه تلك الغنيمة إمداداً للجنود فقويت همة الكتخدا على مثابرة الحصار. ولكن جنوده سئمت الحرب فتمكن بعض الخونة من إفساد آراء الجند فتظاهروا بالضجر فاضطر الكتخدا للإنسحاب. فقوي عزم الوهابية وخرجوا في أثرهم يطاردونهم حتى أدركوهم في موضع يقال له: (تاجا) ثم نزلت جموع الوهابية في الموضع المسمى (الحناءة) واشتبك القتال بين الفريقين فقتل من المنتفق (خالد بن ثامر) أخو حمود. وبينا الفرسان في طراد وطعان وإذا بالكتخدا قد جنح إلى الصلح بترغيب من (إبراهيم ابن ثاقب بن وطبان) لأنه كان متهوماً بميلانه إلى بعض عقائد الوهابية. فجعل يلقى الرعب لدى الكتخدا ويجسم له هول الموقف الحرج حتى خامره الروع وجنح للصلح.

وفي أواخر عام (١٢٢٠ هـ ١٨٠٤ م) حاصر سعود بن عبد العزيز أمير الدرعية البصرة وقتل وسلب وحرق. فصابر متسلم البصرة (إبراهيم آغا) ودافع عن البلد مدافعة الأبطال. ثم أتاه حمود بقومه وانضم الكل على مكافحة الوهابية حتى ألجأوهم إلى التقهقر والإنسحاب من نواحي البصرة.

وفي ١٠ ربيع الثاني عام (١٢٢١ هـ ١٨٠٥ م) لما ساق علي باشا وزير بغداد الجنود نحو أراضي العجم يقودها بنفسه لمحاربة (فتح علي خان) حتى أوغل في حدود (إيران) وعسكر هناك ثم وجه الجنود نحو مواقع العجم تحت قيادة ابن أخته (الكتخدا سليمان بيك) فصادمته طليعة يقودها (عبد الرحمن باشا) جبار الكرد. الذي كان طريداً في أرض العجم وجرت بينهما معركة دموية انهزم فيها سليمان بيك وأخذ أسيراً عند العجم. فلما وصل خبر الحادثة إلى خاله الوزير علي باشا اضطر إلى التقهقر والتحصن في الجبال

إلى أن قدم إلنيه حمود بن ثامر بقومه فانسحب الكل بانتظام وعادوا إلى بغداد فدخلوها في رجب من العام المذكور. (فأكرم الوزير في بغداد حمود على علو همته ومساعدته لدولته وأحسن جائزته بعد أن كان بينهما تباغض شديد) ثم بعد مدة أطلق العجم سراح سليمان بيك ورجع إلى بغداد.

وفي عام (١٢٢٥ هـ ١٨٠٩ م) لما بلغ وزير بغداد سليمان باشا بأن متس البصرة (سليمان بيك) ظهرت منه بوادر يفهم منها أنه يريد شقّ عص الطاعة فعند ذلك أمر الوزير (حموداً) بالمسير مع قومه نحو البصرة فسا إليها وحاصرها وأتاه أهل الزبير مساعدين له فجعلهم في جهة معينة تحت قيادة ابنه (برغش ابن حمود) وظل الكل مثابرين على حصار البصرة حتى احتلوها كما في تاريخها (صفحة ٣٣١).

وفي سنة (١٢٢٧ هـ ١٨١١ م) لما قفل وزير بغداد عبد الله باشا راجع من محاربة الأكراد وتأديب العصاة العائثين في نواحي الموصل. ووصل إلى (الجديدة) قاصداً بغداد مقر وزارته بلغه هناك بأن (سعيد باشا بن سليمان باشا) الأول. قد فرّ من بغداد في (٩ آب) من العام المذكور ملتجئاً إلى شيخ المنتفق حمود بن ثامر. لبساعده على توجيه وزارة بغداد له (أي لسعيد باشا) بمكاتبة الدولة في ذلك. فغضب الوزير لذلك ولما استراحت الجنود في بغداد أمر بحشدها مرة ثانية. وأصدر أمراً بعزل حمود عن مشيخة المنتفق لقبوله التجاء سعيد باشا إليه. وعين بدله نجماً بن عبد الله.

إمارة نجم بن عبد الله بن محمد بن مانع

وفي عام (١٢٢٧ هـ ١٨١١ م) عين الوزير شيخاً على المنتفق نجماً بن عبد الله أخا تويني. وفي غرة ذي القعدة من العام المذكور خرج الوزير من بغداد يقود الجنود بنفسه يؤم بها حموداً. بعد أن أرسل له رسلاً يطلب منه تسل

سعيد باشا ولما امتنع من تسليمه كما هي عادة العرب في الدخيل عندهم زحف الوزير عليه بالجنود. وعند وصوله أرض المنتفق عبر من غربي الفرات إلى الجزيرة فانضم إليه شيخ ربيعة (مشكور) وسار بقومه. وكان مشكور هو قائد أول طليعة للجيش فتصادم مع (صالح بن ثامر) وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن قتل مشكور وتفرق قومه. فزحف الوزير بالعساكر حتى نزل قريباً من عشائر المنتفق ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين. فطعن (برغش بن حمود بن ثامر) ونُقل جريحاً إلى مخيمه. ثم حمل علي بن ثامر على نجم بن عبد الله (الرئيس الجديد للمنتفق) فقتله. فانخذل (آل قشعم) الموالون للوزير[1] فقويت شوكة المنتفق. ثم جعلت القبائل

---

(١) رئيس آل قشعم اليوم (عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزى) بكسر الغين وهو الذي نزح من نجد إلى أطراف العراق في القرن (١٠ هـ ١٦ م) أي (غزى) هو الذي نزح من نجد. وإنه في سنة (١١٥٢ هـ ١٧٣٨ م) شق عصا الطاعة عشيرة آل قشعم فحشد وزير بغداد (أحمد باشا) العساكر وسار بها يقودها نحوهم وتواقع معهم حتى كسرهم وفر أميرهم (صقر الأول بن حمود) وغنمت العساكر منهم مغنماً مهماً من الأنعام. وكان قد أمر أحمد باشا الجنود بعدم التعرض لبيت صقر إكراماً لمنزلته. ثم طلب صقر الصلح فصالحه أحمد باشا وعفا عنه. وقد مدح (أحمد باشا) السيد عبد الله فخري زادة بقصيدة عدد أبياتها (٢٣) بيتاً جاء فيها بيت حوى الطباق والتورية والكناية:

عقاب الوغى لما بدا طار (صقرهم) لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم

والواقعة حصلت سنة (١١٥٢ هـ) كما تقدم فأرخها الشيخ عبد الله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي أحمد باشا المذكور. وهو:

إن يضق رحب الصحارى أرخوا هل لصقر في صحارى الهول وكر

٣٥ ٤٢٠ ٩٠ ٣٠٩ ٧٢ ٢٢٦

(١١٥٢ هـ) (١٧٣٨ م) اهـ مؤلف.

تلتحق بهم حتى انضم إلى المنتفق غالب العشائر فحمى وطيس القتال على الوزير حتى طلب الأمان لنفسه ولطاهر بيك ولمن معها من الخواص فأعطاهم حمود الأمان (ولكنه لم يف به) لأن أعراب حمود جعلوا ينهبون العساكر ولم يبقوا لأحد منهم ما يستر به عورته ولا ما يسد به رمقه. ولا مانع لهم.

إمارة حمود بن ثامر- المرة الرابعة

وبعد أن قتل نجم بن عبد الله في أثناء المعركة كما تقدم. تربس بالقوة في مكانه (حمود بن ثامر) وذلك عام (١٢٢٨ هـ ١٨٢٢ م) ولما طلب الأمان الوزير لنفسه ولمن معه وسلم نفسه. أمر حمود باعتقال عبد الله باشا الوزير المذكور ومعه طاهر بيك وشخص ثالث معهما فكبلوا في الحديد. وأرسل بهم إلى (سوق الشيوخ) حيث سجنوا هناك. ولما مات برغش بن حمود من تلك الطعنة التي طعنها في ميدان القتال. ذهب عمه راشد بن ثامر إلى السجن وقتل الثلاثة المذكورين (عبد الله باشا وطاهر بيك وصاحبهما) خنقاً بالحبال. وبعد أن قبروا أعاد عليهم فنبشهم وقطع رؤوسهم وشهرها ثأراً لابن أخيه برغش.

وبعد تلك الحوادث توجه سعيد باشا إلى بغداد وصحبه حمود بقومه حتى دخلا بغداد بمحفل عجيب. فكاتب سعيد باشا الدولة العثمانية طالباً وزارة بغداد لنفسه فأرسلت الدولة له (مرسوماً) بإسناد إيالة بغداد إليه وشهر زور والبصرة فوصله في عام (١٢٢٨ هـ ١٨١٢م) فبعد ذلك أكرم سعيد باشا (حموداً) إكراماً جزيلاً ومنحه جميع ما في جنوب البصرة من القرى والنخيل يستوفى وارداتها لنفسه هي وما جاورها (وهو قسم لا يستهان به) لأن إيراده كان يقارب ثلث إيراد العراق (في ذلك

الزمن) ولما انتظم أمر سعيد باشا في بغداد واستتب له الأمـر رجع حمود إلى مقره. وكان في الحقيقة زمام أمور سعيد باشا في يد حمود يديرها كيفما شاء. وقد ابتسم الزمان للمنتفق في ذلك العصر وأطاعهم الحاضر والبادي. وقصدتهم الشعراء وأجازوا بالجوائز العظام التي ربما فاقت على جوائز بني العباس.

وكان لما تولى سعيد باشا وزارة بغداد عام (١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م) كما تقدم. خشي منه (بنية بن قرينس الجربا الطائي) وخاف على نفسه فعبر من الجزيرة إلى النواحي الواقعة غربي الفرات لما بين عمه (فارس الجربا) وآل عبيد الحميري من الضغائن لا سيما وأميرهم يومئذٍ (قاسم بن محمد بن عبد الله ابن شاوى الحميري) وكان سعيد باشا يميل إلى تنفيذ قوله ورأيه فخاف سية منهما وظعن من الجزيرة.

وفي سنة (١٢٣١ هـ ١٨١٥ م) نزل (بنية) بعشيرته على قبيلة خزعة ليكتال منهم وكان بينه وبين (الدريعي الروبلي العنزي) ضغائن قديمة فاقتفي الدريعي أثر (بنية الجربا) حتى نزل قريباً منه. واستنفر حمود بن ثامر فقدم إليه بقومه. وأرسل وزير بغداد لهما مدداً تحت قيادة قاسم بن محمد الشاوى ومعه عساكر عقيل النجدية ليعقبوا (بُنية الجرَبا) لأن الكل يهابه ويخشاه. فمشت تلك الجموع نحوه حتى تصادموا معه وحصلت بينهم معركة دموية انجلت عن قتل بُنية وقطع رأسه وإرساله إلى الوزير (وكان بنية هذا يعد في فرسان العرب وشجعانها. وله كعمه فارس الجربا هيبة وعظمة أيام وزير بغداد علي باشا.

وفي سنة (١٢٣١ هـ ١٨١٥ م) أيضاً حصل سوء تفاهم بين سعيد باشا و(كتخداه) كاتب سره (داود باشا) فهمّ الوزير باغتيال الكتخدا ولما أحس

داود باشا بالمؤامرة عليه ركب متن الحذر ثم خرج من بغداد (في ١٢ ربيع الأول) من العام المذكور. وتوجه إلى (كركوك) مع أتباعه وحاشيته وهم نحو (٢٠٠) رجل. ثم أرسل كتاباً إلى الدولة العثمانية وأخبرهم بما يجريه سعيد باشا مع الرعية من سوء المعاملة والعسف في الأحكام. وبسط القول فيه بطلاوة لفظه وحسن تحريره المشهور عنه فعاد إليه الجواب من السلطنة مع (مرسوم) مذكور فيه عزل سعيد باشا وتولية (داود باشا وزارة بغداد) فتلاه داود باشا في مجلسه أمام الحاضرين ثم أرسل صورته إلى حمود بن ثامر يعلمه بالأمر لأنه صديق لسعيد باشا فلم يعبأ حمود بذلك لقوة نفوذه وسلطته في أرض العراق. فعزم داود باشا على عزل حمود وتولية (عقيل بن محمد بن ثامر) رئاسة المنتفق فلما بلغ حموداً ما عزم عليه داود باشا خشي على مركزه وجنح إلى مسالمة داود باشا. وأرسل إلى سعيد باشا يشير عليه في تسليم أمر البلاد وترك العناد. وأن لا فائدة في الحرب وسفك الدماء حيث إن تعيين داود باشا هو صادر بموجب (منشور سلطاني) فلم يصغ سعيد باشا إلى نصيحة حمود. فاضطر حمود للإرتحال من نواحي بغداد مبتعداً عن سعيد باشا. ويمم أرض المنتفق حيث نزل جنوبها. فلما بعد الشيخ حمود عن بغداد استخف أهاليها بالوزير وثاروا عليه حتى ألجأوه إلى التحصن في بعض القلاع. ثم أرسلوا إلى داود باشا يستقدمونه بقولهم: (أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) وليس لك معارض ولا منازع ونحن معك. فأقبل داود باشا نحوهم ودخل بغداد في ٥ ربيع الثاني عام (١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م) وهنأته الشعراء بالقصائد الغراء.

حصار الزبير وقتل ابن الزهير

حدث في سنة (١٢٣٨ هـ ١٨٢١ م) فتنة في قصبة الزبير ناشئة عن

تباغض حصل بين آل زهير[1] ومحمد بن ثاقب بن وطبان الذي جعل نفسه وكيلاً للمنتفق كما وضحنا ذلك في تاريخ البصرة (صفحة ٢٢٥)وقد أرجأ بسط الحادثة إلى الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى ريثما نحيط علماً بتفاصيل المسألة تماماً من ذوي الخبرة. لأن الأخبار التي تلقيناها متناقضة. وأقربها إلى الصواب ما أفادنا به صديقنا (الحاج حمد بن عبد المحسن الصالح البصري الزبيري ثم الكويتي) حيث قال: إن حموداً بن ثامر السعدون حاصر الزبير في العام المذكور. وكان شيخ الزبير (عبد الرزاق بن يوسف بن يحيى الزهير) وكان على فراشه (راشد بن ثامر السعدون) وظل حمود محاصراً لها نحو ستة أشهر وأهلها يكافحونه. ولما لم ينل طائلاً عزم على الرحيل والعودة إلى مقره. فأجّله محمد بن ثاقب الذي كان في معية حمود وتعهد له بتخوين أهل الزبير وسعى في ذلك حتى تم الأمر مع (آل راشد أهل حُريملة) وهم من أعيان أهل الزبير. ثم عاد إلى الشيخ حمود وأخبره بنتائج سعيه. ولكنه طلب بأن يكون هو (أي: ابن ثاقب) شيخاً على الزبير بعد احتلالها

٢ - وأن لا يدخلها أحد من قوم المنتفق خوفاً من وقوع نهب أو فتنة في البلدة.

فأجابه الشيخ حمود بقوله (لك ذلك) ونحن ليس لنا مقصد سوى أخذ الثأر من آل زهير فقط (لأن علياً بن ثامر السعدون قتل أثناء محاصرته الزبير) فقال ابن ثاقب: أنا أسلمك آل زهير جميعهم. فاتفقا على ذلك وطلب ابن ثاقب كفيلاً على إتمام ذلك الأمر. فاستقدم حمود (رئيس الضفير

---

(١) آل زهير أصلهم من نجد من أهل بلدة حريملة انحدروا في جملة من انحدر من نجد فراراً من الوهابية فنزلوا (قصبة الزبير) لعله في أواخر القرن (١٢هـ ١٨م) واستوطنوها وصارت لهم زعامة عرب الزبير. وأول من انحدر منهم (يحيى الزهير) ومعه ابناه (يوسف. وسليمان) كما في تاريخ البصرة (ص ٢٢٤).

سلطان بن مرشد السويط) فلما حضر هو ومعه من مشايخ خزاعة (ابن منّاع) أمرهما بأن يتعهدا لابن ثاقب بما جرى عليه الإتفاق بين الطرفين. فتكفل سلطان السويط بذلك وأشهد على نفسه. فنهض ابن ثاقب وأخذ معه جملة من رَبْعِهِ وتوجه بهم ليلاً نحو باب الزبير الشمالي. وهناك وجد (عبد الرحمن بن مبارك آل راشد قد فتح الباب مع حاشيته مستعداً لملاقاتهم حسب الوعد). فأدخلهم البلدة. وذهبوا حتى تمكنوا على قبض الشيخ عبد الرزاق الزهير وإخوته ومن يلوذ بهم من بيوتهم.

ثم نادوا في البلدة بالأمان. ولا مطلب للمنتفق في البلدة إلا آل زهير وقد قبض عليهم جميعاً.

وإن كل شخص هو باق على وظيفته كما كان من قبل. فهدأت الناس وارتفع الحصار. ولما مثل زعيم آل زهير الشيخ عبد الرزاق بن يوسف أمام الشيخ حمود وأيقن بالهلاك أحب أن يفتدى نفسه بالمال فقال للشيخ حمود: يا طويل العمر (أحمران لا يجتمعان) دم أحمر وذهب أحمر. فاختر أيهما شئت إن أردت سفك دمنا فها نحن أمامك. وإن أردت الذهب الأحمر فعاهدنا على الأمان ونحن نعطيك ما شئت منه. فجنح الشيخ حمود إلى أخذ المال. فلما بلغ الخبر لابني علي بن ثامر السعدون أقبلا مغضبين على الشيخ حمود وقالا له: يذهب دم أبينا هدراً وتشتريه بالمال.وأوعزا له بعدم القبول فأعرض عن أخذ الفداء وأسلمهما الشيخ عبد الرزاق ومن معه فأخذاهم إلى الخارج وقتلا منهم سبعة من آل زهير.

ثم ارتحل الشيخ حمود عن ضواحي الزبير بعد أن تأمر عليها (محمد بن ثاقب) ثم أقامت آل زهير الدعوى على ابن ثاقب حتى تحصلت على الحكم بإعدامه فأعدمته الحكومة كما في تاريخ البصرة (صفحة ٢٢٦) وكان قد فر

من الزبير الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير وصحبه راشد بن ثامر السعدون والتجأ إلى حاكم الكويت الشيخ جابر الصباح.

وفي سنة (١٢٤٠ هـ ١٨٢٣م) وفد على الوزير داود باشا أحد أعيان المنتفق (محمد بن عبد العزيز بن مغامس) فأكرمه الوزير وأحسن نزله. فلما رأى توجهات الوزير نحوه ترشح لمشيخة المنتفق (حيث إنه كان له جاه ومقام عال زمن الشيخ ثويني بن عبد الله. وزمن (حمود بن ثامر) فما وافقه الوزير على ذلك معتذراً بأنه وعد بها (برّاً كابن ثويني بن عبد الله).

وفي عام (١٢٤١ هـ ١٨٢٤م) توجه إلى بغداد (حنيان بن مهنا بن فضل بن صقر) أحد رؤساء آل شبيب فوفد على الوزير داود باشا فأجله. ثم إنه طلب جلسة رسمية مع الوزير فاجتمع به في جلسة خصوصية وكان في صحبته (محمد بن عبد العزيز بن مغامس) فتذاكرا معه في مشيخة المنتفق. فجنح الوزير إلى عزل حمود. وتولية (براك بن ثويني) حسبما وعده بها. ثم وفد على براك جماعة من كبراء قومه (آل صالح وآل شبيب) وقدم إليه أيضاً محمد بن مناع الأجود العقيلي أحد مشائخ حلفاء المنتفق. فقوى عضد براك بهؤلاء الوجهاء وترجحت توليته ولكن لم يصدر بذلك أمر رسمي.

وفي تلك السنة (١٢٤١ هـ) زا براك بن ثويني المذكور بمن معه من آل شبيب (عفكا) وقاسماً بن شاوي لأنهما كانا ممن خرج عن طاعة الوزير وكان غالب العصاة منضمين لهما الكل متحصن بين (الأهوار) الغدران. فخاض براك الماء نحوهم بقومه وتواقع معهم حتى ردعهم. ثم عاد موفقاً. وقد قتل في هذه المعركة من آل شبيب (دويحس بن مغامس بن عبد الله بن محمد بن شبيب بن مانع) وقتل أيضاً أحد أبناء ثامر بن مهنا بن فضل بن صقر وكان مع براك من رؤساء العشائر (شيخ زبيد).

ولما فشا خبر عزل حمود وبلغه ذلك تظاهر بالعصيان على الدولة وأرسل يستقدم محمد بيك الكتخدا العاصي على الدولة والمقيم في (الحويزة) فجاء مسرعاً فجعلا يثيران الفتن ويشنان الغارة على نواحي العراق. وانضم إليهم جماعة من آل قشعم وآل حميد وآل رافع: فلما بلغ الوزير خبر ما أجرا حمود حنق وصمم على عزله وتولية عقيل بن محمد كما سيأتي.

إمارة عقيل بن محمد بن ثامر

وفي سنة (١٢٤٢ هـ ١٨٢٥ م) لما وفد عقيل بن محمد الثامر على (الوزير داود باشا) في بغداد أكرمه وولاه مشيخة المنتفق وألبسه خلعة الإمارة وأعطاه جملة من الأسلحة والذخائر وأمره بالتوجه إلى (سوق الشيوخ وطنه ومركز إمارته ومنزل عشائره. ثم أرسل الوزير إلى متسلم البصرة (عزير آغا) وأمره بإعلان عزل حمود وتولية ابن أخيه عقيل، وأمره أيضاً بالتحفظ على البصرة ونواحيها فلما أعلن المتسلم تولية عقيل غضب حمود وجاهر بالعصيان وأمر ابنيه (ماجداً وفيصلاً) بأن يقصدا البصرة بأعرابها فيحاصراها إلى أن يحتلاها، واستقدم لمساعدتها (بنى كعب شيخ المحمرة) وكذلك استدعى (سلطان مسقط، السيد سعيد) للغرض ذاته فأقبل إليه بعساكره الإباضية، وملأ بأسطوله الشراعي شط البصرة فسار ماجد بن حمود حتى نزل بأعرابه عند (نهر معقل) شمال البصرة وذهب أخوه فيصل حتى عسكر على (نهر أبي سلال) جنوب البصرة وانضمت إليه عساكر مسقط وبنو كعب.

وحاصر الكل البصرة وضيقوا نطاق المحاصرة فتجمع البصريون مع عساكر عقيل النجديين (الذين هم في داخل البصرة) وهاجموا جموع فيصل على غرة وحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى كسروهم فاضطر فيصل

للإنسحاب من ذلك الموضع بعد تمزق جموعه والتحق بجيش أخيه ماجد عند نهر معقل.

فهدأ روع البصريين وصمموا على مثابرة الدفاع ومكافحة المحاصرين بأنواع الخداع، وأرسل المتسلم رسلاً إلى سلطان مسقط وصالحه على شيء من المال فأخذ وأقلع بأسطوله من الشط وعاد إلى وطنه كما في تاريخ البصرة (صفحة ٣٣٤).

وكان خروج عقيل بن محمد من بغداد في ربيع الأول عام (١٢٤٢هـ ١٨٢٥م) متجهاً نحو مركز حكمه، وفي أثناء مسيره مر على (سليمان بيك الميراخور) الذي وجهته الحكومة لتأديب العصاة فوجده محاصراً لعشيرة (الأقرع) وهم من الجبور من سبيع اشتهروا بذلك اللقب، وكان معهم آل قشعم، ومحمد بيك الكتخدا العاصي على الدولة العثمانية، ومعهم أيضاً (رستم خان) رئيس بعض عشائر الشيعة، وكان مع سليمان بيك قبيلة زبيد، وعقيل، وشيخهم يومئذٍ (جعفر) وقبل وصول عقيل إليهم جرت بين الفريقين معركة دموية أسفرت بانكسار عشائر الأقرع بعد أن أصلاهم سليمان بيك ناراً حامية بمقذوفات البنادق والمدافع فولوا مدبرين. ثم لما وصلهم عقيل أعادوا الكرة إلى عشيرة الأقرع، وتواقعوا معهم عند (قلعة شخير) فأظهر فيها عقيل من الشجاعة والفروسية ما أبهر العقول. وكان (صفوق الجربا) مصاحباً لعقيل بأمر الوزير.

وفي تلك المدة كان أبناء حمود محاصرين البصرة، ولكن لما انسحب عنها سلطان مسقط ضعفت شوكتها: ثم بعد ذلك فارق فيصل أخاه ماجداً وسار إلى والده حموذ، وبقي ماجد مثابراً على محاصرة البصرة وأوعد قومه إذا احتلوا البصرة بأن يبيحها لهم ستة أيام، فجعلوا يعملون سلالم ليتسلقوا بها سور البصرة فبينا هم كذلك وإذا بأهل الزبير يهاجمونهم من جهة

الغرب (وذلك بأمر المتسلم) وفي أثناء اشتغالهم في الحرب بصد هجوم الزبيريين خرج إليهم المتسلم بالعسكر من البصرة من جهة الجنوب وأحاط بهم وأصلاهم ناراً حامية ألجأهم فيها إلى الفرار لا يلوى أحد على صاحبه حتى وصلوا إلى حمود في مقره متفرقين بغير انتظام.

وعندما بلغ حمود وصول عقيل بلدة البغيلة[1] وأن غالب عشائر حمود قد انضمت إلى عشائر عقيل. اضطر إلى الإرتحال هو وأبناؤه مع قومهم وتوغلوا في البادية إلى أن يعرفوا حقيقة الأمر.

ثم سار عقيل مستمراً في مشيه بجموعه حتى نزل (سوق الشيوخ) مقر حكمه. ثم شرع في أسباب الحيلة في القبض على حمود حتى تمكن منه وقبض على حمود وأرسله إلى الوزير في بغداد حيث سجن هناك. ثم بعد مدة حصل في بغداد طاعون مجحف فأمرت الحكومة العثمانية بإطلاق سراح جميع السجناء وكان من ضمنهم (الشيخ حمود) فتوجه نحو (حلب) فمرض فمات في الطريق فدفن في الموضع المسمى (تل أسود) وكان قد أعقب من الذكور (عبد العزيز. وبرغشا. وفيصلا. وماجدا)[2] والأخيران هم

---

(١) البغيلة بلدة صغيرة على الشاطىء الغربي من دجلة وكانت تسمى (النعمانية) لأنها من بناء النعمان الثالث ابن المنذر الرابع الذي تولى حكم (الحيرة) من عام (٣٨ق هـ ٥٨٥م) إلى سنة (١٣ ق هـ ٦٠٩م) حيث قتله أبرويز ونصب محله إياس ابن قبيصة الطائي ولستة أشهر من ولاية إياس بعث نبينا محمد ﷺ. ثم في سنة (١٣٣٢ هـ ١٩١٤م) أمرت الحكومة العثمانية بأن يعاد إليها اسمها السابق (النعمانية) فلما احتلها الإنكليز عام (١٣٣٥ هـ ١٩١٧م) أعاد العوام اسم البغيلة عليها وظل إلى يومنا هذا. اهـ مؤلف.

(٢) أعقب حمود كذلك من الذكور سلطان وطلالاً كما ذكر المؤلف ذلك فيما بعد. اهـ مصحح.

اللذان حاصرا البصرة كما في تاريخها (صفحة ٣٣٣) وإن أحفاد فيصل هم (حمود ومحمد وفيصل وعقاب وحمد) والكل هم أبناء مطلق بن فيصل بن حمود.

قيام أبناء حمود بن ثامر وقتل عقيل

فحنق أبناء حمود لموت أبيهم غريباً. وأجمعوا على الإنتقام من الشيخ عقيل لأنه هو الذي أسلم أباهم للحكومة. وهم (عبد العزيز وبرغش. وفيصل[١] وماجد وسلطان). وطلال[٢] ونهضوا متجمعين تحت زعامة عبد العزيز بن حمود وانضمت إليهم أعمامهم أبناء ثامر بعشائرهم. فهاجموا عقيلاً وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت بقتل عقيل وتفرق جموعه، وحمل عقيل ودفن في الموضع المسمى (صبيح) في شمال شطرة المنتفق، وكان قد أعقب من الذكور (فارساً، وعبد الله).

إمارة ماجد بن حمود

لما تفوق أبناء حمود على عقيل وقتلوه تعين من قبلهم ماجد بن حمود شيخاً على المنتفق برضاء أخيه عبد العزيز الذي كان زعيم الثورة على عقيل، وجعل ماجد يدير شئون الإمارة إلى أن آلت إلى عيسى بن محمد بن ثامر، وكان لماجد من الولد سليمان، ومحمد وعبد العزيز. وفهد.

---

(١) فيصل أعقب (مطلق بيك) ومطلق بيك خلف حمودا. ومحمداً. وفيصلاً. وعقابا. وحمداً. اهـ مؤلف.

(٢) طلال أعقب (عبد الله) وعبد الله خلف (عبد العزيز) وعبد العزيز خلف (عبد الله) اهـ مؤلف.

إمارة عيسى بن محمد

أخذ عيسى بي محمد بن ثامر بعنان المشيخة وجعل يدير شئون قومه إلى سنة (١٢٥٩ هـ ١٨٤٢ م) حيث حدث في قصره حريق هائل ليلاً وكان باب حجرته مغلوقاً عليهم حسب العادة فما شعر إلا والنار محدقة به من جميع الجهات فذهل ولم يتمكن من الخروج ولا قدر أحد على إنقاذه فاحترق هو وزوجته فماتا في الحريق. فأرخت وفاته بقولهم (الشيخ حريق= ١٢٥٩ وكان له من الولد (صالح وعبد الله) فتولى محله أخوه بندر.

إمارة بندر بن محمد

تقلد مشيخة المنتفق بندر بن محمد بن ثامر سنة (١٢٥٩ هـ ١٨٤٢ م بعد وفاة أخيه. وأدار أمور الحكم كما يرام إلى أن توفي عام (١٢٦٤ هـ ١٨٤٧ م) وقد أعقب من الذكور (محمداً. وحموداً). فقام مكانه أخوه فهد.

إمارة فهد بن محمد

أخذ بزمام مشيخة المنتفق فهد بن محمد بن ثامر سنة (١٢٦٤ هـ ١٨٤٧ م) وشرع في إدارة المشيخة ولكن لم تطل مدته. بل داهمه الموت بعد ثلاثة أشهر من إمارته. وكان له من الولد (سعدون، وثامر، وعبد العزيز وعبد العالي، وعقيل).

ثم بعد موت فهد حصل تنافر في داخلية المنتفق وتشاحن ونزاع على المشيخة أدى إلى الشقاق ومشق الحسام بين آل سعدون (آل محمد. وآل علي. وآل راشد) وجرت بينهم معارك تفوق فيها (آل محمد) وتريس منهم على المنتفق فارس بن عقيل.

إمارة فارس بن عقيل

فأخذ بزمام أمارة المنتفق فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر (لعله) في سنة (١٢٦٥ هـ ١٨٤٧ م) وجعل يدير شئون الإمارة. إلى أن حصل بينه وبين ناصر ومنصور ابني راشد بن ثامر خلف أدى إلى الحرب بين الفريقين فأسفر بانتصار آل راشد فسلبوا المشيخة من فارس. وكان قد أعقب (عقيلاً. ومزعلاً. وناصراً. وعبد الهادي، وعبد الكريم، ومنصور، وسيف. وعفات).

إمارة منصور بن راشد المرة الأولى

لما تفوق آل راشد على فارس بن عقيل عينوا منهم (منصوراً بن راشد) شيخاً على المنتفق فأخذ بعنان الإمارة وشرع في تدبير الأمور وتثبيت مشيخته. ثم حصل بينه وبين وزير بغداد خلف أدى إلى عزله وتعيين فهد ابن علي في محله بأمر رسمي.

إمارة فهد بن علي المرة الأولى

لما وجه وزير بغداد مشيخة المنتفق إلى فهد بن علي بن ثامر قام بأعباء الإمارة خير قيام، وأخذ بعنان الحكم يديره على ما يرام ولكن لم تطل مدة حكمه لحصول سوء تفاهم بينه وبين الحكومة استوجب عزله وتولي صالح ابن عيسى محله.

إمارة صالح بن عيسى

تولى مشيخة المنتفق صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر. وضمن من الحكومة العثمانية خراج أراضي المنتفق. ولكنه كان مصراً على الإستقلال

والإنفصال عن الحكومة، وعندما أخذ بعنان الأمور شرع في الإستعداد للعصيان فبنى قلعة[1] للتحصن فيها حينما يجاهر بالعصيان فأحست الحكومة بمكيدته وما عزم عليه فأصدرت أمرها بعزله في السنة التي تعين فيها لأنه ظهرت منه بوادر العصيان بعدم دفعه القسط الأول من الخراج المقرر عليه. وأرجعت في المشيخة منصوراً بين راشد. وكان لصالح من الولد (فرحان، وسلطان، ومحمد، وعلي، ومحيسن. وفهد. وسليمان. ومطلق، ومحيا، وعثمان، وغضبان).

إمارة منصور بن راشد المرة الثانية

أخذ منصور بن راشد بزمام المشيخة وجعل يديرها على أحسن ما يرام. فتحصل من الحكومة على رتبة باشا فدعي (منصور باشا). وفي عام (١٢٦٨ هـ ١٨٥٠ م) لما تعين (محمد رشيد باشا الكوزلكي) والياً على بغداد. ومشيراً لفيلق الحجاز والعراق، وجه همته نحو أراضي المنتفق. وشرع في استخلاصها من أيدي المتغلبين تدريجاً. ليجعل إدارتها بيد الحكومة العثمانية مباشرة. فأقنع الوالي المذكور منصور باشا بإفراز (السماوة) بما يتبعها من قوى وعشائر لأجل أن تلحق بلواء الحلة. فقبل منصور باشا بذلك فأيده الوالي على مشيخة المنتفق.

ثم بعد ذلك وقعت حوادث (لا حاجة لذكرها) ولكنها أسفرت عن استيلاء الجنود العثمانية على (سوق الشيوخ) فاضطر منصور باشا إلى الرضوخ لأوامر والي بغداد. ورضي بأن يفرز قسماً آخر من أراضيه أيضاً.

---

(١) وإن تلك القلعة مشهورة عند المنتفق (بقلعة صالح) أنشأها على (الهور) الغدير أمام ساحل الغبيشية وهي باقية إلى اليوم. ومحيط بها عشائر بني أسد ربع سالم بن حسن بن خيون. وهي غير (قلعة صالح) الواقعة جنوب العمارة. اهـ مؤلف.

وفي ١٤ شعبان عام (١٢٧٢ هـ ١٨٥٤) تعين قائم مقام (لسوق الشيوخ) حسين باشا (أحد أمراء العسكر العثماني) وبقي منصور باشا شيخاً على عشائر المنتفق فقط.

وفي سنة (١٢٧٣ هـ ١٨٥٥ م) لما تعين (عمر باشا السردار) والياً على بغداد. وأخذ يدير شئون العراق وجه عنايته نحو المنتفق وشيخه يومئذٍ منصور باشا فأسره حسن سيرته واقتداره واطمأن خاطر الوالي بعلو همة منصور باشا. ثم لاحظ صحة الجنود المرابطة في (سوق الشيوخ) فرآها غير جيدة لرداءة الهواء والماء. فأمر بسحب الجنود من سوق الشيوخ. وأعاد الحكم لرئيس المنتفق (منصور باشا) ففي الظاهر يعد سحب الجنود إكراماً للمنتفق وفي الباطن هو خوف على صحة الجنود فاستسر آل سعدون بذلك وشكروا همة الوالي فيما أسداه لهم من حسن الإلتفات ومراعاة حقوقهم.

ثم إن الوالي تحصل من (الآستانة) لمنصور باشا على رتبة (قائمقام المنتفق) مع منحه أيضاً رتبة مدير الإصطبل العامر[١] ولقب (بيك)[٢] وذلك في عام (١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م) وكان مركز الحكم سوق الشيوخ.

وفي سنة (١٢٧٧ هـ ١٨٥٩ م) جرت المزايدة في خراج المنتفق. بين منصور باشا والشيخ بندر. وفي ٢٠ شوال عام (١٢٧٧ هـ ١٨٥٩ م) أحيلت إلى الشيخ بندر وأسندت إليه مشيخة المنتفق.

---

(١) مدير الإصطبل كانت رتبة للملكية السيفية تقابل اليوم رتبة قائم مقام العسكري. اهـ مؤلف.

(٢) سبق أن ذكر المؤلف أن منصور بن راشد تحصل على رتبة باشا. فكيف حصل بعد ذلك على لقب (بيك) وهو أقل من لقب باشا؟ اهـ مصحح.

إمارة الشيخ بندر بن ناصر

تولى الشيخ بندر بن ناصر بن ثامر مشيخة المنتفق عام (١٢٧٧ هـ ١٨٥٩ م) وتعهد بدفع الخراج المقرر عليه لمدة ثلاث سنوات البالغ قدره (٤٩٠٠) كيس (والكيس يومئذٍ عبارة عن خمساية قرش= خمس ليرات ذهباً عثمانياً) وذلك الضمان بعد أن أفرز من الأراضي أبو الخصيب وفي ضمنه (باب سليمان) وكذلك أفرز منها شطرة العمارة (التي ربما عبر عنها بقلعة صالح) ثم توجه الشيخ بندر من بغداد في ٢٨ شوال عام (١٢٧٧ هـ ١٨٥٩ م) نحو مركزه تقله سفينة شراعية إلى سوق الشيوخ وبقي في المشيخة نحو ثلاث سنين إلى قبل وفاته بيوم واحد (وكانت وفاته في جمادى الآخرة عام ١٢٨٠ هـ ١٨٦٢ م).

وكان في أول السنة المذكورة قدم إلى بغداد منصور باشا وأخوه ناصر باشا. والشيخ بندر. فجمعهم والي بغداد محمد نامق باشا[1] وبعد المذاكرة معهم قرر إلغاء مشيخة المنتفق فوافقه على ذلك منصور باشا المذكور.

تولية منصور باشا بن راشد المرة الثالثة

لما صادق منصور باشا على إلغاء مشيخة المنتفق. أسند الوالي إليه وظيفة قائمقام المنتفق في ٣٠ جمادى الأولى عام (١٢٨٠ هـ ١٨٦٢ م) لكن بشرط أن تدار شئون اللواء بنظر الحكومة كما تدار بقية الألوية. وعين الوالي في الحال محاسباً للواء المنتفق (سليمان فائق بيك) وتوجه بالفعل إلى محل وظيفته.

---

(١) محمد نامق باشا تولى على بغداد المرة الثانية عام (١٧٧٧ هـ ١٨٥٩ م) وأما تعيينه الأول فكان في سنة (١٢٦٧ هـ ١٨٤٩ م) اهـ مؤلف.

ثم بارح منصور باشا بغداد متجهاً نحو مقره وبصحبته أخوه ناصر باشا وعندما وصلا إلى مقرهما عارض ناصر باشا في إلغاء المشيخة معارضة شديدة وشرع بتأسيس ثورة وتجاهر بها. فاضطر لذلك سليمان فائق بيك المحاسب المذكور لأن يغادر مركزه فاراً من البلدة بنفسه وتبعه بعض الموظفين بعد أن أقام في سوق الشيوخ نحو شهر وهو ينظم الدفاتر ويعين الخطط التي يجب اتباعها. فعزم الوالي محمد نامق باشا على محاربة المنتفق وإخضاعهم بالقوة. فبينما هو كذلك وإذا بورود برقية من الآستانة تأمره بأن يجهز الفيلق وينتظر الأوامر. فعند ذلك جنح إلى التساهل مع المنتفق واكتفى بعزل منصور باشا وتولية فهد بيك بن علي بدله.

مشيخة فهد بيك بن علي المرة الثانية

أخذ بزمام المشيخة فهد بيك بن علي بن ثامر سنة (١٢٨٠ هـ ١٨٦٢ م) وشرع في توطيد مد الأسلاك البرقية في أرجاء المنتفق قريباً من الفرات لتعهده للحكومة العثمانية بمدها، ثم رفعت مرتبته ومنحته (رتبة باشا) لما أبرزه من الخدمات لدى حكومته. وكان أول مفاوضة جرت بمد هذا الخط البرقي بين بغداد والبصرة في غرة رمضان عام (١٢٨١ هـ ١٨٦٣ م) ٢٨ ك٢. واستقام فهد باشا في المشيخة إلى سنة (١٢٨٣ هـ ١٨٦٥ م) حيث تغلب عليها (ناصر باشا) وذلك أنه بعد انتهاء مدة الضمان تريث فهد باشا في المشيخة. فذهب ناصر باشا ابن راشد إلى البادية وجمع جموعاً من الأعراب ومشى بهم نحو فهد باشا وتواقع معه حتى تفوق عليه وانتزع المشيخة منه.

مشيخة ناصر باشا ابن راشد المرة الأولى

ثم تعيينه والياً على البصرة

أخذ ناصر باشا ابن راشد بن ثامر بزمام المشيخة وتفاوض مع الحكومة في ضمان خراج المنتفق والمشيخة. فورده (مرسوم) يتضمن الإتفاق والشروط مكتوباً بالخط الديواني ومؤرخاً في ٣ شعبان عام (١٢٨٣ هـ ١٨٦٥ م) وملخص عبارته مع الشروط هو (أنه) كانت مدة الالتزام - التعهد والضمان - في مقاطعات أراضي المنتفق قد انتهت وجب وضعها في المزايدة. لكن بعد افراز بعض المقاطعات المجاورة للبصرة. وفي (الفياضي. والعامية. ويوسفان. وكوت أفرنجي. والكباسي الكبير. والكباسي الصغير. وجزيرة العين. والريان (وهو أمام جزيرة الصقر) والجبارات. وكتيبان والصفارية) مع توابع كل المعلومات لدى أهل المقاطعات. فقد تقرر ضمها إلى عهدة الشيخ ناصر باشا بمبلغ (٤٣٣٨٨٧٥) قرشاً يدفع سنوياً لخزينة الحكومة في بغداد إلى مدة ثلاث سنوات اعتباراً من أول أيلول عام (١٢٨٣ هـ ١٨٦٤ م) إلى سلخ شهر آب من عام (١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م) وذلك بكفالة الشيخ راشد بن صالح بن ثامر السعدون (وظاهر بن منصور بن ثامر السعدون).

ولما استتب الأمر لناصر باشا عزم على الإنتقام من بني عمه الذين كانوا يضادونه ويعاكسون ما يبرم من الأمور. فركبوا متن الحذر. وتحزبوا عليه ثم أغاروا عليه فكافحهم فتفوقوا عليه حتى ألجأوه إلى مغادرة مركزه. فتوجه إلى (الآستانة) ثم عاد منها بمأذونية خولت له مشيخة المنتفق. ثم ورد إليه مع بريد بغداد من الآستانة (مرسوم بالوزارة) في ١٠ ذو الحجة عام (١٢٨٤ هـ ١٨٦٦ م) وبتعيينه شيخاً رسمياً على المنتفق.

وذلك لما أبرزه من تلبية أمر الحكومة في مد الأسلاك البرقية في لواء المنتفق بعد انقطاعها مدة طويلة. وكانت رتبته قبل ذلك (ميرميران).

وفي سنة (١٢٨٦ هـ ١٨٦٨ م) أو (٨٥ هـ ٦٧ م) احتال ناصر باشا على قبض (عبد الكريم بن صفوق الجربا) حتى قبضه وأرسله بأمر الحكومة إلى الموصل حيث حوكم وصلب هناك لأمور حصلت منه ضد الدولة العثمانية وعينت في محله أخاه (فرحان باشا بن صفوق).

وفي سنة (١٢٨٨ هـ ١٨٧٠ م) لما زحفت الجنود العثمانية نحو الأحساء تحت قيادة (الفريق محمد نافذ باشا) صحب معه (منصور باشا وناصر باشا) ابني راشد بن ثامر السعدون. ومعهما فهد باشا بن علي ابن ثامر السعدون ومعهم جموعهم من عشائر المنتفق. فلما وصلوا (الأحساء) جرت بينهما المعركة المشهورة (بوقعة الخوير) وقد أبدى المنتفق فيها بسالة تذكر وعين على الأحساء (بزيعاً بن عريعر) ولكن لم تطب بتحكيمه خواطر الأهالي.

وفي سنة (١٢٩٢ هـ ١٨٧٤ م) عينت الحكومة العثمانية ناصر باشا ابن راشد المذكور والياً على (البصرة) وفصلتها عن بغداد. وعقدت بها لواء نجد[١] وكان ذلك بهمة ناصر باشا نفسه كما في تاريخ البصرة (صفحة ٣٣٨).

وفي عام (١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م) لما ثار لواء الأحساء مرة ثانية. وكان والي بغداد (عاكف باشا) أنفذ أوامره إلى ناصر باشا بالمسير نحو الأحساء. لتقويم أود ذلك الخلل الحاصل هناك. فلبى طلبه وجهز الجنود مع معظم عشائر المنتفق وتقدر بنحو عشرة آلاف رجل وسار بالكل يقودها نحو الأحساء. فضرب العصاة وأدب الثائرين ثم عين على الأحساء (بزيعاً العريعر) ثم عزله وولى مكانه ابنه (مزيد بيك بن ناصر باشا) متصرفاً على

---

(١) المراد بلواء نجد الأحساء بملحقاتها فقط. اهـ مؤلف.

لواء الأحساء لأنه رأى أن أهل الأحساء متحفزين على بزيع فخشي ناص باشا من إعادة الثورة. فعين ابنه ونقل بزيعاً بن عريعر معه إلى البصر لأن أخت بزيغ المسماة (نخلة) كان متزوجها ناصر باشا وقد أعقب منها بن سماها (طرفة) فتزوجها سليمان بيك بن منصور باشا بن راشد فولدت له عد أولاد ستأتي أسماؤهم في ما بعد.

إمارة فالح بيك بن ناصر باشا

وكذلك عين ابنه الآخر فالحاً بيك متصرفاً في لواء المنتفق وجعل مقره (الناصرية) وذلك عام (١٢٩٣هـ ١٨٧٥م) ونصبه أيضاً شيخاً على عشائر المنتفق. وبذلك تقوى نفوذ ناصر باشا في العراق وهابه القريب والبعيد.

وكان وكيله على أملاكه الكائنة في البصرة من قبل ولايته على البصر (الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير شيخ قصبة الزبير) وبعد أن تعير والياً على البصرة ظل الشيخ سليمان الزهير مستمراً على وكالته وشيخاً على الزبير. ثم إن الأعداء غاظهم ذلك فجعلوا يلقون العداوة والبغضاء بينهم إلى أن أمر ناصر باشا برفع يد الشيخ سليمان عن أملاكه. وطلب محاسبته وضيق عليه في ذلك. فتحاسب معه وتقرر بأن الباقي عند الشيخ سليمان مبلغ عظيم من النقود. فأعطاه قسماً منه نقداً وما بقي جعل نخيله رهناً فيه عند ناصر باشا وذهب الشيخ سليمان إلى (دائرة سجلات الأملاك بالبصرة وأجرى معاملة الرهن باسم ناصر باشا رسمياً.

وكان لما حصل التضاغن بينهما أصدر ناصر باشا أمراً بعزل الشيخ سليمان الزهير عن مشيخة (الزبير) وعين بدله (عبد اللطيف بن محمد بن عون) وبعد انتهاء معاملة الرهن بارح البصرة الشيخ سليمان متجهاً نحو

الهند ومنها إلى مكة المشرفة حيث أدى فريضة الحج. ثم عاد إلى البصرة مريضاً فتوفى بعد أيام قلائل في البصرة ودفن في مقبرة الزبير وذلك عام (١٢٩٣هـ) ثم بعد وفاة الشيخ سليمان طلب ناصر باشا من قاسم باشا الزهير[1] فك الأملاك المرهونة فامتنع من ذلك فحصلت العداوة بينهما

---

(١) إن سبب العداوة الحاصلة بين ناصر باشا وقاسم باشا الزهير. هو أنه لما عزل ناصر باشا الشيخ سليمان الزهير عن الوكالة وعن مشيخة الزبير وتحاسب معه وبقي لناصر باشا مبلغ عظيم من الدراهم (كما في داخل الأصل) وكان الشيخ سليمان عازماً على مبارحة البصرة فأخر النقود عنده ورهن أملاكه في مقابلة الدين الذي عليه وذلك خشية من أن يتصرف في أملاكه صهره قاسم باشا أثناء غيابه لأن قاسماً باشا كان غاية في الكرم والسخاء ولطالما أخذ من الشيخ سليمان أموالاً عظيمة وفرقها في الكرم وإسداء المعروف. فاستحسن الشيخ سليمان بأن يؤخر بعض الدراهم التي استوفاها من واردات أملاك ناصر باشا ويرهن أملاك نفسه في مقابلة تلك الدراهم. لأمور (أولاً) حفظاً لأملاكه من يد متغلبة من قبل صهره أو من قبل والي البصرة (ثانياً) أنه تحصل على مبلغ مهم من النقود (بدون رباً) ليستعين به على السفر وغيابه عن وطنه إلى أن يعود وإنها تستوفى تلك الدراهم من ريع أملاكه بدون تعب. ثم لما عاد الشيخ سليمان مريضاً وتوفي. وضع يده ابن خاله وصهره قاسم باشا الزهير على ثروته العظيمة. فبلغ ذلك ناصر باشا فطلب من قاسم باشا فك الرهن من الدراهم التي تحصل عليها من تركة الشيخ سليمان وإلا فيبيع الأملاك المرهونة. فامتنع قاسم باشا من فك الرهن وكذلك منع بيع النخيل المرهونة قائلاً: إنها تبقى تحت الرهن حسب الإتفاق إلى أن يسد ريعها ما على المتوفى الشيخ سليمان من الدين ثم تعاد للورثة. فحصل بذلك التشاحن والنزاع بينهما حتى اضطر قاسم باشا إلى الفرار من البصرة (كما في داخل الأصل) فتصرف ناصر باشا في الأملاك المرهونة عنده وقسمها هبة لأصدقائه وذويه. وهاك أسماء الأملاك المرهونة (الدعيجى. الشلامجة. الدرة. الطويلة. العجيراوية. كوت خلفة صالح. البدعة. والقاع التي وهبها ناصر باشا لمحمد بن عبد الله الشاعر ابن ربيعة) فأعطى (الدعيجى) لساسون بن دانيل اليهودي فما قبل الهبة إلا أن تسجل باسمه في (دائرة سجلات الأملاك) رسمياً فسجلها ناصر=

حتى عزم ناصر باشا على قبض قاسم باشا وسجنه. فبلغه الخبر سراً ففر من البصرة كما في تاريخها (ص ٣٣٩) وتوجه إلى الآستانة فعند ذلك أطلق ناصر باشا سراح المسجونين من أهل (حَرْمَةَ)[1].

باشا له كما أراد. وبذلك فإن ساسون هو الذي ربح من دون بقية الذين تحصلوا على العطايا والهبات شفاهياً. حيث إنه بعد عزله عن ولاية البصرة استرجعت تلك الأملاك منهم لكن بعد أن دفع ورثة آل زهير ما على أبيهم من الدين.

(١) أهل حرمة- هم عرب ظعنوا من نجد في القرن (١٢ هـ ١٨ م) زمن نهوض الوهابية واستوطنوا (قصبة الزبير) وغالهم من سكان بلدتي (حرمة. وحريملة) فحرمة بلدة من توابع بلدة السدير بنجد. وحريملة من توابع بلدة الوشم. أما (وقعة حرمة) المشهور فمجمل الأخبار: أنه في عام (١٢٨٩ هـ ١٨٧١ م) حصل تضاغن بين أهل الزبير وشيخ بلدتهم الشيخ سليمان بن عبد الرزاق آل زهير حتى اضطر لمبارحة الزبير إلى البصرة إطفاء للشر وإخماداً للفتن بعد أن جعل على البلدة من قبله ثلاثة أشخاص يديرون أمور البلد يرأسهم (عبد الله بن حميدان) ولما استقر الشيخ سليمان في البصرة تجمهر أهل الزبير على مضادته وإخراج أهله من بلدتهم فجنح إلى ذلك (عبد الله بن إبراهيم آل راشد. من أهل حريملة) وتعهد بنفي نساء آل زهير إلى البصرة. ثم ذهب وأتى بدواب (إبل وحمير) إلى أمام بيوتهن وأمرهن بالخروج جبراً إلى البصرة فاضطررن إلى الخروج وتوجهن بحواشيهن إلى البصرة. إلا (ثريا بنت ناصر الفداغ زوجة قاسم باشا الزهير) فإنهم غضوا النظر عن إخراجها من البلدة لكرمها المتزايد وكثر إسدائها المعروف لغالب أهل الزبير. وظل أهل حرمة متحزبين في الزبير ضد كل من يلوذ بآل زهير فوافق أن قدم من (عدن) أحد التجار المدعو (فهداً بن محمد آل راشد) وهو أيضاً من آل راشد أهل حريملة وكان وكيلًا في عدن لبعض تجار البصرة ومن جملتهم آل زهير. فلما رأى ابن عمه عبد الله بن إبراهيم الراشد منضماً إلى أهل حرمة ضد آل زهير لم يرض بذلك وسعى في الصلح بينهما حتى أتمه وتأكيداً للصلح أرسل الشيخ سليمان هدية من التمر لعبد الله المذكور من البصرة إلى الزبير محملة على الإبل إعلاناً بإتمام الصلح بينهما فأخذها عبد الله وقبلها وانسحب من حزب أهل حرمة وترك أنديتهم ومجتمعاتهم. فلما تأكد لديهم صلحه مع الشيخ سليمان خشوا منه لئلا يفسد أحداً من ربعه ممن كان منضماً لهم لاسيما وأن عبد الله بن إبراهيم مشهور =

= عندهم بالدهاء والشجاعة. فأصروا على اغتياله وأودعوا ذلك إلى (فراج بن زيد اللعبون) فذهب إليه ومعه (زيد بن شقير من بني حسين) وكان (فداوياً) أي يحمل السلاح خلف عبد اللطيف العون. فلاحظاه حتى تمكنا منه بعد صلاة العشاء وهو جالس في المسجد فأطلق زيد بن شقير عليه (قرنينة) بندقاً قصيرة واسعة الفوهة محشوة (رش) صغار الرصاص. وكان عند الإطلاق ألصق ملفظ البندق في ظهره فلم تقتله وإنما انغرس الرصاص في اللحم فقط وخر الرجل على الأرض مذعوراً. وذهب المغتال ظناً بأنه انقتل فحمل جريحاً وأدخل في بيت محمد بن موسى بن فارس. ولما علم أهل حرمة بعدم موته تحزبوا وأتوا إلى بيت ابن فارس وأحاطوا به وطرقوا الباب ليلاً ليلجوا البيت ويتمموا على قتل عبد الله المذكور. فاحتال آل فارس على تهريبه من على ظهر أسطحة البيوت حتى أبعدوا به وأولجوا في بيت (عبد الله بن محطب) ثم أركبوه من هناك دابة وأرسلوه مع أناس إلى البصرة في تلك الليلة حتى أدخلوه بيت الشيخ سليمان الزهير. فبادر الشيخ سليمان في الحال بجلب الأطباء فأجروا له عملية في إخراج شظايا الرصاص من لحمه فأمنت حياته وجعلت الأطباء تعالجه حتى برئ وبقي في البصرة. ثم إن أهل حرمة لما ولجوا بيت ابن فارس في تلك الليلة وفتشوه ولم يجدوا فيه غريمهم ذهبوا من حيث أتوا. ثم بعد ذلك تحقق لديهم بأن آل فارس هم الذين هربوه إلى البصرة فأجمعوا على نفي كل من يلوذ بآل زهير ولم ينضم إليهم وتحزبوا على ذلك وأخرجوا من الزبير كرهاً (آل فارس. وآل نصار. وآل مشرى. وآل شماس. وآل مطلق) وكل من يلوذ بهؤلاء أو ينتمي لهم. بل إنهم أخرجوا أخيراً كل من لم ينضم إلى حزبهم فتبين للحكومة أن الخطأ حاصل من أهل حرِمة حيث إنهم نفروا غالب الأهالي وأخرجوهم من ديارهم وهم غافلون. ثم إن أهل حرمة وجهوا من رؤسائهم إلى البصرة عبد اللطيف بن محمد بن عون وفوازاً بن زيد اللعبون أخو فراج الزيد ومعهما جملة من ربعهم بقصد أن يبرئوا أنفسهم عند الحكومة مما نقل عنهم من المؤامرات والفتن ويبينوا لها سبب تحزبهم وعند وصولهم البصرة وقبل ذهابهم إلى صرح الحكومة. ألقي القبض عليهم وسيقوا إلى السجن إلى أن يتحقق عن أمرهم.

ثم إن الحكومة أمرت جميع المنفيين من الزبير والفارين منه بالعودة إلى =

ولما وصل قاسم باشا إلى الآستانة شرح للدولة ما أجراه معه ناصر باشا من سوء المعاملة. ثم قدم عليه شكاية رسمية فاستقدمت الحكومة ناصر باشا

= أماكنهم. فأفهموا الحكومة بأنهم يخشون على أنفسهم إذا عادوا منفردين إلى الزبير. فأرسلت معهم (صالحاً أغا طابور آغاسي) بصفته مديراً لقصبة الزبير فصحب معه جملة ممن يحملون السلاح من أهل البصرة. ومحلة السبخاء والمشراق. والسراجي. وقردلان. وكلهم تحت رئاسة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف الزهير. وعبد الله بن إبراهيم آل راشد. ولما أقبلوا جميعاً على قصبة الزبير بادر أهلها بإطلاق الرصاص على القادمين بعد أن حصنوا البلدة وسدوا أبواب السور واستعدوا للحرب فقابلوهم بالمثل وتبادل إطلاق الرصاص بينهما ساعات بدون أن يتفوق أحد الفريقين على الآخر ثم إن ثريا بنت ناصر الفداغ المار ذكرها نهضت من داخل البلدة وأمرت أحد خدمها (بلالاً الريحان) بأن يجمع لها رجالاً من محبي آل زهير ويأتي بهم إلى بيتها مسلحين فأحضر لها نحو (٣٠٠) مقاتل منهم جماعة من أهل (المجمعة) تحت رياسة زعيمهم عبد المحسن بن الشيخ إبراهيم العيقي. فأدخلتهم إلى أعلا سطح قصرها وكان مشرفاً على أهل السور المحافظين والمدافعين. وأمرتهم بإطلاق الرصاص عليهم فما شعروا إلا والرصاص يأتيهم من داخل البلدة فذعروا ولم يدروا ما حصل فتركوا السور واضطروا إلى الهزيمة والفرار. فذهب بلال الريحان إلى السور وفتح (باب البصرة) فدخل القادمون البلدة وجعلوا يتتبعون زعماء أهل حرمة في الشوارع فمن وجدوه قتلوه أو سجنوه فقتلوا (تسعة) أشخاص منهم (جلوى من أهل حرمة) ومحارب السويد من أهل جلاجل (بلدة بنجد) وهو من قرابة إبراهيم المنديل (ومحمد المدلج) وهذا قتل خطأ لأنه من الأخيار وليس له تداخل في الثورة وإنما هو من أهل حرمة فقط. ولم ينهب في هذه الحادثة بيت ولا دكان بل ولم يتجاوز أحد على الأعراض ولا على مهاجمة الدور طلباً للفارين وكانت الحادثة في عام (١٢٩١ هـ ١٨٧٣ م). ولما تولى ناصر باشا السعدون ولاية البصرة وحصلت العداوة بينه وبين آل زهير أطلق سراح السجناء من أهل حرمة (عبد اللطيف العون وربعه) كما في داخل الأصل وفي تاريخ البصرة (ص ٢٢٦) اهـ مؤلف.

بعد أن أصدرت أمراً بعزله عن ولاية البصرة وعزل ابنه فالح باشا عن متصرفية لواء المنتفق وذلك عام (١٢٩٤ هـ ١٨٧٦ م) فتوجه ناصر باشا إلى الآستانة وجرت بينه وبين قاسم باشا محاكمات متنوعة لا حاجة لذكرها، وبقي ناصر باشا في الآستانة إلى أن توفي بها سنة (١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م) كما في تاريخ البصرة (ص ٣٣٩) وكان له من الأبناء (فالح باشا. مزيد باشا. مزعل باشا. مصلط بيك). ولما عزل فالح باشا عن متصرفية المنتفق تعين في محله فهد باشا.

إمارة فهد باشا ابن علي المرة الثالثة

تعين فهد باشا ابن علي السعدون على متصرفية لواء المنتفق سنة (١٢٩٤ هـ ١٨٧٦ م) فأحسن السيرة في الرعية وأمن السبل حتى أحبه الرعية وجعل يعامل الناس بحسن السيرة العدالة، وقد رفع المظالم وأجرى أمور الشرع الشريف. وظل في الحكم إلى سنة (١٢٩٦ هـ ١٨٧٨) حيث انفصل عنها، ولم يعد إليها وكان له من الولد (١٢) ابناً - ضيدان بيك، ظاهر بيك، وعبد الرزاق بيك، وعبد الكريم بيك، وحامد بيك، وعبد العزيز بيك، وعبد المحسن باشا[1] وعبد الهادي بيك، وعبد المجيد بيك، وسعدون بيك، ومحمد بيك. وعبد الرحمن بيك.

---

(١) عبد المحسن باشا صار رئيس الوزراء في الحكومة العراقية سنة ثم بعد استعفائه من منصبه الأول صار رئيس مجلس النواب عام (١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م) ثم تعين رئيساً لمجلس الأعيان في ٧ جمادى الأولى عام ١٣٤٦ هـ = ١ - ١١ - ١٩٢٧ م ثم (أعيدت له رئاسة الوزراء) ببغداد مرة ثانية في ١٨ رجب عام ١٣٤٦ هـ = ١٠ - - ١٩٢٨ م ثم انتحر في بغداد في ١٢ جمادى الآخرة عام (١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م) وهو في منصبه لأمور سياسية. اهـ مؤلف.

الفريق أحمد باشا

فتعين الفريق أحمد باشا[1] الملقب (بأبي دبوس) وكيلًا على لواء المنتفق سنة (١٢٩٦ هـ ١٨٧٨ م) فأدار شئونه وبقي وكيلًا إلى سنة (١٢٩٧ هـ ١٨٧٩ م) حيث ضمن فالح باشا خراج المنتفق كما سيأتي.

فالح باشا ابن ناصر باشا المرة الثانية

وفي سنة (١٢٩٧ هـ ١٨٧٩ م) ضمن خراج المنتفق فالح باشا بمبلغ مقرر يدفعه سنوياً للحكومة العثمانية وأخذ بزمام الحكم فيه وجعل يدير شئون اللواء حسبما يرام، وكان للمنتفق موضع مخصوص لبيادر الحبوب يسمى (المنثر) يبعد عن النهر بنحو (١٥) ميلًا، فأمر فالح باشا ربعه وجميع التجار ورؤساء القبائل بتحويل بيادرهم إلى قرب النهر ليسهل نقل الحبوب من طريق النهر، فامتثلوا أمره ونقلوا بيادرهم إلى الموضع الذي خطه لهم وهم المسمى اليوم (شطرة المنتفق) وذلك عام (١٢٩٨ هـ ١٨٨٠م).

وفي مدته نهبت (عشيرة مياح) باخرة نهرية تتردد بين البصرة وبغداد، وهي (ملك لبيت لنج - شركة الملاحة الإنكليزية) التي أسسها في البصرة (لنج) سنة (١٢٧٨ هـ ١٨٦٠ م) فبلغ مديرها السفارة الإنكليزية بواسطة المعتمد البريطاني، فتذاكرت مع الحكومة في تلك القضية فأصدرت الحكومة أمرها إلى ناصر باشا السعدون المقيم يومئذ في الآستانة بأن يرسل إلى من يعتمد عليه في العراق بالقيام لإرجاع المنهوب، فأرسل ناصر باشا

---

(١) أحمد باشا هو من البيكات أهل السليمانية أخو عبد الله باشا المتولى على البصرة عام (١٢٩٥ هـ ١٨٧٧ م) كما في تاريخها (ص ٣٤٠) اهـ مؤلف.

بذلك إلى ابنه فالح باشا[1] وهو كلف بها ابن عمه (سعدون بيك بن منصور باشا) فذهب سعدون بيك إلى عشيرة مياح وأجبرها بإرجاع جميع ما سلبته وأقنعها بحسن عبارته بعد أن هددها ببطش الحكومة إذا غضبت فأسلمته المنهوبات فأخذها وأعادها إلى (بيت لنج) فأرسل باشا بالخبر إلى والده، وهو رفعه للحكومة فاستسرت بذلك وكافأت سعدون بيك برتبة (باشا) وأمير الأمراء وذلك سنة (١٢٩٧ هـ ١٨٧٩ م) فدعي سعدون باشا من يومئذ.

إجلاء آل سعدون من أراضيهم

وفي أواخر عام (١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م) أصدرت الحكومة أمرها إلى (تقي الدين باشا) والي بغداد. بأن يجلي آل سعدون ومن تبعهم من أراضيهم وذلك بسبب ما يجريه كل شخص منهم في جهته مما يخالف دعائم الأمن والراحة، فصدع الوالي بالأمر ووجه الجنود نحو المنتفق تحت قيادة (عزت باشا) وأصحب معه جملة من الأعراب. والتقى بآل سعدون عند (نهر محيرقة) شمال الحي، ودارت رحى القتال بين الفريقين وجرت بينهما معركة دموية تسمى (حرب الريس) اضطر فيها آل سعدون للتقهقر والظعن من أماكنهم حتى أوغلوا في (بر الشامية) غربي العراق. فعادت الجنود إلى مقرها، وكان قد أبلى في هذه الحرب سعدون باشا بلاء حسناً وأظهر فيها من الشجاعة والفروسية ما أبهر العقول مع صغر سنه يومئذ بحضور والده منصور باشا. ومكث المنتفق في بر الشامية نحو شهرين، ثم إن أضدادهم جعلوا يحركون عليهم (الأمير ابن رشيد) ويطمعونه في غزوهم

---

(١) أعقب فالح باشا (٦) أبناء: عبد الكريم بيك. عبد الله بيك. عقيل بيك. عبد الرزاق بيك. عبد العزيز بيك. عبد اللطيف بيك. اهـ مؤلف.

بعد أن أفهموه بأن لدى آل سعدون نقوداً وأموالاً جمة سهلة السلب. فلما علموا بتحفز الأمير ابن رشيد عليهم ظعنوا من موضعهم وعبروا الشط إلى (الحويزة) حيث نزلوا بجوار (الشيخ مزعل ابن جابر ابن مرداو) حاكم (خوزستان) ملتجئين إليه فأكرم نزلهم وظلوا هناك نحو سنتين[1] ثم أذنت الحكومة العثمانية لهم بالعود إلى الشامية بشرط أن يستقروا فيها وأن ليس لهم حق إنشاء إمارتهم السابقة وإعادتها كما كانت. فرضوا بذلك وانتقلوا من الحويزة إلى الشامية واستوطنوها وذلك عام (١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م) وظلوا هادئين بدون رئيس أو أمير معين يرأسهم.

ثم في عام (١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م) توفي منصور باشا بن راشد في بغداد ودفن بجوار (ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني) وكان قد أعقب (١١) ابناً وهم: سليمان بيك[2]، عبد الله بيك، فرحان بيك، فهد بيك، سعود بيك. سعدون باشا. عمر بيك[3]. حامد بيك. عبد الرحمن بيك. عبد الرزاق بيك. عبد العزيز بيك.

ثم إن سعدون باشا اشرأبت نفسه للرياسة فسعى في أسبابها وجعل يغير ويغزو حتى تريس في الأعراب كما سيأتي.

---

(١) وفي أثناء عبورهم ولد في الزورق يوسف بن عبد الله بيك ابن منصور باشا فلقب (حويمي) تصغير حامي لشدة انحدار الماء زمن الربيع فيقولون (ماء حامي) على اصطلاحهم أي شديد الانحدار. وولد عجيمي باشا ابن سعدون باشا ابن منصور باشا في الحويزة سنة (١٢٩٩ هـ) فسمي (عجيمي) بالتصغير لولادته في أرض العجم.

(٢) سليمان بيك: أبناؤه: عقيل. علي: محمد. سلطان. عبد العالي. عبد العزيز. الحاج عبد الرزاق. ناصر. ثامر. عبد المجيد. عبد المحسن. وقد أعقب علي (فهد بيك ابن علي بن سليمان الذي أعقب شبلي بيك. وهو أعقب محمداً ومحموداً) اهـ مؤلف.

(٣) عمر بيك أبناؤه: حمود. عبد العزيز. فحل. مسير. عبد الله. محمد: اهـ مؤلف.

قيام سعدون باشا

لما عاد المنتفق من الحويزة إلى الشامية سنة (١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م) وكان في ضمنهم سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد فنزل هو في موضع يقال له (شط الكار) وهو متوسط بين الناصرية. والشطرة والسماوة. وشرع يشتغل بالزراعة في ملك له هناك ولكنه جعل يكاتب بعض رؤساء، العرب في أمور سياسية ويظهر لهم اقتداره وسطوته ويتحفز للغزو فهابته عشائر (البدير) وخشوا من أن تسري عليهم سطوته فجعلوا يحركون عليه بعض عشائر العراق ويغرونهم على غزوه ويلقون العداوة والبغضاء بينهما. حتى ثارت عليه بعض العشائر وحصل بينه وبينهم عدة معارك تفوق فيها سعدون باشا أخيراً. واغتصب قسماً من أراضيهم وبنى فيها (مخافر) كالقلاع الصغار. ووضع فيها أناساً من قبله وأمرهم بزرع تلك الأراضي. وله جعل مقرر من ريعها. وبقي على تلك الحالة مدة وهو يظهر قوته وتحفزه على كل من يعارضه أو يعارض من لجأ إليه.

ثم إنه حصل من بعض العشائر القاطنة في داخل (الجزيرة) عصيان على الحكومة العثمانية وامتنعوا عن دفع الخراج المعتاد. فأصدرت الحكومة أمرها إلى (سعدون باشا) بأن يجمع الخراج (الزكاة) من تلك العشائر فلبى طلبها وسار إليهم بجموعه وأرغمهم بدفع جميع ما فرض عليهم من الخراج ومهد الأمور للحكومة العثمانية.

وبعد ذلك جعلت الحكومة تستوفي (الضرائب) جميعها بنفسها بواسطة بعض (الموظفين) ينتقلون من عشيرة إلى أخرى ومعهم قسم من الجنود للمحافظة وإظهاراً للقوة.

ثم بعد مدة رجعت العشائر إلى العصيان مرة ثانية وامتنعت من أداء

الزكاة. فساقت الحكومة نحوها الجنود من بغداد تحت قيادة (حميد باشا) فمشى بالقوة وأتى إلى مكان العصاة وأدب قسماً منهم ولكنه لم يتمكن من إتمام ما بدأ حسبما يرام. فأرسل إلى سعدون باشا يأمره بإرغام بقية العشائر العاصية على الرضوخ لأوامر الدولة فامتنع سعدون باشا من تنفيذ أوامر القائد لأنه أتى في قوله من باب الأمر لامن باب المساعدة والالتماس. لأن سعدون باشا كان يرى نفسه يومئذ هو الحاكم والأمير المطلق في لواء المنتفق ويود أن لو أرسلت الحكومة إليه رسمياً (بجلب الزكاة) ليمتاز فضله واقتداره أمام العشائر. ولما امتنع من تنفيذ أوامر (الوالي) حصل بينهما جدال أدى إلى التباغض وجعل كل واحد منهما يكتب إلى الدولة سوء سلوك صاحبه.

ثم إن سعدون باشا أدرك من قرائن الأحوال بأن (حميد باشا) أفهم الدولة (بأن سبب عصيان العشائر هو ناشئ من تحريكات سعدون باشا) ولما ترجح لديه ما خالج ضميره ظعن من محله متباعداً عن تلك العشائر لئلا ينسب إليه شيء من التهم ونزل في الشامية لعله سنة (١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م) وجعل مقره في الموضع المسمى[١] (شقرا) وأنشأ فيها قصراً مشيداً ثم سكنه فازدادت أهمية سعدون باشا لدى العشائر وهابته فخضعت له غالب الأعراب من حدود (النجف) إلى حدود (الكويت) وفرض على الرعاة وبعض العشائر (خِراجاً) يستوفيه منهم جبراً. ثم بعد يسير من الزمن جعلت العشائر الرحل تؤدي له الزكاة طائعة بنفسها خوفاً من غاراته المتوالية وتأميناً لها من غزوات بعض عشائر المنتفق (لأنهم إذا انتسبوا إليه يكفون عنهم) ثم لما استفحل أمر سعدون باشا صار يشن الغارات في شمال داخل جزيرة العرب على حدود عشائر (سورية) إلى أطراف نجد جنوباً. فنشأت

---

(١) شقرا - هي غير شقرا التي في داخل نجد. اهـ مؤلف.

له سطوة وهيبة عظمى بين الأعراب. فغاظ ذلك (الأمير ابن رشيد) لتفوقه على غالب العشائر التي كانت خاضعة لآل رشيد لاسيما وأن الأمير ابن رشيد كان هو (الآمر والناهي) في داخل الجزيرة وله مرتبة عظمى عند الدولة العثمانية. ولما رأى المزاحمة لم تزل تنمو من جهة سعدون باشا مشى عليه بجموعه الشمَّرية ليكسر شوكته ويضعف قوته وحصلت بينهما (وقعة الخميسية. ثم وقعة تليل جبارة) كما سيأتي.

وقعة الخميسية

وقعة تليل جبارة

ففي سنة (١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م) زحف الأمير عبد العزيز ابن متعب الرشيد نحو سعدون باشا وهاجمه عند (تل اللحم) وجرت بينهما معركة دموية انكسر فيها سعدون باشا واحتل ابن رشيد منه (بلدة الخميسية) واستقام بها بضعة أيام. وفي تلك المدة جعل سعدون باشا يلم شعث قومه ويؤلف فلول ربعه حتى تم له الأمر كما أراد فمشى بالعشائر والأعراب نحو الخميسية حتى نزل الموضع المسمى (تليل جبارة) فبرز له الأمير ابن رشيد هناك ودارت بينهما رحى القتال ثلاثة أيام والحرب بينهما سجال ثم حمل المنتفق حملة رجل واحد فأسفرت بفوز سعدون باشا واسترجاعه الخميسية فاضطر الأمير ابن رشيد لمبارحة تلك الأصقاع. وتسمى هاتان الوقعتان الأولى منهما (وقعة الخميسية) والثانية (وقعة تليل جبارة) وذلك عام (١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م).

وجعلت جموع سعدون باشا تطارد عشائر شمَّر حتى أبعدوهم إلى أطراف (السماوة) وبعد استقرار سعدون باشا اتفق مع رؤساء عشائره على تعقيب عشائر شمَّر حيثما يجدوهم يضربوهم (من حدود النجف إلى أطراف

الكويت) حتى منعوهم من مسابلة أطراف العراق. ومن يومئذ نشأت العداوة بين آل سعدون وآل رشيد.

وقعة الطرفية أو حرب الصريف

وفي عام (١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م) لما زحف الشيخ مبارك آل صباح بجموعه نحو الشمال قاصداً (الأمير عبد العزيز الرشيد) استنجد بسعدون باشا فأقبل إليه بعشائر المنتفق. وكان قبل ممشاه أرسل إليه الأمير ابن رشيد رسولاً وهو (سالم بن حمود الرشيد) يطلب منه البقاء على الحياد. فلم يرض سعدون باشا بذلك بل رفض الحياد وصمم على الحرب بجانب آل صباح. لأنه كان قد عقد اتفاقاً بالصداقة والوداد مع آل صباح وآل سعود. فما أمكنه نقض الاتفاق.

ولما التقى الجمعان عند الموضع المسمى (الطرفية) وتقاتلا قتالاً شديداً أسفر عن انكسار آل صباح وتمزق جموعهم. وقد قتل في هذه المعركة عبد الله بن منصور آل سعدون وابنه حمود.

ثم في سنة (١٣١٩ هـ ١٩٠١ م) سعى السياسون أهل الصلاح بين الأميرين بالصلح حتى تم بينهما. ثم بعد ذلك سعى الأمير ابن رشيد في الطلب من الحكومة العثمانية بأن تجري معاشاً شهرياً لسعدون باشا فوافقت على ذلك وأجرت له (راتباً شهرياً) فجعل سعدون باشا يتقاضاه من تلك السنة إلى أن توفي.

الحوادث الحاصلة في مدة إمارة سعدون باشا

وفي سنة (١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م) عبر سعدون باشا إلى (الجزيرة) من عند مقاطعة (الفريجي) شمال الناصرية على مسافة (٣) أميال منها. بقصد

الاطـلاع على أملاك له في قضاء (الحي) في مقاطعة عقيل ليصلح بعض جداولها. فهابته الحكومة وأرسلت تتذاكر معه في سبب عبوره فأفاد بأن ليس له مقصد سوى تصليح بعض جداول أملاكه. ثم سار مستقيماً في طريقه حتى وصل أطراف الشطرة. فلما بلغه هناك بأن الأهالي تشوشت من مجيئه وشوشت أفكار الحكومة أعرض عن المسير إلى أملاكه وأرسل أناساً من قبله يأتونه بريع أملاكه مع قسم من الضأن ولما عادت الرسل بما طلب عارضتهم في الطريق فخيذة من عشيرة (عبودة) وسلبتهم جميع ما جاءوا به. وكان سعدون باشا نازلاً في موضع يقال له: (الحمزة) فأرسل كاتبه (السيد عبد المجيد بن السيد محمد الكردي) إلى مركز الحكومة في الشطرة يخبرها بما حصل من عشيرة عبودة ويطلب إرغامها على إرجاع ما نهبته. فوجهت الحكومة بعض رجالها لإعادة المنهوبات فجاءوا بها إلى (صرح) الحكومة فثارت عشيرة عبودة ثورة عامة على سعدون باشا وجعلت تنشر أعلامها وتمر من وسط البلدة كل فرقة تحت لوائها. ولما شاهد السيد عبد المجيد كاتب سعدون باشا المذكور تحزبات تلك العشيرة امتنع من استلام المنهوبات والتحق بنفسه إلى سعدون باشا تاركاً المنهوبات عند الحكومة وأخبر رئيسه باستحصالها ولكنه خشي من استلامها لئلا تغتصبها منه عشيرة عبودة عند عودته إلى سعدون باشا.

ولما علم سعدون باشا بأن تلك العشيرة قد أفهمت الحكومة عنه خلاف الواقع وحركتها عليه. أعرض عن المسير إلى الجهة التي كان قاصدها إكراماً للحكومة. وعاد إلى طريق آخر وعبر الشط إلى جهة (البدعة) بقصد التغريب إلى أراضيه. وسرى ليلته حتى الزوال من الغد ثم نزل فخيم في (غسال) موضع يبعد نحو (١٠) أميال عن الشطرة بقصد الاستراحة وتناول الطعام.ثم يرتحل.

فاغتنمت عشيرة عبودة تلك الفرصة وأفهمت (محمد زلام أفندي) الذي كان وكيل (الطابور) والموزع العسكري بأن نزول سعدون باشا في ذلك المحل لمكيدة. فساق (محمد زلام) نحوه جانباً من العساكر وعبر بها مع العشائر إلى تلك الجهة فما شعر سعدون باشا إلا بعشائر عبودة تطلق عليه الرصاص مع الجنود وهو غافل. فجاوبها بالمثل فانهزمت العشائر تاركة الجنود هدفاً في ميدان الوغى فسحقها رصاص سعدون باشا وكان عددهم (١٦٠) نفراً مع الضباط يقودهم محمد زلام فقتل هو وإياهم ولم ينج منهم سوى خمسة أشخاص فقط.

ثم بعد ذلك ارتحل سعدون باشا من ذلك المحل ونزل عند (صدر البدء) قريباً من الشطرة على مسافة نحو ميل منها (ليظهر الثبات والشجاعة لأن قلطاه[1] أفهموه بأن ارتحاله وتبعده من تلك الجهة بسرعة يعد جبناً منه فتسقط هيبته بين العرب) فخيم هناك بقصد أن يتتبع رؤساء عشائر عبودة التي حركت الحكومة عليه حتى اضطر لمقاتلة جنود دولته. فأوجست أهالي الشطرة خيفة في نفسها فبعثت إليه جماعة من أشراف البلدة وأعيانها مع قسم من رجال الحكومة وساروا نحو سعدون باشا يلتمسون منه العفو والأمان على البلدة وأهلها وأن الذي جرى ليس برضائهم ولا باختيارهم فأجاب طلبهم وأمن روعهم واعتذر لهم بأنه لم يقصد حرباً ولكن لما تجاسرت الأعراب عليه ضربها مدافعة عن نفسه وكان في ضمنهم العساكر فأصابها رصاص بنادقه عن غير قصد منه ثم ارتحل من محله إكراماً لهم متجهاً نحو شط الفرات بقصد العبور إلى الشامية وأمسى على حافة الفرات فبات هناك.

---

(١) المراد بهذه الكلمة: خلصاءه وكبار قومه - والله أعلم. اهـ مصحح.

وكان لما بلغ الحكومة قتل عساكرها أمام سعدون باشا أرسلت خلفه جنوداً أخرى تحت قيادة (محمد فاضل باشا الداغستاني) فعبر الفرات حتى أدرك سعدون باشا وهو نازل على (مشرعة النقيب) في مقاطعة (القطيعة) فأمر الجنود بإطلاق الرصاص عليه وكان في الجانب الآخر من الشط. فما جاوبها سعدون باشا تأنياً منه في تلك الليلة وعند الصباح عبر هو وقومه إلى بر الشامية (أراضيه) فعادت العساكر مع قائدها إلى مقرها.

ثم إن سعدون باشا تأهب لمقاومة دولته ونقل عائلته وحواشيه وظعن بهم من الشامية ميمماً الجنوب حتى أنزلهم في (فنيطيس) جنوب الكويت وأمرهم بالمكث هناك. ثم قفل راجعاً بقومه نحو العراق وصار يشن الغارات على ولاية البصرة حتى تقرب من القرى والنواحي المجاورة لمدينة البصرة بل إنه سلب ذات مرة إبلًا محملة أثاثاً من البصرة إلى الزبير لآل منديل. وكذلك سار بنفسه مع قسم من أعرابه إلى ناحية البطيحة وأوقد في بيوتها النار فأحرقها. ثم عرج إلى الناصرية فأغار على أطرافها. واستمر على العيث في نواحي البصرة والناصرية مدة. فأرسلت الحكومة العثمانية نحوه جنوداً مرة ثالثة لتعقبه تحت قيادة (محمد فاضل باشا الداغستاني) أيضاً في سنة (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) وكان مع الجنود قسم من العشائر تحت رياسة ابني عمه (فالح باشا ومزعل باشا ابني ناصر باشا ابن راشد السعدون) وخرج الكل في طلبه حتى خيموا قرب البصرة في موضع يقال له (دايم خزام) غربي الزبير على مسافة نصف ميل. ثم ذهبت الطلائع تستكشف مقره فلم تعثر له على أثر لأنه كان متنقلًا في البراري. ولما لم تجد له مقراً ولاموضعاً معيناً رجعت الجنود مع العشائر من حيث أتت. وبعد عودة فالح باشا إلى مقره مدحه (ظاهر أبو ذراع) رئيس قبيلة الصمدة (من الضفير) بقصيدة نبطية حثه فيها على التريس على المنتفق وجاء فيها:

ديرتك تو ما تفتحت بيبانها　　هميلتك جتك تخط برسانها

سفينتك تغلشت تنخاك يا سكانها[1].

فلما بلغ سعدون باشا ذلك أجابهم بقصيدة مخاطباً بها محمد فاضل باشا ومطلعها:

من البصرة الفيحا وشمال　　بيبدي أسعرت نيرانها

يا باشا لابتي أللي معك　　إفهم تراني حصانها[2]

وظل سعدون باشا مستمراً على العبث في أطراف العراق إلى أن جاء من السلطان عبد الحميد الثاني (العفو السلطاني) في أواخر عام (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) فأمن جانبه وهدأ من الفتن وأعاد أهله وعائلته إلى مقره في الشامية وإن الساعي بالصلح بين سعدون باشا والدولة العثمانية هو الأمير عبد العزيز الرشيد. وذلك لأن سعدون باشا لما ضاقت عليه المسالك وقلت وارداته أرسل إلى الأمير ابن رشيد قائلاً له: «إنه لم يبق عندي إلا الخف والحافر. فإما أن تسعى بالصلح بيني وبين الدولة العثمانية. وإلا وطئت أرضك بما عندي من القوة وطأة متهالك ولا لوم عليَّ في ذلك فقد أنذرتك» فدفعا للشر سعى الأمير ابن رشيد في المذاكرة مع الدولة لما يعلمه من شجاعة سعدون باشا وبسالة أنجاله. إلى أن صدر العفو عنه وأجرى له الراتب الشهري.

ثم في صيف تلك السنة (١٣٢٢ هـ) نزل في مقاطعة (الصخرية) متوسطاً

---

(١) هميلتك أي فرسك. تغلشت بمعنى تهدمت وتفككت أوصالها.

(٢) لابتي أي بني عمي لأن اللابة مأخوذة من قولهم حسب لباب أي خالص النسب. مؤلف.

بين عشائر (الحسينات والغزي) فأساءت نزله وتجرأت عليه استخفافاً به فضربهم ضربة شعواء حتى أخضعهم لأوامره فهابته جميع الأعراب وعلمت بأنه لايزال ذا قوة واقتدار.

كرم سعدون باشا ونشوء عداوته مع آل صباح

كان في أواخر سنة (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) حصل في نجد جدب ومحل فانحدرت بعض العشائر إلى السواحل وإلى مدن العراق لتكتال منها وكان من جملة من انحدر إلى العراق قسم من عشائر شمَّر تقلهم نحو (١٥٠٠) بعير يرأسهم (ابن سعيد) أحد زعماء شمَّر وسار حتى نزل بقومه وافداً على سعدون باشا (عدوهم الألد) عام (١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م) وشكا له حال ما أصاب شمَّر من الضرر الحاصل من القحط وطلب منه (يوماً من عفو العرب) بمقدار ما يكتال هو وقومه. فرق قلب سعدون باشا ومنحهم العفو وسمح لهم بالذهاب إلى (الخميسية) والاكتيال منها شراء بدراهمهم (وإنما العفو كان تكرماً وشهامة وإلا فيمكنه الانتقام منهم) وأصحب معهم رجلين من قومه وهما (مسعد بن عون من عشيرة الفضول. وفرحان البلبوص من عشيرة بني ركاب) لتعليم العشائر والأعراب بأنهم من دخلاء سعدون باشا. وبعد أن اكتالوا وخرجوا من الخميسية ووصلوا الموضع المسمى (دافنة) عارضتهم سرية من أعراب الكويت بأمر آل صباح يقودها (نافع بن ضويحي) مع جملة من عشيرته وأعرابه[1] وكان عدد السرية كلها نحو (٨٠٠) خيال ونحو (١٠٠٠) هجان فنهبت تلك القافلة الشمَّرية وسلبتها جميع ما لديها. فذهب (رسولا) سعدون باشا إلى ابن ضويحي

---

(١) عشيرة آل ضويحي هي من الضفير ثم انفصلت عنها ونزلت بجوار آل صباح للأسباب المبينة في داخل الأصل. اهـ مؤلف.

وأخبراه بأن هذه القافلة هي في حماية سعدون باشا فلم يلتفت إلى قوله فعكفا حالاً راجعين إلى سعدون باشا وأخبراه بما حصل فبادر سعدون باشا في استنفار قومه وذهب بهم في أثر السرية حتى أدركها عند أرض يقال لها (أرض الركي والردايف) وأطلق عليهم نيران بنادقه وعند اللقاء تقدم عجيمي باشا أمام جموع والده وهاجم البغاة وجعل يطاردهم حتى تمكن من أسر رئيسهم (نافع بن ضويحي) وأتى به إلى والده سعدون باشا فهمَّ بقتله فتشفع فيه ابن أخيه الأكبر (سمير بيك بن عبد الله بيك ابن منصور باشا) فعفا عن قتله إكراماً لابن أخيه. كما وإننا لاننسى فضل عجيمي باشا الذي كان هو الساعد الأعظم في تعضيد والده وإذاعة شهرته. حتى أرغمهم إلى التخلي عن المنهوبات بل تمكن من سلبهم نحو (٣٠٠) ذلول وقسماً مهماً من البنادق وعاد إلى مقره وأسلم القافلة إلى أهلها كما هي وأرسل معهم ابنه حمد بيك حتى أوصلهم مأمنهم. (ومن يومئذ نشأت العداوة بين آل صباح وآل سعدون) وانتقض الاتفاق المعقود بينهما.

أما سبب إغارة تلك السرية بأمر آل صباح على تلك العشيرة فهو أمران (أولاً) أن سعدون باشا أعطى تلك العشيرة الشمَّرية (الدخالة) بدون علم آل صباح لأنه كان قد عقد اتفاقاً مع آل صباح على مناوأة عشائر شمَّر ضداً في آل رشيد حكام حائل (ثانياً) إن عشيرة آل ضويحي لما كانت منضمة إلى الضفير وكلاهما تحت زعامة سعدون باشا فحصل بين آل ضويحي وآل سويط زعماء الضفير خاصة اختلاف شديد أدى إلى مشق الحسام فكان سعدون باشا معاضداً لآل سويط حتى تفرقوا وطردوا آل ضويحي من أراضيهم فلجأوا إلى آل صباح حكام الكويت واتفقوا معهم ضد آل سعدون فمن أجل ذا هاجموا العشيرة الملتجئة إلى سعدون باشا. ثم بعد وقعة (الركي والردايف) أرسل الشيخ مبارك الصباح من قبله (السيد خلف

باشا النقيب) يعتذر إليه ويلتمس منه إرجاع الركاب المنهوبة من آل ضويحي وأعراب الكويت قائلًا: بأن الشيخ مبارك لم يكن عنده علم بأن تلك القافلة هي سائرة بدخالة سعدون باشا. فقبل المعذرة سعدون باشا وأعاد إليه ما سلبه شهامة وكرماً. ولكن الشيخ مبارك كان قد حقد على آل سعدون حتى شرع في أسباب إضعاف قوتهم المعنوية التي أغاظته بل ربما هددت مركزه لاستفحال أمر سعدون باشا يومئذ.

غزوة ثامر بيك على النوري بن شعلان ثم غزوة والده

وفي سنة (١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م) غزا ثامر بيك ابن سعدون باشا أعراب الشام قوم (النوري بن شعلان) شيخ قبيلة الرولة. فلم يتوفق فعاد من حيث أتى. فجمع والده الجموع وسار يقودها بنفسه سنة (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م) نحو أعراب الشام للأخذ بثأر ابنه ثامر الذي كسروه في العام الماضي وغنموا منه مغانم كثيرة. فمر سعدون باشا أثناء سيره على عشائر (فهد بيك ابن عبد المحسن الهذال. وفهد بن دغيم الهذال) فرحَّبَا به هما ورؤساء قومهما ولم يظهر له منهما خلاف أو علائم حقد فاطمأن خاطره. ثم لما بارحهما متجهاً نحو (النوري بن شعلان) تغير فكرهما وعزما على (قطع خط الرجعة عليه) أو مهاجمته. وذلك لما رأوه من ثباته المتناهي فأمر بتجمع عشائر عنزة زعيمهم يومئذ (فهد بيك[1] ابن عبد المحسن الهذال) فالتفت حوله من عشائره. العمارات[2] والسبعة. والفدعان[3] والقمصة والدهامشة والصقور

---

(١) فهد بيك الهذال. كان قد انتخب مندوباً عن قبيلته في المجلس التأسيسي العراقي سنة (١٣٤٧ هـ ١٩٢٤ م).

(٢) العمارات فخيذة من عنزة والزعامة فيهم في آل هذال. ومساكنهم ممتدة على شاطئ الفرات شمالًا عن (كربلا) إلي عانة وأبي كمال. وفي الأودية الكائنة غربي =

وانضم إليهم من عشائر العراق (كبشة. واليعاقيب. والغزالات والزياد) واتفق الكل على محاربته لأن تغاضيهم عنه ومروره على أرضهم لحرب (النوري) مما يحط بقدرهم فيصبحون مستضعفين بين الأعراب المجاورة لهم. كما وأن مرور سعدون باشا على أراضيهم يُعَدُّ مساعدة له على جارهم (النوري بن شعلان) فتنشأ عداوة جديدة بينهما ويظلون في موقف حرج من الجانبين فلذا -قرروا المشي خلف سعدون باشا.

وعندما هاجم سعدون باشا عشائر الشام وتواقع معهم لم يشعر إلا وعشائر عنزة تهاجمه من الخلف فترك حرب (النوري) وعكف بقوة بأس ويأس على عشائر عنزة وجرت بينهما معركة عنيفة انهزم فيها سعدون باشا واضطر للتقهقر والرجوع إلى مقره في العراق مغلوباً.

وقد قتل في هذه المعركة (متعب بن فهد بيك الهذال) ومن عشائر الشام نحو (٢٠٥)- وقتل من ربع آل سعدون (طعمة بن عبد العزيز الروضان الشبيبي) ونحو (٧٠) شخصاً من عشائرهم وعشائر الضفير.

وكان لما وصل سعدون باشا دياره مكسوراً بلغه وهو نازل بأرض يقال لها (الجريبعات) بأن الشيخ مبارك آل صباح والأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود قادمان عليه بجموعهما لما بلغهما خبر انكساره أمام عرب الشام وعنزة فقد كانا يترقبانه. فبادرهما سعدون باشا بالمسير نحوهما حتى تصادم معهما وكسرهما في (وقعة هدية) كما سيأتي تفصيل ذلك.

= كربلا. وتقدر هذه الفخيذة بنحو (٥٠٠٠) خباء ومضرب وغالب مسابلتهم واكتيالهم من (الزازة. وخان البغدادي. وشثاثاً. وكربلا).

(٣) الفدعان فخيذة من عنزة أيضاً تتجول بين (حلب ودير الزور) على حافتي الفرات. اهـ مؤلف.

سبب وقعة هدية

أسبابها متنوعة ومصادرها مختلفة ومعظم ما اتفقت عليه الأخبار. هو أن نجماً بن عبد الله السعدون انفلت منه طير (صقر) فبلغه بأن ذلك الطير اصطاده رجل من عشيرة (عريب دار) التابعة لآل صباح والنازلة عند (الجهرة) من قرى الكويت. فأرسل المذكور يطلب طيره من الشخص الذي اصطاده فأبى تسليمه وحصل بينه وبين الرسول مشاجرة أفضت إلى قتل الرسول. ثم ذهب القاتل والتجأ بالشيخ جابر بن مبارك الصباح فأجاره ضداً في آل سعدون لأن العداوة ناشئة بينهما من سنة (١٣٢١) هـ (١٩٠٣ م) كما تقدم.

ولما بلغ سعدون باشا خبر قتل الرسول جرد جموعه ومشى بها نحو عشيرة القاتل وأوقع بهم أخذاً للثأر وسلب منهم ما نالته يده وانصرف راجعاً نحو مقره وذلك في أواخر سنة (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م) وعندما طرق مسمع الشيخ مبارك الصباح ما أجراه سعدون باشا أرسل يؤنبه ويطلب منه إرجاع ما سلبه من عشيرة (عريب دار) فجمع سعدون باشا شيئاً قليلاً من المنهوبات وأرجعه إلى الشيخ مبارك وأرسل يعتذر منه قائلاً بأنه لم يكن قاصداً بالفعل (عريب دار) في غزوته هذه وإنما عثر فيها من غير قصد أثناء سيره. فأوقع بها. وإنما كان قصده في الحقيقة فصيلة من عشائر مطير.

ثم إن سعدون باشا لم يكتف بالمكاتبة بل وجه أناساً من قبله إلى الكويت ليشرحوا شفاهياً للشيخ مبارك ما اعتذر به سعدون باشا ويطلبوا منه المصالحة وعدم الحقد والتضاغن. ولكن الشيخ مبارك كان قد أصر على حربه لانتصارات سعدون باشا المتوالية وثبات جأشه عند الهزيمة وهما من الأمور المهمة عند السياسيين فيخشى منه.

وبعد أن أرسل سعدون باشا رسله إلى الكويت توجه بجموعه لحرب (النوري بن شعلان) كما تقدم. ولما رجع مغلوباً إلى دياره وجد رسله عائدة من الكويت ومخبرة برفض الشيخ مبارك للصلح وأنه قادم نحو المنتفق بالجموع الكويتية.

وكان الأمير عبد العزيز السعود في تلك الأيام نازلاً على (الصمان) وهو اسم موضع يبعد عن الكويت بنحو (٤) مراحل فحضر وقابل الشيخ مبارك وعرض عليه المساعدة واتفق معه على حرب المنتفق. ثم خرجت الجموع من الكويت تحت قيادة الشيخ جابر بن مبارك الصباح ومعه الأمير عبد العزيز السعود. ولما بعدا عن الكويت بمرحلتين اختلفا على القيادة العامة ووجهتها لأن الأمير عبد العزيز يريد الغزو بهذه الجموع المهمة نحو (الأمير ابن رشيد) الذي بهرته انتصاراته المتوالية على الأعراب وترفع شأنه عند الدولة العثمانية. فأصبح يخشى من هجماته على (القصيم) وغيره.

وأما الشيخ جابر الصباح فكان يقصد بتلك الجموع الجرارة الزحف نحو سعدون باشا الذي غزا (عريب دار) وخفر ذمة آل صباح. فلما تباينت آراؤهما واختلفت مقاصدهما. اضطرا إلى أن يكتبا إلى الشيخ مبارك بما حصل ويستشيراه في الأمر. فأجابهما بأن يكون ابنه جابر هو القائد العام لتلك الحملة وأن يسيرا معاً نحو المنتفق فامتثلا أمره وسارا نحو سعدون وجرت بين الفريقين وقعة هدية.

وقعة هدية أو حرب الطوال

وكان لما بلغ سعدون باشا قدوم آل صباح نحوه بعد عودته مكسوراً من الشام بادر في الحال بالمسير نحو الكويتيين قبل أن يَطأوا دياره ليفاجئهم على غرة وهم لايشعرون (فنجح في خطته هذه) وسار بمن بقي من فلول جموعه وكان عددهم كما يأتي:

٧٠- من آل سعدون مع خدمهم وانضم لهم لفيف من الخثعم (الجشَعم) مع رئيسهم يومئذ (عبعوب بن ياسر الثويني).

٢٦٠- من السوالم (آل حميد) منهم ٦٠ خيالة. و(٢٠٠) مشاة يرأسهم زعيمهم (منيخر بن مرشد).

٥٢- من البدور ١٢ خيالة. و٤٠ مشاة ورئيسها ذياب بن شحم. وعباس بن عشيش.

١٢٠- من الضفير كلهم خيالة يرأسهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط.

٥٠٢- الجملة.

وكان مع الكل قسم من بني خالد يرأسهم (سلمان المنديل) ومن الصمدة (وهم فخيذة من الضفير) يرأسهم (ظاهر أبو ذراع) ومشى الكل حتى نزلوا أرضاً يقال لها (الجريبعات).

وأما جموع أهل الكويت الزاحفة للحرب فالحضر منهم تحت قيادة جابر بن مبارك الصباح. والبدو تحت رياسة (علي بن خليفة الصباح) وأهل نجد تحت قيادة زعيمهم (الأمير عبد العزيز السعود) فالتقى الجمعان في ربيع الأول عام (١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م) في أرض يقال لها (جريبعات الطوال) ودارت بينهما رحى القتال وحمى وطيس الحرب فلم تمض إلا ساعات من النهار حتى انهزمت الجموع الكويتية وأخذت بالفرار فاقتفتها فرسان المنتفق تثخن فيهم القتل حتى ألجأتهم إلى ترك الذخائر والأثقال مع قسم مهم من الأنعام. فغنمها آل سعدون مع عشائرهم وسموا هذه المعركة (وقعة هدية) لكثرة ما غنموه من الكويتيين بغير أذية.

فيقال: إن حصة سعدون باشا من تلك الغنيمة (٥٠٠) بعير وقد قتل من عشائر الكويت نحو (٣٣٨) رجلًا وقيل: أكثر.

وقتل من ربع سعدون باشا خمسة. ومن الخثعم أربعة. ومن الضفير سبعة. ومن البدور اثنان. ومن (القلطة) ليل بن هتيمي المنديل. وأما الجرحى فكثيرون.

وكان قد أمر سعدون باشا أعرابه عند هزيمة أضدادهم بأن لايقتلوا أسيراً ولايحملوا على جريح فامتثلوا أمره. ولما انتهت المعركة جمع سعدون باشا الأسرى وأرسلهم إلى الكويت بعد أن أكرمهم ورد لبعض أشخاص منهم سلبهم. وبهذه المكرمة نال سعدون باشا الثناء الجميل من القريب والبعيد. ثم من بعد هذه الواقعة عكفت غالب العشائر على سعدون باشا واتفقوا معه فتقوى مركزه.

فحنق لذلك (الشيخ مبارك الصباح) وجعل يستعد لحملة أخرى. وأرسل الأمير عبد العزيز السعود يطلب أمداداً من نجد ومن أهل القصيم ليؤلفا جموعاً قوية لاتقهر.

وأما سعدون باشا فكانت القوة متوفرة لديه لما ناله من تلك المغانم وهو ثمل بنشوة النصر والظفر الذي أحرزه وعلاوة على ذلك فقد جدد اتفاقه مع (الأمير ابن رشيد) على حرب كل مهاجم لهما.

وفي ٢٠ رجب عام (١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م) أيضاً نزلت عشائر الضفير (الرميلة) وهو اسم موضع يبعد عن قصبة الزبير بنحو (٣٠) ميلًا فهابهم آل صباح وخشوا من أن يهاجموا الكويت لتوفر عددهم. فأرسل حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح لهم سراً يستميلهم إليه ويطلبهم إلى الانضمام له والدخول تحت رايته ليكونوا معه ضد آل سعدون فأبوا من أن ينقضوا

اتفاقهم مع سعدون باشا. فلما يئس من استمالتهم أوعز إلى أتباعه من قبيلتي (الرشايدة. والعوازم) المنبثين بين الزبير والكويت بأن يقطعوا الطرق على قوافل الضفير التي تسابل الزبير وتمتاز منه فصدعوا بالأمر وجعلوا ينهبون ما تطرف من قوافل الضفير.

ولما رأى الضفير تتابع الغارات عليهم أرسلوا إلى سعدون باشا يستقدمونه ليغزو بهم على العشائر الموالية لآل صباح. فتوجه إليهم سعدون باشا بجموعه حتى نزل موضعاً يبعد عن الكويت بنحو (٥٠) ميلاً.

(وعندما علم والي البصرة) حسين جلال بيك (بمسير سعدون باشا نحو الكويت كره سفك الدماء بين المسلمين واستصدر قراراً من مجلس (إدارة ولاية البصرة) بإرسال أحمد جلبي الصانع ومعه بعض الأعيان للإصلاح بين آل صباح وآل سعدون. فتوجه الوفد لذلك. وفي غرة عام (١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) تم الصلح بين الطرفين على ما يرام. وفي ٢٧ محرم من العام المذكور أرسل الشيخ مبارك الصباح صحبة الوفد كتابين أحدهما لوالي البصرة والآخر لسعدون باشا يتضمنان قبوله الصلح.

فكافأت الحكومة العثمانية أحمد جلبي برتبة (باشا) فدعي أحمد باشا الصانع[١].

وكان قبل إتمام الصلح حصل اختلاف بين الضفير وسعدون باشا أدى إلى سرعة قبول سعدون باشا الصلح مع آل صباح بدون شروط وذلك كما سيأتي.

---

(١) أحمد باشا بن عبد العزيز الصانع. هو الذي تعين متصرفاً على البصرة زمن الحكومة العراقية من ٢١ جمادى الأولى عام (١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م) ٣٠ ك٢. وبقي إلى ٢٥ رجب عام ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م ٢٩ ك٢ حيث تعين بدله علي جودة بيك متصرفاً على البصرة.

الخلف الحاصل بين الضفير وسعدون باشا وغدر الضفير به

سببه أنه في عام (١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) لما نزل سعدون باشا في الموضع المسمى (الروضتين) مع عشائره، وكان معه غالب عشائر الضفير. ثم إن فخيذة منها ترفعت مع رئيسها (نافع الضويحي) إلى مسافة ستة أميال طلباً للكلأ حيث إنه حصل في تلك السنة (جدب وَمَحْلٌ) لقلة الأمطار فضعفت خيلهم وأنعامهم (وكان سعدون باشا لم يعلم سبب نجعهم) فأرسل في أثرهم ابنه (ثامر بيك) ليرجعهم. وعندما وصلهم بادر بإطلاق الرصاص على رعاة إبلهم فقابلوه بالمثل لأنهم لم يعرفوا بأنه سعدون باشا. فقتل من رجال ثامر (شخص ضفيري) فعكف راجعاً إلى أبيه وأخبره بما حصل. فعجل سعدون باشا بقبول الصلح مع آل صباح (قبل أن يشعروا بالقضية) فيشددوا عليه شروط الصلح لأن المذاكرة فيه كانت جارية بين الطرفين أثناء تلك المدة التي ذهب فيها ثامر بيك إلى الضفير. فتم الصلح بينهما عام (١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) كما تقدم بواسطة والي البصرة كما في تاريخها (ص ٣٣٥).

ثم إن سعدون باشا أرسل إلى حليفه (الأمير ابن رشيد) يخبره بما اقترفه (آل ضويحي) وطلب النجدة على الانتقام منهم وتأديبهم لتجرئهم على ابنه برمي الرصاص ولكونهم ألجأوه لقبول الصلح مع آل صباح بدون شروط مرضية خوفاً من فشو عصيانهم.

ثم ارتحل سعدون باشا من مخيمه مظهراً الرجوع نحو مقره. وجعل ينتجع في الأراضي المخصبة طالباً الكلأ لرتع الأنعام وفي الباطن هو يريد التقرب إلى أراضي ابن رشيد لموعد اتفقا عليه. فلما تقاربا، شعرت الضفير بوخامة الأمر وسوء العاقبة حيث إنهم أمسوا في موقف حرج بين الأميرين.

وفي الحال بادر زعيمهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط بالمسير نحو (الأمير ابن رشيد) وصحب معه نافعاً ابن ضويحي مع عدة من كبارهم (قلطاهم) وتواجهوا معه وطلبوا منه التوسط بالصلح بينهم وبين سعدون باشا، فأعاقهم عنده منتظراً قدوم سعدون باشا ولما وصل أخبره بما حصل ورغبه في الصلح فرضي سعدون باشا بذلك على شروط منها:

١ - أن يدفع الضفير له ثلاث سيوف مسميات قديمة.

٢ - يدفعون له (١٣٠) رأساً من الخيل منها (٣٠) من الأصائل.

٣ - يدفعون له (٢٠٠٠) رأس من الإبل منها (٢٠٠) ناقة من النجائب. فقبل الضفير تسليم ذلك (الودي)[١] فأرسل سعدون باشا بعض خدمه مع أناس من جهة الضفير يأتون بذلك الودي. ولما جيء به تنازل سعدون باشا عن قسم منه ورده على الضفير (إجلالاً للأمير ابن رشيد) وبعد ذلك أذن ابن الرشيد للضفير بالانصراف إلى مقرهم فنهضوا من مجلسه وبوادر الغضب لائحة على وجوههم.

ولما عزم الأميران على الرحيل كل منهما إلى مقره. انفرد (زامل السبهان وكيل الأمير ابن رشيد) مع سعدون باشا وأخبره بأن الضفير تلوح على وجوههم علائم الحقد والغدر. وربما إذا تباعدنا في المسير يستقلون جموعك فيحاربونك ويسترجعون منك جميع ما أدوه لك. وأنت مخير في أمرين:

١ - إما أن نصحبك حتى نوصلك مقرك.

٢ - أو أننا نعيق رؤساء الضفير عندنا إلى أن تصل مأمنك ثم نخلي

---

(١) أي: الدية يقال: ودى يدي ودياً ودية. اهـ مصحح.

سبيلهم. فلم يوافق سعدون باشا على الأمرين. معتذراً بأن الأول يشعر بجبنه حيث احتاج إلى من يوصله إلى مقره. والثاني تأباه الشيمة العربية من أن يحبس رؤساء قومه بعد أن خضعوا له وأدوا جميع ما فرضه عليهم.

ثم ارتحل الأميران كل يقصد ناحيته. ولما بعدا عن بعضهما بثلاث مراحل وأراد سعدون باشا النزول على الماء وجد الضفير مخيمين حوله. فأعرض عن النزول وسار مستمراً إلى المرحلة الرابعة فلما صبحها يريد الماء وجد الضفير قد أدلجوا ليلاً ووصلوا قبله وأحاطوا بالماء. فتأكدت خيانتهم لديه. فجد في السير قاصداً المرحلة الخامسة فعند وصوله الماء وجدهم عليه أيضاً. فاضطر إلى مكافحتهم فبرزوا له وتنازلا فتفوق الضفير عليه. لكثرة عددهم واستعدادهم لاسيا وقد انضم إليهم في تلك المعركة بعض عشائر (الزياد. وكبشة. واليعاقيب) وبعد معركة عنيفة تمكن الضفير من سلب جميع ما أدوه إلى سعدون باشا. وقتل في هذه المعركة (نجم بن عبد الله المنصور. وعبد المحسن بن فارس بن داود السعدون) وكانت هذه الواقعة في موضع يقال له: (جريبعات ضبع) في ٢٢ ربيع الأول عام (١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) وتسمى هذه الحادثة (غدر الضفير) ثم ذهب سعدون باشا مع قومه مخذولاً حتى نزل على مشرعة (الحماديات) من أرض الشامية فالتفت عليه جميع عشائر المنتفق فاشتد عضده. وكان في أثناء تلك المدة قد نقضت قبيلة البدور العهد وذهبت بقيادة زعيمها (ذياب الشحم) إلى محاصرة قلعة سعدون باشا المسماة (المائعة) فأرسل سعدون باشا قسماً من عشائره تحت رياسة ابنه (عجيمي بيك) لرفع الحصار عن القلعة وإزاحة المحاصرين.

وكان في ذلك الوقت قد نهض (محمد بن براك العصيمي) الزبيري غيرة وحمية وكتب إلى سعدون باشا يشير عليه في إرسال ابن أخيه يوسف بيك

ابن عبد الله بيك ابن منصور باشا السعدون إلى نواحي قصبة الزبير لينضم إلى عشيرة بني مالك ويرأسها لقطع طريق قوافل الضفير التي تسابل الزبير. فاستصوب سعدون باشا رأيه ووجه ابن أخيه إلى بني مالك فجمعهم وذهب بهم نحو الزبير وأغار على شرذمة من الضفير واقتطع منها ثمانية من الإبل فقاوموه مقاومة شديدة كاد أن يفشل فيها. ولما رأى يوسف بيك أن لا قبل له بإتمام ما بدأ به لجأ إلى (قصر خالد العون) في قرية الشعيبة قرب الزبير التي اتخذها محمد العصيمي مقاماً له وأعرض عن تلك الخطة مع الضفير. وكان في هذه المدة قد تمكن عجيمي بيك من تأديب قبيلة البدور ورفع الحصار عن القلعة. فأضغنوا له الحقد وصمموا على اغتياله حيث إن مقر البدور في نواحي (المائعة) صيفاً وشتاء. ولم يكن لسعدون باشا في تلك الأصقاع سوى تلك القلعة. فكتبوا بينهم أوراقاً بما اتفقوا عليه (فيما إذا تمكنوا من اغتيال عجيمي بيك) وختمها رؤساؤهم فتمكن (السيد ياسر) من اختلاس مسودة تلك الأوراق وأتى بها إلى سعدون باشا فقرأها ثم أرسلها إلى ابنه عجيمي بيك ولما تلاها ركب متن الحذر وشرع في تدبير الانتقام منهم. فأتاه نحو (٧٠) رجلاً من رؤساء البدور في عيد الأضحى عام (١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) لمعايدته حسب العادة ونزلوا في (الضيف العمومي) وكانوا عازمين على اغتياله ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لتحذره منهم فبعد معايدته ذهبوا بدون نتيجة ثم بعد أيام قلائل عاد إليه بعضهم بتلك العزيمة مظهرين (قصد المذاكرة) معه في بعض الأمور ونزلوا في المضيف كالعادة. وكان خاطرهم مطمئناً من عجيمي بيك لعدم ظهور حركة منه مغايرة للعادة أو تعبيس في وجوههم في مجيئهم الأول ظناً منهم بأنه لم يشعر بما تعازموا عليه من المكيدة.

وبعد استقرارهم أرسل إليهم عجيمي بيك يطلبهم لمقابلته في داخل قصره للمذاكرة فيما يريدون. وكان قد أمر حاجبه بأن لا يأذن لهم بالدخول

دفعة واحدة بل يرسلهم مثنى. فصدع بالأمر وجعل عجيمي بيك كلما دخل عليهْ اثنان أمر عليهما بنزع السلاح وبشد وثاقهما فاعتقل منهم (٧) فأحس الباقون بأن كل من دخل القصر لايخرج منه وخامرهم الخوف ففروا من المضيف ناجين بأنفسهم ولم يتمكن رجال عجيمي بيك من تأخيرهم أو اعتقالهم. ثم إن عجيمي بيك عرف والده بمن اعتقل من رؤساء البدور. وهم (ذياب بـن شحم الزويد. وأخوه مسير. وجابر العطشان الشحم. وعباس العشيش شيخ الرسن. وعمير بن علي بن هندي) واثنان آخران منهما نايف بن عباس (الذي أطلقه عجيمي بيك بشرط أن يذهب إلى قومه فيعبرهم نحو والده سعدون باشا) ولما ذهب نايف المذكور إلى قومه جمهعهم وانهزم بهم نحو عشائر (السماوة) فأرسل عجيمي بيك في أثرهم أناساً فأدركوا (نايفاً) في الطريق مع قومه فضربوه بالرصاص أمام قومه فخَر قتيلاً ورجعوا إلى عجيمي بيك وأخبروه بذلـك. ثم إن سعدون باشا أرسل إلى ابنه عجيمي بيك يأمره بقتل المعتقلين عنده فلم يستحسن عجيمي بيك قتلهم بل راجع أباه في أمرهم مستحسناً سجنهم في (أبي غار) محل قصر سعدون باشا الكائن في أرض الشامية. وأنه يحمل عشائرهم المهن الشاقة مدة حياتهم ويجعلهم وقت الحرب أمام جموعه. وهم بالطبع يضطرون للرضوخ أملًا في خلاص مشايخهم فيستفيد آل سعدون منهم فوائد جمة. فلم يوافق سعدون باشا ابنه على هذا الرأي بل ألزمه بقتلهم جميعاً. وتوعده بالشر إن لم يفعل ما أمره به فامتثل أمر أبيه فقتل ستة منهم وعفا عن السابع وهو (عمير بن علي بـن هندي) بعد أن جز ناصيته لمعروف أسداه قديماً مع عجيمي بيك. فهذه خلاصة لسبب قتل مشايخ البدور.

ولما تسامعت عشائر المنتفق بقتل أولئك ولم تعلم حقيقة السبب هاجت وماجت وتعازمت على حرب سعدون باشا وخلع طاعته ومشت نحوه حتى

حصرته في قطعة من أرضه ولم يكن معه إلا النزر القليل من رجاله. فطلب النجدة من الأمراء (خلفائه) فلم يسعفوه فاضطر إلى العبور إلى شط العرب ومنه ركب سفينة وأتى بها إلى البصرة طالباً النجدة من والي البصرة (لعله حسين جلال بيك) ليردع الأعراب الثائرين عليه فوعده الوالي بالمساعدة. ثم إن بعض أضداد سعدون باشا قلبوا فكرة الوالي وأفهموه عكس القضية. فارتاب الوالي من سعدون باشا وأصدر أمراً بالقبض عليه وإرساله تحت المحافظة إلى بغداد ومنها إلى حلب لمحاكمته بها. فقبض وأرسل ولكن قبل انتهاء المحاكمة توفي سعدون باشا في حلب آخر عام (١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م) وكان قد أعقب من الذكوز (ثامر بيك وعجيمي باشا. وحمد بيك. وسعود بيك. وعبد الكريم بيك).

قيام عجيمي باشا ابن سعدون باشا

إن مما لاريب فيه هو أن قوة سعدون باشا كانت ناشئة عن حماسة ابنه عجيمي بيك وشجاعته. كما تقدم. وكان لما أبعد سعدون باشا إلى حلب ذهب ابنه عجيمي بيك إلى الأمير ابن رشيد فدخل (حايلاً) في سنة (١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م) ونزل على فراش (الأمير سعود باشا آل رشيد) فأقبلت عليه عشائر شمَّر للسلام عليه وتقدم له الهدايا والتحف من الأسلحة والخيل وهو يأبى قبولها معتذراً بأنه لم يجىء لطلب إمداد. وإنما يقصد منهم (طراد يوم واحد بل ساعة واحدة) على الضفير الذين كانوا هم السبب في إبعاد والده عن وطنه. فلبت عشائر شمَّر دعوته وتجمعت حوله.

ثم إن الأمير ابن رشيد حشد بقية الجنود مساعدة لعجيمي بيك. وخرجا من (حائل) كل يقود قسماً من الجموع حتى نزلا موضعاً يسمى

شقرا[1] قرب الضفير. وأرسل لهم الأمير سعود باشا الرشيد رسلاً يأمرهم بالصلح مع عجيمي بيك. وكان الضفير متخوفين من تقرب ابن رشيد نحوهم. ولكن لما طلب الصلح منهم مع عجيمي بيك اطمأن خاطرهم ظناً منهم بأن رشيد لم يستعد لحربهم. فاغتروا بسوء رأيهم ورفضوا قبول الصلح. فأوفد إليهم ابن رشيد مرة ثانية أناساً آخرين يلتمس منهم ذلك (ليمكن الغرر فيهم) فرفضوا قبول الصلح وجاهروا للرسل أخيراً بأنهم مستعدون لحرب عجيمي بيك وغيره. ولما عادت الرسل فاجأتهم الجموع الشمَّرية في الموضع المسمى (جَوَّ حِمَارٍ) وجرت بينهما معركة عنيفة دموية حملت فيها الجموع الشمّرية حملة رجل واحد تحت قيادة الأميرين (ابن رشيد. وابن سعدون) حتى جعلتهم شذراً مذراً وذلك في ربيع الثاني عام (١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م).

ثم في محرم عام (١٣٣١ هـ ١٩١٣ م) غزا عجيمي بيك الضفير أيضاً وكانوا نازلين على الماء المعروف (بالشقرا) فأخذهم وغنم منهم لأنه كان قد بلغه بأنهم كاتبوا بعض الأمراء يستنجدونهم على حربه فعاجلهم بالمهاجمة حتى أضعف عزائمهم.

وفي سنة (١٣٣١ هـ ١٩١٣ م) اصطدمت باخرة انكليزية بالبارجة العثمانية المسماة (مرمريس) الراسية في مياه البصرة فحصل فيها طفيف ضرر أدى إلى أن تطالب الحكومة العثمانية من انكلترا مبلغاً جسيماً من الدراهم لأجل تصليحها.

ولما كان ما طلبته الدولة العثمانية مجحفاً ارتأت انكلترا بأن تجري تعمير تلك البارجة على نفقتها في الهند وبعد المذاكرة رضي الكل بذلك وانحسمت المسألة على ترميم تلك البارجة في بمبي.

---

(١) شقرا في أرض المنتفق وهي غير شقرا التي في نجد. اهـ مؤلف.

فأصدرت الحكومة العثمانية أمرها بسير البارجة (مرمريس) إلى بمبي للتصليح. وحينما وصلت شرع في ترميمها بعد أن استلمت حكومة بمبي من قبطانها جميع الأسلحة والذخائر وأدخلتها في مستودع بقصد المحافظة عليها إلى أن يتم ترميم البارجة. فلما تم الترميم طلب قبطانها إعادة ما أخذ منه من الأسلحة والذخائر. فامتنعت حكومة بمبي من التسليم إلى أن يأتيها أمر من لندن بالتسليم وجرت المخابرات بين الدولتين في خصوص ذلك.

وكان المقصد من تعويق البارجة في الهند مسألة سياسية وهي إطالة المدة ريثما يجمع السيد طالب باشا النقيب ربعه وأعوانه فيحتل بهم البصرة ليستقل بها.

ولما أدركت الدولة العثمانية معنى تلك الدسيسة أوعزت سراً إلى عجيمي بيك السعدون بالمسير بجموعه نحو البصرة ليرهب السيد طالب فصدع عجيمي بيك بالأمر وزحف ببعض عشائره نحو البصرة حتى خيم خارجها في أواخر عام (١٣٣١ هـ ١٩١٣ م).

فاضطرب السيد طالب من قدومه وبطل ما كان عازماً عليه. وأرسل يستفسر عجيمي بيك عن سبب مجيئه ويطلب منه الابتعاد عن البصرة لئلا يحصل في البلدة تشويش من قدومه. فأجابه عجيمي بيك بقوله: كلانا عثمانيان والعراق أجمع أراضيه عثمانية فحيثما أحببنا نزلنا.

ثم إن عجيمي بيك أشاع بأنه لم يقصد البصرة إلا ليثأر من السيد طالب الذي سعى سابقاً في إغراء الحكومة العثمانية على والده حتى ألقت القبض عليه وساقته إلى حلب حيث توفي بها كما تقدم.

وظل عجيمي بيك مستقياً خارج البصرة نحو أربعة أشهر ولما لم ير من

السيد طالب تحفزاً للثورة استأذن الحكومة العثمانية في العودة إلى مقره فأذنت له بعد أن أصدرت أمرها بمنحه رتبة (باشا) تقديراً لخدماته التي أجراها مع الدولة. فدعي من يومئذ (عجيمي باشا). ولما عاد أرسل أخاه (حمد بيك) إلى البصرة ليحل محله فقبل وصول حمد بيك إلى البصرة توجه السيد طالب إلى الكويت.

فجاء البصرة حمد بيك ونزل في العشار ثم انتقل إلى داخل البصرة حيث نزل في محلة السِّيمر. ثم أتاه منضماً إليه سالم بن حسن الخيُّون رئيس بني أسد. فبعد مدة عاد السيد طالب إلى البصرة وقبل ولوجه إليها أرسل من (المحمرَة) إلى والي البصرة يطلب منه إصدار الأمر بإخراج حمد بيك وأتباعه من البصرة وإلا أثار ثورة يحرق فيها البصرة. فالتمس الوالي من حمد بيك المبارحة حقناً للدماء وخوفاً من تداخل. الأجانب في شئون العراق لاسيا وأن جو السياسة كان مغبراً بقدوم الحرب العظمى.

فخرج حمد بيك من البصرة مع أتباعه امتثالاً لأوامر الدولة العثمانية حاقداً على السيد طالب فيا أجراه ضده. كما في تاريخ البصرة.

فدخل البصرة السيد طالب سنة (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) ولكن لم يهدأ روعه خوفاً من هجوم حمد بيك عليه.

فطلب من أهل قرية حمدان رجالاً يأتونه كل ليلة بعد العشاء فيبيتون، قرب (مخفر باب الزبير) للمحافظة عليه من هجوم آل سعدون. لأن قصر السيد طالب في تلك الجهة.

ثم في ٢٣ رجب عام (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) عاد حمد بيك ومعه حمود ابن مطلق بن حمود السعدون مع جملة من رجالها وهجم الكل على البصرة من

جهة باب الزبير. فصدهم رجال الدرك المقيمون في المخفر هناك وانضم إليهم رجال حمدان ربع السيد طالب الذين أعدهم في ذلك الموضع فما تمكن حمد بيك من ولوج البصرة فعاد إلى قصبة الزبير.

فجسم السيد طالب الأمر عند الوالي وطلب منه إبعاد حمد بيك بالقوة عن البصرة ونواحيها.

وفي ٢٤ رجب العام المذكور خرجت من البصرة قوة من الجنود يقودها (قدري بيك) وبصحبته جملة من حواشي السيد طالب وسار الكل نحو الزبير. وأطلقوا نيران البنادق على البلدة فقابلهم حمد بيك بالمثل. ثم اضطر للانسحاب واتجه نحو (كُويبدة) مقر عشيرة مطير بعد أن قُتل من قوم حمد بيك (٧) وجرح (٨). فدخلت حواشي السيد طالب قصبة الزبير ونهب عبد الكريم المشرى بيت ابني عمه (محمد بيك وعلي بيك) ابني حسين باشا المشرى.

ونهب رهط السيد طالب بيت محمد بن براك العصيمي وبيت علي باشا الزهير وبيت عبد المحسن باشا الزهير. وكذلك بيت قاضي البلدة. والكل كانوا ممن يلوذ بآل سعدون.

ولما انسحبت أعراب المنتفق من الزبير جعلت تتوعد شيخ الزبير الذي ساعد على نهب بيوت ربعهم وترتجز بقولها:

يا طارشي العبد الكريم   إسلم ولا تُسلِّمْ عليه[1]
إن قدر الله والرسول   من الفجر نُصلها عليه[2]

---

(١) الطارشي في اصطلاحهم بمعنى الرسول.

(٢) نصلها أي الخيل والمراد بأنهم يرسلون الخيل فتنصب على عدائهم ولها صليل.

وكان عجيمي باشا لما تنحى عن نواحي البصرة قصد عشيرة مطير ليؤدبها. لأنها في أثناء تغيبه نحو البصرة أغارت على إبل (السمير بيك السعدون) ابن عم عجيمي باشا الذي كان نازلاً في (إعلوى) هو ويوسف بيك السعدون فاستنصرا بعجيمي باشا فأتاها مسرعاً واقتفى إثر عشيرة مطير حتى أدركها فضربها واسترجع منها المنهوبات وأعادها لأصحابها ثم عاد إلى مقره.

وبسبب هذه الحادثة حصل التنافر بين عجيمي ومطير إلى اليوم.

فاغتنم الفرصة السيد طالب باشا وتذاكر مع ولاة الأمور في البصرة حتى أقنعهم بمناوأة عجيمي باشا وذويه. فأصدر والي البصرة أمراً بإرسال (بارجة عثمانية) تسير مع عشيرة بني منصور لتضرب يوسف بيك وربعه لأنه كان نازلاً على شاطئ غدير (هور) هناك.

وعندما سمع عجيمي باشا هذا النبأ زحف بجموعه نحو يوسف بيك وسمير بيك وانضم لهما.

فجاءت البارجة وأطلقت مدافعها على منازل يوسف حتى هدمت قلعته المبنية هناك.

فاضطر يوسف بيك لأن يرفع عائلته وأثقاله إلى (الرُّميلة) وشرع عجيمي باشا يقاوم جنود تلك البارجة والعشائر المساعدة لها حتى أرغم الكل إلى التقهقر بعد أن فقدت جملة من الجنود. ثم عاد عجيمي باشا إلى (الخميسية) مظفراً بهذا التفوق.

وبعد وصوله الخميسية جاءه راكب من قبيلة شمَّر يستغيثه على عشائر مطير التي سلبت قومه تحت زعامة رئيسهم المسمى (بالأحمر).

فأمر في الحال عجيمي باشا قسماً من رجاله الفرسان بالذهاب لمناصرة قبيلة شمّر. فصدعت بالأمر ومشت نحو مطير تحت رياسة (كنعان النهابة. وبرجس الخير الله) عبده الخاص. وأخذوا من الخميسية خيلاً من الحَصَّانة (بائعي الخيل).

لأن خيلهم كانت تَعْبَى من المحاربة التي جرت مع رجال البارجة. فذهبت تلك النجدة في أثر (الأحمر) وقومه حتى لحقتهم عند (الحويضات) قرب (كابدة) وتنازلت معهم حتى تفوقت عليهم وأسرت الأحمر مع قسم من ربعه وجاءت بهم مأسورين إلى عجيمي باشا مع المنهوبات. ولما وصلوا الخميسية أرسل عجيمي باشا عبده الخاص (عودة الحسين) إلى الأسرى وأمره بقتل الأحمر رئيس العصابة وإطلاق سراح الباقين.

فذهب العبد نحوهم فصادف الأحمر مقبلاً مع رهطه قرب مقبرة الخميسية بقصد مواجهة عجيمي باشا فأطلق العبد على الأحمر بندقيته فخر صريعاً في المقبرة وذلك عام (١٣٣١ هـ ١٩١٣ م).

وبعد ذلك رجع عجيمي باشا إلى مقره في (أبي صلابيخ) ذنايب الفَضلية على شاطئ الفرات عند نهر خطام[١].

ثم في سنة (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) ورد إلى عجيمي باشا مكتوب من والي بغداد (جاويد باشا) يخبره بقرب نشوب الحرب العظمى ويستنصره باسم الدين الكف عن المشاغبات الداخلية. فلبى طلبه على شروط وأرسلها له مع كاتبه الخاص (عبد الوهاب بيك ابن علي كاظم بيك) ليعقد معه اتفاقاً

---

(١) خطام سمي بذلك لكرم جده منصور باشا السعدون لأنه كان يأمر بأن يخطم أمام المارين فيؤمروا بالنزول في مضيفه. والخطام مقود الجمل. فشبهوا وقوف المعارضين لمن لم ينزل في المضيف كالخطام الذي يرد البعير عن مقصده.

خاصاً لتجهيز العشائر بعد المصادقة على الشروط التي طلبها عجيمي باشا (فمنها) إبعاد السيد طالب باشا خصمه الألد عن البصرة.

ولما اتجه الرسول بالوالي. صادق الوالي على جميع ما طلبه عجيمي باشا وأراده.

فعاد عبد الوهاب بيك إلى عجيمي باشا وأخبره بموافقة الوالي جاويد باشا على مطالبه ومصادقته عليها. فأرسل عجيمي باشا في الحال أخاه حمد بيك إلى رؤساء عشائر المنتفق يستنفرهم ويأمرهم بالذهاب بجموعهم نحو عجيمي باشا. فأسرعوا مهرعين إليه.

ففي رمضان عام (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) نشبت الحرب العظمى وتطورت السياسة حسب تطور الأمم. وهاجمت انكلترا (الفاو) في ١٧ ذي الحجة من العام المذكور واحتلته في ٢٦ منه. فمشى عجيمي باشا بمن وصله من العشائر. وهم عشيرة الجوارين والشريفات. وقسم من البدور. وصحبه من بني عمه (صالح النصار السعدون. وشبلي بيك السعدون) وسار بالكل نحو البصرة للانضمام مع المجاهدين فوصلها في ٢٧ ذي الحجة من العام المذكور واتجه مع جاويد باشا فأمره بالالتحاق مع الجنود المرابطة في (أبي مُغيرة) فذهب واجتمع مع صبحي بيك والي البصرة والقائد العثماني للجنود هناك فرآه مضطرب الأحوال متزعزع الأركان بسبب انقتال (اليوزباشي) أركان حرب (سامي بيك) قائد جنود (الفاو) كما في تاريخ البصرة (ص ٣٤٣).

ثم ورد إلى عجيمي باشا أمر من جاويد باشا يأمره بالرجوع إلى البصرة فامتثل الأمر ولما عاد وجد بأن جاويد باشا قد انسحب من البصرة بالجنود بدون انتظام.

فاستقدم عجيمي باشا جماعته وقومه فعادت إلى البصرة حتى نزلت عند باب الزبير تحت رياسة يوسف بيك بن عبد الله بيك ثم إن عشائر البصرة جعلت تنهب البلدة. فأمرهم عجيمي باشا بالكف وعدم الأذية للأهالي.

ثم خطب في العساكر والجنود الباقية في البصرة ونواحيها والذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالجنود المنسحبة. وقال لهم: من له أهل في البصرة فليذهب إليهم. ومن كان وطنه غير البصرة فليتبعنا وهو في الأمان حتى نوصله إلى مأمنه.

وقال: إني قد عفوت عما حصل من بعضكم من الأذية حين انضمامكم مع قدري بيك في ضرب الزبير وضرب يوسف بيك. وإني متعهد للكل بالمساعدة التامة (وهذه الخطبة تعد أول معاهدة مع الترك) وجمع تلك الجنود ولَمَّ شعثها وسار بها إلى الزبير. فلما وصلها ارتابت غالب الجنود العثمانية من أن يغدر بهم عجيمي باشا إذا ابتعد بهم عن المدينة. لأنه بلغهم بأن بعض حواشي عجيمي باشا قد أشار عليه بأن يقتل الجنود ويأخذ أسلحتهم وذخائرهم لأن غالب (قوادهم) كانوا ممن ضربوا عجيمي باشا وأباه من قبل.

فطلبوا من عجيمي باشا المعاهدة رسمياً مرة ثانية فعاهدهم حسبما أرادوا وأقسم بالله لهم على حسن نيته وصدقه معهم ومع كافة إخوانه المسلمين. فاطمأن خاطرهم وانسحبوا معه آمنين وجعل يحافظ عليهم ويتفقدهم حتى أوصلهم الخميسية. فدخلت الجنود الانكليزية البصرة في ٢ محرم عام (١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م) ٢٢ تشرين ثاني.

وفي ١٨ جمادى الأولى من العام المذكور هجمت بعض عشائر المنتفق بزوارق صغار (مشاحيف) على البصرة فلم تتوفق بسبب طغيان الماء

الحاصل في تلك السنة كما في تاريخ البصرة (ص ٣٤٤) ولكنها غنمت بعض الذخائر والأسلحة وعادت بدون نتيجة.

وفي ١٨ جمادى الآخرة عام (١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م) حصلت (وقعة الشعيبة) الشهيرة[١] التي دامت ثلاثة أيام متوالية أبلى فيها عجيمي باشا بلاءً حسناً. ثم حصل سوء تفاهم بين قواد العرب والأتراك أدى إلى الفشل وإلى انتحار (سليمان بيك عسكر) القائد العثماني لجبهة العراق. فاضطر الكل للانسحاب تاركين غالب الأسلحة والمدافع لعدم وجود دواب تحملها أو تجرها. كما في تاريخ البصرة (ص ٣٤٤).

ولما أراد عجيمي باشا الانسحاب بعدهم أمر رجاله بأن يجروا المدافع المتروكة فجعلت أعرابه تسحبها حتى أوصلتها إلى الخميسية.

وكان مع عجيمي باشا إخوته وشرذمة من بني عمه وذويه وقليل من عبيده وخدمه يبلغ عدد الجميع (٤٠) رجلًا. وعندما وصلوا الخميسية وجدوا العساكر العثمانية هناك. فأسسوا خطاً للحرب بقربهم وجعلوا يحفرون الخنادق ويستعدون للدفاع من جهة البر. ثم بلغهم بأن العدو قصدهم من جهة النهر. فزحفت الجنود العثمانية نحو (عكيكة) من طريق السفحة لتتقرب إلى النهر ومعهم الموعز العسكري (أحمد بيك أوراق) ومتصرف الناصرية (حمزة بيك) فصحبهم عجيمي باشا بعد أن جعل في خط الخميسية أخاه (حمد بيك) مع قسم من قومه احتياطاً من أن يهاجمهم العدو من جهة البر.

ثم إن العدو تقدم وشرع يهاجمهم من جهة عكيكة ولكنه فشل في

---

(١) قرية الشعيبة غربي البصرة على مسافة عشرة أميال. وتبعد عن قصبة الزبير بنحو ميلين.

هجومه مراراً ولم يتمكن من النجاح فسعى في إمالة رؤساء العشائر حتى تمكن من إمالة (فرهود المغشغش) من عشيرة بني خيقان بإطماعه بالدراهم حتى امتطى متن الخيانة وأطلعهم على مسلك يساعدهم على سقوط الخطوط العثمانية بدون حرب.

ولما بلغ العثمانيين ذلك الخبر وأن العدو سلك ذلك الطريق اضطروا للانسحاب خوفاً من المحاصرة فسقطت عكيكة وبسقوطها سقط (سوق الشيوخ) فدخلته الجنود الانكليزية في أول رمضان عام (١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م) أيضاً. ثم ذهب العثمانيون وأسسوا خطاً آخر للحرب في موضع يقال له (مجينينة) يبعد عن الناصرية بنحو (٧) أميال شرقاً أي بين الناصرية وسوق الشيوخ. ثم شرعت الحرب بين الفريقين هناك.

وكان عجيمي باشا مع القوة العثمانية وهناك تبلغ من قبل القائد العام العثماني في بغداد بأن يذهب إلى الخميسية ويضبطها من مهاجمة الأعداء حتى لايتمكنوا من التقدم إلى الناصرية براً. فلبى ذلك الأمر وذهب إلى الخميسية وأخذ بزمام الأمر فيها وحافظها. وحفظ الذخائر والأرزاق التي كانت هناك للعثمانيين تحت عهدة (حسن أفندي مأمور الإعاشة) ومحافظ (بلك) البغالة (إسترسوار) الذي كان يرأسه (اليوزباشي) إياس بيك. وكان في معيته من الضباط عبد الرزاق أفندي، ومولود مخلص، وكان لما سقط سوق الشيوخ فر الضابطان عبد الرزاق ومولود مخلص والتحقوا بالجنود الانكليزية فبقي إياس بيك منفرداً بنفسه.

فألفتت قواد الانكليز أنظارهم إلى اقناع (ثامر بيك ابن سعدون باشا) حتى أقنعوه وطلبوا من عبد العزيز بن سليمان السعدون ومن إخوته المساعدة مع ثامر بيك على استخلاص الخميسية من سيطرة عجيمي باشا. فتعدوا بذلك وذهبوا إلى الخميسية وبصحبتهم السيد إبراهيم البعّاج

فوصلوها قبل مجيء عجيمي باشا ولكنهم وجدوا هناك قوة لا طاقة لهم بمقاومتها فلم تعارضهم ولكنها أرسلت تراجع عجيمي باشا في مجيء هؤلاء.

فأرسل في الحال عجيمي باشا أخاه حمد بيك وبصحبته غالب العمرو. ليقنعاهم بالرجوع عن الخميسية والكف عن الأذية فلم يلتفتوا إلى قولهما. فأخبروا عجيمي باشا بما جرى بينهما فعند ذلك توجه عجيمي باشا بنفسه إلى الخميسية ليلاً وعندما سمعوا بمجيئه فروا من البلدة بدون مقاومة.

فضبط عجيمي باشا إدارة البلدة وبقي يدير شئونها إلى أن سقطت الناصرية.

وذلك لأن العدو لما عجز عن التقدم من جهة النهر وظل حائراً. وجد من أرشده إلى إمالة (سلطان بن مناحي) من عشيرة الحسينات فنجح بانضمامه له. فدلهم سلطان المذكور على مسالك توصلهم إلى الناصرية من جهة الغدير (الهور) ليقطعوا خط الرجعة على العثمانيين. ولما شعر العثمانيون بذلك انسحبوا من خطوطهم بانتظام إلى (الكوت) والتحقوا بجنودهم هناك.

فتقدمت الجنود الانكليزية ودخلت الناصرية في ٩ رمضان عام (١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م).

وأما عجيمي باشا فإنه بعد سقوط الناصرية انسحب مترفعاً إلى محل يقال له: (المليّة) التي تبعد عن (الخضر) بنحو (٧) أميال غرباً. وتبعد عن السماوة بنحو (١٦) ميلاً جنوباً. وهناك قصدهم العدو من جهة النهر ومن جهة البر.

فجعل عجيمي باشا أخاه سعود بيك[١] في الرمليّة مع قسم من العشائر

---

(١) سعود بيك بن سعدون باشا ولد سنة (١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م).

وتقدم هو ببقية عشائر مع الجنود العثمانية نحو النهر وحفروا هناك خنادق وكمنوا فيها.

فأما القوة الانكليزية الزاحفة من جهة البر فكان بصحبتها (الضفير والبدور) وعندما وصلوا الرمليَّة تصادموا مع سعود بيك فكافحهم حتى دحرهم خائبين.

وأما القوة الانكليزية السائرة من جهة النهر على ظهور البوارج فهي مؤلفة من الشرطة تحت قيادة أشخاص من المنتفق يرأسهم (علي بن عبد الله المنتفقي) وحينما حاذوا الخطوط العثمانية جعلوا يمطرونها بوابل القنابل وبرصاص الرشاشات فقابلوها بالمثل حتى صدوها عن النزول إلى البر ولم تتمكن تلك القوة النهرية من البقاء هناك فاضطرت لأن تتقهقر بعد أن أصيب قائدها (علي بن عبد الله) في يده حتى انشلت. وقتل من كبار الشرطة يعقوب بن سريدح السليم. لاسيما وقد بلغها انكسار القوة البرية أمام سعود بيك كما تقدم.

ثم بعد أيام أرسلت انكلترا على عجيمي باشا وربعه سرباً من الطيارات فأمطرتهم بمقذوفاتها. فصابروا ورابطوا ولم تضرهم مضرة تذكر لتحفظهم وتحذرهم. وظلت مدة أيام تروح وتغدو عليهم في كل أسبوع بدون نتيجة.

وبقي عجيمي باشا مرابطاً في الرّملية مع الجنود العثمانية على تلك الحالة الحرجة مهددين من جهة النهر والبر إلى سقوط (الكوت) عام (١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م) حيث ورده التبليغ بأن البقاء في موضعه لايجدي نفعاً. وعليه يجب إرسال الجنود التي معه إلى (العرضى) في بغداد. وهو مخير في نفسه في الرحيل وعدمه. فوجه عجيمي باشا العساكر جميعها إلى العرضي حسب الأمر. وارتحل هو من الرَّملية مغرباً حتى نزل وظل هناك

مرابطاً إلى أن بلغه سقوط بغداد في ١٥ جمادى الأولى عام (١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م) ١١ مارس كما في تاريخ البصرة (ص ٣٤٥). وبسقوط بغداد انقطعت المخابرات الجارية بينه وبين الدولة العثمانية لعدم وجود طرق للمخابرات.

ثم إن عجيمي باشا كاتب رؤساء عشائر عنزة يستأذنهم في المرور على أراضيهم ليتجه نحو الشمال عله أن يجتمع بالعثمانيين. فامتنع (فهد بن عبد المحسن الهذال) رئيس عنزة جمعاء من قبول المرور على أراضي عنزة قاطبة.

وأما ابن عمه (فهد بن دغيم الهذال) فإنه أذن لعجيمي باشا بالمجيء إلى أراضيه والمرور عليها مساعدة إسلامية. وأرسل له خطاً بذلك قال فيه: (إننا نترك العداوة القديمة بيننا لوقت آخر. وأما اليوم فإنه يجب علينا أن نتفق مع إخواننا المسلمين في الجهاد ضد الأعداء) فارتحل عجيمي باشا ميمماً أراضي عنزة حتى خيم بجوار الشيخ فهد بن دغيم الهذال. فغاظ ذلك الأمر فهداً بن عبد المحسن وأرسل إلى قائد جيش الاحتلال الانكليزي يطلب منه قوة ليمشي بها على عجيمي باشا فلبى طلبه ووجه إليه فرقة من الجنود الانكليزية تحت قيادة الكولونول لجمن[1] ولما بلغ عجيمي باشا خبر

(١) لجمن هذا هو الذي قتله الشيخ ضاري بن محمود رئيس عشيرة الزوبع. وذلك أنه في سنة (١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م) حدثت ثورات في العراق المراد منها طلب (الاستقلال التام) وأهمها ما قامت به عشيرة الزوبع حيث أدت إلى طلب (الكولونول لجمن حاكم منطقة لواء الديلم السياسي) حضور رئيس قبيلة الزوبع الشيخ ضاري المذكور للمقابلة في (خان النقطة) الواقع بين بغداد وفلوجة.

فامتثل الشيخ ضاري الأمر وجاء بنفسه إلى مواجهة الحاكم في ٢٧ ذي القعدة عام (١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م) ١٢ أغستوس وكان بصحبته ابنه (خميس) وثلة من رجاله وقعد عند مدخل الخان الذي كانت تحتله قوة من الشرطة. لأن الحاكم لجمن لم يكن =

. . . .

= حاضراً وبعد برهة من الزمن حضر ومعه خادمه وسائق (جواله) فدخل واصطحب معه الشيخ ضاري إلى داخل الخان. وأخذا يتحادثان في شأن الزراعة ومحصولاتها وبينما هما كذلك إذا أقبلت جماعة من الأعراب مخبرة بأن عصابة من اللصوص هاجمتهم في الطريق فسلبتهم بعض مؤنهم. فأصدر الحاكم في الحال الأمر إلى ضابط الدرك بالمسير مع قسم من رجال الدرك لتعقب العصابة القاطعة للطريق وأمره أيضاً بأن يصحب معه بضعة من رجال الشيخ ضاري فصدع بالأمر وسار نحو العصابة ثم بعد ذلك جعل الكولونل لجمن يعاتب الشيخ ضاري ويوبخه على التعصب ثم أغلظ القول معه حتى أمس بعواطفه ثم ألقى على عاتقه تبعة الإخلال بالأمن ونسب إليه وإلى قومه وقوع تلك الحادثة. فتأثر الشيخ ضاري من حملات الحاكم المؤلمة عليه فاستأذن للخروج فأذن له. ثم بعد هنيهة عاد فاستأذن الخفير بالدخول على الحاكم فأذن له فدخل عليه ومعه ابنه (خميس) ورجل آخر من أفراد أسرته وعندما عاينوا لجمن بادر خميس بإطلاق الرصاص عليه فخر متردياً ونظر إلى الشيخ ضاري قائلاً له: (إلى هذا الحد تبلغ بك الخيانة) فعند ذلك ضربه الشيخ ضاري بسيفه فقضى على حياته. وبقتله انهدم أعظم أركان الجيوش المحتلة لأنه كان من كبار الضباط البريطانيين العارفين بأحوال العراق وتقاليد أهله معرفة واسعة لاسيما وأنه معدود أيضاً في فحول الرجال الذين اشتركوا في المعارك التركية الانكليزية في العراق فأظهر فيها مهارة تامة.

ثم بعد مدة أرسلت الحكومة البريطانية قسماً من الجنود إلى (خان النقطة) وأطلقت مدافعها على (قلعة الشيخ ضاري) فنسفتها في ٦ محرم عام (١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م) ٢٠ أيلول. وقطعت الماء عن مزارعه فذهب وانضم مع الثوار في أواسط الفرات إلى أن نال العراق استقلاله. في (١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م). ولما حصل العفو العام عن جميع السياسيين والمجرمين لم يشمله ذلك العفو فترفع مع قومه إلى خارج الحدود العراقية وظل هناك إلى سنة (١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م) حيث هاض عليه مرضه المزمن فاستحسن الذهاب لسورية ليتداوى فيها واستأجر (جوالًا) كان سائقه أرمنياً وتوجه نحو الشام فخانه سائق الجوال وعكف به نحو العراق حتى أنزله عند مخفر في =

زحف الجنود الانكليزية نحوه بادر في تظعين عائلته وأثقاله ووجههم إلى ماء يبعد عن موضعه بنحو أربع مراحل، واستعد هو في محله للقاء الأعداء فهاجمته الجنود الانكليزية في ثاني يوم وجرت بينهما معركة عنيفة دامت بضع ساعات وكان النصر فيها حليفه. ثم أتاه مساءً ينبئ بأن غالب عشائر عنزة تريد الانضمام مع الجنود الانكليزية ضده فخشي من البقاء في مكانه خوفاً من الفشل فيما إذا حصلت معركة أخرى. فأدلج في تلك الليلة قاصداً أهله حتى نزل على عائلته سالماً. ثم ظعن بهم متباعداً عن أراضي عنزة إلى أن خيم في أراضي شمَّر. وهناك أبقى عائلته وأثقاله مع قسم من رجاله وخدمه يرأسهم أخوه (سعود بيك) وذهب في خاصته مع بعض خدمه نحو العثمانيين حتى أدركهم والتحق بهم وظل معهم يسير بسيرهم ويتحرك حسب إرادتهم. فلما تأكد لديهم صدقه وصداقته لهم أكرموه إكراماً جزيلاً وأعزوه إعزازاً عظيماً ثم منحوه في سنة (١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م) بلدة (كرموش) بملحقاتها يستغل حاصلات زراعتها لنفسه (وهي من ملحقات أورفة) وبقي هناك إلى اليوم معظماً مبجلاً. وله من الولد (مطشر بيك. ونجم بيك. وسعدون بيك).

= الحدود فألقي القبض عليه في جمادى الآخرة من العام المذكور وأرسل تحت المحافظة إلى بغداد حيث حوكم وهو مريض ثم حكم عليه بالسجن الأبدي مع تحميله المشاق. فقضى نحبه في السجن بعد الحكم عليه بيوم واحد وذلك في ٣ شعبان عام (١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م) ٢٥ ك٢. فارتجت لموته بغداد وحصلت فيها مظاهرات شديدة عجيبة الهيئة نشرت تفاصيلها الجرائد والمجلات ودفن بجوار ضريح (الشيخ معروف الكرخي).

ثم في عام (١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م) أذنت حكومة العراق للشيخ خميس ابن الشيخ ضاري المحمود بدخوله العراق. اهـ مؤلف.

المنتفق زمن الحكومة العراقية

أما مدن المنتفق وقراها فقد تشكل في غالبها دوائر ملكية رسمية. وأما العشائر فهم خاضعون لرؤسائهم كعادتهم القديمة فتفصل بينهم في صغار الأمور وأما كبارها فترفع إلى مراكز الحكومة الرسمية.

وأما الأعراب النائية فإنهم جعلوا يتطلبون رئيساً يرأسهم ليدير شئونهم طبق عوائدهم المألوفة عندهم. وقسم من وجهائهم ترشحوا للاستخدام عند الحكومة. وبعد أن نال العراق استقلاله سنة (١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م) تـوج الملك فيصل بن الشريف حسين بن علي ملكاً على العراق في ١٩ ذو الحجة موافق ٢٣ أغستوس من العام المذكور.

تعين يوسف بيك بن عبد الله بيك بن منصور باشا بن راشد السعدون شيخاً على قسم من أعراب العراق المستخدمين للدرك والمعبر عنهم (بالهجَّانة) وأعطته الحكومة العراقية أسلحة وذخائر فجمع يوسف بيك حاشيته وظهر بها إلى البادية ليحافظ على العشائر والأعراب زمن الانتجاع في فصل الربيع كالعادة. وجعل له مقراً معيناً بنفسه. وفرض على الأعراب رعاة الشياه قسماً من الضأن والمعز يأخذه منهم سنوياً ثم لما درج أمره واستتبت له الرياسة أغارت عليه (الوهابية) عشائر نجد سنة (١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) فكافحهم أشد الكفاح فتفوقوا عليه حتى كسروه فتفرقت عنه الجموع. فطلب النجدة من الحكومة العراقية فلم تسعفه. فأعرض عنها وأرسل من قبله رسولاً إلى الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آلسعود (ملك الحجاز وسلطان نجد) طالباً الانضمام إليه والدخول تحت حمايته. فرحب به وأجاب طلبه وأقره على منصبه (يرأس عشائر المنتفق) ثم أرسل له (إماماً دينياً. مع آخر سياسياً كالمستشار) فاقتفى يوسف بيك

خطة الوهابية وظل على تلك الحالة جاعلًا مركزه على ماء يسمى (صفوان) غربي البصرة على مسافة نحو ١٥ ميلًا منها وبقي مستمراً على تلك الحالة إلى أن تاقت نفسه لغزو الضفير. فتهيأ للإغارة عليهم ولم يستأذن الأمير ابن سعود في ذلك. ومشى نحو الضفير وتواقع معهم ثم عاد غانماً إلى مقره.

ولما بلغ الأمير ابن سعود خبر ما أجراه بدون إذن غضب عليه وسحب منه (الإمام والمستشار) فأخفق يوسف بيك في مسعاه. واضطر إلى الرضوخ للحكومة العراقية. وأرسل يلتمس الانضمام إليها مع العفو عما جرى منه وأبدى أعذاراً لذلك فقبلت عذره وعفت عنه. ثم ترشح لخدمة الحكومة وجعل يضمن (الكودة) زكاة الغنم. ثم قدم عريضة يطلب فيها سكنى (إعلوي) موضع على غدير متشعب من الفرات شمال قصبة الزبير على مسافة نحو (٣٠) ميلًا ليزرع في تلك الأراضي حبوباً بمساعدة بعض ربعه واشتراكهم فيها سوية. فأوعدته الحكومة بالإذن.

وهذا آخر ما كتبناه عن أحوال المنتفق باختصار راجين من أفاضل القراء (إقالة عثره القلم، إن ألمّ).

جدول الوفيات

سنة هجرية

١١٩٣ قتل ثامر بن سعدون بن محمد في بعض المعارك ضد خزاعة.

١٢٣٨ قتل علي بن ثامر بن سعدون أثناء محاصرة الزبير.

١٢٨٠ في أج توفي الشيخ بندر بن ناصر بن ثامر في بغداد ودفن في مقبرة (الشيخ عمر السهروردي).

١٣٠١ توفي ناصر باشا بن راشد في الآستانة.

١٣٠٤ توفي منصور باشا بن راشد في بغداد ودفن بجوار (الشيخ عبد القادر الجيلاني).

١٣١٤ في صفر توفي فهد باشا بن علي بن ثامر ودفن في (الحي) بجوار ضريح (سعيد بن جبير).

١٣١٨ في رجب توفي الشيخ ناصر آل صقر ودفن في الشامية

١٣٢٠ في ٢٠ شوال توفي سليمان بيك بن منصور باشا ودفن في الشامية.

١٣٢٥ في ٢٤ شوال توفي فالح باشا بن ناصر باشا ودفن في مقبرة الزبير.

١٣٢٧ في محرم توفي مزعل باشا بن ناصر باشا في (الغموقة) التابعة لقضاء الشطرة ودفن بجوار ضريح (السيد أحمد الرفاعي) في الجزيرة.

١٣٢٧ توفي مهلهل باشا بن مزيد باشا بن ناصر باشا ودفن في مقبرة الزبير بجوار ضريح (الحسن البصري).

١٣٣١ توفي مزيد باشا بن ناصر باشا في الشامية.

١٣٤٨ في ١٢ جمادى الآخرة انتحر عبد المحسن باشا بن فهد باشا ابن علي السعدون في بغداد.

١٣٤٨ في ١٦ جمادى الآخرة يوم ب توفي الشيخ عبد الهادي ابن منصور بن فارس بن مهنا الصقر في الجزيرة.

١٣٤٨ في ١٩ جمادى الآخرة يوم هـ توفي الشيخ راشد ابن عبد المحسن ابن ثامر الصقر. في الجزيرة أيضاً.

تم بعون الله وحسن توفيقه (تاريخ المنتفق) من كتاب التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية.

الفهرس

البحـــــرين

البصـــــرة

المنتفق